شرح الأربعين النووية

تأليف

أحمد بن سودة وعبد القادر بن شقرون

ومحمد الطيب بركيران ومحمد بنيس

تحقيق

د. نجلاء التجكاني

الجزء الأول

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

شرح الأربعين النووية

تأليف

أحمد بن سودة و عبد القادر بن شقرون
و محمد الطيب بركيران و محمد بنيس

تحقيق

د.ة. نجلاء التجكاني

الجزء الأول

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

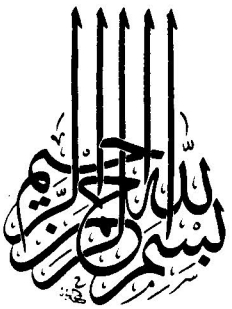
بسم الله الرحمن الرحيم

حياة المؤلفين وآثارهم

حياة احمد بن سودة وآثاره

1- نسب أحمد بن سودة ونشأته العلمية وأقوال مترجميه فيه

لقد اعتنى المؤلفون بعائلة بني سودة عناية كبيرة، وأفردت لهم كتب خاصة تعنى بذكر نسبهم الأول وأجدادهم وأحفادهم، فمن ذلك ما كتبه سليمان الحوات وهو تلميذ الشيخ التاودي حيث ألف كتابا في التعريف بشيحه المذكور بشكل خاص، والأسرة السودية الفاسية بشكل عام وسماه الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، ومن ذلك أيضا ما كتبه أحد أبناء هذه العائلة وهو محمد العابد بن سودة ألفا كتابا سماه الأنباء المنشودة من شمائل رجال بيت بني سودة، إضافة إلى تراجمهم المتفرقة في باقي كتب التراجم.

ولذلك لما أردت الترجمة لأحمد بن سودة وجدت مادتها غزيرة جدا، فرأيت أن أنتقي منها ما له تأثير مباشر فقط على سير حياته العلمية وأن أختصر في ذكر نسبه خاصة وأن كثيرا من الباحثين المتأخرين عنوا بذكر نسب والده وحققوا كثيرا من مؤلفاته[1].

فهو يرجع نسبه إلى عبد الملك بن أبي القاسم بن علي بن الصحابي الجليل عثمان بن عبيد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة الذي هو أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، فهو مري قرشي يلتقي نسبه بنسبه صلى الله عليه وسلم.

(1) انظر بحث "الشيخ محمد ابن سودة التاودي حياته وعلمه وآثاره، مع تحقيق جزء من كتابه: جامع الأمهات من أحاديث العبادات والصلوات–الطهارة والصلاة" رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية إنجاز الطالب عبد المجيد خيالي، وإشراف الدكتور محمد الروكي، السنة الجامعية 1418/1998. وبحث "الأجوبة الفقهية لمحمد التاودي بن سودة، دراسة وتحقيق" رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية، إنجاز الطالبة فدوى شاكر، إشراف الدكتور محمد السعيد بوركبة. السنة الجامعية 1998-1999.

استوطن أولهم يعني عبد الملك هذا دمشق الشام ثم دخل الجزيرة في جملة جيش بلخ بن بشر القشيري سنة 123 هـ. وأول من لقب منهم بهذا اللقب هو عثمان ابن أبي بكر بن علي بن أبي القاسم بن عبد الملك، وقد كان معروفا بمحاسن الأخلاق والزهد في الدنيا والعبادة إلى أن تواترت عليه الألسنة على الثناء عليه في كل المجالس إلى أن قال أحد الأعلام بعدما سأله بعضهم عن حاله، فقال: والله ما رأيت إلا ما بلغنا عن عثمان بن أبي سودة المقدسي شيخ الإمام البخاري بواسطة لموافقتهما في الاسم والسيرة، فتلقى ذلك منه بالقبول والاستحسان ومن ساعته صاروا لا يذكرونه حضورا وغيبة إلا بابن سودة إلى أن صارت هذه كنية له، وانسحب على عقبه عادة أهل الأندلس الذين كان لهم الشغف بالكنى ويعدونها من مفاخرهم، وبنو سود بطون من العرب كذلك.

ولفظة ابن سودة منهم من ضبطها بفتح السين مع سكون الواو، ومنهم من ضبطها بضم السين، إلا أنها مهما أطلقت تدل على المجد والتعظيم والتبجيل[1].

وأول من دخل منهم إلى العدوة من الأندلس بطلب من أمير وقته أبو عنان بن عبد الحق المريني سنة 754 هـ، وسكن مدينة فاس هو أبو القاسم محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن محمد بن عمر بن عثمان المتقدم ذكره. وبقي أبو القاسم بفاس إلى أن توفي وبقي أعقابه بها، أعقب في ولده الصدر الأوجه العالم أبي عبد الله محمد وعنه اشتهرت هذه الشعبة بفاس، وأعقب أبو عبد الله هذا من ولدين اثنين، أحدهما يسمى أبا القاسم والآخر أبا الحسن علي، فإلى أبي القاسم هذا يرجع فرع سيدي محمد التاودي والد المؤلف[2].

وعموما فبيتهم من كبار البيوتات سواء في الأندلس أو في فاس، ورجاله عرفوا منذ أوليتهم بالصلاح والوجاهة سواء في العلم أو في تقلد المناصب المهمة.

أما والده فهو الشيخ التاودي بن الطالب بن محمد بن علي بن أبي القاسم، شيخ الجماعة، أخذ عن محمد بن عبد السلام البناني، وأبي عبد الله بن جلون، ويعيش

(1) الروضة المقصودة 1/140-141، الأنباء المنشودة ص: 10-12.
(2) الروضة المقصودة 1/160-162، الأنباء المنشودة ص: 23-24.

الشاوي، وأبي العباس الشدادي وأبي عبد الله محمد بن الحسين الجندوز وغيرهم، وعنه ولده أبو العباس والطيب ابن كيران وأبو العلاء ادريس العراقي، وأبو الفيض حمدون بن الحاج، وأبو الربيع سليمان الحوات، وأخذ عنه بالمشرق الشيخ مرتضى الحسيني . من مصنفاته : حاشية على شرح الزرقاني على المختصر سماها طالع الأماني، شرح على تحفة ابن عاصم، شرح لامية الزقاق، حاشية على صحيح البخاري، وفهرسة لأشياخه وغيرها، توفي سنة 1209 هـ[1]. وخلف من الولد أبا العباس أحمد، وأبا عبد الله محمد[2]، وأبا القاسم[3]، وأبا بكر[4].

والمقصود بالذكر منهم هنا أبو العباس أحمد، كان من كبار علماء وقته، وكان يحظى بمرتبة عالية بين أقرانه وعند السلطانين سيدي محمد والمولى سليمان، وصفه صاحب الدرر البهية بقوله: الفقيه العلامة القاضي السيد أحمد، كان من الأعيان الكبراء والسراة الفضلاء، له عارضة قوية واطلاع ويد في صناعة الفتوى، وباع وحسن ملكة واتساع، جالت أفكاره في غوامض القضايا، وجانب منها الوهاظ والثنايا، واقتنص من الشوارد كل مشكل غريب وأورد من طيب الموارد ما يغني عن الضريب، فصار وحيد الزمان ويتيمة عقد هذا الجمان[5].

وذكر أبو العلاء إدريس في الابتسام: أنه لم ينسج أحد على منواله في كمال المروءة والانقباض عن الناس ونزاهة النفس والتؤدة وحسن الهيئة[6].

---

(1) ترجم له: ابن عجيبة في أزهار البستان مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 286 ك ص 218. وسليمان الحوات في الروضة المقصودة، وفي ثمرة أنسي في التعريف نبفسي ص 89-90، وعبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 1454/7، والكتاني في سلوة الأنفاس 112/1-115. ومحمد العابد بن سودة في الأنباء المنشودة ص 365-366، وعبد السلام بن سودة في إتحاف المطالع 2453/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية ص 372 رقم 1486.

(2) توفي 1194 هـ. ترجم له الحوات في الروضة المقصودة 731/2-732، والكتاني في سلوة الأنفاس 712، وابن سودة في إتحاف المطالع 2419/7.

(3) توفي 1209 هـ، ترجم له الحوات في الروضة المقصودة 735/2-736 وابن سودة في اتحاف المطالع 24537.

(4) توفي 1215 هـ، ترجم له الحوات في الروضة المقصودة 733/2-735، والكتاني في سلوة الأنفاس 122/1-123. وابن سودة في اتحاف المطالع 2472/7.

(5) الدرر البهية للفضيلي 283/2-284.

(6) الابتسام عن دولة ابن هشام مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 12490، ص 8.

ولد رحمه الله سنة 1153 هـ، ونشأ في حجر أبيه في عفة وصيانة ومروءة وديانة، لا يلاعب الصبيان في ملعب ولا يخالطهم في غير مكتب، حفظ القرآن حفظ تجويد وإتقان، ثم أخذ في الاعتناء بالمتون على حسب المتداول بين الناس في الفنون، وأجلسه أبوه للتعليم بين يديه في مبادئ العلوم التي يجب لها التقديم فلما آنس منه النجابة دفعه لأندية أفاضل تلامذته فشمر عن ساق الجد والعناية للتحصيل على جهة الجمع بين الدراية والرواية، فأخذ عن والده علم التفسير والحديث والفقه والأصول والكلام والمنطق واللغة والتصوف وغيرها.

وقد ذكر في الروضة أنه قرأ على والده مختصر خليل نحو سبع مرات، وسمع عليه صحيح البخاري نحو عشر مرات، وقرأ على أبي حفص عمر الفاسي كبرى السنوسي بحواشيه عليها، وعلى عبد القادر بوخريص بعض التفسير، وجمع الجوامع لابن السبكي[1]. وذكر في نزهة الأبصار أن له باعا في علم العربية، وفي اللغة، والتصريف وفي الفقهيات، وله حفظ ورواية في الحديث[2]. وفي الحسام المشرفي أنه كان ممن انتهت إليهم الرياسة في الفقه واستحضار النوازل، مع المهارة في صناعة التوثيق والبراعة في النحو[3].

ولما أدرك والده أنه تأهل للأخذ عنه، والانتفاع به، أذن له في التدريس بعد أن أجازه باللفظ والخط إجازة مطلقة عامة في جميع العلوم فانتفع به عدد كبير من طلبة فاس، فقد أقام في التدريس أكثر من ثلاثين سنة. وأجلسه والده مقامه لإقراء صحيح البخاري لما أراد الرحلة إلى الحج سنة 1181هـ. وذكر الضعيف الرباطي أنه كان له مجالس لتدريس خليل[4]، وذكر العراقي في الدر النفيس أنه حضر مجلسه في مختصر خليل وفي صحيح البخاري[5]. وقد خطب في حياة أبيه بالسلاطين وسلم له في

(1) الروضة المقصودة 2/708-709.
(2) نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار للعربي المشرفي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 579 ك، ص 446.
(3) الحسام المشرفي في الرد على أكنسوس المراكشي للعربي المشرفي مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2276 ك، ص 327.
(4) تاريخ الضعيف الرباطي 2/568-573-584.
(5) الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس للوليد العراقي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 97 ج، ص 278-279.

وقته فلم الفتوى فيما يعرض من نوازل الدعوى، ثم قلد خطة القضاء، وقد بقي فيها مدة طويلة تزيد عن عشرين سنة[1]. وكان حسن السيرة في الناس لا يداهن ولا يداري، ولم يدنس عرضه بالطمع في شيء مما يشين. ولم يشغله ما كان يعانيه من فصل الدعاوي بين الخصوم على كثرتها في هذا الوقت عن تدريس العلوم، ولا عن الأوراد والأذكار المرتبة عنده في الليل والنهار، فقد كان ينتسب لأشياخ الطريقة الناصرية، وعهد إليه والده والشيخ أبو الحسن علي بن يوسف الناصري الدرعي شؤون الزاوية الناصرية بفاس[2].

وقد ولي القضاء كما ذكر في الروضة آخر دولة محمد بن عبد الله، وصدرا من المملكة اليزيدية[3]، وذكر محمد العابد في الأنباء المنشودة، والكتاني في سلوة الأنفاس، والزياني في تكميل قضاة فاس، أنه ولي القضاء كذلك أيام المولى سليمان[4]، قال الزياني:

وللقضا يوسف أبو عنان ... فاختل عقله خوفا من السنان
وأحمد بن سودة أتى وراه ... وبعد شهرين معزل قدرماه
وقلد الهواري خطة القضا ... وكان في الأحكام غير مرتضا
فلم تطل في الملك قهرا مدته ... وعدا من الله وزالت صولته
وإذا أتى الملك سليمان الرضى ... وذهب الجور وتم وانقضى
فاختار للحكم الفتى اليموري ... تربية المولى الرضى المنصور
واختار للقضا الفقيه الأوحدا ... العلم النحرير أعني أحمدا
نجل الإمام الكوكب الوقاد ... التاودي بن سودة النقاد
جعله قاضي القضاة كلهم ... وقدوة ينظر في جميعهم

(1) الروضة المقصودة 710/2، والابتسام ص 8.
(2) الروضة المقصودة 711/2-712.
(3) نفس المصدر السابق 710/2.
(4) الأنباء المنشودة ص 367، سلوة الأنفاس 116/1، تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس وولاة الدولة العلوية وقضاتها وأمرائها وملوكها لبلقاسم الزياني، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم 126 ضمن مجموع، ورقة 49 ظهر، 50 وجه.

2 - شيوخ أحمد بن سودة

– والده التاودي بن سودة[1]

– أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني بالتعريف، أخذ عن أبي عبد الله بن عبد السلام البناني، وأحمد الصقلي، وعنه: أبو العباس أحمد بن التاودي، وأبو عبد الله بنيس، والطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج، وعبد القادر بن شقرون، من مصنفاته: الفتح الرباني – حاشية على الزرقاني على مختصر خليل – وحاشية على شرح السنوني في المنطق، توفي سنة 1194هـ[2].

– أبو عبد الله محمد بن الحسن الجنوي العمراني، أخذ عن الشيخ التاودي وأبي حفص عمر الفاسي، ومحمد بن القاسم جسوس وغيرهم. وعنه محمد الرهوني، والحائك صاحب النوازل، من مصنفاته: تقييد على حاشية ابن سلمون، وحواشي على تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين. توفي سنة 1200هـ. وذكر محمد مخلوف وفاته 1220هـ وهو خطأ[3].

– أبو حفص عمر بن عبد الله بن يوسف الفاسي الفهري، أخذ عن أبي العباس الوجاري، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، وغيرهم. وعنه عبد القادر بن شقرون، والطيب بن كيران. من مصنفاته: شرح التحفة لابن عاصم وحاشية على كبرى السنوسي، وشرح لامية الزقاق وغيرها. توفي سنة 1188هـ[4].

– أبو محمد عبد القادر بن العربي بن قاسم بوخريص الفيلالي الكاملي الجعفري، أخذ عن أبي عبد الله محمد العراقي الحسيني، وأبي عبد الله المسناوي، وأبي عبد

---

(1) سبقت ترجمته عند ذكر نسبه.

(2) ترجم له ابن عجيبة في أزهار البستان ص 215، وعبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2421/7، والكتاني في سلوة الأنفاس 161/1-165، وعبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس 227/1-229 رقم 79. وعبد السلام بن سودة في إتحاف المطالع 2418/7.

(3) صرح بأخذه عنه في سلوة الأنفاس 115/1. ترجم له: ابن زيدان في إتحاف أعلام الناس 135/4-140. وابن سودة في إتحاف المطالع 2432/7، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية ص 375 رقم 1499.

(4) صرح بأخذه عنه سليمان الحوات في الروضة المقصودة 709/2. والكتاني في السلوة 115/1 وغيرهم. ترجم له: ابن عجيبة في أزهار البستان ص 215، والكتاني في سلوة الأنفاس 337/1-339، وعبد السلام بن سودة في إتحاف المطالع 2403/7، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 356-357 رقم 1424.

الله بن عبد السلام بناني. وعنه عبد القادر بن شقرون والقاضي أبو محمد عبد السلام البكري الدلائي. توفي 1188هـ[1].

– أبو العباس أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي الرحالة الحافظ المسند، من شيوخه: أبو الحسن علي العكاري، وأبو الحسن علي بركة التطواني، وأحمد بن ناصر الدرعي. ومن تلامذته : ولده، وأبو العلاء إدريس بن محمد العراقي الفاسي والتاودي وولده أحمد، وله إجازة للتاودي شاركه فيها ولده أحمد. له فهرسة في ذكر أشياخه. توفي 1178هـ[2].

– أبو فارس عبد العزيز بن عبد السلام الزرقاني المصمودي الوزاني[3].

– أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التلمساني[4].

3 - تلامذة أحمد بن سودة :

– السلطان المولى سليمان كما ذكره الزياني في جمهرة التيجان[5].

– ولده أبو عبد الله محمد الطالب، أخذ عن والده وجده، توفي 1252هـ[6].

– ولده أبو مالك عبد الواحد، أخذ عن والده، وأخيه العربي، وجده، وحمدون بن الحاج، توفي 1253هـ[7].

---

(1) صرح بأخذه عنه في الروضة المقصودة 709/2 وسلوة الأنفاس 115/1.
ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2404/7. والكتاني في سلوة الأنفاس 12/2-13. وابن سودة في إتحاف المطالع 2403/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية ص 356 رقم 1423.

(2) صرح بأخذه عنه في الروضة المقصودة 709/2.
وترجم له الكتاني في فهرس الفهارس 119/1-120، ومحمد بن علي دينية في مجالس الانبساط مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 779 ص 105-115. وابن سودة في إتحاف المطالع 2382/7.

(3) صرح بأخذه عنه في الروضة المقصودة 708/2.

(4) صرح بأخذه عنه في الروضة المقصودة كذلك 708/2.

(5) جمهرة التيجان ص 127.

(6) ترجم له: الحوات في الروضة المقصودة 716/2 و736، وعبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2554/7، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 396 رقم 157/7.

(7) ترجم له: الحوات في الروضة المقصودة 716/2, والكتاني في سلوة الأنفاس 120/1, وابن سودة في إتحاف المطالع 2555/7، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 397 رقم 1583.

– ولده أبو الفضل العباس، أخذ عن والده، وعن سليمان الحوات، وعن أخيه أبي حامد. تولى قضاء فاس في حياة والده لما ضعف بصره، توفي 1241هـ[1].

– ولده أبو حامد العربي، أخذ عن والده، وأبي عبد الله محمد بن القاسم الفيلالي. له شرح على الموطأ لم يكمل، والمنح القيومية في شرح الوظيفة الزروقية، وفتح الملك الجليل في حل مقفل فرائض خليل، توفي 1299هـ[2].

– ولده أبو محمد عبد الله[3].

– ولده أبو سالم ابراهيم، كان شرع يتردد لمجلس أبيه وغيره من المجالس، لكن اخترمته المنية قبل أن يبلغ من النجابة الأمنية كما ذكره في الروضة المقصودة[4].

– حفيده أبو الفيض جعفر بن الطالب، أخذ عن والده وجده، له ديوان شعر في مجلد، وديوان خطب في مجلد، توفي 1276هـ[5].

– حفيده أبو عبد الله محمد بن العربي، أخذ عن والده وجده، توفي 1271هـ[6].

– أخوه أبو بكر، أخذ عن والده وأخيه، توفي 1215هـ[7].

– أخوه أبو القاسم، أخذ عن والده وأخيه، توفي 1209هـ[8].

– ولد أخيه أبي الجمال طاهر بن أبي بكر بن الشيخ، توفي في حياة والده كما وقفت عليه في الروضة المقصودة[9].

---

(1) ترجم له: الحوات في الروضة المقصودة 716/2، والكتاني في سلوة الأنفاس 116/1-117، وعبد السلام بن سودة في إتحاف المطالع 2523/7.

(2) ترجم له: الحوات في الروضة المقصودة 717/2 و737-757، والكتاني في سلوة الأنفاس 123/1-124.

(3) ذكره الحوات في الروضة المقصودة 716/2-717 وصرح بأخذه عن والده.

(4) ترجم له: الحوات في الروضة المقصودة 716/2.

(5) ترجم له: الحوات في الروضة المقصودة 717/2، والكتاني في سلوة الأنفاس 119/1، وابن سودة في إتحاف المطالع 2615/8.

(6) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 124/1، وابن سودة في إتحاف المطالع 2600/7.

(7) سبقت ترجمته.

(8) سبقت ترجمته.

(9) صرح في الروضة المقصودة بأنه أخذ عنه 718/2.
ترجم له: سليمان الحوات في الروضة 735/2.

– ولد أخيه أبي المجد عبد الباقي بن أبي عبد الله محمد بن الشيخ، توفي سنة 1214 [1].

– أبو العباس أحمد بن محمد المرنيسي الفاسي: أخذ عن الشيخ الطيب بن كيران، والشيخ أحمد بن التاودي، له حاشية على المكودي. توفي سنة 1277هـ[2].

– أبو محمد عبد الله المدعو الوليد بن العربي بن الوليد العراقي الحسيني، أخذ عن حمدون بن الحاج، ومحمد الطيب بن كيران، وأحمد بن التاودي. وعنه جعفر بن ادريس الكتاني، وأحمد بن أحمد البناني. له الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس توفي 1265هـ[3].

وقد ذكر في كتابه الدر النفيس أنه حضر مجلس الشيخ في مختصر خليل وفي صحيح البخاري كما سبقت الإشارة إليه.

– أبو الحسن علي المدعو علال بن أبي عبد الله محمد التهامي الحمومي الحسيني، أخذ عن والده التهامي وعن أحمد بن التاودي، توفي 1250هـ[4].

– أبو العباس أحمد بن محمد شقور الحسني العلمي، أخذ عن أبي الربيع سليمان الحوات وأبي الفيض حمدون بن الحاج، واعتمد في الفقه على قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن سودة. توفي 1234هـ[5].

– أبو العباس أحمد بن الفضيل بن محمد بن عبد الملك الحسني الإدريسي الجوطي العمراني المدعو الخضر، أخذ عن حمدون بن الحاج، وعن أحمد بن التاودي. ولم أقف على وفاته[6].

---

(1) صرح كذلك بأخذه عنه في الروضة المقصودة 718/2.
ترجم له: سليمان الحوات في الروضة 733/2.

(2) ترجم له الكتاني في سلوة الأنفاس 259/1-260 وابن سودة في إتحاف المطالع 2618/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 402 رقم 1608.

(3) ترجم له عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2587/7 والكتاني في سلوة الأنفاس 36/3-37. وابن سودة في إتحاف المطالع 2585/7 ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 399 رقم 1596.

(4) ترجم له الكتاني في السلوة 178/1.

(5) ترجم له الكتاني في السلوة 345/2. وابن سودة في إتحاف المطالع 2503/7.

(6) ترجم له الكتاني في السلوة 12/3.

– أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن. أخذ عن الطيب بن كيران، وعبد القادر بن شقرون، ومحمد بنيس، وأحمد بن التاودي، وحمدون بن الحاج. له فهرسة سماها إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد، ترجم فيها لكل هؤلاء الشيوخ. توفي 1254هـ[1].

– محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطي الملقب بالضعيف، أخذ عن أحمد بن سودة كما أشار إلى ذلك في تاريخه، وعبد القادر بن شقرون والطيب بن كيران ومحمد بنيس وغيرهم، كان حيا عام 1238هـ[2].

4 - آثار أحمد بن سودة العلمية

في الحسام المشرفي أن أحمد بن سودة لم يكن له اعتناء بالتقييد إلا ما كان من شرح العشرة الأولى من الأربعين حديثا بإذن مولوي[3]. وذكر في إتحاف المطالع أن له إضافة إلى شرحه هذا تآليف أخرى، ولم يذكر منها شيئا[4]. وفي السلوة أنه وقف له على أجوبة حسنة في مسائل عديدة من أبواب الفقه[5]، ولعله يقصد أجوبة والده التاودي لكنها من جمعه[6].

وقد وقفت له على جواب على سؤال المولى سليمان حول نزع العمال أموال الناس وإخفاءها في الزوايا على شكل ودائع، وهو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط في ورقتين، رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 113 إلى ص 115، مسطرته 21، مقياسه 8,18 x 14,9.

(1) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2558/7. وابن سودة في إتحاف المطالع 2557/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 397 رقم 1582.

(2) انظر ترجمته في تاريخه، وفي الاغتباط في ذكر أعلام الرباط لمحمد بوجندار. مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 12491 ص: 521–621. وفي مجالس الانبساط لمحمد دينية مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 779 ص 182. وفي دليل مؤرخ المغرب لابن سودة 137/1-138. وانظر مقدمة تحقيق التاريخ للأستاذ محمد البوزيدي الشيخي.

(3) الحسام المشرفي ص 327.

(4) إتحاف المطالع لابن سودة 2507/7.

(5) سلوة الأنفاس 116/1.

(6) الأجوبة الفقهية لمحمد التاودي بن سودة، دبلوم لنيل الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية دراسة وتحقيق فدوى شاكر، إشراف الدكتور السعيد بوركبة، السنة الجامعية 1998- 1999.

ووقفت له على ثلاث أبيات شعرية ذكر سليمان الحوات أنه لم يقف له على غيرها، ذكرها معاتبا بها عبد القادر بن أحمد بن شقرون لما احتاج إليه للاستخلاف عنه في الأحكام لأمر عرض له في بعض الأيام فلم يقبل لمرض كان به، وكتب إليه معتذرا:

أقاضيا شمس الزمان وبدره ... وواسطة العقد النفيس ولافخرا
تطلب فدتك النفس غيري وخلني ... أعالج أدوائي التي أبت الحصرا
فلازلت مرفوع الجناب معظما ... تجر ذيول العز مستوجبا الشكرا

فلم يقبل ابن سودة هذا العذر فقال:

شفاك إلاه العرش من دائك الذي ... أقضيت به حينا وأبديته عذرا
وذو الداء لم يمنع سماع خصومة ... من الناس لو حكمت في فاسهم شهرا
ولكن كسر النفس ليس بهين ... يرى المرء نقصا في نيابته دهرا[1]

5 - وفاة أحمد بن سودة :

توفي أحمد بن سودة رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بزاوية والده الكائنة بزقاق البغل، وقبره وراء قبر والده متصلا به.

وخلف من الولد السيد العربي، والسيد الطالب، والسيد العباس، والسيد عبد الواحد، والسيد عبد الله، والسيد ابراهيم[2].

(1) الروضة المقصودة 2/730-731.
(2) سبقت ترجمتهم في جملة من أخذ عنه رحمه الله.

حياة عبد القادر بن شقرون وآثاره

حياة عبد القادر بن شقرون وآثاره

1- نسب عبد القادر بن شقرون ونشأته العلمية وأقوال مترجميه فيه

ينحدر عبد القادر بن شقرون من بيت معروف بفاس، وهم فرق كثيرة أشهرها الفرقة التي ينتمي إليها[1].

ومع شهرته، وكثرة مترجميه، إلا أن جانبا كبيرا من ترجمته ظل غامضا، فلا نعرف شيئا عن مولده ووالديه، ولا أولاده، ولا عن مراحل دراسته. لكنه حظي بمكانة كبيرة بين العلماء في وقته، ولذلك نجدهم يكثرون من الثناء عليه، ويجمعون على تدقيقه وإتقانه وجمعه بين العقل والنقل.

فقد وصفه تلميذه أبو العباس أحمد ابن عجيبة المفسر بقوله: الفقيه المدرس سيدي عبد القادر بن شقرون، له مشاركة في المعقول والمنقول وهو من مشاهير المدرسين، وهو أحد الأئمة المنتفع بهم[2]. وحلاه كذلك تلميذه الكوهن بقوله: شيخنا وشيخ شيوخنا الإمام المحقق، المتقن المتفنن المدقق، القاضي الأعدل الخطيب الأنفع الأكمل، أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون الفاسي ... كان رضي الله علما واضحا يقتدى بأنواره، وروضا يانعا يجتنى من أزهاره، فتاقا لأبكار العلوم، دراكا لغوامض الفهوم، مرجوعا إليه في حل المشكلات، مقصودا إليه في دفع الشبهات، معروفا بالضبط والإتقان، مملوا بالصدق والعرفان، تتفجر أنهار عارضته حفظا وفهما، وتطرد تعاريف ملكته حدا ورسما، بلغ من الفصاحة والبلاغة مبلغا لا يدانى، وفي حلاوة العبارة ودقة الإشارة شأوا لا يجارى، إذا رأيته على منصة التدريس خلت أنه ينثر الدر النفيس، لا يسئم من جالسه، ولا يبغي به بدلا من وانسه، مع ما تحقق به من محبة وتعظيم آل البيت النبوي وخفض الجناح

(1) زهر الآس في بيوتات أهل فاس لعبد الكبير الكتاني 550/1. واتحاف المطالع لابن سودة 2476/7.
(2) أزهار البستان ص 219.

للمومنين ... وحسن الظن بالمنتسبين[1] ... وذكر المعسكري في فتح الإله ومنته أنه لقيه في رحلته، وأنه نحوي فاس باتفاق الناس، نحوي محقق وأديب مدقق، وأستاذ نحرير نظار ... له فكر نقاد، وذهن منقاد، انتفع به جهابذة النقاد، ثم قال: ذاكرته في مسائل فكان أوصل من كل مسؤول السائل، فكأنه ابن أكثم لا يتوقف ولا يتلعثم، وكتب إلى علماء تازة لما بلغه أنهم قصروا معي، كيف بكم لم تكرموا هذا الحافظ الذي له الشهرة التامة بالمشرق، وقد كتب لي مكتوبا هو عندي إلى الآن بيدي به شرحي الكبير على المقامات[2].

وإنما حظي بهذه المكانة لثقافته الموسوعية. فقد كان يدرس بفاس مادة الفقه وأصوله ومادة الحديث والتفسير والسيرة وغيرها، وكان يعتمد في الفقه خصوصا على مختصر خليل، وفي الأصول على كتاب ابن السبكي، وفي الحديث على صحيح البخاري وفي السيرة على الشفا للقاضي عياض[3].

وقلد خطة القضاء آخر الدولة المحمدية بسجلماسة مرة، وأخرى بالحضرة الادريسية، فأحسن السيرة في الناس، لا يعدل في الحكم عن النص والقياس، شديد التعظيم للشريعة، عظيم الصولة في سد الذريعة[4].

وذكر الكتاني في زهر الآس أنه تولى قضاء فاس، وكان عزل السيد أحمد الدلائي البكري عن قضاء فاس البالي، وصرفه لقضاء ردانة والسوس، وولي قضاء فاس البالي السيد محمد الهواري بعد قضائه بفاس الجديد، وولي قضاء فاس الجديد السيد عبد القادر بن شقرون، ثم عزل الهواري عن قضاء فاس البالي وولي مكانه السيد عبد القادر بن شقرون، وولي قضاء فاس الجديد السيد أحمد بن التاودي بن سودة، ثم وقع خصام مع ابن شقرون وحاكم فاس البالي، محمد بن حد الدكالي، ولما بلغ ذلك لجانب المخزن عزل ابن شقرون عن قضاء فاس البالي وولي القضاء

(1) إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد لعبد القادر الكوهن، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 103 ج، ص 3 -4.

(2) فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته لمحمد الناصري المعسكري، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2263 ك، ص 81.

(3) تاريخ الضعيف الرباطي 2/507-511-512-513-540-541-576.

(4) إمداد ذوي الاستعداد ص 4.

الهواري ثم بعد مدة عزل الهواري، ثم وقعت المناوبة بين الذين يتوجهون لثغر الصويرة من فقهاء فاس للتدريس به فعملت القرعة بينهم فخرج سهم ابن شقرون فجلس للقضاء شهرا، ووجه إليه السلطان بالقدوم عليه لمراكش فلم يكمل مدته وتوجه، وتولى بعده السيد أحمد بن الشيخ التاودي بسهمه[1].

وعلى الرغم أنه لم يستقر في القضاء مدة طويلة إلا أنه خلف صدى طيبا لدى الناس نظرا لعلمه وعدله خلافا للهواري، قال الزياني في تكميل قضاة فاس:

وللقضا الهواري وقت الجعيدي ... فحكمه شبيه بالمعيدي
ثم ابن شقرون وقت الدكالي ... نكله الدكالي لم يبال
وبعده الهواري عاد ثانيه ... ثم ابن شقرون أتاه تاليه
إذ جعل السلطان ستة شهور ... لكل من درس بالثغر الشهور
ومثلهم حكام فاس فالولا ... لكل من حل السوير أو اعتلا
فابتدأ ابن شقرون بالقرعة ... ثم ابن سودة بها قد تبعه

إلى أن قال:

وقلد الهواري خطة القضا ... وكان في الأحكام غير مرتضى[2]

2 - شيوخ عبد القادر بن شقرون

– أبو العباس الهلالي أحمد بن عبد العزيز السجلماسي، أخذ عن أحمد العماري المصري، عن أبي عبد الله محمد الزرقاني بسنده إلى خليل، وعن محمد بن عبد السلام البناني عن أبي سالم العياشي بسنده، وأخذ عنه التاودي بن سودة، وعبد القادر بن شقرون، له شرح ديباجة المختصر، شرح خطبة القاموس، توفي 1175هـ[3].

ذكر في سلوة الأنفاس أن ابن شقرون أخذ عنه لما قدم إلى فاس[4].

(1) زهر الآس 1/550-551.
(2) تكميل قضاة فاس ورقة 48 ظهر، 49 ظهر.
(3) ترجم له القادري في نشر المثاني 6/2212-2217. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 355 رقم 1420.
(4) سلوة الأنفاس 1/96.

– عبد الرحمان بن ادريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسني الادريسي التلمساني ثم الفاسي، شيخ القراء في وقته، أخذ عن العلامة المناوي، وعن والده، وعنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الهبطي، له حاشية على الجعبري كبرى وصغرى، وفهرسة سماها الإسناد للشفيع يوم التناد، توفي 1179هـ[1].

– أبو محمد عبد القادر بوخريص[2].

– أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد جسوس، من شيوخه: أبو عبد المسناوي، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وعمه أبو محمد عبد السلام جسوس. ومن تلامذته: عبد المجيد المنالي الزبادي والتاودي بن سودة توفي 1182هـ. ومن مصنفاته: شرح خليل، شرح الشمائل، شرح الحكم[3].

– أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني[4].

– أبو حفص الفاسي[5].

– حسين بن عبد الشكور البكري الصديقي الطائفي الحنفي، من أكبر أصحاب الشيخ السيد عبد الله الميرغني، له المنظومة الصلاتية. توفي 1206هـ[6].

ذكر في سلوة الأنفاس، وفي الأزهار العاطرة أنه أخذ عنه بالمدينة عند رحلته إلى الحج[7]. وذكر عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس أنه يروي كتاب الأم لإيقاظ

(1) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 270/2-272، وعبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس 569/2 رقم 325. وعبد السلام بن سودة في إتحاف المطالع 2384/7، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى 289/2 رقم 1170.

(2) سبقت ترجمته.

(3) ترجم له عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2394/7. والكتاني في السلوة 330/1-331. وابن سودة في إتحاف المطالع 2393/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 355 رقم 1421.

(4) سبقت ترجمته.

(5) سبقت ترجمته.

(6) ترجم له عبد الرحمن الجبرتي في عجائب الآثار في التراجم والأخبار 142/2-143. والبغدادي في هدية العارفين 327/1.

(7) سلوة الأنفاس 96/1، والأزهار العاطرة ص 193.

الهمم لإبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني ثم المدني المتوفى 1101هـ ـ وهو فهرسة ـ عن عبد المعطي بن أحمد السباعي، عن علي بن عبد الصادق الرجراجي، عن محمد بن أحمد السنوسي، عن عبد القادر بن أحمد بن شقرون الفاسي، عن حسين بن عبد الشكور الطائفي، عن جده لأمه إبراهيم بن أحمد بن آدم، عن العجيمي عن الكوراني[1].

– الشيخ مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، أبو الفيض الزبيدي اليمني ثم المصري الحنفي، له تاج العروس، إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين ... توفي 1205هـ[2].

ذكر في السلوة وفي الأزهار العاطرة أنه أخذ عنه بمصر عند رحلته إلى الحج[3]، وذكر الكتاني في فهرس الفهارس أن ابن شقرون له رواية عن الشيخ مرتضى الزبيدي[4].

– أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي، أخذ عن أبي حفص، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني. وعنه عبد القادر بن شقرون، ومحمد بنيس وغيرهم. له شرح لامية للأفعال، وحاشية على الجعبري لحرز الأماني وفهرسة في أشياخه، توفي 1214هـ[5].

3 - عبد القادر بن شقرون

– السلطان العلوي المولى سليمان بن محمد بن عبد الله، كما ذكره الزياني في جمهرة التيجان، والكتاني في السلوة، ومحمد بن جعفر الكتاني في الأزهار العاطرة، وغيرهم[6].

---

(1) فهرس الفهارس 167/1.

(2) ترجم له الجبرتي في عجائب الآثار 104/2-114. وعبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس 526/1-541. والبغدادي في هدية العارفين 347/2-348.

(3) سلوة الأنفاس 96/1، والأزهار العاطرة 193.

(4) فهرس الفهارس 541/1.

(5) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2471/7، والكتاني في سلوة الأنفاس 318/2-319. وابن سودة في إتحاف المطالع 2468/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 374 رقم 1496.

(6) جمهرة التيجان للزياني ص 127، سلوة الأنفاس 96/1، الأزهار العاطرة ص 193.

– محمد الطيب بن كيران، كما ذكره الكتاني في السلوة عند ترجمة ابن كيران[1].

– عبد القادر الكوهن[2]، كما ذكره في إمداد ذوي الاستعداد وترجم له ترجمة وافية.

– أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن حمدون بن الحاج السلمي. أخذ عن أخيه حمدون، وعن التاودي، وعبد الكريم اليازغي، ومحمد بنيس، ومحمد الطيب بن كيران، وعبد القادر بن شقرون، توفي 1213هـ[3].

– أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي. أخذ عن أبي عبد الله محمد البناني، وأبي محمد عبد القادر بن شقرون. له: ارتقاء الرتب العلية في ذكر الأنساب الصقلية، وغاية الأمنية، توفي 1213هـ[4].

– أبو عبد الله محمد بن عمر الزروالي الفاسي. أخذ عن الطيب بن كيران، والشيخ التاودي، وعبد القادر بن شقرون. وعنه السلطان سليمان، وعبد القادر الكوهن، توفي 1230 وقيل 1229هـ[5].

– أبو العباس أحمد بن أبي حفص عمر الفاسي، أخذ عن الشيخ محمد الهواري، وعبد القادر بن شقرون. توفي 1197هـ[6].

– أبو العباس أحمد بن أبي جيدة بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي. أخذ عن أبي حفص الفاسي، وأبي عبد الله محمد البناني، وعبد القادر بن شقرون، توفي 1194هـ[7].

---

(1) سلوة الأنفاس 2/3.

(2) سبقت ترجمته.

(3) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 34/3. وابن سودة في إتحاف المطالع 2462/7، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 373 رقم 1490.

(4) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2465/7. والكتاني في سلوة الأنفاس 325/1 وابن سودة في إتحاف المطالع 2462/7 ومحمد مخلوف في الشجرة ص 374 رقم 1492.

(5) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 5/3-6. وابن سودة في إتحاف المطالع 2494/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 377 رقم 1511.

(6) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2427/7. وابن سودة في اتحاف المطالع 2426/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 358 رقم 1430.

(7) ترجم له: الكتاني في السلوة 324/1-325. وابن سودة في إتحاف المطالع 2420/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 358 رقم 1429.

– أبو البركات المجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين. أخذ عن التاودي، ومحمد بن الحسن البناني، وعبد القادر بن شقرون، وعنه أبو المواهب عبد الكبير الفاسي. توفي 1260 هـ[1].

– أبو عبد الله محمد بن بدر الدين الشاذلي بن أحمد الحمومي. أخذ عن التاودي، وعبد القادر بن شقرون، وعنه محمد الطالب بن الحاج. له شرح الشمائل وشرح المرشد المعين وشرح الزروقية. توفي 1266هـ [2].

– أبو عبد الله محمد بن محمد الشفشاوني. أخذ عن الطيب بن كيران، والتاودي، واليازغي، وعبد القادر بن شقرون. له حاشية على التصريح، وحاشية على مختصر السعد، وعلى المحلي. توفي 1232 هـ[3].

– أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمان بن حمدون الشهير بابن الحاج. أخذ عن الطيب ابن كيران، وشاركه في كثير من شيوخه، وعن التاودي، واليازغي، وعبد القادر بن شقرون. وعنه ابناه محمد الطالب، ومحمد، والشيخ الكوهن. له: حاشية على تفسير أبي السعود، وعلى مختصر السعد، ونظم السيرة ونظم الحكم، توفي 1232هـ[4].

– أبو محمد عبد السلام بن أبي زيد اليازمي. أخذ عن التاودي، واليازغي ومحمد البناني، وعبد القادر بن شقرون. وعنه محمد بن عبد الرحمان الفلالي السجلماسي، وأحمد بن أبي جيدة، توفي 1241هـ[5].

– أبو محمد عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشريف السجلماسي العلوي، قاضي الجماعة. أخذ عن الطيب بن كيران، وعبد القادر بن شقرون. وعنه جعفر

(1) ترجم له ابن سودة في إتحاف المطالع 2568/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 398 رقم 1591.
(2) ترجم له عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2590/7. والكتاني في السلوة 178/1-179. وابن سودة في إتحاف المطالع 2588/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 400 رقم 1598.
(3) ترجم له عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2500/7 والكتاني في السلوة 3/6-7، وابن سودة في إتحاف المطالع 2499/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 379 رقم 1515.
(4) ترجم له عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2500/7. والكتاني في السلوة 3/4-5. وابن سودة في إتحاف المطالع7 /2499. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 380 رقم 1516.
(5) ترجم له: الكتاني في السلوة 15/3, وابن سودة في إتحاف المطالع 2523/7.

ابن ادريس الكتاني. له شرح على تيسير الوصول لابن الدبيع الشيباني. توفي 1271هـ[1].

– أبو حفص عمر بن أبي عبد العزيز الدباغ، أخذ عن حمدون بن الحاج، وعبد القادر بن شقرون. توفي 1260هـ[2].

– محمد بن محمد بن الحسن البناني. أخذ عن والده، وعن محمد بنيس وأخيه العربي، والتاودي، وعبد القادر بن شقرون. توفي 1245هـ[3].

– أبو عبد الله محمد المكي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي، الدلائي الشهير بالمسناوي. أخذ عن سليمان الحوات، وحمدون بن الحاج، والطيب كيران، وعبد القادر بن شقرون، توفي 1247هـ[4].

– أبو الحسن علي بن عبد الله المتيوي. أخذ عن حمدون بن الحاج، والطيب بن كيران وعبد القادر بن شقرون، ومن في طبقتهم. وعنه الطالب بن الحاج، ومحمد الكردوي. له شرح على قصيدة الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي في مدح مولاي ابراهيم ولد مولاي سليمان. توفي 1247هـ[5].

– الطايع بن محمد بن هاشم العلوي البلغيثي. أخذ عن التاودي، وابن شقرون، وأبي القاسم بن حمو الغساني الملقب بالوزير، توفي 1234هـ[6].

– أبو محمد أبو القاسم بن أحمد التادلي الشجدالي اليوسفي العمري. أخذ عن عبد القادر بن شقرون، وكان يحضر مجلسه في صحيح البخاري كما ذكر في السلوة. توفي 1244هـ[7].

---

(1) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2525/7. والكتاني في السلوة 117/1-118. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 400-401 رقم 1602.

(2) ترجم له: الكتاني في السلوة 205/2. وابن سودة في إتحاف المطالع 2503/7.

(3) ترجم له: الكتاني في السلوة 165/1. وابن سودة في إتحاف المطالع 2531/7.

(4) ترجم له: الكتاني في السلوة 48/3. وابن سودة في إتحاف المطالع 2536/7.

(5) ترجم له الكتاني في سلوة الأنفاس 132/3-133. وابن سودة في إتحاف المطالع 2536/7.

(6) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 28/3-29. وابن سودة في إتحاف المطالع 2503/7.

(7) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 211/3-212. وابن سودة في إتحاف المطالع 2529/7.

– أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الصوفي، أخذ عن التاودي، ومحمد بنيس، وعبد الكريم بن قريش، والطيب بن كيران، وعبد القادر بن شقرون. له فهرسة وتفسير القرآن على الطريقة الصوفية، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم ... توفي 1244هـ[1]. وقد صرح ابن عجيبة بأخذه عن ابن شقرون في أزهار البستان، قال: أخذت عنه وهو في قيد الحياة[2].

– الضعيف الرباطي. ذكر في تاريخه أنه أخذ عليه التفسير والحديث والفقه[3].

– محمد بن الطاهر المدغري. ذكر الضعيف الرباطي أنه كان إماما بمدرسة الشراطين، وهو الذي أصهر إليه السلطان لأخته أم كلثوم بنت سيدي محمد بن عبد الله، وكان ملازما لمجلس ابن شقرون ومن تلامذته، ومال لمجلس السيد الطيب بن كيران يسمع منه تفسير القرآن، وسمح في مجلس خليل، ثم ندم لما سمع بالفقيه ابن شقرون ابتدأ قراءة ابن السبكي إثر مجلس خليل في وقت واحد، فرجع للمجلس وجلس في طرفه، وكان الفقيه ابن شقرون قد أمر الطلبة أن يحفظوا هذا البيت:

إذا رزق الفتى وجها وقاحا تقلب في الأمـور كما يشاء

وكان مغتاظا عليه، فلما تم سأل الطلبة من يحفظ البيت، فأجابه الضعيف لأنه لم يخطر على بال طلبة المجلس، فنطق به أمام الفقيه[4].

– عبد الرحمان بن أحمد الشنجيطي منشأ، الصديقي نسبا، نزيل فاس. من شيوخه عبد القادر بن شقرون، ومن تلامذته عبد القادر الكوهن. توفي 1224هـ[5].

(1) ترجم لنفسه في فهرسته، وترجم له أحمد الرهوني في عمدة الرواين 5/221-261. والحسن بن الحاج الكوهن في طبقات الشاذلية الكبرى ص 161-162. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 400 رقم 1599. وعبد الله التليدي في المطرب في مشاهير أولياء المغرب ص 214-220.

(2) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 286 ك ص 219.

(3) تاريخ الضعيف الرباطي: 2/507-511-512-513.

(4) تاريخ الضعيف الرباطي 2/541.

(5) ترجم له ابن سودة في إتحاف المطالع 7/2482. وأورد أبو العلاء إدريس في كتابه الابتسام قصيدة له في رثاء شيخه ابن شقرون سيأتي ذكرها لاحقا.

4 - آثار عبد القادر بن شقرون العلمية

على الرغم من تعدد موارد ثقافته، وموسوعيته، واشتغاله بالتدريس ؛ إلا أن ابن شقرون لم يهتم بالتأليف. ولم يذكر له مترجموه غير شرح العشرة الثانية من الأربعين النووية، وذكر تلميذه الكوهن أنه لم يقف له على غيره[1].

إلا أنه كان يقول الشعر وينتحله، كما ذكره ابن سودة في إتحاف المطالع[2]، وقد وقفت على بعض شعره في شرحه للعشرة الثانية من الأربعين، وفي بعض المصنفات، فمن ذلك قصيدة له ذكرها في الأزهار العاطرة، وهي في التوسل بمولانا إدريس، وقال وجدتها منسوبة له في غير ما تقييد. ونسبها له أيضا تلميذه الفقيه العالم سيدي أحمد بن عبد السلام بناني، في تأليف له في الرد على المبتدع الوهبي، وهذا نصها:

إن أظلمت أرجاء صدرك برهة ... فاعمد بباب المصطفى العدناني
نور الوجود وسره ولبابه ... خير الخيار ومعدن العرفان
حط الرحال وناده مستشفعا ... بالنجل ادريس الرفيع الشان
قطب الأنام وغوثه وثماله ... وملاده من حادث الأزمان
فيه استنار الغرب بعد ظلامه ... بالظلم والإشراك والطغيان
وبه الدعائم للضلالة زحزحت ... والدين صار مشيد الأركان
وبه المعالم للسعادة أسست ... حتى غدت مرصوصة البنيان
وبه العلوم تقررت وتحررت ... وتدونت في غاية التبيان
فهو الخليفة للنبي محمد ... عين الوجود وبدرة الأكوان
أخليفة المختار جد لي بالرضى ... والعطف والإقبال والإحسان
وأنل عبيدا لائذا بجنابكم ... ما يرتجي في السر والإعلان
قد ضاق ذرعا من مصائب جمة ... منها غدا كالهائم الحيران
ضاقت مذاهبه وضل سبيله ... وتحكمت فيه يد الحدثان
ما إن له من ملجأ إلاك يا ... كهف الضعيف ومنقد اللهفان
لازلت تمنح زائريك مواهبا ... جلت عن الإحصاء والحسبان[3]

(1) إمداد ذوي الاستعداد، ص 4.
(2) إتحاف المطالع 2476/7.
(3) الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، لمحمد بن جعفر الكتاني ص 302-303.

ومن ذلك ما أورده في سلوة الأنفاس عند ترجمة الولي أبي الحسن علي الشهير بأبي غالب الصاريوي دفين صاريوة، وهي قصيدة في التوسل بهذا الولي كذلك:

سمعنا سماعا فاشيا متواترا ... يحصل علما لا يساوم بالنقض
بأن الذي أعيى الأطبا دواؤه ... وضاقت عليه الأرض طولا وفي
يؤم ضريح الغوث حقا بلا مرا ... أبي غالب جم المواهب والفيض
فيرجع مسرورا بنيل شفائه ... وقد رفض الأدواء رفضا على رفض
لذلك حططت الرجل بالباب ضارعا ... أبث له الشكوى بدائي الأغمض
ونا ديته والنار تلهب في الحشا ... ودمعي هطال يسيح على الأرض
شفيعي كتاب الله أفضل منزل ... على خير من قد جاء بالنفل والفرض
عليه صلاة الله ثم سلامه ... يدومان ما عنت حمائم في روض[1]

ومن ذلك قصيدة أوردها في الحلل البهية، وفي الاستقصا كذلك، وهي بمناسبة رجوع السلطان سليمان إلى مكناسة بعد انتصاره، وقضائه على ثورة عبد الملك بن إدريس بن المنتصر بآنفا – وهو ابن عمه– :

مولاي أنت الذي صفت مشاربه ... إن تغز ناحية أوليتها جلدك
هذه البشائر وافت وهي قائلة ... أعوذ بالله من شر الذي حسدك
فاصعد على منبر الإقبال معتليا ... فالسعد أنجز ما كان به وعدك
وانهض إلى غاية الآمال تدركها ... فالآن قالت لك العلياء هات يدك
ولا تخف أبدا من سوء عاقبة ... فليس يفلح من بالسوء قد قصدك
ألبسك الملك العزيز نائلة ... من الرضى حللا قوى بها مددك
فضلا من الحكم لترضي حكومته ... جعلها كالشجا في حلق من جحدك
فاشكر صنيع الذي أولاك مكرمة ... تنل رضاه وتبلغ بالرضى رشدك[2]

ومن ذلك ما ذكر بنفسه في شرحه للعشرة الثانية من الأربعين، قال عند الحديث الحادي عشر: يتلمح من الحديث ما يشير إليه الصوفية من كونه أمرا بترك الوهم،

(1) سلوة الأنفاس 22/2.
(2) الحلل البهية للمشرفي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1463 د، ص 183-184, الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري 99/8-100.

والباطل الذي يقع النظر إليه، والاعتماد عليه في الوساوس الخارجة عن الأصول الصادة عن الوصول، الموقعة في الريب العظيمة، والأباطيل الجسيمة، فمن كان سالم الخاطر منها انتقل من الأكوان إلى مكونها، ولاح له الحق في سرها وعلنها، ولي:

توجه إلى الله بقلب فارغ من شواغل ... إلى الله تظفر بالذي أنت طالب
ودع عنك قيد الوهم واصرم حباله ... وعد عن الأكوان فالكون حاجب
وخص بحر خير الخلق، واعلم بأنه ... هو المنهل الأصفى لمن هو شارب

وقال أثناء حديثه عن مراتب التقوى عند الحديث الثامن عشر: وكنت لفقت في ذلك أبياتا نصها:

مراتب التقوى لخمس قسمت ... كفر حرام شبهة قد علمت
ثم مباح لحظ غير الله ... فلا تكن عن ذكره باللاهي
إسلامنا الأول ثم توبه ... وورع زهد فشاهد قربه

وذكر كذلك عند الحديث التاسع عشر عند الكلام على القضاء والقدر والرضى والتسليم بهما، ولي فيما يناسب هذا المعنى:

سلم الأمر ولا تجزع إذا ... نابك الأمر المهم المفزع
واصر من حبل السوى واعمد إلى ... من إليه المشتكى والمفزع
ولتطب نفسا فما بيدي القضا ... فقضاء الله لا يستدفع
وتشفع بالنبي المصطفى ... فهو أولى من به يستشفع

وذكر أبو عبد الله محمد بوجندار الرباطي في كتابه الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، عند ترجمة الضعيف الرباطي، أنه وقف له على أبيات كتبها بخطه على نسخة من مختصر خليل، نسبها لشيخه عبد القادر بن شقرون لما كان بسجلماسة قال:

"فياليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفاس وشملي المبدد جمعا
وهل أرى من تلك الشمائل برهة ... وهل ناظري يمسي بكم متمتعا

ولكاتبه محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بروض رباط الفتح أمسي منعما
فما شتت من روح وريحان جنة على أنه أعلا المدائن أنجما"

قال محمد بوجندار: "والبيتان له ولشيخه جاريان على أسلوب مانحاه كثير من الأدباء في معارضة البيتين المشهورين المنسوبين لسيدنا بلال يتشوق بهما إلى مكة المشرفة:

ألاليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذ خر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل"[1]

5 - وفاة عبد القادر بن شقرون ورثاؤه

أصيب ابن شقرون في آخر حياته بمرض الأكلة في وجهه، وذكر الضعيف الرباطي أنه طلب من تلامذته عند إصابته بهذا المرض أن يدعوا له بالشفاء، وذلك بعد فراغه من قراءة خليل. وقال لهم: "رب أشعث أغبر ذي طمرين لو قسم على الله لأبره، كيف يا جمع الطلبة ما فيكم من فيه غارة يطلب الله تعالى فينا عسى أن يأتي بالفرج والشفا"[2]، وما ذلك إلا من تواضعه رحمه الله.

وفي الإشراف أنه عاده السلطان سليمان أيام إصابته بهذا المرض، وضمه إلى صدره وقال: "لا عدوى ولا طيرة"[3]، وإنما فعل ذلك من شدة حبه وتقديره له.

ولما توفي حضر جنازته والصلاة عليه حافيا راجلا، وذكر أبو العلاء إدريس أنه حشره في قبره بيده[4].

وقد كانت وفاته رحمه الله عند زوال يوم الخميس حادي عشر شعبان عام تسعة عشر ومائتين وألف، وصلى عليه إماما الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران بعد صلاة الجمعة من الغد بالقرويين، ودفن بهذه القبة الادريسية بأمر مولوي قبالة

(1) الاغتباط، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم 12491 ص 132.
(2) تاريخ الضعيف الرباطي 2/551-552.
(3) الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف لمحمد الطالب بن الحاج السلمي 1/232.
(4) الابتسام عن دولة ابن هشام ص 8.

الداخل من موضع جلوس المقدم قريبا منه، وحضر جنازته خلق لا ينحصرون كثرة، وكسر العامة أعواد نعشه تبركا.

وقد رثاه تلميذه الأديب السيد عبد الرحمان بن أحمد الشنكيطي، بقصيدة ذكرها أبو العلاء ادريس مطلعها:

أفاس مالك قد أصبحت في نكد ... قبر الخمائل من أب ومن ثمد
ما بال ليلك قهذه ركائبه ... وارفض دمعك فوق النحر والنهد
أسد سدك أم غاضت جداوله ... أم بس بؤسك للغرايب الجدد

إلى أن قال:

وإن بكيت فما تبكيه منفردا ... يبكيه معك جميع حاذق البلد
يبكيه كل غريب ماله أوب ... غير الغرائب من فقه ومن سند
يبكيه معك أمير الناس كلهم ... وحسبك الخطب إن أبكاه من سمد
يبكيه درس خليل شمله شتت ... الله كان له من منكد نكد

❖ ❖ ❖

نعيت شيخ الهدى والعلم أجمعه ... بل التقى الذي ما شب بالحسد
بل الفقيه النبيه علمه علم ... بل الجليل إمام العصر في البلد

❖ ❖ ❖

دعوتك الله يا عبد القدير فلا ... برحت يوما مع الذين في أحد
سقيت كاسا دهاقا من رحيق على ... أعلا الجنان مع الصديق والشهد
لو كان يفدى ظعين ضمه جدث ... فديت بالنفس والأموال والولد[1]

إلى آخر القصيدة.

(1) الإبتسام ص 8-9.

حياة محمد بنيس وآثاره

حياة محمد بنيس وآثاره

1 - نسب محمد بنيس ونشأته العلمية وأقوال مترجميه فيه

ضبط ابن عجيبة لفظة بنيس بكسر الباء الموحدة، وكسر النون المشددة، ثم ياء وسين مهملة[1]، وقال في سلوة الأنفاس إن بنيس بكسر الباء، لأن العرب لم تنطق في هذا المثال إلا بفعليل بكسر الفاء، كصنديد وقطمير وغطريف ومنديل ومسكين وقنديل وبننيس فهو مدغم، الفاسي دارا ومنشأ[2].

وهم من عوام قدماء فاس، وبيتهم بيت معروف، تقدم فيهم العلماء والأخيار، والأمناء والتجار، وأهل الثروة وذوو الكلمة، وهم صرخة واحدة، غير أنهم تشعبوا على فرق كثيرة بفاس، أشهرها وأعلاها فرقة الشيخ، منهم أحمد بن محمد بنيس، وقد توفي وخلف ولديه الشقيقين سيدي محمد وسيدي العربي[3].

والمقصود بالذكر هنا هو سيدي محمد بن أحمد، ووالدته هي بنت العلامة الفرضي أحمد بن عبد الجليل الشرايبي كما أشار له في السلوة[4].

ترجم له تلميذه ابن عجيبة في الأزهار وفي الفهرسة، وذكره الكوهن كذلك في فهرسته وعده من شيوخه، وكذا ترجمه غير واحد، وحلوه بأوصاف بلغت النهاية في التقدير والكفاءة، فقد وصفه تلميذه ابن عجيبة بالشيخ العلامة الفقيه الفهامة،

(1) أزهار البستان ص 218، الفهرسة ص 32.
(2) سلوة الأنفاس 205/1.
(3) زهر الآس 176/1.
والعربي هو أبو حامد بنيس، أخذ عن الجلالي السباعي وغيره. توفي سنة 1213 هـ. وذكر أبو العلاء إدريس في الابتسام وفاته 1212 بالطاعون.
ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 205/1، أبو العلاء ادريس في الابتسام ص 8.
(4) سلوة الأنفاس 204/1.

فرضي وقته وإمام عصره[1]، وحلاه الكوهن بالحافظ اللافظ المتفنن المحصل[2]، والكتاني في السلوة بالشيخ الفقيه، العلامة الدراكة، المحقق الفهامة، الضابط المتقن، المشارك المتفنن، الماهر في الفرائض والحساب، الفائق فيها جميع الطلاب، البركة الصالح المهتدى بهداه الواضح[3]. وحلاه المعسكري بقوله: الفقيه النبيه الأنيس، الشيخ محمد بن بنيس، عالم زاهد، صالح ناصح، من الصالحين العباد الزاهدين، عظيم الحفظ، معروف بجودة النظر، وتقويم الفهم، ذا جلالة وطلاوة وحلاوة وفصاحة وملاحة[4].

وكانت ولادته رحمه الله ليلة الاثنين منتصف رجب سنة ستين ومائة وألف. وأخذ عن شيوخ عدة من جهابذة علماء وقته وخلف كذلك العديد من التلاميذ، ورحل إلى الحج سنة ستة وتسعين ومائة وألف، ولقي جماعة من العلماء[5]، إلا أنه لم يذكر أحد من مترجميه أخذا له عن أحدهم، لكنه صرح بأخذه عن جملة من الشيوخ المشارقة في إجازته لابن عجيبة[6]، وبعد رجوعه من الحج التزم الإقراء والتدريس بضريح المولى ادريس[7].

وكان يدرس الفرائض، والعربية، والتفسير، والحديث، وغيرها من المواد، فقد ذكر الضعيف الرباطي أنه سمعه يسرد الأزهاري على ابن هشام، وكان له مجلس للتفسير بالضريح المذكور[8]، وذكر ابن عجيبة في فهرسته، وفي الأزهار، أنه أخذ عنه فرائض خليل، وجزءا من التسهيل، وأحاديث عديدة من الكتب الستة وغيرها[9]، وفي السلوة أن السلطان سليمان أخذ عنه النحو، والفقه، والحساب، والفرائض[10]، وذكر المعسكري أنه لقيه وبحث معه في تفسير ابن عطية[11].

(1) أزهار البستان ص 218.
(2) إمداد ذوي الاستعداد ص 11.
(3) سلوة الأنفاس 1/204.
(4) فتح الإله ومنته ص 81.
(5) سلوة الأنفاس 1/205.
(6) الفهرسة ص 36-37.
(7) سلوة الأنفاس 1/205.
(8) تاريخ الضعيف الرباطي 2/469 و573.
(9) أزهار البستان ص 219، الفهرسة ص 32 و36-37.
(10) سلوة الأنفاس 1/205.
(11) فتح الإله ومنته ص 81.

وهذا يدل على تعدد مصادر ثقافته وتنوعها، فهو جامع بين التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والسيرة، وأصول العقيدة، والمنطق، واللغة، والتصوف، والحساب، ذكر الكتاني في تراجم أصفياء القرن 13 أنه له مشاركة في سائر الفنون، إلا أنه اختص بالمهارة في علم الفرائض والحساب[1].

وقد وقفت له على نص استدعائه للإجازة من شيخه محمد بن الحسن البناني، ونص الإجازة لهذا الشيخ بجميع المرويات والمقروءات والمسموعات، فقد سمع بنيس من شيخه كما ذكر في نص استدعائه أزيد من ثلث الموطأ وصحيح البخاري، والشمائل، ورسالة ابن أبي زيد، ومختصر خليل، وألفية العراقي في الاصطلاح، ومقدمة ابن أجروم، ونحو الثلث من توضيح ابن هشام، وألفية ابن مالك من إعراب الفعل إلى الختم، والسلم، وصغرى السنوسي، وطرفا من الكبرى، والرسالة الوضعية للعضد، ومقدمة في الأصول للشيخ عبد القادر الفاسي، وشرح جمع الجوامع، ونحو النصف من مختصر السنوسي، وتلخيص المفتاح ماعدا الفن الثالث منه، ثم مرة أخرى إلى الاستعارة[2].

هذا ما أخذه فقط عن شيخه محمد بن الحسن البناني، فناهيك بما أخذه عن باقي الشيوخ وقد ذكر الكتاني في السلوة أنه أخذ عن عبد القادر بن شقرون العربية والبيان، وعن محمد بن عبد السلام الفاسي القراءة وأحكامها[3].

2 - شيوخ محمد بنيس

- أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس.
- أبو زيد عبد الرحمان المنجرة.
- أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني.
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي.
- الشيخ مرتضى الزبيدي كما ذكره الكتاني في فهرس الفهارس—1/541—[4].

(1) تراجم أصفياء القرن 13، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2744 د، ص 8.
(2) نص الاستدعاء والإجازة مخطوط ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط رقم 2795 د، من ص 118 إلى 123.
(3) سلوة الأنفاس 1/204.
(4) سبقت ترجمتهم.

3 - تلامذته

– المولى سليمان العلوي، كما ذكره الزياني في جمهرة التيجان[1].

– أبو الفيض حمدون بن الحاج.

– عبد القادر الكوهن، وترجم له في إمداد ذوي الاستعداد.

– أحمد بن عجيبة ترجم له في فهرسته وفي أزهار البستان.

– محمد بن بن محمد بن الحسن البناني[2].

– الضعيف الرباطي، ذكر في تاريخه أنه سمعه يسرد الأزهاري على ابن هشام[3].

4 - آثار محمد بنيس العلمية

خلف بنيس مجموعة من التصانيف في مواضيع مختلفة فمن ذلك:

– شرح العشرة الثالثة من الأربعين النووية.

– تأليف في لفظة قال الواردة في أثناء إسناد الحديث مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2817 د، ضمن مجموع، من ص 208 إلى ص 220، مسطرته 17، مقياسه 17,7 X 11,5.

توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية رقم 12286، ضمن مجموع، ورقم 6628 ضمن مجموع.

– بهجة البصر في شرح فرائض المختصر لخليل، طبع على الحجر بفاس عام 1317هـ.

وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

رقم 1170 ك، ضمن مجموع من ص 165 إلى 326، مسطرته 23، مقياسه 14,5 X 21,3.

رقم 2804 د، ضمن مجموع من ص 153 إلى ص 275.

---

(1) جمهرة التيجان ص 128.

(2) سبقت ترجمتهم.

(3) تاريخ الضعيف 2 /470.

رقم 2500 د، في 263 صفحة، مبتور الأخير.

رقم 2616 د، ضمن مجموع من ص 1 إلى 123.

– تحصيل وتلخيص ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1447 د، ضمن مجموع من ص 469 إلى 476، مسطرته ما بين 29 و32، مقياسه 20,9 X 20,8.

نسخة أخرى بنفس الخزانة: رقم 1861 د، ضمن مجموع من ورقة 183 ظهر إلى 188 وجه.

– رسالة في اليمين، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2438 د ضمن مجموع، ص 127-128، مقياسه 20,9 X 30.7.

– تقييد حول قول المختصر "وخصصت نية الحالف"، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1854 د، ضمن مجموع، من ورقة 38 إلى ورقة 44 وجه، مسطرته 24، مقياسه 17,5 X 22,3.

– شرحه على همزية البوصيري، وهو المسمى بلوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري. وقفت عليه مطبوعا بهامش الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية لمحمد بن قاسم جسوس. الطبعة الأولى 1330 هـ مطبعة الجمالية مصر.

– حاشية على بغية الطلاب في شرح منية الحساب لابن غازي، مسماة بنزهة ذوي الألباب وتحفة نجباء الأنجاب، طبع على الحجر بفاس، سنة 1317هـ.

توجد كذلك منها عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط.

رقم 2995 د، ضمن مجموع من ص 91 إلى ص 217، مسطرته 22، مقياسه 23,4 X 18,4.

رقم 2536 د، ضمن مجموع من ص 118 إلى ص 180.

رقم 94 ح، ضمن مجموع من ص 254 إلى ص 391.

5 - وفاة محمد بنيس:

اختلف في وفاة محمد بنيس ؛ فمن المترجمين من ذكر وفاته سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف ومنهم من ذكرها سنة أربعة عشر ومائتين وألف، وذكر أبو العلاء ادريس وفاته اثني عشر ومائتين ألف وقال إنه توفي بالطاعون[1].

وذكر الكتاني في السلوة أنه دفن –على ما تلقاه عن بعض أقاربه وأخبره به بعض الثقات، أن شيخ الجماعة سيدي محمد بن عبد الرحمان الفلالي الحجرتي كان يزوره به– بروضة مجاورة لميضاة جامع الخطبة الذي بهذا الداخل وسط سقيف هناك بها، وذكر كذلك أنه رأى بخط بعض شيوخه أن الأصح أنه دفن هو وشقيقه سيدي العربي خارج باب الجيسة، قال: ولعل الصواب داخل بدل خارج والله أعلم[2].

وللكتاني في أصفياء القرن 13 أنه في خارج باب الجيسة مع أخيه[3].

وخلف ولدا واحدا هو الحاج محمد[4].

(1) الابتسام ص 8.
(2) سلوة الأنفاس 205/1.
(3) أصفياء القرن 13 ص 8.
(4) ذكره في زهر الآس 177/1.

حياة محمد الطيب بن كيران وآثاره

حياة محمد الطيب بن كيران وآثاره

1 - نسب محمد الطيب بن كيران ونشأته العلمية وأقوال مترجميه فيه

ابن كيران بيت شهير بفاس، كان منهم العلماء والأخيار، وهم فرق كثيرة منها فرقة تدعى بأولاد ابن سيدهم، ومنهم فرقة شيخ الإسلام أبي عبد الله سيدي محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي دارا ومنشأ ومزارا[1]، وأخيه أبي عبد الله محمد بن عبد المجيد بن كيران المتوفى سنة 1214هـ[2].

وقد كان محمد الطيب بن كيران من أكبر علماء عصره في الحفظ والإتقان والتحصيل، ترجم له تلميذه الكوهن في فهرسته فأجاد في وصفه ومدحه بما هو أهل له، قال: شيخنا خاتمة المحققين وحامل راية المدققين، أعجوبة الزمان في الحفظ والتحصيل والإتقان، ثم قال: تفرد رضي الله عنه في الدنيا بعلم الأصول والفروع والمفردات والجموع، يعرف أكثر الفنون على نهج الاجتهاد، وهو وإن لم يجتهد بالفعل للقطع بانقطاعه فقد كاد، أما العلل فلا يقلد فيها ولا يرى النظر الإجمالي يكفيها[3]. وحلاه تلميذه أبو العباس أحمد بن عبد السلام بناني بقوله: شيخنا العلامة الحافظ المحقق المدقق ... كان رحمه الله تعالى غريب الوجود ثاقب الذهن ناذرة العصر ووحيد الدهر بإجماع أهل وقته وكل من رآه وسمع كلامه وإملاءه واطلع على ما كتب وكتب عنه وشاهده جزم بصحة هذا الكلام وسلم تسليم منتصف متجنب للعتب والملام[4].

---

(1) زهر الآس 127/2.

(2) ترجم له في سلوة الأنفاس 4/3، وفي إتحاف المطالع 2466/7.

(3) إمداد ذوي الاستعداد ص 5-6.

(4) الروض المعطار مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 66 ح ص 434.

وزاد الكتاني في سلوة الأنفاس: كان لسلاسة عبارته وفصاحة لسانه ينتفع به كل أحد حتى العلماء والسلطان، وبالجملة فقد كان حافظا لا يجارى في العلوم كلها تحسبه في كل الفنون أحد رؤسائها، وعلمه لا يدرك بالاجتهاد وإنما يكون بخرق العادة أو من رب العباد.

بالحفظ قد قاد العلوم فمالها ... من مهرب عن ربقة الإذعان
إن مقفلات قد تعسر حلها ... فاقصده مفتاحا تفز ببيان
أو مظلمات دونها يقف الحجا ... فاقصده مصباحا تفز بعيان[1]

وحلاه المعسكري بقوله: حافظ العصر السيد والأسند الطيب بن كيران الطائر صيته في الآفاق بالاتفاق حتى سارت به الرفاق إلى قاضي مصر والشام والعراق، وإلى مجالس غانة وفرغانة، العالم الزاهد الجميل الجليل ... أوتي الحفظ واللفظ والعلم والفهم حبيا، وحل من رياستي العلوم والزهد مكانا عليا، مشهور الكرامات معروف الديانات، أخذ العلم بفاس عن الأكابر ومازال من الداهقة عليه مثابر، بلغ في العلم والتقوى إلى الغاية القصوى وحمل راية الخطابة والتدريس والفتوى، فهو فخر الخلف وأعلم الناس بالسير وأخبار السلف، وقد قالوا آخر الحفاظ الإمام السيوطي والإمام البخاري وأنا أقول آخر الحفاظ والتبيان والبيان الشيخ الطيب بن كيران. وليس الخبر كالعيان[2].

وحلاه في الابتسام بقوله: العلامة المنفرد عن أمثاله في الفهم والتقرير والحفظ وحسن التعبير إمام النحاة في وقته، وعبد القاهر الجرجاني في المعاني والبيان في أهل عصره، وأبو السعود في التفسير والفيروزآبادي في اللغة والتجريد، فما أجدره بأن يسمى بالإمام الفائق الهمام أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد المجيد بن كيران[3].

ولد سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، وأخذ عن عدة أشياخ من علماء عصره وخلف كذلك العديد من التلاميذ، وكان قد تولى التدريس بمدينة فاس، وذكر تلميذه الوليد العراقي أنه حضر مجلسه في التفسير وفي موطأ مالك وفي الحكم لابن

(1) سلوة الأنفاس 2/3.
(2) فتح الإله ومنته ص 77.
(3) الابتسام ص 10.

عطاء الله[1]. وذكر الكوهن كذلك أنه قرأ عليه التفسير بعدة تفاسير، وصحيح مسلم، ومسند الدارمي، وموطأ مالك، والحكم لابن عطاء الله، وكتاب العلم في الإحياء للغزالي، والرسالة والمرشد المعين، وشرحه على توحيده، وألفية ابن مالك في التصريح، وحاشية ابن هشام، والمحلي، والمطول، والمختصر للسعد، ومغني اللبيب، والسلم والصغرى، ومختصر خليل[2].

وذكر الضعيف الرباطي أنه كان يدرس مختصر خليل، وشرح ألفية ابن مالك والتلخيص، والتفسير بالقرويين وزاوية ابن رحمون وجامع الرصيف وجامع ازقاق الحجر بالتناوب، وكان السلطان سليمان كثيرا ما يأمر العلماء بنقل مجالسهم من مكان إلى مكان[3].

وذكر الشيخ ابن كيران في إجازته للمولى سليمان أنه حضره في مجالس من تفسير القرآن الكريم بعدة من التفاسير المعتبرة والحواشي المعبرة، ومجالس من الحكم بشرحه عليها، ومن مختصر خليل، وألفية ابن مالك، ومغني اللبيب، ومن المطول للسعد بحاشيتي السيد والفناري، ومن السلم في المنطق، ومن آخر جمع الجوامع في الأصول[4]. وذكر كذلك كما وقفت عليه في نسخة من قصيدته في الخصال المكفرة للذنوب "ولكاتبه جامعا الخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب على ما للجلال في حاشيته على الموطأ وذلك عندما من الله تعالى علي بدرس الموطأ سنة مائتين وألف"[5].

فتنوع هذه المواد والمصادر يدل على غزارة علمه واتساع أفقه العلمي، ولذلك حظي بين العلماء في وقته بمكانة عالية وكان العديد منهم يحضر مجالسه، وقد ذكر أبو العلاء ادريس في الابتسام أن المولى سليمان أمر العلامة الشيخ الطيب بن كيران بتدريس الإحياء للغزالي، وأمر جميع العلماء أن يحضروا عليه[6]. ولم يكن ليأمرهم

(1) الدر النفيس ص 279.
(2) إمداد ذوي الاستعداد ص 5.
(3) تاريخ الضعيف 2/497-510-517-531-568-570-571.
(4) انظر نص الإجازة في جمهرة التيجان للزياني ص 164.
(5) نص القصيدة مخطوط ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط رقم 153 ج، ص 274.
(6) الابتسام ص 6.

بذلك إلا لما عرفه من علو شأنه وقدره وشدة احترامهم وتقديرهم له ولعلمه. وهو مع ذلك كان يتميز بالتواضع وهو من شيم العلماء، ويدور مع الحق حيث دار، فقد ذكر محمد المدني جلون في ترجمته أنه كان إذا قيد تقييدا ثم إن شخصا أوقفه على غلط وقع له فيه فإنه يظهر الفرح به غاية، ويثني إليه عنان العناية، ويتقين أنه أعظم منية، وأكمل بغية، ويرجع عما كتبه في الحين، ويرتدي رداء المنصفين، ويبادر إلى إصلاح كلامه على الفور من غير تراخ ولا مهلة، لما علم من أن الرجوع إلى الحق حق فتجب المبادرة له[1].

وكان شديد التعظيم للكتاب والسنة، يعمد إلى تأصيل الأحكام والبناء عليهما ويقدمهما على غيرهما، وكان إذا ظهر له رأي مخالف لرأيه مبني على النقل الصحيح عدل عن رأيه إلى ذلك الرأي، فقد ذكر المعسكري أن الشيخ الطيب ابن كيران حضر مناقشة كانت معه في حضرة جملة من العلماء حول مسألة كان يخالفه فيها، وأن الشيخ جلس متكئا معرضا فلما سمعه يذكر النقل استوى جالسا وسأله فأملى عليهم جملة من الأحاديث في المسألة فاعترفوا له بالفضل[2]. وتقديمه للنصوص واستناده إليها يظهر جليا كذلك من خلال شرحه للأربعين ومن خلال باقي كتبه كذلك.

2 - شيوخ محمد الطيب بن كيران

- أبو حفص عمر الفاسي.
- أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني.
- أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة.
- أبو محمد عبد القادر بن شقرون[3].

- أبو عبد الله محمد بن طاهر الهواري، أخذ عن أبي حفص الفاسي وأحمد الزبادي وغيره، وعنه الشيخ الطيب بن كيران والمولى سليمان. له حاشية على شرح

(1) أورد محمد المدني جلون هذه الترجمة بعد إتمام حاشيته على فائدة ابن كيران في الاستثناء، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1854 د، ص 107.

(2) فتح الاله ومنته ص 78-79.

(3) سبقت ترجمتهم.

الشيخ سعيد قدورة على السلم، وأرجوزة في علم الكلام وأخرى في المنطق. توفي 1220هـ[1].

– أبو الحسن زين العابدين زيان بن هاشم العراقي الحسيني الفاسي، أخذ عن أبي العباس ابن مبارك وأبي عبد الله جسوس وأبي حفص الفاسي، وعنه أولاده وحمدون بن الحاج وسليمان الحوات والطيب بن كيران، له فهرسة، توفي 1194هـ[2].

– أبو محمد عبد الكريم بن علي اليازغي الفاسي، أخذ عن أبي حفص الفاسي، ومحمد جسوس، وعنه سليمان الحوات، وأحمد الصغير، والقاضي عبد السلام الدلائي والطيب بن كيران. توفي 1199هـ[3].

– أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، أخذ عن الشيخ التاودي واليازغي، والجنوي، وعنه جماعة من أهل المشرق والمغرب منهم الطيب بن كيران. توفي 1239هـ[4].

3 - تلامذة الطيب بن كيران

– المولى سليمان العلوي، كما ذكره الزياني في جمهرة التيجان[5] وغيره.

– عبد القادر الكوهن، وترجم له في إمداد ذوي الاستعداد ترجمة وافية.

– أبو محمد الوليد العراقي، ترجم له في الدر النفيس كما سبق ذكره.

– أحمد بن عجيبة، ترجم له في أزهار البستان وذكر أنه سمع منه جزءا من تلخيص المفتاح والألفية، وأنه في قيد الحياة[6].

---

(1) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 307/1-308، وابن سودة في إتحاف المطالع 2477/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 375 رقم 1498.

(2) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2421/7، والكتاني في السلوة 114/3-115. وابن سودة في إتحاف المطالع 2418/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 358 رقم 1427.

(3) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2431/7. والكتاني في السلوة 115/2-116. وابن سودة في إتحاف المطالع 2430/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 359 رقم 1433.

(4) ترجم له ابن سودة في إتحاف المطالع 2516/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 381 رقم 1524.

(5) جمهرة التيجان، ص 127.

(6) أزهار البستان، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 286 ك، ص 219.

– أبو بكر نجل الطيب بن كيران، أخذ عن والده، وعن ادريس الكتاني والد صاحب السلوة، توفي 1267هـ[1].

– عبد الهادي بن عبد الله بن التهامي الشريف السجلماسي العلوي[2].

– أبو عبد الله محمد بن عمر الزروالي الفاسي[3].

– أبو العباس أحمد البدوي بن أحمد بن أبي جيدة الشهير بزويتن، أخذ عن الطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج، وعبد السلام الآزمي، له رسائل كبرى في سفر ضخم وصغرى، توفي 1275هـ[4].

– أبو العباس أحمد بن محمد المرنيسي الفاسي[5].

– أبو محمد عبد السلام بن الطائع بوغالب الشريف الادريسي الجوطي، أخذ عن حمدون بن الحاج، والطيب بن كيران. توفي 1290هـ[6].

– أبو الحسن علي بن محمد جلون الفاسي، أخذ عن الطيب بن كيران وحمدون بن الحاج، والزروالي، واليازغي، واليازمي، وعنه ولده محمد المدني جلون. له تقاييد على الأبي ومصابيح السنة للبغوي وعلى الكشاف، توفي 1292هـ[7].

– أبو حامد العربي بن الهاشمي الزرهوني. أخذ عن الطيب بن كيران، وغيره له شرح على المرشد المعين وعلى تحفة ابن عاصم ولامية الزقاق، توفي 1260هـ[8].

---

(1) ترجم له الكتاني في السلوة 8/3. وابن سودة في إتحاف المطالع 2591/7.

(2) سبقت ترجمته.

(3) سبقت ترجمته.

(4) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 260/1-261. وابن سودة في إتحاف المطالع 2612/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 401-402 رقم 1607.

(5) سبقت ترجمته.

(6) ترجم له الكتاني في سلوة الأنفاس 96/3-97 وابن سودة في إتحاف المطالع 2648/7 ومحمد مخلوف في الشجرة ص 403 رقم 1619.

(7) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 253/1-254، وابن سودة في إتحاف المطالع 2652/7. ومحمد مخلوف في الشجرة ص 404 رقم 1621. وصرح محمد المدني في ترجمته لابن كيران بأن والده من جملة من أخذ عنه، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1854 د، ضمن مجموع، ص 108.

(8) ترجم له ابن سودة في إتحاف المطالع 2568/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 398 رقم 1589.

– أبو محمد عبد السلام الجيزي، أخذ عن الطيب بن كيران وحمدون بن الحاج، له شرح المنفرجة لابن النحوي، شرح دليل القطب للمختار الكنتي . توفي 1264هـ[1].

– أبو عبد الله محمد بن حمدون، أخذ عن والده، وعن الطيب بن كيران، وعنه أخوه – أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون بن الحاج– وجعفر الكتاني، له شرح على خريدة والده في المنطق ونظم مختصر خليل وتوضيح ابن هشام، توفي 1274هـ[2].

– أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفلالي الحجرتي الفاسي، أخذ عن الشيخ اليازمي، وعبد الله الزروالي، والطيب بن كيران، وعنه جعفر الكتاني، توفي 1275هـ[3].

– أبو عبد الله محمد بن محمد الشفشاوني[4].

– أبو الفيض حمدون بن الحاج[5].

– أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الدوكالي الفاسي، القاضي المفتي، أخذ عن والده، وعن الطيب بن كيران، والتاودي، وعنه التسولي، له فتاوى مشهورة جمعها تلميذه المذكور، توفي 1241هـ[6].

– أبو الحسن علي بن ادريس بن علي قصارة. أخذ عن ابن كيران، وحمدون ابن الحاج، وعنه الشيخ قاسم القادري، والمهدي بن الطالب بن سودة، له حاشية على التوضيح وحاشية على شرح بناني على السلم، توفي 1259هـ[7].

---

(1) ترجم له الكتاني في السلوة 26/3. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 399 رقم 1595.

(2) ترجم له الكتاني في سلوة الأنفاس 156/1-157. وابن سودة في إتحاف المطالع 2610/7 ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 401 رقم 1605.

(3) ترجم له الكتاني في سلوة الأنفاس 206/2-207 وابن سودة في إتحاف المطالع 2612/7 ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 401 رقم 1606.

(4) سبقت ترجمته.

(5) سبقت ترجمته.

(6) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2525/7. وابن سودة في إتحاف المطالع 2523/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 381 رقم 1526.

(7) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2567/7. والكتاني في السلوة 265/2، وابن سودة في إتحاف المطالع 2566/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 398 رقم 1588.

– أبو إسحاق ابراهيم بن عبد القادر الرياحي الطرابلسي التستوري المنشأ التونسي القرار، قدم الحاضرة أواخر القرن 12, أخذ عن أحمد بوخريص والطيب بن كيران وتباحثا في مسائل من العلوم، وحضر درس السلطان سليمان في التفسير، له ديوان خطب وديوان شعر، حاشية على شرح الفاكهاني على القطر، ورسالة في الرد على المنكرين على الطريقة التيجانية، توفي 1266هـ[1].

– أبو عبد الله محمد بن العربي قصارة العالم الضرير، أخذ عن الطيب بن كيران وغيره، وعنه قاسم القادري، توفي 1257 وقيل 1258هـ[2].

– أبو عبد الله محمد بن أحمد السنوسي الحسني، أخذ عن الطيب بن كيران وغيره، توفي 1257هـ[3].

– أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد القادر الادريسي الودغري الملقب بالبكراوي، أخذ عن محمد بن عبد السلام الفاسي وعبد الرحمان المنجرة والطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج. وعنه ولده عبد الله وغيره. له حاشية على الجعبري، وشرح دالية محمد بن مبارك السجلماسي، توفي 1257 وقيل 1258هـ[4].

– أبو محمد وأبو عبد الله محمد التهامي بن الحاج محمد البوري الدرعي الفاسي، أخذ عن الطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج، وأبو عبد الله الزروالي، له شرح أرجوزة الطيب بن كيران في الاستعارات، ألفها بإذن من الطيب بن كيران، قال في سلوة الأنفاس: وهو الموجود الآن بأيدي الطلبة يقرءونها به، توفي 1243هـ[5].

– أبو عبد الله محمد المدني الكبير الفلالي الغرفي، أخذ عن الطيب بن كيران وحمدون بن الحاج، توفي 1267هـ[6].

---

(1) ترجم له: محمد مخلوف في شجرة النور ص 386-389 رقم 1555.

(2) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2565/7. وابن سودة في إتحاف المطالع 2564/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 397 رقم 1583.

(3) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 369/2. وابن سودة في إتحاف المطالع 2561/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 397 رقم 1584.

(4) ترجم له: عبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 2563/7. والكتاني في السلوة 343/2-345. وابن سودة في إتحاف المطالع 2561/7. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 397 رقم 1585.

(5) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 7/3. وابن سودة في إتحاف المطالع 2527/7.

(6) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 7/3-8. وابن سودة في إتحاف المطالع 2592/7.

– أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس العراقي. أخذ عن والده، والطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج. توفي 1272هـ[1].

– أبو عبد الله محمد بن الحسن اقصبي، أخذ عن الطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج، ومحمد الزروالي، له شرح على أرجوزة الاستعارات، قال في السلوة: وهو أبسط من شرح البوري، توفي 1250هـ[2].

– أبو عبد الله محمد المكي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي الدلائي الشهير بالمسناوي[3].

– أبو الحسن علي بن عبد الله المتيوي[4].

– أبو عبد الله محمد بن العباس بن كيران الفاسي. أخذ عن الشيخ الطيب بن كيران، وكان يسرد بين يديه، وأحمد التجاني، توفي 1271هـ[5].

– أبو محمد عبد القادر بن أبي مالك عبد الواحد الفاسي الفهري، أخذ عن الطيب بن كيران، وحمدون بن الحاج، والفقيه الزروالي، توفي 1263هـ[6].

– الضعيف الرباطي، كما ذكره في تاريخه[7].

– أحمد بن عبد السلام بن محمد بن أحمد بناني، من مصنفاته: تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع، الوجه المغرب. توفي سنة 1234هـ[8].

(1) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 14/3. وابن سودة في إتحاف المطالع 2605/7.
(2) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 7/3. وابن سودة في إتحاف المطالع 2543/7.
(3) سبقت ترجمته.
(4) سبقت ترجمته.
(5) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 335/3. وابن سودة في إتحاف المطالع 2603/7.
(6) ترجم له: الكتاني في سلوة الأنفاس 347/3-348. وابن سودة في إتحاف المطالع 2579/7.
(7) تاريخ الضعيف الرباطي 497/2-499-511.
(8) ترجم له: ابن سودة في إتحاف المطالع 2503/7. وصرح بأن ابن كيران من شيوخه في كتابه الروض المعطار كما سبقت الإشارة إليه.

4 - آثار محمد الطيب بن كيران العلمية

خلف ابن كيران مجموعة من المصنفات أغلبها عبارة عن تقاييد صغيرة الحجم لكنها كلها تحقيقات وتحريرات ودرر وغرر كما ذكر القيطوني في معجم المطبوعات[1].

وهي تتنوع موضوعاتها تنوعا يدل على تمكنه من جملة من العلوم وعلى اتساع ثقافته، فهو يكتب في علم القرآن والتفسير والحديث والفقه والسيرة واللغة بمختلف علومها، وفقه الأخلاق والتصوف والعقيدة والمنطق والفلسفة.

وفيما يلي عرض لما وقفت عليه من مؤلفاته مصنفة حسب المواضيع.

أ - مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن

– تقييد في معنى قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 90 ح، ضمن مجموع، من ص 195 إلى ص 196، مقياسه 22,6 X 17,6.

– تقييد في شرح قوله تعالى ﴿وإني فضلتكم على العالمين﴾ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 4004 د، ضمن مجموع من ورقة 28 أ إلى ورقة 34 ب.

– تقييد في وجه قراءة من قرأ ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ برفع اسم الجلالة ونصب العلماء، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 268 إلى ص 269. كتب في آخر التقييد من خط شيخنا المحقق محمد المدني بن جلون رحمه الله. توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

- رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 78 إلى ص 94.
- رقم 2594 د، ضمن مجموع من ص 213 إلى ص 224.

– تقييد في نحو عشرة أسطر حول البسملة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 90 ح ضمن مجموع من ص 196 إلى 197.

– جواب عن سؤال متعلق بكتابة المصحف لشخص يحفظ رسمه ويتقنه من حفظه، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 153 ج، ضمن مجموع ص 982، مقياسه 22,5 X 17,6 وكتب في آخر الجواب: من خطه أيضا بواسطتين.

(1) معجم المطبوعات المغربية لإدريس بلماحي القيطوني، ص 308.

– تقييد في تفسير قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال﴾، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، من ص 264 إلى ص 265.

توجد منه نسخ أخرى بالخزانة العامة:

■ رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 137 إلى ص 139.

■ رقم 2594 د ضمن مجموع من ص 202 إلى 203.– تقييد في قوله تعالى ﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 255 إلى 264.

– تقييد في تفسير معنى قوله تعالى ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 269 إلى ص 272.

توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

■ رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 124 إلى 130.

■ رقم 2594 د، ضمن مجموع من ص 207 إلى 211.

– والتقييدان الأخيران حققا ضمن بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعقمة بدار الحديث الحسنية بعنوان:"الطيب بن كيران مفسرا وذكر نماذج من تفسيره" نجاز الطالب عبد الله الجباري، إشراف الدكتور محمد الراوندي، السنة الجامعية 1421-1422/2000-2001.

– مراجعة لمولانا سليمان في قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة ...﴾ معترضا على العلامة البيضاوي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 266 إلى ص 268.

توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

■ رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 139 إلى 144.

■ رقم 2594 د، ضمن مجموع من ص 204 إلى 207.

– جواب على السيد حمدون بن الحاج في قوله تعالى: ﴿فذلك الذي لمتنني فيه﴾ وهو نظم، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2787 د، ضمن مجموع ص 216، ومقياسه 15,3 X 21.

أولـــه: يا رائق النظم فردا في معانيه أبديت منه الذي لا عقد يحكيه
الحب أخذ بحبات القلوب فمن يغشى حبالته أعيى تلافيه

آخـره: والعرف يقضي بأن ذاك منقصة هب أن مع حسنه شعرا يواسيه
فليس ذاك مسوغا مراودة ولا ممهد عذر في تعاطيه

توجد منه نسخة أخرى برقم 2821 د، ضمن مجموع ص 331.

وله مصنفات أخرى في التفسير لم أقف عليها ذكرها محمد بن المدني جلون في ترجمته لابن كيران مخطوط 1854 د، ص 108.

– التفسير لكتاب الله تعالى من سورة النساء إلى قوله في سورة غافر زيا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرارس، قال محمد بن المدني ولو تم لكان تمام الأمنية، وهو من أنفس التفاسير المتوسطة.

– تفسير الفاتحة، مخطوط، توجد منه نسخة بخزانة علال الفاسي رقم 747.

– تفسير طرف من البقرة.

ب - مؤلفاته في الحديث

– شرح العشرة الرابعة من الأربعين النووية، وهو الكتاب المقصود بالدراسة.

– تقييد في حديث القراريط وهو قوله صلى الله عليه وسلم "إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس"، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع، من ص 29 إلى ص 53، مسطرته 28 سطرا، ومقياسه 17,6 X 22,6.

كتب في أول صفحة فيه في الهامش الأيمن: هذا تقييد في حديث القراريط لمولانا سليمان بن محمد أخذه العلامة الشيخ سيدي الطيب بن كيران وخرجه مع

كلامه وأحسن في ربط سلوك عقده وفي انتظامه حتى صيرهما معا كالكلام الواحد وكذا بخطه في هذا المحل رحمهما الله آمين.

وتوجد منه نسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 66 إلى ص 77, مسطرته 21 سطر، مقياسه 14,9 X 19,8.

– شرح حديث "لا يدخل الجنة ولد الزنى" طبع على الحجر بفاس، بهامش شرح قول خليل "ووعظ من نشرت" لمحمد بن المدني كنون ويوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط رقم 2623 د، ضمن مجموع من ص 130 إلى ص 136. مسطرته 18 سطرا، مقياسه 17,7 X 22,4. والذي وقفت عليه في فهرس هذا المخطوط أن عنوان هذا التقييد "غاية المنى من أحكام ولد الزنا".

توجد منه عدة نسخ بالخزانة العامة:

- رقم 2145 د، ضمن مجموع من ص 366 إلى ص 370.
- رقم 153 ج ضمن مجموع من ص 285 إلى ص 288.
- رقم 1072 ك ضمن مجموع من ص 130 إلى ص 136.
- رقم 2594 د ضمن مجموع من ص 197 إلى ص 202 وفي هامش هذه النسخة كذلك "غاية المنى من أحكام ولد الزنا".

– بحث في كلمة قال الواقعة بين رجال سند الحديث ذكرا وحذفا، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1755 د ضمن مجموع، من ورقة 52 ظ إلى 56 وجه، مسطرته 21 سطرا، ومقياسه 18,7 X 23,3.

توجد منه نسخة أخرى بالخزانة العامة رقم 1072 ك ضمن مجموع من ص 54 إلى ص 61. مسطرته 21 سطرا، مقياسه 14,9 X 19,8.

حقق بدار الحديث الحسنية ضمن بحث تمهيدي من إنجاز الطالبة نجاة القادري، إشراف الدكتور أحمد اليزيدي، السنة الجامعية 1998-1999م.

ج - مؤلفاته في الفقه

– جواب على سؤال متعلق بزنا امرأة في عصمة زوجها، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع ص 289. كتب في آخر الجواب: من خط الشيخ الطيب رحمه الله بواسطتين.

توجد منه نسخة أخرى بنفس الخزانة: رقم 2594 د ضمن مجموع ص 212.

– نظم في صور المقاصة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 153 ج، ضمن مجموع ص 274.

أوله: أجر تطارحا بديني عينين وصفا وقدرا متساويين
كذلك حيث اختلفا في الصفة حلا معا اوحل ذو المزية
عند اختلاف القدر قل بالمنع بديني القرض لجر النفع

آخره: ذا الاتحاد مطلقا إلا كذي كون المقدم حلولا أجود
ليس أقل لا وليس أكثرا وهو قضاء القرض هذا اغتفرا

انتهى بحمد الله من خط شيخنا سيدي محمد المدني بن علي بن جلون رحمه الله.

– مناسك الحج، طبع على الحجر بفاس، سنة 1306هـ، مطبعة العربي الأزرق.

– شرح الرسالة القيراونية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2334 د، في 173 ورقة، مسطرته 12، مقياسه 15,3 X 20,3. كتب في آخر النسخة: وكان الفراغ من تخريجه من المبيضة بخط المؤلف على يد كاتبه لنفسه ثم لمن شاء من بعد محمد بن الحاج العباس بن الحاج محمد بن علي المدعو ابن كيران قبل طلوع عصر يوم الخميس السابع والعشرين من ربيع الأول ... عام ثلاثين ومائتين وألف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. وعليها بعض الطرر.

– تقييد على قول خليل "وسترة لإمام وفذ إن خشيا مرورا" ويليه نظم ما سطره في هذا التقييد في رجز، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2817 د، ضمن مجموع من ص [illegible] ص 127، مسطرته 17، مقياسه 11,5 X 17,7.

توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

■ رقم 1724 د، ضمن مجموع من ورقة 99 ظهر إلى ورقة 100 وجه.

■ رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 272 إلى ص 273.

– تقييد على المختصر الخليلي والقضاء في التطوع بموجبها، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 7433 و6726 و9226.

– تقييد في رفع اليدين بالدعاء أدبار الصلوات وغيرها، مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 12080 ضمن مجموع.

– جواب على كتابين للمولى سليمان في فريضة الحج، وهو يتناول وجوب الحج على كل قبيل من استطاع منهم السبيل من أهل المغرب وغيرهم، وفي آخر هذا الجواب مجموعة من التوقيعات لعلماء وافقوا ابن كيران على ما سطر في التقييد منهم العلامة أحمد بن التاودي ومحمد بن محمد بن ابراهيم وإدريس بن زيان العراقي وحمدون بن الحاج وغيرهم. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2753 د، ضمن مجموع من ص 95 إلى ص 96.

– جواب على سؤال المولى سليمان حول نزع العمال أموال الناس وإخفاءها في الزوايا وأكلها بالباطل، ويتضمن نص سؤال المولى سليمان وجواب ابن كيران عليه. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1072 ك، ضمن من ص 100 إلى 103.

– تقييد في سكار الغالب، ذكره محمد بن المدني جلون.

– جواب حول نزاع وقع بفاس أيام السلطان سليمان بين الخرازين المسلمين وبين اليهود، فرفعت القضية إلى السلطان فرفعها إلى علماء فاس، فأجابوا في القضية من بينهم الطيب بن عبد المجيد بن كيران. مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 11322 ضمن مجموع، الكتاب السابع.

■ ورقم 11786 ضمن مجموع الكتاب الخامس.

د - مؤلفاته في علوم اللغة والأدب

– تقييد في معرفة الفرق بين النكرة وإسم الجنس وعلم الجنس والمعرف بلام الحقيقة ولام العهد الذهني ولام الاستغراق ولام العهد الخارجي، طبع على الحجر

بفاس وبهامشه تعليقات لأبي العباس ابن الخياط مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2680 د، من ص 351 إلى ص 354, مسطرته 25 سطرا، مقياسه 17,5 XX 23,5.

توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

- رقم 2572 د، ضمن مجموع من ص 58 إلى ص 61.
- رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 248 إلى ص 250، وفي آخر هذه النسخة: على يد العبد الضعيف عبد السلام بن عبد الله الحسيني الصقلي من خط شيخنا سيدي محمد المدني رحمه الله. وعليها مجموعة من الطرر رقم 90 ح، ضمن مجموع من ص 190 إلى 194.
- ونسخة بالخزانة الحسنية رقم 12286 ضمن مجموع.

– رسالة في مسألة نحوية بباب الاستثناء، وهي منع ما أنا ضربت إلا زيدا. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1755 د، من ورقة 111 ظهر إلى ورقة 114 وجه، مسطرته 21، مقياسه 18,7 X 23,3.

توجد منه نسخة أخرى بنفس الخزانة:

- رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 250 إلى ص 252.
- ونسخة بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 11065 ورقم 12286.

– تقييد في الاستعارات، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2232 ك، ضمن مجموع، غير مرقم، في ورقتين في بداية المجموع، مقياسه 15,3 X 21,5.

توجد منه نسخة أخرى بنفس الخزانة رقم 90 ح، ضمن مجموع من ص 182 إلى 190.

– تقييد في لو الشرطية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع، من ص 235 إلى ص 247.

في آخر هذا التقييد: على يد العبد الضعيف ... عبد السلام بن عبد الله بن العباس بن أحمد الحسيني الصقلي ... من نسخة نفيسة بخط بعض العلماء قائلا: انتهى من خط من نقله من خط مؤلفه الفقيه النحرير سيدي الطيب بن كيران أبقاه الله هـ.

توجد منه عدة نسخ بنفس الخزانة:

- رقم 2594 د، ضمن مجموع من ورقة 74 وجه إلى ورقة 83 ظهر.
- رقم 2951 د، ضمن مجموع من ص 18 إلى ص 33.
- رقم 938 د، ضمن مجموع من ورقة 6 ظهر إلى ورقة 12 وجه.
- رقم 2817 د، ضمن مجموع من ص 222 إلى ص 257.
- رقم 2795 د، ضمن مجموع من ص 183 إلى ص 201.
- رقم 2572 د، ضمن مجموع من ص 168 إلى ص 180.

وتوجد منه نسخ بالخزانة الحسنية رقم 12080 و12426 ضمن مجموع.

– تقييد في تسهيل الهمزة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 95 إلى ص 100.

– شرح الألفية المحاذي الشهير بالتوضيح لابن هشام الأنصاري، طبع على الحجر بفاس سنة 1315 هـ في جزئين.

وتوجد منه عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط:

- رقم 3840 د في 235 ورقة، مسطرته 25, مقياسه 18,5 X 23,5 يضم الجزء الأول.
- رقم 1673 ك، ضمن مجموع في 227, نسخة غير تامة.
- رقم 1223 ج، في 270 ورقة، نسخة غير تامة كذلك.

– تقييد في الفرق بين قولك غلام زيد ونحوه، وبين قولك غلام لزيد ونحوه، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 90 ح، ضمن مجموع ص 196.

– حاشية على أوضح المسالك لابن مالك، طبع على الحجر بفاس سنة 1315هـ.

وتوجد منه نسخة مخطوطة بالخزنة الحسنية بالرباط رقم 4754 و6687.

– أرجوزة جامعة بين حكم المجاز والاستعارة، طبعت على الحجر بفاس سنة 1310هـ ضمن مجموع به 12 متنا، ومنها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2787 د، ضمن مجموع من ص 208 إلى ص 211.

وأول النظم:

حمدا لمن ألهمنا بيانا ... يبين عن أغراضنا تبيانا
ثم صلاته على محمد ... أساس كل نعمة وسؤدد
منه استعار كل ذي كمال ... وهديه المجاز للمعال
وآله وصحبه الكرام ... ما استعمل المجاز في الكلام

وفي آخره:

تمت بحمد الله ذي الجلال ... صلى على محمد والآل

شرح هذه الأرجوزة اقصبي، وقفت على هذا الشرح ضمن مجموع في الخزانة العامة بالرباط رقم 3942 د، نسخة غير مرقمة.

– تقييد في متعلق الجار والمجرور في البسملة وفي بيان معنى الحمد والشكر والمدح لغة وعرفا، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1755 د، من ورقة 105 وجه إلى ورقة 108 وجه، مسطرته 21, مقياسه 18,7 X 22,3.

توجد منه نسخة أخرى بنفس الخزانة، رقم 90 ح ضمن مجموع، من ص 197 إلى ص 199.– تقييد في الاستثناء، وهذا التقييد متبوع بشرحه لمحمد المدني بن جلون ثم ترجمة لابن كيران. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1845 د ضمن مجموع، من ورقة 54 ظهر إلى 55 وجه، مسطرته 23, مقياسه 17,5 X 22,3.

توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

- رقم 2572 د ضمن مجموع من ص 50 إلى 57.
- رقم 153 ج، ضمن مجموع ص 103. دون الشرح والترجمة
- رقم 90 ح، ضمن مجموع ص 106. دون الشرح والترجمة
- ونسخة بالخزانة الحسنية رقم 12383 ضمن مجموع.

– نظم في بضعة أسطر في المواضع التي انفردت بها الواو في باب العطف على ما للأزهري في التصريح، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1787 د، ضمن مجموع من ص 214 إلى ص [illegible] مقياسه [illegible] X 21

توجد منه نسخة أخرى بنفس الخزانة رقم 2821 د، ضمن مجموع، ص 330.

– تقييد في ذكر الحالات التي يتقدم فيها المسند إليه على المسند، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 253 إلى ص 255. عليه بعض الطرر.

وتوجد منه نسخ بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 11786 ورقم 12286.

– قصيدة في مدح مولاي سليمان في 43 بيتا، ضمن مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 774 د، ضمن مجموع، من ورقة 117 وجه إلى ورقة 118 ظهر، مقياسه 21 X 15,3.

أولها: الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده، ولما ولي الخلافة أمير المومنين أبو الربيع مولانا سليمان بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله، وذلك في 18 رجب سنة 1206 قلت في ذلك:

تبسم الدهر زهوا فأفرح الأنـــا ... تنسم الزهر عرفا فاق ريحـانا
وطول السعد يمنا غير مختصـر ... فغادر الكل بالأفراح ملـئانـا

❖ ❖ ❖

له الخلافة جاءت دون ما طلـب ... منـه لـهـا بـل أتت إلـيـه إذعـانـا
لـعـلـمـهـا أنـه الأولى وأنـــه ذو ... فـعـــل لمازان ذو تـــرك لما شـانـا
أبو الربيع الذي فصل الربيع بـه ... زهـا وعـامـر ربـع المجد عـمـرانـا
لـو كـان حـيـا أبـو تمام أو أحـــد ... من الذين مضوا في الشعر فرسانا
وحاولوا حصر سامي مجده عجزوا ... ولم يطيقـوا لـه حصـرا وتـبـيـانـــا
فكيف يقوى على إحصا مآثـره ... هـذا الضعـيـف محمـد بـن كيرانـا

❖ ❖ ❖

عـليك مـني سـلام عرفه عـطـر ... يحف فضلا من الباري ورضوانا

انتهت بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

– تقييد على قول التلخيص فإن وإذا للشرط، ذكره محمد بن المدني جلون.

– تقييد على قوله مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود، ذكره ابن جلون كذلك.

– أرجوزة في الشرفاء القادريين، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 13268، ضمن مجموع، من ورقة 48 وجه إلى ورقة 49 وجه.

مطلعها:

حمدا لمن رفع بعض الخلق ... على سواهم درجات سبق
وصلواته بلا نفاذ ... على الرسول أشرف العباد

آخرها:

وكتب الفقير للعفو الكثير ... المذنب المخطي والعبد الحقير
محمد الطيب بابن كيران ... شهر عومل بكل إحسان

هـ - مؤلفاته في العقيدة والتوحيد

– تقييد حول زيارة الأولياء والتوسل بهم، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع، من ص 75 إلى ص 86.

– تقييد حول التعلق بالأنبياء والصالحين، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 36 إلى ص 75. وهذا التقييد والذي قبله يتضمن الرد على المذهب الوهابي والرسائل التي دخلت إلى المغرب وهي منسوبة لسعود بن عبد العزيز بشأن هذا المذهب كذلك، وقد كتب المؤلف هذه الردود بعد أن أشار عليه السلطان المولى سليمان بذلك.

– جواب عن سؤال وارد من السلطان المولى سليمان وهو أن أصحاب اليمين في الجنة هل يحصل لهم تأسف وتحسر على التقصير في الدنيا.

مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2145 د، ضمن مجموع، من ص 350 إلى ص 563، مسطرته 42، مقياسه 16,8 X 21,8.

توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

■ رقم 1072 ك، ضمن مجموع من ص 36 إلى ص 54.

■ رقم 153 ج ضمن مجموع من ص 275 إلى 285.

■ رقم 2594 د ضمن مجموع من ص 183 إلى ص 197.

– شرح توحيد المرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر، طبع مع النشر الطيب على شرح الطيب لادريس بن أحمد الحسني الوزاني أصلا الفاسي دارا ومنشأ. ج 1، الطبعة الأولى، سنة 1348 هـ، المطبعة المصرية بالأزهر إدارة محمد محمد عبد اللطيف، ج 2، الطبعة الأولى سنة 1352هـ، المطبعة الإسلامية بالأزهر، عبد المعطي أحمد الحسيني، وطبع طبعة حجرية بفاس سنة 1311هـ، مطبعة الطيب الأزرق.

توجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط:

■ رقم 2005 د، في 198 صفحة، مسطرته 52، مقياسه 16,6 X 21,9 ينتهي عند كتاب الطهارة.

■ رقم 81 ك، في 241 صفحة، مسطرته 25، مقياسه 18 X 23 يضم الكتاب كاملا.

■ رقم 294 ج، في 173 ورقة مسطرته ما بين 16 و22، مقياسه 17,1 X 21,6، ينتهي عند كتاب الطهارة.

– قصيدة في شعب الإيمان، طبعت على الحجر بفاس مع عقيدة عبد القادر بن أبي المحاسن علي بن يوسف بن محمد الفاسي وتوجد كذلك ضمن مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2821 د، ضمن مجموع، من ص 328 إلى ص 923، مقياسه 14,8 X 19,8.

توجد نسخة أخرى بنفس الخزانة: رقم 2787 د، ضمن مجموع من ص 211 إلى ص 212.

– قصيدة في مراتب الوحي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 2821 د، ضمن مجموع من ص 329 إلى ص 330.

توجد نسخة أخرى بنفس الخزانة: رقم 2787 د، ضمن مجموع من ص 212 إلى ص 213.

– جواب لأمير المؤمنين سليمان عن مسألة الكسب وخلق أفعال العباد، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1838 د ضمن مجموع من ورقة 133 ظهر إلى 142 وجه مسطرته ما بين 25 و27، مقياسه17 X 22,6.

نسخة أخرى بنفس الخزانة: رقم 153 ج، ضمن مجموع، من ص 290 إلى ص 306.

– تقييد في قول الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان، ذكره محمد بن المدني جلون.

– شرح كتاب الإيمان من الإحياء للغزالي، ذكره محمد بن المدني جلون.

و - مؤلفاته في التصوف والأخلاق

– قصيدة في الخصال المكفرة لما تقدم من الذنوب وما تأخر على ما للجلال السيوطي في حاشيته على الموطأ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 153 ج، ضمن مجموع، من ص 274 إلى 275. ورد في أوله: من خط العلامة الطيب بن كيران بواسطتين ما نصه: ولكاتبه جامعا الخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب على ما للجلال في حاشية الموطأ، وذلك عندما من الله تعالى علي بدرس الموطأ سنة مائتين وألف.

وفي آخره: من خط شيخنا المحقق سيدي محمد المدني بن علي بن جلون، وعلى هذه النسخة بعض الطرر.

توجد نسخ أخرى بنفس الخزانة:

■ رقم 90 ح، ضمن مجموع ص 418 وفي أول هذه النسخة، ذكرها أخوه محمد ضمن تقييد له في الخصال المكفرة للذنوب وقال: وقد نظمها أخونا سيدي الطيب بن عبد المجيد بن كيران في عروض الطويل فقال ... فذكرها.

■ رقم 2787 د: ضمن مجموع من ص 213 إلى 214.

■ رقم 2821 د: ضمن مجموع ص 330.

– شرح الحكم العطائية في الآداب والحقائق التصوفية، توجد منه عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط:

- رقم 2113 د، في 399 ص، مقياسه 20 X 29 نسخة تامة.
- رقم 2524 د، مقياسه 13 X 18,9، يضم النصف الأخير.
- رقم 2534 ك، في جزئين الأول في 208 ورقة، مسطرته 20، مقياسه 17,7 X 22,5 والثاني في 215 ورقة مقياس 17,7 X 22,5.
- رقم 869 ج، في جزئين الأول في 198 ورقة، مسطرته 20، مقياسه 17,3 X 22,3 والثاني في 197 ورقة، مسطرته ما بين 20 و22 مقياسه 17,6 X 22,5.

إضافة إلى نسخ أخرى غير تامة. ونسخ بالخزانة الحسنية تحمل رقم 791 و2858 و3129 و6607 وغيرها.

– عقد نفائس اللآل في تحريك الهمم العوال إلى السمو إلى مراتب الكمال، طبع على الحجر بفاس، وتوجد منه كذلك نسخ بالخزانة العامة بالرباط:

- رقم 153 ج، ضمن مجموع، من ص 1 إلى 28.
- رقم 1072 ك، ضمن مجموع، من ص 1 إلى 36.

وهو يضم خمسة عشر فريدة، كل منها تحث على موضوع ما، كالحث على طلب الآخرة وعدم الغفلة عنها، وطلب العلم والعمل ودفع الجهل، والجهاد والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وقد جمعها ابن كيران بأمر من المولى سليمان لينتفع بها ولده المولى ابراهيم.

– شرح الصلاة المشيشية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط. رقم 1870 د، في 138 صفحة، مسطرته 21، مقياسه 17,8 X 22,6.

وفي آخر هذه النسخة: كان الفراغ من كتابته عشية يوم الاثنين موافق 29 صفر عام 1351 بقلم العبد الفقير ... أحمد بن الحسن بن أحمد البركة بن أحمد البدوي الشهير بزويتن ...

وتوجد نسخة منه بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 11974.

– شرح نصيحة أبي العباس الهلالي، ذكره محمد بن المدني جلون وغيره.

– شرح كتاب العلم من الإحياء للغزالي، ذكره محمد بن جلون، وصاحب السلوة وغيرهم.

ز - مؤلفاته في السيرة النبوية

– شرح ألفية السيرة لعبد الرحيم العراقي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 2064 د، في 513 صفحة، مسطرته 34، مقياسه 29,6 X 20,5، وهي نسخة تامة، من خط أبي مدين ابن القاضي وولده محمد، لكنها متآكلة من جهة اليمين وبعض الأماكن من جهة اليسار.

توجد منه نسخ أخرى بنفس الخزانة:

- رقم 559 ج، في جزئين نسخة تامة، الجزء الأول في 193 ورقة والثاني في 228 ورقة.
- رقم 1379 ك، في 947 صفحة، نسخة غير تامة.
- رقم 2478 د، في 122 صفحة، نسخة غير تامة.

وقد حقق قسم المغازي من هذا الكتاب، ضمن رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط، إنجاز الطالب محمد بن جبور، إشراف الدكتور محمد يسف السنة الجامعية 1994-1995.

ن - مؤلفاته في المنطق والفلسفة

– رسالة في القوة المدركة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1755 د، ضمن مجموع من ورقة 108 ظهر إلى ورقة 111 وجه، مسطرته 21، مقياسه 18,7 X 23,3.

توجد منه نسخة أخرى بنفس الخزانة: رقم 153 ج، ضمن مجموع من ص 307 إلى 309. وموضوع هذا الكتاب فلسفي فهو يعالج القوة المدركة عند الحيوان وغيره بجانبها الظاهر المتمثل في الحواس، والباطن المتمثل فيما يكمل به الإدراك الباطني ...

– المقولات العشر، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 153 ج، ضمن مجموع، من ص 309 إلى 310.

يتناول الحديث عن أجناس الموجودات التي حصرها الحكماء في عشرة أمور وهي الجوهر والأعراض التسعة.

– شرح الخريدة لحمدون بن الحاج، طبع على الحجر بفاس، سنة 1315 هـ مطبعة العربي الأزرق. وبهامشه شرح العلامة محمد بن الحاج لخريدة والده.

5 - وفاة محمد الطيب بن كيران

توفي محمد بن كيران رحمه الله بالشهدة صباح يوم الجمعة السابع عشر أو الرابع عشر من محرم الحرام عام سبعة وعشرين ومائتين وألف.

وحضر جنازته من الخلق ما يستغرب عادة وجودهم بفاس، وقبره مزدج ليس عليه بناء ولا غيره، وهو معروف عند كثير من الطلبة مزار متبرك به، وذكر بعضهم أن تلميذه السلطان سليمان كان يتعاهد قبره ويزوره ويدعو عنده[1].

وذكر تلميذه الكوهن في فهرسته وابن سودة في إتحاف المطالع أنه دفن بروضة العلماء بالقباب قبالة ضريح الولي الصالح الشيخ أبي القاسم الوزير الغساني عن يسار الطالع في الطريق المارة لمصلى باب الفتوح[2].

وخلف ولده أبا بكر بن محمد الطيب وهو من جملة من أخذ عنه كما سبق ذكره، وخلف أبو بكر محمد الطيب سمي جده والسيد محمد المرتضى والحاج حماد[3].

(1) سلوة الأنفاس 3 / 4.
(2) إمداد ذوي الاستعداد ص 6, إتحاف المطالع 2487/7.
(3) زهر الآس 129/2.

شرح العشرة الأولى
من الأربعين النووية

اللوحة الأولى من النسخة (أ)

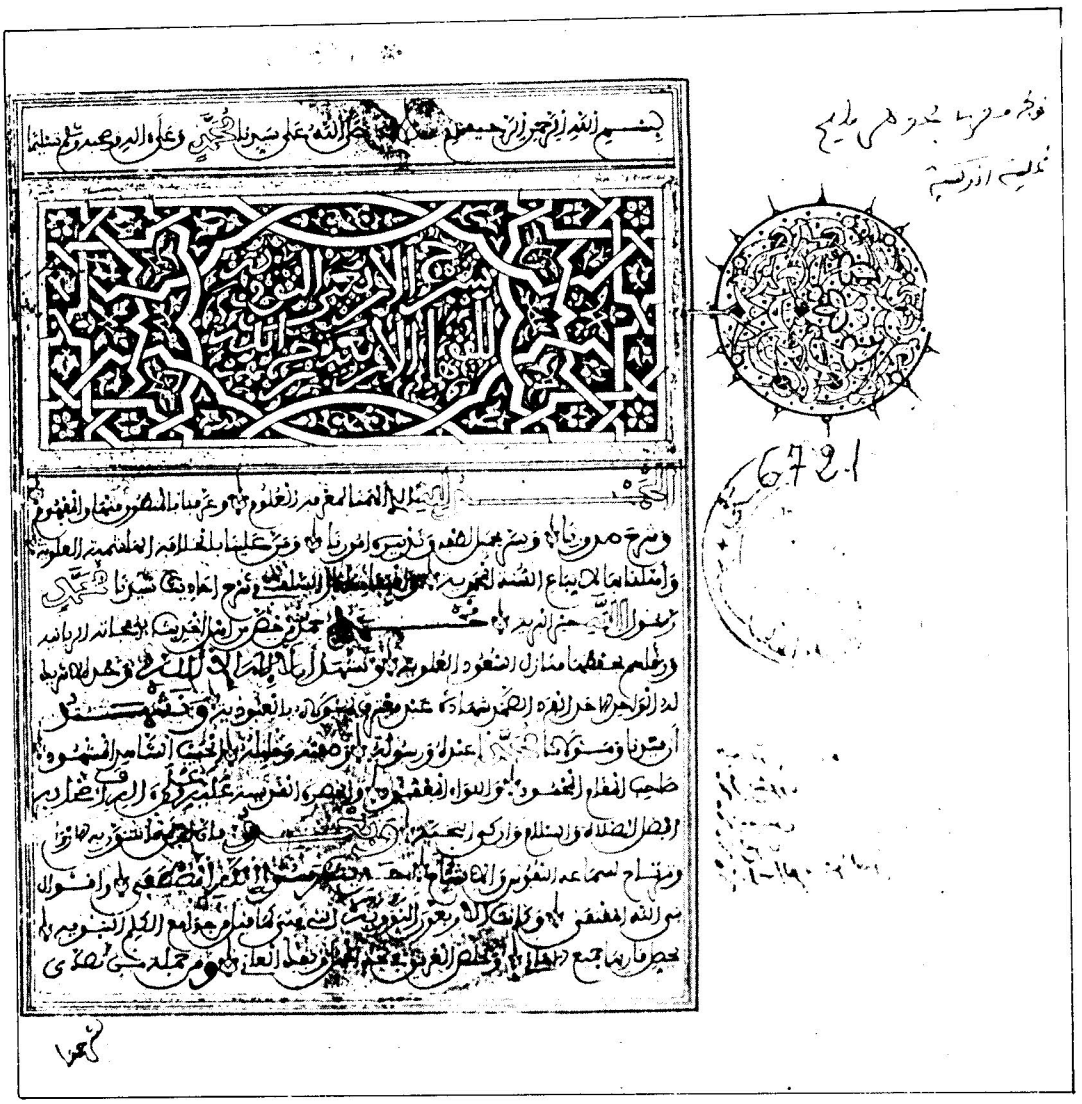

اللوحة الأخيرة من النسخة (أ)

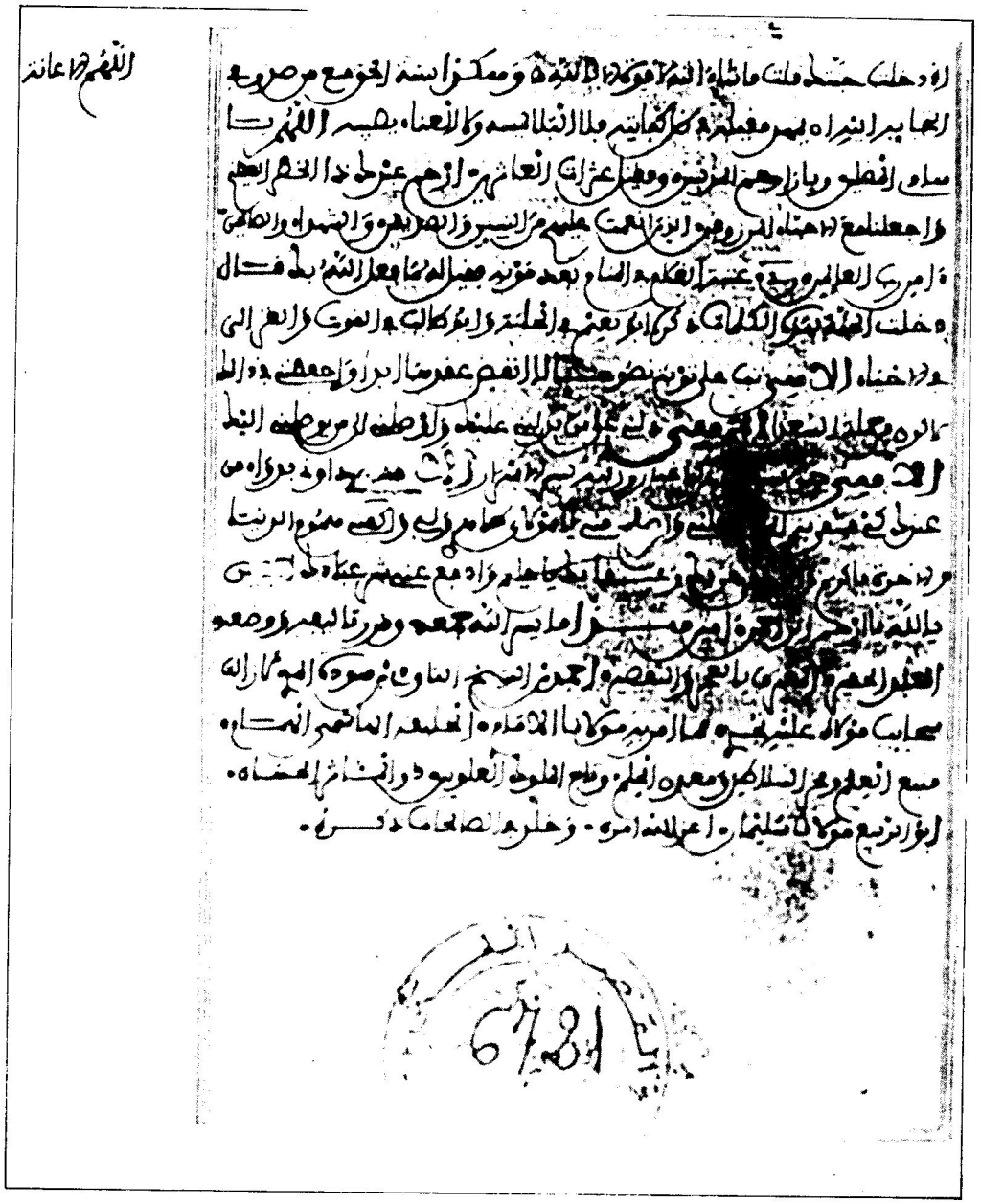

اللوحة الأولى من النسخة (ب)

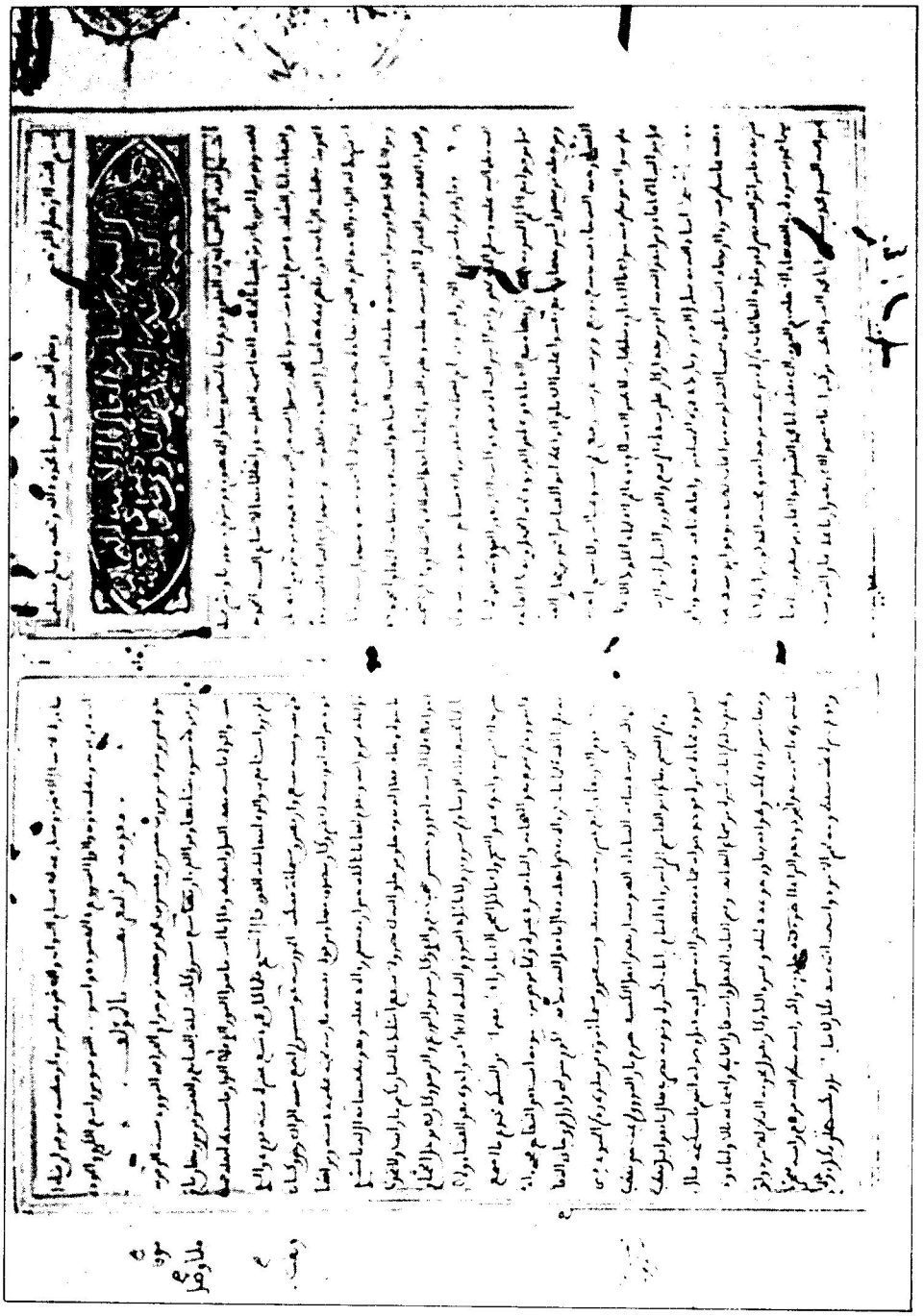

اللوحة الأخيرة من النسخة (ب)

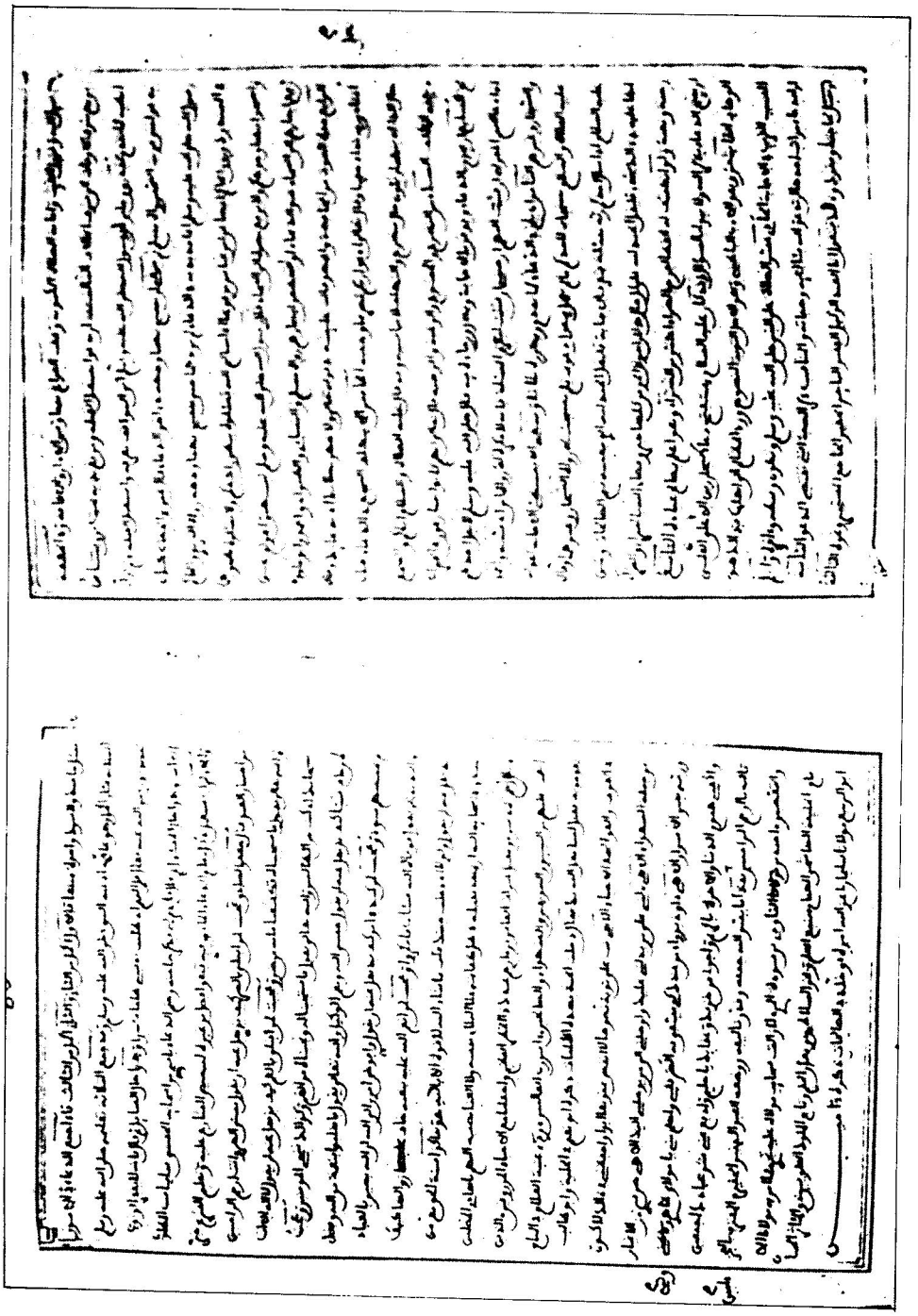

اللوحة الأولى من النسخة (ج)

اللوحة الاخيرة من النسخة ج)

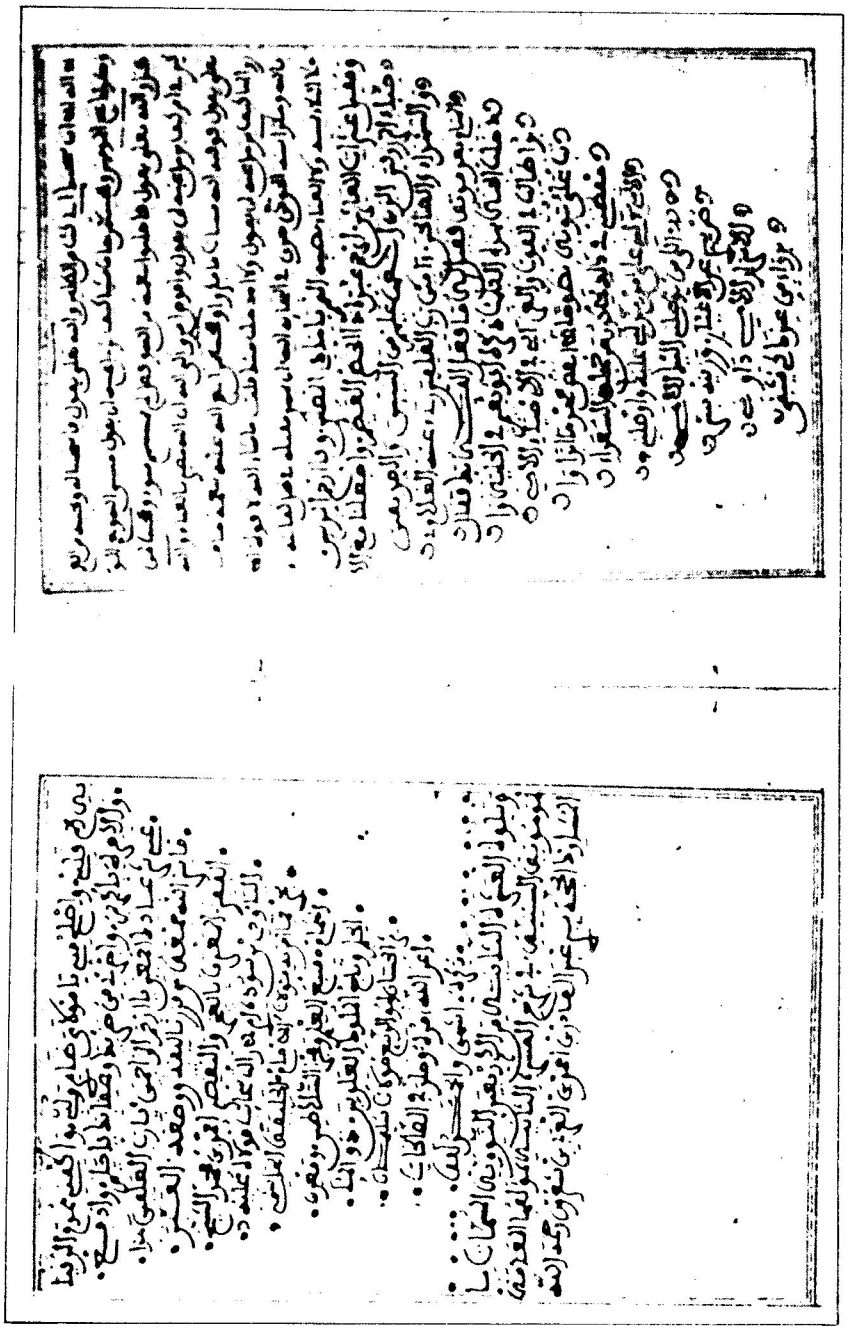

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما[1]

شرح الأربعين النووية للفقهاء الأربعة رحمهم الله[2]

الحمد لله الذي ألهمنا لمعرفة العلوم، وعرفنا بالمنطوق منها والمفهوم، وشرح صدورنا ويسر بجميل لطفه وتدبيره أمورنا، ومن علينا بالخلافة الهاشمية العلوية، وأهلنا بها لاتباع السنة المحمدية، واقتفاء آثار السلف في شرح أحاديث سيدنا محمد رسول الله خير البرية.

نحمده حمد[3] من خص أهل الحديث بنفحاته الربانية. ورقاهم بحفظها منازل السعود العلوية. ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، شهادة عبد معترف لمولاه بالعبودية. ونشهد أن سيدنا[4] ومولانا محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، الحبيب الشاهد المشهود، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحضرة القدسية، عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية.

وبعد، فإن أولى ما تتنور به الأرواح، وترتاح لسماعه النفوس والأشباح، حديث رسول الله[5] المصطفى، وأقوال نبي الله المقتفى. وكانت الأربعون[6] النووية التي[7] هي كما قيل من جوامع الكلم النبوية، يحصل قارئها جميع الأماني. وتخلص الغريق في لجة الجهل وتفك العاني.

---

(1) في ب: وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.
– في ج: وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.
– في د: وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(2) في ب: قال الشيخ الإمام العلامة الهمام أبو العباس سيدي أحمد بن التاودي بن سودة رحمه الله.

(3) ساقطة من ب.

(4) في د بزيادة: ونبينا.

(5) في ب بزيادة: زصلى الله عليه وسلمس.

(6) في ج بزيادة: حديثا.

(7) ساقطة من ب.

ومن جملة من تصدى / لشرحها، ووضع تقييد[1] عليها؛ الإمام الواعظ أبو العباس أحمد ابن أحمد بن جحازي الفشني[2] رحمه الله، جاء فيه بصنع بديع وترتيب غريب رفيع، لم يسبق بمثاله، ولا نسج أحد على منواله. ونظر فيه مولانا الإمام، سلطان سلاطين الإسلام، وعالم العلماء الملوك الأعلام، نجل موالينا الخلفا، ومن أنقذ الله به الدين بعد أن كان على شفا، الرفيع القدر والشان، أبو الربيع مولانا سليمان، أشاد الله به منار[3] الدين، وبارك في عمره للمسلمين، وأحاط ثاقب ذهنه وذكي فهمه بما سطر فيه، رأى أن يضاف إليه ما يكون تتميما لديه من أبحاث لطيفة، وفوائد منيفة شريفة. فأمر أيد الله نصره، وخلد في الصالحات ذكره من عينه من خدامه[4] ومحبيه المذكورين إثره؛ كاتبه أحمد بن سودة والفقهاء الأجلة والبدور الأهلة، أبا محمد السيد عبد القادر بن شقرون، وأبا محمد السيد محمد بنيس، وأبا محمد السيد الطيب بن كيران، فاقتسموا الأربعين أرباعا على الترتيب مبادرة لامتثال الأمر، ومسارعة لاغتنام الثواب والأجر، ملتزمين ذكر خطبه، موفين إن شاء الله بمرغوبه ومطلبه. وهذا أول الشروع في المقصود. وأستوهب التوفيق من واسع الكرم والجود.

(1) في ب، ج: تقييد.

(2) في ج: أحمد بن حجازي وهو أحمد بن حجازي الفشني شهاب الدين الشافعي، المحدث. كان حيا عام 978. من مصنفاته شرح الأربعين النووية المسماة بالمجالس السنية، مواهب الصمد في حل ألفاظ الزبد شرح على متن الزبد لابن رسلان الشافعي، تحفة الإخوان في قراءة الميعاد في رجب وشعبان ورمضان. ترجم له حاجي خليفة في كشف الظنون 1994/2. والبغدادي في إيضاح المكنون 561 و4292. والزركلي في الأعلام 109/1-110 ورضا كحالة في معجم المؤلفين 188/1. وسركيس في معجم المطبوعات العربية 1453/2.

(3) في ب، د: منازل.

(4) في ب، د: خدمته وفي ج: بزيادة خاصته قبل خدامه.

مقدمة في التعريف بالمؤلف[1]:

هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام[2] الحزامي النووي، نسبة إلى نوى[3] قرية من قرى دمشق. "ونشأ بها، وقرأ القرآن. فلما وصل سبع سنين وكانت ليلة السابع والعشرين من رمضان نام جنب والده فانتبه نصف الليل وأيقظه وقال: يا أبت ما هذا النور الذي ملأ الدار، فاستيقظ أهله جميعا فلم يروا شيئا، فعرف والده أنها ليلة القدر"[4].

"قال الشيخ: فلما كان عمري تسع عشرة[5] سنة، قدم بي والدي دمشق سنة تسع وأربعين وستمائة، فسكنت المدرسة وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض، وكان قوتي جراية المدرسة لا غير"[6] وكان يتصدق منها. ومن قوة يقينه ملازمته لحية عظيمة في بيته، ويراها كل ليلة تخرج إليه ويقدم لها ما تاكله حتى إن بعضهم / رآه 2 و
في غفلة وهو يطعمها فقال له: يا سيدي ما هذه وخاف. فقال له: هذه خلق من خلق الله، لا تضر ولا تنفع، أسألك بالله أن تكتم ما رأيت ولا تحدث أحدا.

(1) من شيوخه: الكمال بن إسحاق بن احمد، والرضى بن البرهان، وعبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين بن عبد الدائم ... ومن تلامذته: الخطيب صدر الدين سليمان الجعفري، وعلاء الدين ابن العطار، وشهاب الدين الأربدي. وممن حدث عنه: ابن أبي الفتح والمزي وابن العطار. ومن مصنفاته: شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، الأذكار، المبهمات، الإرشاد في علوم الحديث، المجموع شرح المهذب وغيرها. ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ 4/174-176 رقم 1162، وفي العبر 3/334، والسبكي في الطبقات الكبرى 8/395-400 رقم 1288، وابن كثير في البداية والنهاية 13-278-279، وأفرد السيوطي ترجمته في كتاب سماه المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي، وترجم له كذلك ابن العماد في شذرات الذهب 5/354-356.

(2) في طبقات السبكي: 8/395: ابن حزام بن محمد بن جمعة.

(3) نوى بليدة من أعمال حوران، وقيل هي قصبتها، بينها وبين دمشق منزلان. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي 19/306.

(4) طبقات السبكي 8/396 والمنهاج السوي للسيوطي نقلا عن ابن العطار تلميذ النووي ص 30.

(5) في ج: تسعة عشر.

(6) المنهاج السوي للسيوطي نقلا عن ابن العطار. ص 31.

قال: فلما كان سنة إحدى وخمسين حججت مع والدي، وكان شديد الورع والزهد، وكان لا يدخل الحمام تاركا لجميع ملاذ الدنيا، ولم يتزوج ولا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد العشاء، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر، ولا ياكل اللحم إلا نادرا.

قال تقي الدين السبكي[1]: مجموع ما اجتمع في النووي لم يجتمع بعد الصحابة والتابعين في غيره. ولما مرض مرض موته اشتهى التفاح فجيء له به فلم يأكله، فلما مات رآه بعض أهله فقال: ما فعل الله بك[2]، فقال: أكرم منزلي، وأول قرى جاءني التفاح. توفي يوم الأربعاء رابع عشر رجب سنة ست[3] وسبعين وستمائة، ودفن ببلده.

وذكر المناوي[4] في الكواكب الدرية في مناقب السادات الصوفية: "أن بعض أهل الكشف صرح بأن النووي لم يمت حتى تقطب[5]. قال: وذكر الشيخ صالح أبو القاسم المري أنه رأى في المنام رايات كثيرة ونوبة تضرب، فقال: ما هذا، قيل[6]:

(1) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف، السبكي تقي الدين أبو الحسن الشافعي. من شيوخه: والده، والباجي وأبو حيان والدمياطي. توفي سنة 756هـ. من مصنفاته: التحقيق في مسألة التعليق، شفاء السقام في زيارة خير الأنام، وأكمل على شرح المهذب للنووي. ترجم له: محمد بن علي الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ ص 25، وابن حجر في الدرر الكامنة 3/38-42 رقم 2781. والسيوطي في بغية الوعاة 2/176-178 رقم 1733، وذكر وفاته 755هـ. وفي ذيل تذكرة الحفاظ ص 234. وابن العماد في شذرات الذهب 6/180-181.

(2) في د: ساقطة.

(3) في ب: نيف.

(4) عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي بضم الميم، أو المنوي كما ذكر البعض نسبة إلى منى قرية من قرى مصر. من شيوخه الشمس الرملي، النور علي بن غانم المقدسي، محمد البكري، النجم الغيطي. وممن أخذ عنه سليمان البابلي، علي الأجهوري، توفي سنة 1031، من مصنفاته: فيض القدير في شرح الجامع الصغير، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، الجامع الأزهر، شرح على الأربعين النووية. ترجم له المحبي في خلاصة الأثر 2/412-416، والشوكاني في البدر الطالع 3571 رقم 238، واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين 1/510-511، والكتاني في فهرس الفهارس 2/560 رقم 319.

(5) مصطلح صوفي مشتق من القطب وهو الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه. انظر التعريفات للسيد الشريف الجرجاني، ص 76.

(6) في د: فقيل.

تقطب النووي، فجاءه يخبره فوجد حوله جماعة فنهض إليه حتى لقيه قبل وصوله إليهم فاستكتمه.

قال: وظهرت له كرامات كثيرة من سماع الهاتف وفتح الباب المقفل وانشقاق الحائط واجتماعه بالأولياء"[1] وذهابه من بلده لمكة وطوافه بها ورجوعه في ليله وغير ذلك.

"وكان يقول بحرمة النظر للأمرد ولو بلا شهوة، فامتحنه بعض المرد وصعد إلى أعلى خلوته وأكب رأسه ينظر إليه، فرفع رأسه، فبمجرد وقوع بصره عليه سقط لحم وجه الأمرد.

وانتصب للتصنيف فكان لا ينام الليل ويكتب حتى تكل يده، ويعجز فيضع القلم ثم ينشد:

لئن كان هذا الدمع يجري صبابة على غير سلمى إنه لمضيع[2]"[3]

واستمر على هذا حتى هجمت عليه المنية قبل بلوغ الخمسين. وذكر ابن حجر في فتح الباري أن وفاته سنة ثمان وستين[4]. فانظره مع ما تقدم.

وفي العهود للشعراني[5]: "أنه دعاه شيخه[6] يوما لياكل معه، فقال: يا سيدي اعفني من ذلك. فإن لي عذرا شرعيا فتركه، فسأله بعض إخوانه / ما ذلك العذر. 2 ظ

(1) الكواكب الدرية للمناوي. 566/2.

(2) في الكواكب الدرية ص 566 : "فهو دمع مضيع" وفي المنهاج السوي "على غير سعدى فهو دمع مضيع" والبيت من الطويل.

(3) الكواكب الدرية للمناوي. 566/2-567.

(4) الذي وقفت عليه أن وفاته كانت سنة 676هـ وهو الذي ذكره المصنف في البداية.

(5) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني أو الشعراوي، بالنون والواو كما وجد بخطه، أبو المواهب وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الشافعي، الشاذلي المصري، توفي سنة 973هـ، من مصنفاته: العهود، الميزان، منهاج الوصول إلى علم الأصول. كشف الغمة، منح المنة في التلبس بالسنة ... ترجم له الغزي في الكواكب السائرة 157/3-158 رقم 1474، وابن العماد في شذرات الذهب 372/8-374, ومحمد بن الطيب القادري في نشر المثاني 1084/3، واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين 641/1-642، والكتاني في فهرس الفهارس 1079/2-1082 رقم: 605، ورضا كحالة في معجم المؤلفين 218/6.

(6) شيخه الكمال الأربلي. توفي 670هـ كما ذكر في العهود. وهو الكمال سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الأربلي الشافعي الإمام، أبو الفضائل، تفقه على ابن الصلاح حتى برع في المذهب، اختصر =

فقال: أخاف أن تسبق عين شيخي إلى لقمة فآكلها وأنا لا أشعر. وكان إذا خرج للدرس ليقرأ على شيخه يتصدق عنه في الطريق بما تيسر، ويقول: اللهم استرعني عيب معلمي حتى لا تقع عيني له على نقيصة ولا يبلغني ذلك عنه أحد"[1].

قال المصنف[2] رحمه الله: "**بسم الله الرحمن الرحيم**".

جرت عادة المتقدمين من العلماء المصنفين ابتداء تآليفهم، وافتتاح تصانيفهم بأمور منها: البسملة اقتداء بالكتاب العزيز (فإنه متوج بها وبالحمد لله) [3]. وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم "كل أمر ذي بال"[4] الحديث. وفي تخصيص الأمر بذي بال تعظيم لاسم الله تعالى وتيسيير على العباد إذ لم تشرع في كل شيء.

قال أبو بكر التونسي "أجمع علماء كل ملة على أن الله افتتح كل كتاب بسم[5] الله الرحمان الرحيم"، وروى الخطيب[6] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "البسملة مفتاح كل كتاب"[7]، وقال الحكيم الترمذي[8]: "نزلت البسملة أول كل

=البحر للروياني في مجلدات، وانتفع به جماعة من الأصحاب منهم محي الدين النووي، ترجم له ابن كثير في البداية 262/13 وابن العماد في الشذرات 331/5-332.

(1) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ص 14.

(2) يعني الإمام النووي.

(3) ما بين قوسين ساقط من ب.

(4) رواه أبو داود: كتاب الأدب باب الهدى في الكلام رقم 4840، وابن ماجة: كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم: 4981، والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة رقم 494 و497.

(5) في د: باسم.

(6) أحمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي، أبو بكر المعروف بالخطيب البغدادي، سمع من الحسن بن الصلت الأهوازي، وأبي سعد الماليني، وروى عنه البرقاني شيخه، وأبو عبد الله الحميدي. توفي سنة 463هـ. من مصنفاته: تاريخ بغداد، والكفاية في معرفة علم الرواية، والجامع لآداب الراوي والسامع. ترجم له: ياقوت في المعجم: 13/4-54 رقم 2. وابن خلكان في وفيات الأعيان 92/1-93 رقم 34. والذهبي في تذكرة الحفاظ 221/3-227 رقم 1015. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 29/4-39 رقم 258. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 89/5.

(7) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 2641، بلفظ "بسم الله الرحمن الرحيم ...".

(8) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، المحدث الزاهد، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي. حدث عن أبيه وعن قتيبة بن سعيد ... وروى عنه يحيى ابن منصور القاضي وغيره. توفي سنة 255 هـ كما في هدية العارفين. من مصنفاته: ختم الولاية والفروق والمناهي ... ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ 161/2 رقم 668. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 245/2 رقم 59 وابن حجر في لسان الميزان 308/5 رقم 1033. واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين 15/2-16.

سورة من القرآن قسما على أن[1] ما في هذه السورة حق"، وقال عليه الصلاة والسلام: "أول ما كتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا كتبتم كتابا فاكتبوها أوله، وهي مفتاح كل كتاب أنزل"، وروي "أنه لما نزلت البسملة هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين، وحلف الله بعزته وجلاله ألا يسمى[2] اسمه على شيء إلا بارك فيه"[3].

وعن ابن عباس مرفوعا: "أول شيء كتب في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم، ولما نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم أعادها ثلاثا، وقال: هي لك ولأمتك، فمرهم ألا يدعوها في شيء من أمورهم فإني لم أدعها طرفة عين منذ نزلت على أبيك آدم، وكذلك الملائكة". والكلام عليها طويل لا تفي به عبارة ولا تقوم به إشارة، قد ألف الناس فيها التآليف[4] ووضعوا عليها التصانيف، كل بحسب فهمه، ومبلغ علمه، فتكلم عليها أهل الرسم، وأهل البيان، وأهل الأصول، وأهل التصريف، وأهل النحو، وأهل أصول الدين. وبسط كل واحد منهم القول فيها وخاضوا في معانيها، قد علم كل أناس مشربهم. والقول البليغ إنها مفتاح أسرار الغيب والشهادة في كل عبادة وعادة فبها يفتق رتق المعاني لكل معاني، وبها قيام المباني في هذه / الأواني، وبها جلاء الأنوار في مجال الأطوار. وبها ذهاب 3 و
الأغيار عن الأفكار. فتوجه إليها بكلك في عقدك وحلك، تفز بمطالبك في جميع مذاهبك.

قال الفشني {إن بسم الله الرحمن الرحيم كلمة من تحقق بها فله جزيل الثواب، ومن ذكرها بلغ نهاية الآمال، ومن لازمها خلعت عليه خلع الاقبال، وألبست عليه حلل الاتصال، وأفرد روحه بشهود الجمال، واستخلص سره بكشف الخلال، فهي كلمة توسل بها نوح في الزمن القديم، وعاد بركتها على الهدهد فكسى تاجا من السميع العليم، وقالت بلقيس: يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان،

(1) في د: بزيادة كل.
(2) في ج: إلا سمي.
(3) في ج: عليه.
(4) في ج: تآليف والصواب ما هو مثبت في الأصل يدل عليه ما جاء بعده.

وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. قال النسفي[1]: قيل الكتب المنزلة من السماء مائة وأربعة، صحف شيت ستون، وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان. ومعاني كل الكتب مجموعة في الفاتحة، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها. ومعناها في[2] كان ما كان، وفي[3] يكون ما يكون، زاد بعضهم ومعاني الباء في نقطتها أي في ذلك[4] إشارة إلى الوحدة، وهي عدم التعدد، فهو الواحد الذي لا نظير له} [5] انتهى.

قال الأسيوطي: "وجه الجمع في بائها أن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب، والباء باء الإلصاق، فهي تلصق العبد بجانب الرب، وذلك كمال المقصود" ذكره الرازي. قال في الشرح[6]: {وعدد حروف البسملة تسعة عشر حرفا، وعدد خزنة النار تسعة عشر. قال ابن مسعود: فمن أراد أن ينجيه الله من الزبانية فليقلها، ليجعل الله[7] بكل حرف جنة، أي وقاية من واحد منهم فبها قوتهم وبها استضلعوا. وقال أبو بكر الوراق[8]: "بسم الله الرحمن الرحيم روضة من رياض الجنة، لكل حرف منها تفسير على حدته".

---

(1) في ج: في الهامش: الفشني. والصواب النسفي كما في نقل الفشني.
والنسفي هو عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات، تفقه على شمس الأئمة الكردري، وسمع منه الصغناقي، توفي 701هـ، وذكر ابن قطلوبغا والبغدادي وفاته سنة 710هـ. من مصنفاته: العمدة في أصول الدين، المنار في أصول الفقه، مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير. ترجم له: القرشي في الجواهر المضية 2/294-295 رقم 692. وابن حجر في الدرر الكامنة 2/151 رقم 2119. وابن قطلوبغا في تاج التراجم ص 30 رقم 86. والبغدادي في هدية العارفين 1/464.

(2) في ج، د: بي

(3) في ج، د: بي

(4) في ب: في تلك وفي د: بي تلك.

(5) المجالس السنية للفشني، ص 3.

(6) في ج: في الهامش أي في شرح الفشني المذكور أعلاه.

(7) في ج: بزيادة له.

(8) أبو بكر الوراق محمد بن عمر الحكيم، صحب محمد بن سعد بن ابراهيم الزاهد، ومحمد بن عمر بن خشنام البلخي. أسند الحديث توفي سنة 240 هـ، ترجم له: السلمي في طبقات الصوفية ص 178-183 رقم 33، والقشيري في الرسالة ص 440 رقم 82، وابن الملقن في طبقات الأولياء ص 374-375 رقم: 100.

وروى الطبراني: "أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بجوار لي[1] بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية، قطوفها دانية"[2]. وروى: "أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**الحمد لله الذي صدقنا وعده**﴾ الآية[3]. وإذا دخل أهل النار النار يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، وما ظلمنا ربنا ولكن ظلمنا أنفسنا"[4]. وفي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليلة أسري بي إلى السماء عرض علي جميع الجنان فرأيت فيها أربعة / أنهار، نهر من ماء غير آسن[5]، ونهر من لبن لم يتغير طعمه، ونهر من خمر، 3 ظ ونهر من عسل[6]. كما قال تعالى: ﴿**فيها أنهار**﴾ (**من ماء**)[7] الآية[8]. فقلت لجبريل من أين تجيء وإلى أين تذهب، قال تذهب إلى حوض الكوثر، ولا أدري من أين تجيء فسل من الله أن يريك، فدعا ربه فجاء ملك فسلم عليه ثم قال: يا محمد غمض عينيك، فغمضت عيني ففتحت فإذا أنا تحت شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء، ولها باب من ذهب وقيل من زمرد[9] أخضر لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والإنس وقفوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل، أو كورة ألقيت في البحر، فرأيت هذه الأنهار الأربعة تجري من تحت هذه القبة: فلما أردت أن أرجع قال

---

(1) لي ساقطة من ب. ج. وفي ب: بجواري.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير 272/6 رقم 6191، وفي الأوسط 12/4 رقم 3011 عن سلمان الفارسي.

(3) الزمر/71، وتمام الآية: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾.

(4) الواو ساقطة من ب.

(5) الآسن مثل الآجن، الذي تغيرت ريحه، وقيل: هو الذي لا يشربه أحد من نتنه. انظر الصحاح للجوهري 2070/5. ولسان العرب لابن منظور 16/13. مادة [أسن].

(6) في ج: وأنهر من لبن لم يتغير طعمه، وأنهر من خمر لذة للشاربين وأنهر من عسل مصفى.

(7) الجملة بين قوسين ساقطة من ب.

(8) محمد/16: وتمام الآية: "مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم".

(9) في ج: زبر جد.
والزبرجد جوهر معروف وهو من أنواع الزمر د. انظر تاج العروس للزبيدي مادة (ز-ب-ر-ج-د) 140/8.

الملك: لم لا تدخل القبة قلت كيف أدخلها وعلى بابها قفل من ذهب، وكيف أفتحه، قال لي في يدك[1] مفتاحها، فقلت: أين مفتاحها، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما دنوت من القفل فقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل فدخلت القبة فرأيت هذه الأنهار تجري من أربعة أركان القبة، قال لي ذلك الملك: هل رأيت يا محمد، قلت: رأيت، قال: انظر ثانيا، فلما نظرت رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة، بسم الله الرحمن الرحيم. ورأيت نهر الماء خرج من ميم بسم الله الرحمن الرحيم، ورأيت[2] اللبن يخرج من هاء اسم الله، ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن، ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم، فعلمت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من التسمية[3] فقال الله تعالى: يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك وقال بقلب خالص: بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الأنهار الأربعة". ومن فوائدها أنها أربع كلمات والذنوب أربع)[4]، ذنوب بالليل وذنوب بالنهار، وذنوب بالستر، وذنوب بالعلانية، فمن ذكرها على الإخلاص والصفا غفر الله له الذنوب والجفا}[5]. انتهى.

والحكمة في افتتاحها بحرف الباء واختيارها على سائر الحروف[6] ولاسيما على الألف هي أن فيها انكسارا وتواضعا وتساقطا . وفي الألف ترفعا وتكبرا[7] وتطاولا، فلما تكبرت الألف وضعها الله، ولما تواضعت الباء رفعها الله كما جاء في الخبر: "من تواضع لله رفعه الله"[8] ولأنها حرف شفوي تنفتح به الشفة ما لم تنفتح بغيره، ولأنها كانت أول حرف نطق به[9] الإنسان في قوله: ﴿**ألست بربكم**،

(1) في ج: يديك.
(2) في ج، د: بزيادة: نهر.
(3) في د: البسملة.
(4) في د: أربعة.
(5) المجالس السنية للفشني ص 3-4.
(6) الواو ساقطة من ب، ج.
(7) ساقطة من ب، د.
(8) رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري. 76/3 ر قم 11747 بلفظ: "من تواضع لله درجة، رفعه الله درجة حتى يجعله في عليين، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل السافلين".
(9) في ب: بها. والصواب به.

قالوا بلى﴾[1] فاقتضت الحكمة الإلهية اختيارها من بين الحروف، فاختارها[2] ورفع قدرها وجعلها مفتاح كتابه ومبدأ كلامه، وأعطاها رفعة الألف وقامته وتقدمه على الحروف وإمامته، فحذف / الألف من بسم الله وطول باءه لإظهار تعظيمها 4 و
وتفخيمها. وقرنها[3] باسم ذاته وصفاته، وجعلها معدن كلامه، ومنبع كراماته[4] مع بربريته. كما روي عن ابن عباس أنه قال: "الباء بره بأوليائه، والسين سره مع أصفيائه، والميم منته مع أوليائه"[5]. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن عيسى بن مريم أرسلته أمه إلى المكتب ليتعلم، فقال له المعلم قل بسم الله، فقال عيسى: وما بسم الله، فقال المعلم: لا أدري، فقال عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم ملكه، وأنه لا إله إلا هو الرحمن، رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة"[6]. انتهى.

إلهي حل لنا إزار[7] الأسرار عن علوم الأنوار، وعرفنا حقائق[8] أسمائك الحسنى، وأطلعنا على رقائق دقائق معارفك الحسنى. آمين.

قال المصنف: "**الحمد لله**".

أتى بالحمد لله بعد البسملة اقتداء بالقرآن العظيم وبالنبي صلى الله عليه وسلم في الابتداء بالحمد في جميع خطبه ورسائله، وعملا بجميع روايات الحديث السابق.

ففي رواية: "كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع"، وفي رواية: "فهو أجذم"، وفي أخرى: "فهو أبتر".

---

(1) الأعراف/172. وتمام الآية: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾.
(2) في ج: بأخبارها وهو خطأ.
(3) في ج: قربها. وهو خطأ كذلك.
(4) في ج: كرامته.
(5) الواو ساقطة من ب، ج.
(6) الموضوعات لابن الجوزي 204/1.
(7) في ب، د: أزرار.
(8) في د: بحقائق.

قال المصنف: "**روينا هذه الألفاظ كلها، وهو حديث حسن**"[1]. رواه أبو داود وابن ماجة، والنسائي وأبو عوانة والإمام أحمد (في مسنده)[2] بلفظ: "كل أمر ذي بال لا يفتتح[3] فيه بذكر الله فهو أبتر" وقال: "أقطع" على التردد[4].

والكلام على الحمد يطول ذكره ويتعب من الناظر[5] فيه نظره وفكره، وقد سودت بذلك أوراق وتحيرت فيه[6] أذواق. فلنذكر منه ما يناسب المقام ولا نطول فيه الكلام. فنقول: هو لغة الوصف بالجميل على الجميل الاختياري حقيقة أو حكما، فضيلة أو فاضلة على جهة التعظيم والتبجيل ظاهرا وباطنا.

وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما، سواء كان قولا باللسان، أو اعتقادا بالجنان، أو عملا بالأركان، وهذا هو الشكر لغة.

وأما اصطلاحا: فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من سمع وبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله من الطاعات، كأن[7] يصرف بصره إلى الاطلاع على ما في مصنوعاته، وسمعه إلى تلقي ما ينبئ عن مرضاته، وقس على ذلك سائر النعم الظاهرة والباطنة. ولعزة هذا المقام قال تعالى: ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾[8]. روى

(1) الأذكار، للنووي: ص 167-168.

(2) ما بين قوسين ساقط من ج.

(3) في ب، ج: يفتح.

(4) رواه أبو داود، كتاب الأدب. باب الهدي في الكلام رقم –4840 – بلفظ "كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم" وابن ماجة كتاب النكاح، باب خطبة النكاح رقم 1894. بلفظ: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع". والنسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة رقم 494، بلفظ: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع". وابن حبان في صحيحه 102/1 باب ما جاء في الابتداء بحمد الله تعالى. بلفظ "فهو أقطع". والبيهقي في السنن الكبرى 109/3. كتاب الجمعة. باب ما يستدل به على وجوب التحميد في خطبة الجمعة. بلفظ أقطع كذلك. كما أورده النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم 45/1. وفي الأذكار 167-168. وعزاه لأبي داود وابن ماجة وأبي عوانة الإسفراييني في مسنده المخرج على صحيح مسلم.

(5) في ب: النظر.

(6) ساقطة من ب.

(7) في ب: كما.

(8) سبأ/ [illegible] الآية: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، اعملوا آل داوود شكرا، وقليل من عبادي الشكور﴾.

ابن أبي الدينا[1] وابن جرير[2] والبيهقي[3] عن عامر قال: "الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"[4].

قال الإمام القشيري[5]: "الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع. وقيل هو الثناء على المحسن بذكر / إحسانه"[6]. فعلى الثاني وصفه 4 ظ
تعالى بالشكر ظاهر لأنه في حق العبد ثناؤه على الله بذكر إحسانه[7]، وفي حق الحق تعالى ذكره للعبد[8] بطاعته وإحسانه. وأما على الأول: فوصفه تعالى بالشكور[9] توسع، ومعناه أنه يجازي العباد على الشكر، فسمى جزاء الشكر شكرا. كما قال

(1) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي صاحب التصانيف. سمع سعيد بن سليمان وعلي بن الجعد ... وحدث عنه الحارث بن أبي أسامة وأبو بكر الشافعي وأحمد بن خزيمة. توفي 281هـ. ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 163/5 رقم 751. والبغدادي في تاريخ بغداد 89/10-91 رقم 5209. والمزي في تهذيب الكمال 273/4-274 رقم 3530. والذهبي في تذكرة الحفاظ 181/2-182 رقم 699. وابن حجر في تهذيب التهذيب 473/4-474 رقم 3686.

(2) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، سمع بمصر والعراق والشام. توفي سنة 310هـ. من مصنفاته: التفسير والتاريخ. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان 191/4 رقم 570. والذهبي في تذكرة الحفاظ 201/2-204 رقم 728. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 120/3-128 رقم 121. والسيوطي في طبقات المفسرين ص 30-31 رقم 93. والداودي في طبقات المفسرين 106/2.

(3) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سمع من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي وغيره. توفي سنة 458هـ. وكان شافعي المذهب. من مصنفاته السنن الكبرى، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة. ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان، 75/1 رقم 28. والذهبي في سير أعلام النبلاء 163/18 رقم 86. والصفدي في الوافي بالوفيات 354/4 رقم 2856. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 8/4-16 رقم 250.

(4) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ص 93 رقم 57، والبيهقي في شعب الإيمان. باب في تعديد نعم الله عز وجل وشكرها 109/4، رقم 4448.

(5) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري. قرأ على أبي الدقاق وأبي بكر ابن فورك، وأبي اسحاق الاسفراييني. توفي سنة 465هـ. وكان شافعي المذهب. من مصنفاته الرسالة، ولطائف الإشارات في التفسير، ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان 205/3 رقم 394. والذهبي في سير أعلام النبلاء 227/18 رقم 109. والسيوطي في طبقات المفسرين ص 21-22 رقم 24.

(6) لطائف الإشارات 39/3.

(7) في ج: بزيادة له.

(8) في ج: لعبده.

(9) في ب، ج، د: الشكور وهو الصواب. في أ بالشكر

تعالى: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾[1]. وقيل: شكره سبحانه هو إعطاء الكثير من [2] الثواب على القليل من العمل، من قولهم: دابة شكور؛ إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف.

وقال رؤيم[3] "الشكر استفراغ الطاقة"[4] وهو معنى قول من قال "صرف العبد إلخ. وقال كعب: "الشكر تقوى الله والعمل بطاعته". وقال الجنيد[5]: "كنت بين يدي السري[6] ألعب وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام. ما الشكر ؟ فقلت: ألا يعصى الله بنعمه، فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك، فلا أزال أبكي على هذه الكلمة"[7]. و[8]في رواية: "عن الجنيد: كان السري إذا أراد أن ينفعني سألني، فقال لي: يا أبا القاسم، إيش الشكر: فقلت: أن لا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه، فقال: من أين لك هذا. قال: من مجالستك"[9].

(1) الشورى 37. وتمام الآية: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله، إنه لا يحب الظالمين﴾.

(2) في ج: الواو بدل من.

(3) رؤيم بن أحمد بن يزيد، أبو محمد وقيل أبو الحسين. توفي سنة 303هـ، كان فقيها على مذهب داود. ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 147-151 رقم 25، والبغدادي في تاريخ بغداد، 8/430-432 رقم 4537، والقشيري في الرسالة ص 390-391 رقم 2 والذهبي في سير أعلام النبلاء 14/234-235 رقم 138، وابن الملقن في طبقات الأولياء ص 228-231 رقم 42.

(4) الرسالة القشيرية للقشيري: ص 175.

(5) العبيد بن محمد، أبو القاسم الخزاز، تفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي، وقيل بل كان فقيها على مذهب سفيان الثوري، وصحب السري السقطي والحارث المحاسبي. توفي سنة 297هـ. ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 129-135 رقم 21، والبغدادي في تاريخ بغداد 7/241-249 رقم 3739، والقشيري في الرسالة ص 430/431 رقم 65، وابن خلكان في وفيات الأعيان 1/373-375 رقم 144، والذهبي في سير أعلام النبلاء 14/66-70 رقم 34 والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 2/260-275 رقم 64.

(6) سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن، حدث عن هشيم بن بشير، وأبي بكر بن عياش ويحيى بن يمان ... وروى عنه أبو العباس بن مسروق الطوسي والجنيد بن محمد، وأبو الحسن النوري. اختلف في تاريخ وفاته فقيل 251، وقيل 253هـ، وقيل 257هـ. ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 51-58 رقم 5. وأبو نعيم في الحلية 10/116-128 رقم 469 والبغدادي في تاريخ بغداد 9/187-192 رقم 4769، والقشيري في الرسالة ص 417-419 رقم 47 والذهبي في سير أعلام النبلاء: رقم 65.

(7) الرسالة القشيرية ص 175.

(8) الواو ساقطة من ب.

(9) الرسالة القشيرية ص 176.

والشكر يستوجب المزيد كما في الآية[1] ولذا قال الجنيد: "الشكر فيه علة لأنه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله في حظ نفسه"[2].

وأسند القشيري عن عطاء قال: "قلت لعائشة، أخبريني بأعجب[3] ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: وأي شيء لم يكن عجبا، إنه أتاني ليلة فدخل معي في لحافي حتى مس جلدي جلده، ثم قال: يا ابنة أبي بكر، ذريني أتعبد لربي، قالت: فقلت: إني[4] أريد قربك وأذنت له فقام فتوضأ وأكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال فأذنه بالصلاة، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك[5] ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا، ولم لا أفعل وقد أنزل الله علي، ﴿**إن في خلق السماوات والأرض**﴾[6] الآية"[7].

"قيل: و[8]مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله، فقال: قد سمعت الله[9] يقول:﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾[10]وأنا أبكي من خوفه، فدعا ذلك النبي الله تعالى أن يجير ذلك الحجر من النار. فأوحى الله[11] إليه

(1) وهو قوله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾. إبراهيم /9.
(2) الرسالة القشيرية ص 174.
(3) في د: عن أعجب.
(4) في ب: إنما.
(5) في د: لك الله.
(6) البقرة/361: وتمام الآية: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾.
(7) الرسالة القشيرية ص 173. والحديث رواه ابن حبان في صحيحه عن عطاء، كتاب الرقائق، باب التوبة. 2/9 رقم 619.
(8) الواو ساقطة من ج ود.
(9) في ب: بزيادة تعالى.
(10) البقرة/23 وتمام الآية ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة، أعدت للكافرين﴾.
(11) ساقطة من ب.

أن أجرته. فمر به النبي والماء يتفجر[1] منه كذلك، فتعجب وقال: لم تبكي وقد غفر الله لك، فقال: كان ذلك بكاء الحزن والخوف، وهذا بكاء الشكر والسرور"[2].

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن الفضيل: "قال داوود: يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة منك[4]، قال الآن شكرتني حين / علمت النعم مني"[5]. 4 و مكرر

ثم الشكر على ثلاثة أقسام، شكر باللسان؛ وهو الاعتراف بالنعمة، وشكر بالأركان؛ وهو اتصاف بالوفاء والخدمة، وشكر بالقلب؛ وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة. والشكر نعمة توجب الشكر، وهلم جرا، فليس إلا اعتراف بالعجز كما قال سيد العارفين: "اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،"[6] وعن

---

(1) في ب، ج: ينفجر.

(2) الرسالة القشيرية: ص 177.

(3) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي، روى عن أبي سعيد الأشج، ويونس بن عبد الأعلى، روى عنه حسينك التميمي ويوسف الميانجي، توفي 327، من مصنفاته: "التفسير الكبير، والجرح والتعديل، وكتاب العلل، ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ 3/34-36 رقم 812، وابن كثير في البداية والنهاية 11/191، وابن حجر في لسان الميزان 3/432 رقم 1691، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 3/304-305، وابن العماد في شذرات الذهب 2/308-309، والسيوطي في طبقات المفسرين ص 1817 رقم 52.

(4) في ب، ج: من نعمك.

(5) أورده القشيري في الرسالة ص 175 ولم يعزه لابن أبي حاتم وإنما أورده بلفظ قيل، وابن كثير في تفسيره 5355/ عن ابن أبي حاتم بسنده إلى فضيل.
هامش أ: وما أحسن قول مولانا الوالد رحمه الله ونفعنا به:

بأي كتاب أو بأية قوة ... أروم أداء شكر أصغر نعمة
وليس بها صغرى ولكن تكاثرت ... وفرقت لقوم في العيون ردت
وقد غمر الأحسن مني ظاهرا ... وفي باطني والله رب البرية
أفاض علينا بره ونواله ... وأوجدنا لفضل منه وحكمة
وأرسل فينا مرسلا خير خلقه ... به تدخل الفردوس أول زمرة
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وصحب واخوان أكرم عشرة

هكذا وقفت على هذه الأبيات.

(6) رواه مالك في الموطإ، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء، رقم 31. ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم 486. وأبو داود في كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، رقم 1427. وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 3841. والترمذي في كتاب الدعوات أحاديث شتى، رقم 3577. والنسائي في كتاب التطبيق، باب نصب القدمين في السجود رقم 1053. وباب الدعاء في السجود، رقم 1082.

ثابت[1]: "بلغنا أن داوود عليه السلام جزأ الصلاة على نسائه وولده، فلم تك ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان قائم من آل داوود يصلي، فعمتهم الآية: ﴿**اعملوا آل داوود شكرا**[2]﴾[3] وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب على المنبر ثم قال: "ثلاث من أوتيهن كان مثل[4] آل داوود، قيل: وماهن[5] يا رسول الله، قال: العدل في الغضب والرضى، والاقتصاد في الفقر والغنى[6]، وذكر الله في السر والعلانية"، وفي رواية: "وخشية الله في السر والعلانية"[7].

وأل في الحمد قيل: للاستغراق، وقيل: للجنس. يحكى عن أبي العباس المرسي[8] قال: قلت لابن النحاس[9]: ما تقول في الألف واللام من الحمد لله، أجنسية هي أم عهدية، فقال: يا سيدي، قالوا: إنها جنسية، فقال: الذي أقول أنها عهدية، وذلك

---

(1) ثابت بن أسلم أبو محمد البناني البصري، روى عن ابن عمر وعبد الله بن مغفل المزني، وأنس، وعنه شعبة وحماد بن سلمة وهمام بن يحيى. توفي سنة 123هـ، وقيل 127هـ. ترجم له: ابن سعد في طبقاته 173/7-174 رقم 3141. والبخاري في التاريخ الكبير 143/2 رقم 2052. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 449/2 رقم 1805. والذهبي في تذكرة الحفاظ 94/1 رقم 110، وابن حجر في تهذيب التهذيب 546/1 رقم 853.

(2) سبأ/31: جزء آية.

(3) أخرجه ابن كثير في تفسيره 535/5 عن ابن أبي حاتم بسنده عن ثابت البناني، إلا أنه قال، زفعمرتهم هذه الآية".

(4) في ب، د: من.

(5) في ج: هي.

(6) في ب: الغناء.
الغناء بفتح الغين غير خارج عن معنى الغنى. انظر لسان العرب لابن منظور مادة غنا. 136/15.

(7) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص 130. عن أبي هريرة بلفظ: "وخشية الله في السر والعلانية".

(8) أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس المرسي، صحب الشاذلي، وتاج الدين ابن عطاء الله، والشيخ ياقوت. وهو أجل من أخذ الطريق عن أبي الحسن الشاذلي، توفي سنة 686هـ. وذكر السيوطي في بغية الوعاة أنه توفي قريبا من سنة ستين وأربعمائة. من مصنفاته: شرح الغريب المصنف، وشرح الإصلاح لابن السكيت. ترجم له ابن الملقن في طبقات الأولياء ص 418 رقم 118. والسيوطي في بغية الوعاة 361/1 رقم 701. وفي حسن المحاضرة 452/1. والشعراني في الطبقات الكبرى 12/2 رقم 310.

(9) بهاء الدين، محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الحلبي. روى كتاب سيبويه والإيضاح والتكملة والصحاح، الجميع بالسماع، سمع منه أبو حيان خلا الصحاح. توفي 698هـ. ترجم له ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات 294/3-297 رقم 429. وابن الجزري في غاية النهاية 46/2 رقم 2680. والسيوطي في بغية الوعاة 13/1-14 رقم 17. وابن العماد في شذرات الذهب 442/5.

أن الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه في الأزل، نيابة عن خلقه قبل أن يحمدوه ثم أمرهم (أن يحمدوه بذلك الحمد)[1]. فقال: يا سيدي أشهدك أنها عهدية.

وقدم الحمد على اسم الجلالة لاقتضاء المقام مزيد اهتمام به، وإن كان ذكر الله أهم في نفسه. وآثر الجملة الاسمية لأنها مفتاح الكتاب العزيز، ولدلالتها على الدوام والثبوت، واختلف في الفاضل من الحمد فقيل: الحمد لله بجميع المحامد كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم، عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم. وقيل: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[2]. وقيل: "الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده"[3] وفي رواية "الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه"[4] وقيل: "ليس كمثله شيء". وينبني على ذلك فرع وهو: من حلف ليحمدن الله فأفضل المحامد.

ثم "الحمد لله ثمانية أحرف، وأبواب الجنة ثمانية، فمن قالها فتحت له أبواب الجنة الثمانية" قاله ابن ناجي[5].

واختلف هل الأفضل قول العبد الحمد لله رب العالمين، أو قوله: لا إله إلا الله، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[6].

---

(1) الجملة ما بين قوسين ساقطة من ج باستثناء: بذلك.

(2) سبق تخريجه.

(3) أورده النووي في الأذكار ص 170 نقلا عن المتأخرين من أصحابه الخراسانيين.

(4) نفس المصدر السابق ص 170 عن محمد بن النضر.

(5) شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني 5/1. وابن ناجي هو قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيراواني، أبو الفضل وأبو القاسم، أخذ عن ابن عرفة والبرزلي، والغبريني. توفي سنة 837 وقيل 838 وقيل سنة بضع وثلاثين، له شرحان على المدونة كبير وصغير، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومشارق انوار القلوب، زيادات على مصالح الإيمان ... ترجم له: السخاوي في الضوء اللامع 137/11 رقم 447, ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية ص 244-245 رقم 878، ورضا كحالة في معجم المؤلفين 110/8.

(6) رواه مالك في الموطإ كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء رقم 32 وكتاب الحج، باب جامع الحج. رقم 246. عن طلحة بن عبيد الله بن كريزان. والترمذي في كتاب الدعوات، أحاديث شتى. باب في دعاء يوم عرفة. رقم: 3596 عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده. قال الترمذي: هذا حسن غريب من هذا الوجه.

والله تعالى علم على الذات العلية المقدسة المستحقة لكل جلال وكمال. واختلف في لفظه هل هو مشتق أو مرتجل. ذهب جمهور / النحويين وغيرهم إلى اشتقاقه، وأباه آخرون. ولا خلاف أنه أعرف المعارف كما حكاه ابن جني[1] عن سيبويه[2]، فهو اسم جامع لأسماء الله الحسنى كلها. قال القشيري: "كل اسم من أسمائه تعالى يصلح التخلق به إلا هذا الإسم، فإنه للتعلق[3] لا للتخلق"[4] . انتهى. 4 ظ مكرر

رب[5] : يحتمل أن يكون مصدرا بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء شيئا فشيئا إلى الحد الذي أراده المربي، ثم سمي به المعبود والمالك والثابت والصاحب. ومنه الربانيون سموا بذلك لتمسكهم بالرب. ووجوه تربيته تعالى لخلقه لا يحيط بها غيره، نطفة في الرحم ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما.

ويختص المحلى بأل بالله تعالى.قال القرطبي[6] : "متى دخلت[7] الألف واللام على رب اختصت بالله تعالى، لأنها للعهد، وإن حذفت صار مشتركا بين الله تعالى

(1) عثمان بن جني. أبو الفتح النحوي، أخذ عن أبي علي الفارسي، وعنه الثمانيني وعبد السلام البصري، وأبو الحسن السمسمي. توفي سنة 392هـ. ومن مصنفاته: الخصائص في النحو، وسر الصناعة شرح تصريف المازني، شرح المقصور والممدود ... ترجم له البغدادي في تاريخ بغداد 311/11 رقم 611، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 207/4، والسيوطي في بغية الوعاة 132/2 رقم 1625، وابن النديم في الفهرست ص 95.

(2) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر ويقال أبو الحسن، وسيبويه لقب. أخذ عن الخليل وأبي الخطاب الأخفش. اختلف في تاريخ وفاته. قيل سنة 149، وقيل 161، وقيل 177، وقيل 180, قال الذهبي: وهو أصح، وقيل 188، وقيل 194. ترجم له البغدادي في تاريخ بغداد 195/12-199، رقم 6658. وياقوت في معجم الأدباء 114/16-127، وابن خلكان في وفيات الأعيان 463/3-465 رقم 504، والذهبي في سير أعلام النبلاء 351/8-352 رقم 97, وابن كثير في البداية والنهاية 176/10-177، والسيوطي في بغية الوعاة 229/2-230 رقم 1863.

(3) في د: دون.

(4) وقفت على هذا الكلام عند ابن عطاء الله في لطائف المنن ص 137 عن أبي الحسن الشاذلي.

(5) في د: بزيادة الواو قبل رب.

(6) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي. سمع من أبي العباس القرطبي وحدث عن أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري توفي سنة 671هـ، من مصنفاته "جامع أحكام القرآن" "شرح الأسماء الحسنى" "التذكرة"، ترجم له ابن فرحون في الديباج 308/2-309، والسيوطي في طبقات المفسرين ص 28-29 رقم 88، والداودي في طبقات المفسرين 65/2-66 رقم 434، وابن العماد في شذرات الذهب 355/5، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 197 رقم 666.

(7) في ب: دخلنا. وفي د: أدخلنا.

وبين عباده"[1] انتهى. وهو خلاف قول البيضاوي[2] : "ولا يطلق على غيره إلا مقيدا، كقوله: ارجع إلى ربك"[3] .

العالمين: من ألفاظ جمع السلامة، وهو جمع عالم بالفتح، وأل فيه للاستغراق، واختلف في العالمين، فقيل جميع المخلوقات، وقيل عبارة عمن يعقل، وهم أربع: اسم الإنس والجن والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم. وقيل هم ثمانون ألف عالم، نصفها في البر، ونصفها في البحر. وقال الضحاك[4] : ثلاثمائة وستون، ثلاثمائة حفاة عراة لا يعرفون خالقهم، وستون عالما يلبسون الثياب. "وقال ابن المسيب[5]: لله عز وجل ألف عالم ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر. وقال وهب[6] : "ثمانية عشر ألف

(1) تفسير القرطبي، 96/1.

(2) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، ناصر الدين أبو الخير البيضاوي. توفي 691 وقيل 685. من مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، والمنهاج في أصول الفقه، ترجم له السبكي في طبقاته 158-157/8 رقم 1153، وابن كثير في البداية والنهاية 309/13، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية 173-172/2 رقم 469، والسيوطي في بغية الوعاة 51-50/2 رقم 1406، والداودي في طبقات المفسرين 242/1 رقم 230.

(3) تفسير البيضاوي. 26/1.

(4) الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الهلالي، وقيل أبو محمد الخراساني، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وعطاء، وعنه جويبر بن سعيد والحسن بن يحيى البصري. وقيل لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة، وقال العجلي: ثقة وليس بتابعي. توفي 102هـ، وقيل 105 وقيل 106هـ قال ابن عدي: عرف بالتفسير. ترجم له: ابن سعد في الطبقات 304-302/6 رقم 2371. والبخاري في التاريخ الكبير 281-280/4 رقم 5914، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 459-458/4 رقم 2024، وابن حجر في تهذيب التهذيب 82-80/4 رقم 3058.

(5) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المدني، أبو محمد. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، تابعي، سمع سعد بن أبي وقاص وأبا هريرة، ودخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهن، توفي سنة إحدى وقيل اثنتين، وقيل ثلاث، وقيل أربع، وقيل خمس وتسعين للهجرة. وقيل سنة 105هـ. ترجم له ابن سعد في طبقاته 109-89/5 رقم 683، وخليفة في الطبقات ص 244، وابن خلكان في وفيات الأعيان 375/2 رقم 262، والذهبي في تذكرة الحفاظ 54/1 رقم 38، وابن حجر في تهذيب التهذيب 372/3 رقم 2470.

(6) وهب بن منبه بن كامل، أبو عبد الله الصنعاني. تابعي روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وأخيه همام ... وروى عنه عمرو بن دينار والمغيرة بن حكيم ... واختلف في تاريخ وفاته قيل سنة 110 وقيل بعدها بسنة وقيل بأكثر، وذكر البخاري والذهبي أن وفاته كانت 114هـ. ترجم له ابن سعد في الطبقات 71-70/6 رقم 1755، وخليفة في الطبقات ص 287، والبخاري في التاريخ الكبير 53-52/8 رقم 11903، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 34/9 رقم 110، والذهبي في تذكرة الحفاظ 78-77/1 رقم 93، وابن كثير في البداية والنهاية 302-276/9.

عالم، الدنيا عالم منها"[1]. وقال أبي[2]: العالمون الملائكة وهم ثمانية عشر ألف ملك، منهم أربعة آلاف وخمسمائة بالمشرق، وأربعة آلاف وخمسمائة بالمغرب، وأربعة آلاف وخمسمائة[3] بالكنف الثالث من الدنيا، وأربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الرابع من الدنيا، مع كل ملك من الأعوان، ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

وفي رواية: ثم أرض بيضاء كالرخام عرضها مسيرة الشمس أربعين يوما، وطولها لا يعلمه إلا الله، مملوءة ملائكة من ذوي التسبيح والتهليل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته، منتهاهم إلى حملة العرش. وقيل: العالمين: بنو آدم فقط، وقيل: الجن والإنس. "وقال كعب الأحبار[4]: لا يحصي عددهم إلا اله، قال تعالى: ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾[5] قاله البغوي[6] (*).

---

(1) معالم التنزيل في التفسير والتأويل للبغوي: 27/1.

(2) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد، أبو المنذر وأبو الطفيل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد العقبة وبدرا... روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن خباب. اختلف في وفاته قيل سنة 22 وقيل 30، في خلافة عثمان قال أبو نعيم: وهو الصحيح، وقيل 29 وقيل 19 وقيل 20 وقيل 32، قال ابن عبد البر: والأكثر أنه مات في خلافة عمر. ترجم له: ابن سعد في طبقاته 378/3-381 رقم 174، وابن عبد البر في الاستيعاب 7065/1 رقم 6، وابن الأثير في أسد الغابة 168/1-171 رقم 34، وابن حجر في الإصابة 180/1-182 رقم 32.

(3) في ج، د: بزيادة ملك.

(4) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا، وعن عمر وصهيب وعائشة. وعنه ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة ومعاوية. توفي في خلافة عثمان سنة 32. وقيل سنة 4. أسلم في عهد عمر. ترجم له ابن سعد في الطبقات 309/7-310 رقم 3828. والبخاري في التاريخ الكبير 108/7 رقم 1030. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 161/7 رقم 906. والذهبي في تذكرة الحفاظ 42/1 رقم 33. وابن حجر في تهذيب التهذيب 578/6-580 رقم 5842.

(5) المدثر / 31 جزء آية.

(6) معالم التنزيل في التفسير والتأويل: 27/1.
والبغوي هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر. تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد المروروذي. وسمع منه ومن أبي عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي ويعقوب الصيرفي. وحدث عنه أبو منصور محمد بن أسعد العطاري، وأبو الفتوح محمد بن محمد الطائي. توفي سنة 516هـ. من مصنفاته: معالم التنزيل، والمصابيح، وكتاب التهذيب في المذهب، والأربعين حديثا. ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ 37/4-38 رقم 1062. وفي سير أعلام النبلاء 439/19 رقم 258. والسيوطي في طبقات المفسرين ص 12-13 رقم 35. وابن العماد في شذرات الذهب 48/4.

(*) وذكر ابن كثير في تفسيره: "العالمين كل موجود سوى الله عز وجل ... قال الزجاج: العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة، قال القرطبي: وهذا هو الصحيح، أنه شامل لكل العالمين، كقوله =

قيوم: وزنه فيعول من القيام وفيه أربع لغات، قيوم، وبالهمز وقيم، وقيام. واختلف في معناه، فقيل القائم بتدبير خلقه، وقيل القائم على / كل نفس بما 5 و كسبت، وقيل الدائم الوجود الذي لا يحول ولا يزول، والعالم بالأشياء. وقال القشيري: "معناه الدائم القائم[1] بتدبير خلقه وحفظهم"[2] وهو أحسن الأقوال. فمعنى القيوم في وصفه تعالى أنه المدبر والمتولي لجميع الأمور التي تجري في العالم، والحافظ لها. ومعنى قيوم السماوات والأرضين مقيمهما وموجدهما وحافظهما.

السماوات: جمع سماء، وهي الجرم المعهود، وتطلق على كل مرتفع، وقدمها لشرفها وعلو مكانها، وجمعها لتباين[3] أجناسها. قال القشيري: "الأولى موج مكفوف، والثانية من نحاس، والثالثة من فضة، والرابعة من ذهب، والخامسة من ياقوت، والسادسة من زمرد، والسابعة من نور، والعرش من جوهرة خضراء، والكرسي من نورس وإن شئت جمعها قلت في ذلك:

نحاس [أو فضة أو من ذهب][4] ... ياقوت أو زمرد نور حبي[5]
والعرش من جوهرة خضراء ... والكرسي نور ليس كالسماء

والأرضين: بفتح الراء، وقد تسكن، جمع أرض شذوذا مؤنثة، وحقها أرضة، إلا أنه لم يقل. وجمعت جمع العقلاء جبرا لنقصها لعدم ظهور علامة التأنيث فيها، وجمعها رعيا للفواصل ولأنه لم يظهر لنا من الأرضين السبعة إلا التي نمشي عليها، بخلاف السماوات لما يظهر من القمر والنجوم. وللإشعار بأن الأصح أنهن سبع،

﴿قال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم مومنين﴾ "الدخان 22-23" 1/43-44. وهو تفسير حسن لأنه من الأسلم عدم الخوض في مثل هذه الأمور التي لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل.

(1) ساقطة من ب، ج.

(2) لطائف الإشارات 1/196. إلا أنه قال: "المتولي لأمور عباده، القائم بكل حركة، والمحوي لكل عين وأثر". وشرح أسماء الله الحسنى للقشسري أيضا. ميكروفيلم رقم 74. بخزانة القرويين.

(3) في د: لتغاير.

(4) في ب: أو من فضة أو ذهب. في ج: أو من فضة أو من ذهب.

(5) يقال حبوت للخمسين دنوت لها، وكل دان فهو حاب. والحبي السحاب الذي يعترض اعتراض الجبل قبل أن يطبق السماء، والحبا مثل العصا مثله، ويقال سمي به لدنوه من الأرض. الصحاح مادة حبا 6/2307-2308، ولسان العرب، مادة حبا 14/160-162.

قال تعالى: ﴿**ومن الأرض مثلهن**﴾[1] أي في العدد لا في الهيئة والشكل، فهي سبع طباق بين كل طبقتين كما بين السماء والأرض، ففي الحديث: "من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة"[2] ، (وفي)[3] الحديث : "اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن"[4]. وأفردت في القرآن لاتحاد جنسها أو لثقل جمعها لفظا. وخصهما بالذكر لأن المقر والمنكر يعترف بهما، قال تعالى: ﴿**ولئن سألتهم**﴾[5]الآية.

والحكمة في خلقها بدون عمد وقبل الأرض ليعلم أن فعله خلاف أفعال الخلق، لأنه خلق أولا السقف ثم الأساس ورفعها[6] على غير عمد ليدل على قدرته. وأبوابها سبعة: باب المطر، وباب الرزق (وباب التدبير، وباب تنزل منه الملائكة والروح، وباب صعود الأعمال)[7]، وباب تنزل منه الملائكة بالبشارة، وباب الرحمة. وكانت خضراء لتكون أوفى للبصر، وأصل الخضرة من الصخرة[8] التي تحت الأرض السابعة تحت النون، قال تعالى: ﴿**فتكن في صخرة، أو في السماوات أو في الأرض / [يات بها الله]**[9]﴾[10]. 5 ظ

(1) الطلاق/12 ،وتمام الآية: ﴿الله خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾.

(2) رواه أحمد في المسند 187/1 رقم 1628 عن سعيد بن زيد و64/6 رقم 2487 عن عائشة، والدارمي في كتاب البيوع، باب من أخذ شبرا من الأرض، رقم 2648 عن سعيد بن زيد كذلك. والبخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين عن أبي سلمة رقم 3195. وفي كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، عن سعيد بن زيد رقم 2452، وعن عائشة رقم 2453، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها عن عائشة رقم 1612 ورواه الجميع من غير لفظ "يوم القيامة" إلا الإمام أحمد في روايته عن عائشة.

(3) ما بين قوسين فيه بياض في ب.

(4) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب 90، رقم 3534، قال أبو عيسى: "ليس إسناده بالقوي".

(5) لقمان/24، وتمام الآية: "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون".

(6) في ج: رفعهما، وهو خطأ.

(7) الجملة ما بين قوسين ساقطة من ب.

(8) في ج: الصخرة.

(9) الجملة ما بين معقوفتين ساقطة من الأصل أ. ومن ج، مثبتة في ب، د.

(10) لقمان/15 : وتمام الآية: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يات بها الله، إن الله لطيف خبير﴾.

والأرض العليا أفضل مما تحتها لدفن الأنبياء بها، وهي مهبط الوحي. وهل الأفضل السماء الدنيا لقوله تعالى: ﴿**ولقد زينا السماء الدنيا**﴾[1] أو العليا كما جاء عن ابن عباس.

مدبر أمور الخلائق: جمع خليقة بمعنى مخلوقة، أو مصرف أمور الخلق بقدرته على وفق مشيئته من إيجاد وإعدام وإعطاء ومنع وغير ذلك، على ما تقتضيه حكمته البالغة. وجمع الخلائق ليعلم أن التدبير لله في العالم العلوي والسفلي من أعلى العرش إلى ما تحت الفرش، لا يشغله شان عن شان، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض. والتدبير في صفات البشر التفكر في عواقب الأمور، ولا يوصف جل وعلا بذلك، فإنه لم يزل عالما بها قبل وقوعها.

أجمعين: أتى به للسجع، أو للتنصيص على شمول تدبيره سبحانه لكل مخلوق.

باعث: أي مرسل لطفا منه[2]، وفضلا لا وجوبا، خلافا للمعتزلة[3]، ويكون بمعنى النشر والإحياء، و[4] الإيقاظ من النوم والإنهاض، يقال بعث فلان بعيره فانبعث.

الرسل: جمع رسول من البشر، إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، وإن لم يكن له كتاب ولا نسخ، فإن لم يؤمر فنبي. والرسول أفضل من النبي إجماعا، لأن الرسالة

---

(1) الملك/5: وتمام الآية: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾.

(2) في ج: منه لطفا.

(3) قال الشيخ حسين عبد الرحيم مكي في كتابه: توضيح العقيدة المفيد في علم التوحيد لشرح الخريدة لأحمد الدردير ص 44/43 "قال ناظم الخريدة:

إرسالهم تفضل ورحمة للعالمين جل مولى النعمة

مشيرا إلى ما ذهب إليه أهل السنة من أن إرسال الرسل جائز في حقه تعالى وليس بواجب ولا بمستحيل، لأن الله فاعل مختار، والمختار لذاته لا يجب ولا يستحيل عليه شيء من أفعاله. وذهب المعتزلة إلى أن ارسال الرسل واجب عليه تعالى، لأن فيه صلاحا للبشر، وفعل الصلاح واجب عليه تعالى، فإرسال الرسل واجب. وذهب الفلاسفة إلا أن ارسال الرسل ناشئ عن الله بطريق الإيجاب والتعليل من غير أن يكون تعالى مختارا فيه، وبنوا هذا على قاعدة التعليل أو الطبع فيقولون: ... يلزم من وجود العالم وجود من يصلحه ... ويرد عليه بأنه ثبت أن الله مختار لذاته، والمختار لذاته لا وجوب ولا إيجاب لشيء من أفعاله، وأن القول بوجوب فعل الصلاح والاصلح على الله والقول بالتعليل أو الطبع قد قامت الأدلة على بطلانهما".

(4) في ج من بدل الواو وهو خطأ.

تثمر هداية الأمة، والنبوءة قاصرة على النبي كنسبة العالم إلى العابد[1]. ولما كانت الصلاة على الأنبياء مطلوبة لقوله صلى الله عليه وسلم: "صلوا على النبيئين[2] إذا ذكرتموهم فإنهم بعثوا كما بعثت"[3] قال:

صلاته: أي رحمته المقرونة بتعظيم، ويخص لفظها بهم تعظيما لهم وتمييزا لرتبتهم على غيرهم، وفي بعض النسخ صلواته.

وسلامه: اسم مصدر بمعنى التسليم، أي تحيته، أو تسليمه إياهم من كل آفة ونقيصة.

عليهم: كلمة على هنا مجردة عن[4] المضرة، كما في قوله تعالى: ﴿**فتوكل على الله**﴾[5].

إلى: متعلق بباعث.

المكلفين: جمع مكلف، مشتق من الكلفة لتحمل الأوامر والنواهي، وهو العاقل البالغ من الإنس والجن (إذ هو مرسل إليهم إجماعا، وكذا من الملائكة)[6] بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم لأنه مرسل إليهم على الأصح لخبر مسلم: "وبعثت إلى الخلق كافة"[7].

ومعنى إرساله لهم[8] وهم معصومون، أنهم كلفوا بتعظيمه والإيمان به، وإشادة ذكره. وللجمادات أنه ركب فيها إدراكات لترضى به وتخضع له، ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾[9]. أي حقيقة بلسان المقال.

---

(1) وهذا الكلام فيه نظر. قال الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص 22 ..." ولعل الأقرب أن الرسول من بعث بشرع جديد والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى، كما لا يخفى".

(2) في د. الأنبياء.

(3) أورده السيوطي في الجامع الصغير، ص 45، وضعفه، ونسبه للشاشي وابن عساكر عن وائل بن حجر.

(4) في ج. على.

(5) آل عمران/159. وتمام الآية: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾.

(6) الجملة ما بين قوسين ساقطة من د.

(7) رواه مسلم. كتاب المساجد، رقم 5 عن أبي هريرة. إلا أنه بلفظ "وأرسلت" بدل "بعثت".

(8) في ج: إليهم.

(9) الإسراء/44: وتمام الآية: ﴿يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، إنه كان حليما غفورا﴾.

لهدايتهم: اللام لبيان حكمة الإرسال وغايته لا للعلة الباعثة عليه، لأن أفعاله تعالى لا تعلل[1] بالأغراض. والهداية مصدر مضاف للفاعل أو للمفعول، / أي لأجل 6 و
إرشادهم ودلالتهم إياه على سلوك سبل الهدى، وتجنب طريق الردى، والحق أنها تطلق[2] بمعنى التوصيل وبمعنى الإرشاد، فهي الدلالة[3] على طريق توصل إلى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء أولا. وفي المثل: أهدى من الإنسان إلى فيه، وأهدى من يد إلى فم، أو أهدى من قطاة، و[4] أهدى من حمامة.

وبيان: أي تبيين وتعليم.

شرائع: جمع شريعة، بمعنى مفعولة. واصطلاحا: ما شرعه الله لعباده[5] من الأحكام، من شرع بمعنى بين وسن.

الدين: هو لغة، الطاعة والجزاء، والحساب والتوحيد، والعادة والعمل، والسياسة والحال، والعهد والخضوع. والإضافة في شرائع بيانية[6] ؛ لأن ما شرعه الله من الأحكام هو الدين. وفي إثبات الشرائع للدين استعارة تخييلية[7] .

بالدلائل: جمع دليل، يتعلق بباعث أو بيان، وهو لغة ما يستدل به، ويوصل إلى المطلوب. وعند الأصوليين المرشد، وهو على قسمين: نقلي وعقلي.

ثم وصف الدلائل بقوله: **القطعية**؛ أي المقطوع بها لأنها على أيدي الرسل.

وواضحات البراهين: عطف على الدلائل من إضافة الصفة للموصوف. والمفرد برهان؛ الحجة وإيضاحها. والمراد معجزاتهم الدالة على صدقهم، وكلها قطعية.

---

(1) في ج: إذ أفعاله تعالى لا تتعلل.
(2) ساقطة من ج.
(3) في ج، د: الدالة.
(4) في ب: أو بدل الواو. في د بزيادة: أو أهدى، فتكون أو أهدى وأهدى.
(5) ساقطة من د.
(6) في ج: بيانه وهو خطأ.
(7) الاستعارة التمثيلية هي أن تسمى باسم صورة متحققة صورة وهمية محضة تقدرها مشابهة لها، مفردا في الذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الإسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا. وذلك مثل أن تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة. انظر مفتاح العلوم للسكاكي ص 376، 377.

قال عياض[1] : "اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثله"[2] . انتهى.

أحمده: أي أصفه بجميع صفاته الجميلة حسبما مر الكلام عليه، وأتى بالجملة الفعلية بعد الإسمية تلذذا بالثناء على رب الأرباب.

على جميع نعمه: جمع نعمة بالكسر، بمعنى المنعم به، وقيل: بمعنى الإنعام، وهو الأصح. لأن الحمد على الأنعام الذي هو من أوصاف المنعم أبلغ[3] منه على أثره الواصل إلينا، ونعمه سبحانه لا تحصى . قال تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾[4]. فلا نعمة إلا لله[5]، ودوامها بالشكر. وأول نعمة أنعم الله بها على العبد المومن من النعم الدنيوية، الحياة التي يتوصل بها إلى إدراك اللذة التي لا يعقبها ضرر لأجلها، لأن النعمة هي المنفعة الخالية من الضرر.

وهل لله على كافر نعمة في الدنيا، وهو ما للباقلاني[6] والرازي، أو لا، وإليه نحا الأشعري[7]. قال في الحكم: "نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولابد لكل مكون

---

(1) القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى عياض اليحصبي. الإمام المالكي. توفي 544هـ. من مصنفاته: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، والتنبيهات المستنبطة على كتب المدونة، الشفا، مشارق الأنوار ... ترجم له ابن بشكوال في الصلة 453/2-454 رقم: 974، وابن خلكان في وفيات الأعيان 483/3-485 رقم 511، وابن فرحون في الديباج المذهب 46/2-51، واحمد بن قنفذ في شرف الطالب 356/1، وابن القاضي في جذوة الاقتباس 498/2، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 140-141 رقم 411.

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى 194/1.

(3) ساقطة من ب.

(4) ابراهيم/36 : وتمام الآية: ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الإنسان لظلوم كفار﴾.

(5) في ب: من الله.

(6) في د: الباقلاني وهو الصواب. في بقية النسخ الباقلاني
القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق. توفي سنة 403هـ، من مصنفاته: الإبانة في علم الكلام، والإرشاد في أصول الفقه ... ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان 269/4 رقم 608، وابن فرحون في الديباج 799/2، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 92 رقم 209.

(7) أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن أبي سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. وإليه تنسب الطائفة الأشعرية. توفي سنة 330هـ وذكر القاضي عياض أنه توفي 334، قال: قرأته في أحد أصول الشيخ أبي العباس الداني – وأراه =

منهما، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد. أنعم عليك أولا بالإيجاد، وثانيا بتوالي الإمداد"[1]. وأعظم النعم الدنيوية الإيمان، وأعظم النعم الأخروية مشاهدة الذات العلية في جنة عالية، قطوفها دانية.

وأسأله: من السؤال، أي أطلبه.

المزيد: أي مزيد نعمه، فأل عوض عن مضاف إليه.

من فضله: أي إحسانه، وهو لغة ضد النقص. واصطلاحا: العطاء عن اختيار لا عن إيجاب، خلافا للحكماء، ولا عن / وجوب خلافا للمعتزلة. فمن للتعدية 6 ظ
ويصح أن تكون تعليلية.

وكرمه: فيه الوجهان المذكوران، وهو بذل الكثير لا لعلة، وضده اللؤم. ويطلق الكرم بمعنى إيثار الصفح عن الجاني.

وأشهد: أي أعلم، وأتحقق، وأذعن وأقر وأعترف. روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء". أخرجه أبو داوود في سننه، والبزار، وأبو نعيم، والبيهقي[2]. والحديث عام وإن حمل على خطبة النكاح[3] والجمعة.

أن لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق موجود أو في الوجود إلا الله؛ بالرفع على البدلية من الضمير المستتر في الخبر. وقيل على البدلية من لا إله، لأن محل لامع إسمها رفع بالابتداء، ويجوز نصبه على الاستثناء.

=بخطه أو بخط أبي عبد الله الحميدي. من مصنفاته: اللمع، وإيضاح البرهان، والتبيين عن أصول الدين وغيرها. وذكر القاضي عياض أنه كان شافعيا، ونقل عن محمد بن موسى بن عمران أنه مالكي. ترجم له القاضي عياض في ترتيب المدارك 5/24-30، وابن خلكان في وفيات الأعيان 3/284 رقم 429، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 3/347-444 رقم 222 وابن فرحون في الديباج 2/94، وابن العماد في شذرات الذهب 2/303.

(1) الحكم لابن عطاء الله الإسكندري، ص 122.

(2) رواه أحمد في المسند 2/343 رقم 8499. وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الخطبة، رقم 4841. والترمذي في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، رقم 1108، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح غريب". والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجمعة، باب ما يستدل به على وجوب التحميد في خطبة الجمعة 3/209 والحديث ورد عن أبي هريرة.

(3) في ج: أو.

الواحد: في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد نطق القرآن بالواحد[1] والأحد، فقيل: لا فرق بينهما. ومن الناس من يفرق بينهما؛ فقال: الواحدة راجعة إلى الذات والأحدية راجعة إلى الصفات. ومنهم من عكس. ومنهم من قال: الواحد راجع إلى نفي المثل والأحدية[2] إلى نفي الجزء. ومنهم من عكس.

القهار: من القهر لأنه ما من موجود إلا وهو مقهور تحت قدرته، والذي قهر الجبابرة. قال تعالى: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿**الواحد القهار**﴾[4].

واختلف أهل الحق في معناه، هل هو من صفات الذات أو من صفات الفعل. فقال قوم بالأول مبالغة من الظاهر، وقال آخرون بالثاني. ومعناه الجبار الذي يحصل مراده من خلقه شاءوا أم أبوا، رضوا أم كرهوا.

الكريم: ذو الجود وقيل: العالي[5] الرتب، ومنه كرائم المواشي، فهو سبحانه المنعم المتفضل المعطي من غير مسألة ولا وسيلة، أو المتجاوز الذي يقبل العثرات، ويضاعف الحسنات، أو الذي يعطي ولا يكون عطاءه بالمن والأذى.

الغفار: من الغفر وهو ستر الشيء وتغطيته، أي ستار القبائح والذنوب بإسبال الستر عليها في الدنيا، وترك المؤاخذة بها[6]، فهو الذي يظهر الجميل ويستر القبيح ويزيل العقوبة عن مستحقها.

وأشهد: أي أتحقق.

أن محمدا: علم منقول، أسماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله تعالى، أو[7] تفاءلا كما جاء عنه. وهو أبلغ من محمود لأنه من المضعف. قال حسان:

---

(1) الواو ساقطة من ج.
(2) في د: بزيادة راجعة.
(3) الأنعام/19: وتمام الآية: ﴿وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير﴾.
(4) يوسف/39: وتمام الآية: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ وهي جزء من عدة آيات أخرى.
(5) في ج، بزيادة ذو.
(6) ساقطة من ب.
(7) في د: الواو بدل أو.

(فشـــق له من اسمـــه ليجلـه[1] فذو العرش محمود وهذا[2] محمد)[3]

عبده: قدمه امتثالا لقوله في الحديث: "ولكن قولوا عبد الله ورسوله"[4]، ولأن العبودية أشرف أوصافه عليه السلام، وليس للمومن صفة أتم ولا أشرف[5] من العبودية.

وقد خيره الله بين أن يكون / نبيا ملكا، أو نبيا عبدا، فاختار الثاني. 7 و

ورسوله: فعول بمعنى مفعول، والإضافة فيه وفيما قبله للتشريف.

وحبيبه: أي محبوبه الأعظم.

وخليله: إما[6] من الخلة بالفتح، وهي الحاجة، لانقطاعه إلى ربه، وقصر حاجته عليها[7]، ولذا وصف بها إبراهيم عليه السلام، أو من الخلة بالضم، وهي صفاء المودة وتخللها في القلب، فلا تدع فيه محلا إلا ملأته، وهي توجب الاختصاص[8] بالأسرار. أو من الخلة بالكسر وهي نبت تستحليه الإبل. والثاني هو المختار. وهل درجة المحبة أرفع أو الخلة ثالثها هما سواء.

أفضل المخلوقين: كلهم الإنس والجن والملائكة، حتى أمين الوحي، قال عليه السلام: "أنا أكرم الأولين والآخرين على الله"[9] وفي رواية:

---

(1) في ج: ليجعله وهو خطأ.

(2) في ج: وهو.

(3) انظر شرح ديوان حسان بن ثابت للبرقوقي. ص131 إلا أنه أورده بلفظ: وشق بدل فشق، وقال في شرحه: قوله: فذو العرش محمود، بيان لقوله: وشق له من اسمه. وهذا البيت ليس من قول حسان، وإنما هو لأبي طالب ضمنه حسان شعره، واصل البيت شق له دون واو على أن فيه خرما أي حذف حرف من أوله وهو الواو.

(4) رواه الدارمي في السنن في كتاب الرقاق، باب في قول النبي "لا تطروني" رقم 1832. والبخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم ...﴾ رقم 3445 عن عمر.

(5) في ب: أشرف ولا أتم، وفي ج: أتم وأشرف.

(6) في ج: أي.

(7) في ب، د: عليه.

(8) في ب: الاختصار. وهو خطأ.

(9) رواه الدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي صلى الله عليه وسلم من الفضل رقم 48. والترمذي في كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم رقم 3636. قال أبو عيسى: "هذا حديث غريب" وهو من رواية ابن عباس.

"أكرمكم[1] على ربي"[2]، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على ذلك.

نبينا أفضل بالإطباق من كل مخلوق على الإطلاق

المكرم: على غيره من سائر الرسل.

بالقرآن: العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه[3]، المتعبد بتلاوته. مصدر قرأ. إذا جمع لجمعه السور، وعلوم الأولين والآخرين، وقيل مصدر قرا إذا الف لحسن نظمه وتأليفه.

العزيز: من عز الشيء يعز بالكسر، إذا لم يكن له نظير. فهذا[4] البالغ في العزة والعظمة الغاية التي لا ترتقى. أو بمعنى الغالب؛ من عز يعز بالضم إذا غلب، أو بمعنى المنيع، والعزة المنعة. ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمومنين**﴾[5].

المعجزة: اسم فاعل مأخوذ من العجز المقابل للقدرة، وهي من حيث هي، أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة.

المستمرة: أي الدائمة، وفي بعض النسخ: [المستمر، وصفا له باعتبار لفظه][6].

على تعاقب: أي توالي.

السنين: تشهد بصدق دعواه، وترشد إلى الإيمان به في كل زمن، ومن قبله من الأنبياء انقضت معجزته بانقضاء زمانه.

---

(1) في ب: بزيادة أنا.

(2) رواه الدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي صلى الله عليه وسلم من الفضل، رقم 49. والترمذي في كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم رقم 3630 عن أنس لكن بلفظ "أنا أكرم ولد آدم على ربي" قال أبو عيسى: "حسن غريب".

(3) منه ساقطة من ب و ج. في ب: سورة بدون باء.

(4) في ب، ج: فهو

(5) المنافقون/8 : "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولله العزة ولرسوله وللمومنين، ولكن المنافقين لا يعلمون".

(6) الجملة ما بين معقوفتين ساقطة من الأصل أ، ومن ب، و ج.

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيئين إذ جاءت ولم تدم.

وفي البخاري: "ما من نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي"[1].

والمكرم بالسنن: جمع سنة، وهي لغة الطريق. وعرفا: أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله، والمراد ما سنه[2] وشرعه من الأحكام فرضا كان أو نفلا.

المستنيرة: أي ذات النور إلا أنها لا تظهر كل الظهور.

للمسترشدين: جمع مسترشد، وهو طالب الرشاد ضد الغي.

المخصوص /: من بين الأنبياء. 7 ظ

بجوامع الكلم: أي الكلم الجوامع. في الصحيحين: "بعثت بجوامع الكلم"[3]، الواحدة: جامعة[4]. والمراد أنه يجمع في القليل من كلامه ما يغني عن الكثير من كلام غيره.

وسماحة الدين: لقوله عليه الصلاة والسلام: "بعثت بالحنيفية السمحاء"[5]، أي الملة الإبراهيمية السهلة، لخلوها عن التكاليف الشاقة.

لم يمتحن بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

صلوات الله وسلامه عليه: أعاد الصلاة عليه إظهارا لعظمته وأداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم، إذ هو الواسطة بين الله وبين العباد، وجميع النعم الواصلة

---

(1) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن. باب كيف نزل الوحي، رقم 4981. وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم زبعثت بجوامع الكلمس رقم 7274. ورواه كذلك أحمد في المسند 2/341 رقم 8472. ومسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، رقم 239 عن أبي هريرة.

(2) في ب، ج: بينه.

(3) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر. رقم: 2977. كتاب التعبير. باب المفاتيح في اليد، رقم 7274. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قول النبي بعثت بجوامع الكلم. رقم: 4727. ورواه مسلم. كتاب المساجد رقم 5 والنسائي. كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم 2892. والحديث من رواية أبي هريرة.

(4) في أ، ب: الواحد جامعه.

(5) رواه احمد في مسنده، 5/266. رقم 22647. عن أبي أمامة الباهلي.

إليهم ببركته صلى الله عليه وسلم، وعلى يديه. والجمع بين الصلاة والسلام هو الأولى والأكمل والأفضل، ويجوز الاقتصار على أحدهما من غير كراهة.

وحكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، الوجوب مرة في العمر كالحمد وكلمتي الشهادة.

وعلى سائر: أي باقي.

النبيئين: جمع نبيء بالهمز من النبأ، وهو الخبر.

والمرسلين وعلى آل: (أصله، أهل)[1].

كل: أي كل واحد من النبيئين.

وآله: أتباعه، هذا الذي اختاره الإمام مالك، ورجحه المصنف.

وسائر الصالحين: وهم القائمون بحقوق الله، وحقوق العباد.

أما بعد: أي بعد البسملة والحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وأما: حرف شرط وتوكيد دائما، وتفصيل غالبا. وبعد: ظرف مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظا لا معنى.

فقد روينا: من روى يروي، إذا نقل.

عن علي: كرم الله وجهه، أول من أسلم من الصبيان وله سبع سنين، أو ثمان، أو تسع، وشهد[2] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها. توفي يوم الجمعة سنة أربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادي وله ثلاث وستون سنة. ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر[3].

---

(1) ما بين قوسين ساقط من ج.

(2) في ج: بزيادة: وعشر، كلمة شهد ساقطة.

(3) اختلف في سن علي يوم أسلم، وفي سنه يوم وفاته، فورد في ذلك عدة أقوال، قال الحافظ ابن عبد البر: عن ابن عمر أنه أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة "قال "هذا أصح ما قيل في ذلك" ترجم له ابن سعد في الطبقات 3/13-29 رقم 3 و6/91-92 رقم 1823، وابن عبد البر في الاستيعاب 3/1089-1133 رقم 1855 وابن الأثير في أسد الغابة، 4/87-117 رقم 3789، وابن حجر في الإصابة 4/464-468 رقم 5704.

ابن أبي طالب: اسمه عبد مناف بن عبد المطلب.

وعبد الله بن مسعود: الهذلي، صاحب السواك والطهور والنعلين. توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين، ودفن بالبقيع، وهو ابن بضع (وستين)[1]. أو سبعين سنة[2].

(**ومعاذ بن جبل**: الأنصاري، مات في طاعون عمواس بالأردن سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[3])[4].

وأبي الدرداء: عويمر الأنصاري الخزرجي. كان فقيها عابدا زاهدا. توفي بدمشق سنة اثنين وثلاثين[5].

(**وعبد الله بن عمر بن الخطاب**: توفي بمكة سنة ثلاث أو أربع وسبعين. كان ألزم الناس متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أفعاله وآدابه[6])[7]. / 8 و

وعبد الله بن عباس: ترجمان القرآن، وجوهرة الأمة، وعالمها. توفي بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة[8].

---

(1) وستين: ساقطة من الأصل: أ.

(2) ترجم له: ابن سعد في طبقاته 3/111–911 رقم 41 و6/93 رقم 1826، وابن عبد البر في الاستيعاب 3/987-994 رقم 1659، وابن الأثير في أسد الغابة 3/381-387 رقم 3182، وابن حجر في الإصابة 4/198-201 رقم 4970.

(3) اختلف في سن معاذ عند وفاته فقيل 34، وقيل 38 وقيل 28. قال ابن الأثير: وهو بعيد. ترجم له ابن سعد في طبقاته 3/437-443 رقم 302 و7/271-273 رقم 3695، وابن عبد البر في الاستيعاب 3/1402-1407 رقم 2416، وابن الأثير في أسد الغابة 5/187-190 رقم 4960، وابن حجر في الإصابة 6/107-109 رقم 8055.

(4) الجملة ما بين قوسين ساقطة من ج.

(5) وقيل سنة إحدى وثلاثين. ترجم له: ابن سعد في طبقاته 7/274-276 رقم 3697، وابن عبد البر في الاستيعاب 3/1227/1230 رقم 2006، و4/1646-1648 رقم 2940، وابن الأثير في أسد الغابة، 4/306-307 رقم 4142، وابن حجر في الإصابة 4/621-622 رقم 6132.

(6) قال ابن عبد البر: مات بمكة سنة ثلاث وسبعين لا يختلفون في ذلك. بعد قتل الزبير بثلاثة أشهر أو نحوها، وقيل بستة أشهر. ترجم له: ابن سعد في طبقاته 4/105-142 رقم 402، وابن عبد البر في الاستيعاب 3/950-953 رقم 1612، وابن الأثير في أسد الغابة 3/336-341، رقم 3082، وابن حجر في الإصابة 4/155-161 رقم 4852.

(7) الجملة ما بين قوسين ساقطة من ج.

(8) اختلف في عمره حين وفاته فقيل 70 وقيل 71 وقيل 74. كما اختلف في سنة وفاته قيل 65. وقيل 67 وقيل 68. قال ابن حجر: وهو الصحيح في قول الجمهور. قيل سنة 70 وقيل 73 قال ابن الأثير: وهذا=

وأبي حمزة أنس بن مالك: الأنصاري خديم المصطفى صلى الله عليه وسلم. مات بالبصرة بعد أن عمر أكثر من مائة سنة. توفي سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث وتسعين[1].

وأبي هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي. توفي سنة تسع وخمسين، وله ثمان وستون[2] سنة[3].

وأبي سعيد الخدري: الأنصاري، مات سنة أربع وسبعين وله أربع وستون سنة[4].

من طرق كثيرات بروايات متنوعات، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **من حفظ**: أي نقل وإن لم يحفظ اللفظ، ولا عرف المعنى، إذ به يحصل انتفاع المسلمين.

على أمتي: تطلق الأمة على معان ثمانية يجمعها قولنا:

جماعة وتابعوا الرسل ومن ... للخير جامع ودين والزمن.
وقامة منفرد زد أمه ... تلك معان كلها للأمه

والمراد هنا أمة الإجابة.

أربعين حديثا: نصب على التمييز. وخص هذا العدد، لأنه أقل عدد له ربع عشر صحيح. قال بشر الحافي[5]: يا أهل الحديث، اعملوا من كل أربعين حديثا بحديث، لأن العمل به لا يخرج باقيها عن العمل به.

= القول غريب. ترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب 3/933-939. رقم 1588. وابن الأثير في أسد الغابة 3/291-295 رقم 3037. وابن حجر في الإصابة 4/121-131 رقم 4799.

(1) ترجم له: ابن سعد في الطبقات الكبرى 19127 ترجمة رقم 2837. وخليفة بن خياط في الطبقات ص 91. وابن عبد البر في الاستيعاب 1/109-11' رقم 84. وابن الأثير في أسد الغابة 1/294-297 ترجمة رقم 258. وابن حجر في الإصابة 1/275-278 ترجمة رقم: 442: ومما ذكر في تاريخ وفاته أيضا ما نقله ابن حجر عن ابن شاهين أنه توفي سنة تسعين.

(2) في د: وثمانون.

(3) اختلف في وفاته فقيل 57. وقيل 58. وقيل 59. وكان عمره 78 سنة، قال ابن حجر: "والمعتمد في وفاة أبي هريرة قول هشام بن عروة" يعني 57هـ. ترجم له ابن سعد في الطبقات 4/242-254 رقم 520. وابن عبد البر في الاستيعاب 4/1768-1772 رقم 3208. وابن الأثير في أسد الغابة 6/313-316 رقم 6326. وابن حجر في الإصابة 7/348-362 رقم 10680.

(4) اختلف في وفاته فقيل 74 وقيل 63 وقيل 65. ترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب 4/1671-1672 رقم 2997. وابن الأثير في أسد الغابة 2/451-452 رقم 2036. وابن حجر في الإصابة 653 رقم 3204.

(5) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن عبد الله الحافي، أبو نصر صحب الفضيل بن عياض، وسمع من حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وروى عن سري السقطي ونعيم بن =

من أمر دينها: أي من شأنه، لا من أمر الدنيا، فلا يكون بهذه المثابة.

بعثه الله يوم القيامة في زمرة: أي جماعة.

الفقهاء: العارفين بالفروع الفقهية.

والعلماء[1]: أعم مما قبله لشمول المفسرين والمحدثين والفقهاء.

وفي رواية في الحلية، بعثه الله فقيها عالما[2]: بين بهذه الرواية المراد من الأولى، لأن البعث في زمرة العلماء[3] لا يستلزم أن يكون منهم.

وفي رواية أبي الدرداء، **وكنت له يوم**: المراد به القطعة من الزمان.

القيامة: مصدر قام، والتاء للمبالغة، سميت بذلك لقيام الخلق من قبورهم.

شافعا: أي سائلا له التجاوز عن الذنوب والجرائم.

وشهيدا[4].

وفي رواية ابن مسعود، قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت[5].

=الهيضم، وعنه حماد بن زيد وأحمد بن حنبل. أسند الحديث، توفي سنة 227هـ، ترجم له: ابن سعد في الطبقات الكبرى 246/7، رقم 3523. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 356/2 رقم 1354. والسلمي في طبقات الصوفية، ص: 24–15 رقم: 4. والبغدادي في تاريخ بغداد، 67/7-80، رقم 3517. وابن حجر في تهذيب التهذيب 465/1-466، رقم: 724.

(1) والحديث بهذا اللفظ رواه الحافظ ابن عبد البر في كتابه: "جامع بيان العلم وفضله": 52/1 عن معاذ بن جبل أيضا؛ إلا أنه قال: "من تعلم أربعين حديثا من أمر دينه بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء". والحسن بن محمد البكري في كتاب الأربعين بسنده إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه ص 33/32.

(2) لم أقف على هذه الرواية في الحلية، والذي وقفت عليه رواية ابن مسعود الآتية الذكر. والحديث بهذا اللفظ رواه البيهقي في الأربعين الصغرى المخرجة في أحوال العباد ص 13، ولم يعزه إلى أحد من الرواة. وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 51/1-52 من رواية أنس وأبي هريرة. والبكري في الأربعين بسنده إلى علي بن أبي طالب ص 29.

(3) في ج: الأنبياء وهو خطأ.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان 270/2 رقم 1726، باب في طلب العلم. والبكري في الأربعين ص 36 بسنده إلى أبي الدرداء.

(5) رواه أبو نعيم في الحلية 189/4 في ترجمة زر بن حبيش، وقال عقبه: حديث غريب من حديث أبي بكر عاصم لم نكتبه إلا بهذا الإسناد، ورواه البكري في الأربعين ص 37.

وفي رواية ابن عمر، كتب في زمرة العلماء، ولاشك في مغايرة هذه الرواية للتي قبلها.

وحشر في زمرة الشهداء[1]: جمع شهيد، وهو قتيل المعترك، وسمي به لأن الله وملائكته يشهدون له يوم القيامة، أو لشهادة الدم له.

واتفق الحفاظ على أنه: أي الحديث المذكور.

حديث ضعيف: وليس بموضوع.

وقد صنف العلماء رضي الله تعالى عنهم في هذا الباب مالا يحصى من / المصنفات: أي ولي بهم أسوة. 8 ظ

فأول من صنف فيه، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك[2]: الحنظلي التميمي. أحد الأئمة الأعلام، وكان ثقة عالما متثبتا. ولد سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: سنة ثمان. وتوفي منصرفا من الجهاد سنة إحدى وثمانين ومائة، وله ثلاث وستون سنة. وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان.

ثم محمد بن أسلم الطوسي[3]: نسبة لقرية من قرى بخارى.

العالم الرباني: نسبة[4] إلى الرب بزيادة ألف ونون للدلالة على كمال الصفة، وهي شدة التمسك بدين الله وطاعته. قال ابن خزيمة: هو رباني هذه الأمة، لم ترعيني مثله. توفي سنة اثنين وأربعين ومائتين.

ثم الحسن بن سفيان النسوي[5]: نسبة إلى نسا. توفي سنة ثلاث وثلاثمائة.

---

(1) رواه البكري في الأربعين ص 34 بسنده إلى عبد الله بن عمر.

(2) سمع سليمان التيمي وعاصم الأحول وحميد الطويل والربيع بن أنس وغيرهم. روى له الجماعة. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 109/5 رقم 6749، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 179/5-181 رقم 838، والذهبي في تذكرة الحفاظ 204/1 رقم 260 وفي سير أعلام النبلاء 378/8-421 رقم 112، وابن حجر في تهذيب التهذيب 457/4-460 رقم 3662، والمزي في تهذيب الكمال 258/4-262 رقم 3508 وابن العماد في شذرات الذهب 295/1-297.

(3) سمع يعلى بن عبيد وجعفر بن عون ويزيد بن هارون وحدث عنه ابن خزيمة وابن أبي داوود ... له المسند والأربعون. ترجم له: ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 201/7 رقم 1129، والذهبي في تذكرة الحفاظ 88/2 رقم 550 وابن العماد في شذرات الذهب 100/2-101.

(4) في ج: نسب.

(5) روى عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وسمع السنن من أبي ثور الفقيه وتفقه به وكان يفتي بمذهبه، حدث عنه ابن خزيمة ويحيى بن منصور القاضي. له المسند والأربعون. ترجم له ابن أبي=

وأبو بكر الآجري[1]: توفي سنة ستين وثلاثمائة.

وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني[2]: توفي بأصبهان، بلدة من بلاد فارس سنة ست وستين وأربعمائة.

وأبو الحسن علي بن أحمد الدارقطني[3]، نسبة إلى دار القطن، محلة كبيرة ببغداد، قال الحاكم: كان أوحد عصره في الفهم والحفظ. ولد سنة خمس وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثمانين.

والحاكم: محمد بن عبد الله الضبي[4] النيسابوري صاحب المستدرك[5]. ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وتوفي وهو مؤتزر، ولم يلبس قميصه سنة خمس وأربعمائة.

= حاتم في الجرح والتعديل 163 رقم 60، والذهبي في تذكرة الحفاظ 2/197-198 رقم 724، وفي سير أعلام النبلاء 14/157 رقم 92، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 3/263-264 رقم 170 وابن كثير في البداية والنهاية: 11/124-125. وابن حجر في لسان الميزان 2/211 رقم 934 إلا أنه قال الفسوي وذكر وفاته سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة 353هـ.

(1) هو محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، سمع أبا مسلم الكجي وأبا شعيب الحراني وجعفر الفريابي، وروى عنه عبد الرحمن بن عمر بن النحاس وأبو نعيم الحافظ. كان شافعي المذهب، صنف كتاب الشريعة في السنة والأربعين وغيرها. ترجم له البغدادي في تاريخ بغداد 2/243 رقم 707. والذهبي في تذكرة الحفاظ 3/99 رقم 888. والصفدي في الوافي بالوفيات 2/373-374 رقم 845. والسيوطي في طبقات الحفاظ 379 رقم 856.

(2) أبو بكر محمد بن علي الأصبهاني المستملي العطار، سمع من أبي عمر الهاشمي، وعلي بن القاسم النجاد. روى عنه سعيد بن أبي الرجاء. والحسين بن عبد الملك الخلال، ترجم له: البغدادي في تاريخ بغداد، 1/417، رقم 420. والذهبي في تذكرة الحفاظ 3/234-235 رقم 1020. والصفدي في الوافي بالوفيات 1/355 رقم 249. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 985. وابن العماد في شذرات الذهب 3253.

(3) في تذكرة الحفاظ للذهبي: "علي بن عمر بن أحمد، وذكر ولادته سنة ست وثلاثمائة". سمع البغوي وابن أبي داود ... وحدث عنه الحاكم وأبو حامد الأسفراييني وأبو ذر الهروي وأبو نعيم الاصبهاني. له من المصنفات السنن والعلل والأفراد والمعرفة بمذاهب الفقهاء ... كان شافعي المذهب. ترجم له: البغدادي في تاريخ بغداد 12/34-40 رقم 6404، وابن خلكان في وفيات الأعيان 3/297-299 رقم 434. والذهبي في تذكرة الحفاظ 3/132-134 رقم 925. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 4/173. والسيوطي في طبقات الحفاظ 393-395 رقم 893.

(4) ساقطة من ج.

(5) هو أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع، تفقه على أبي علي بن أبي هريرة وأبي سهل الصعلوكي ... له من المصنفات "معرفة علوم الحديث" والمستدرك على الصحيحين، وتاريخ النيسابوريين وكتاب مزكي الأخبار والمدخل إلى علم الصحيح ... كان شيعي المذهب كما ذكر ابن حجر في =

وأبو نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني[1] . صنف الحلية. ولد سنة ست[2] وثلاثين وثلاثمائة (وتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة.

وأبو عبد الرحمن: محمد بن الحسين أستاذ القشيري السلمي[3]. نسبة إلى سليم قبيلة مشهورة[4]، توفي سنة ثنتي عشرة[5] وأربعمائة.

وأبو سعيد: صوابه أبو شيبة محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الماليني[6]. نسبة إلى مالين[7] قرى مجتمعة من أعمال هراة. توفي سنة ثنتي عشرة[8] وأربعمائة.

=لسان الميزان. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان 280/4 رقم 615. والذهبي في تذكرة الحفاظ 1039/3 رقم 962. والصفدي في الوافي بالوفيات 320/3 وابن حجر في لسان الميزان 29/5 رقم 813.

(1) سمع من أبي القاسم الطبراني وأبي بكر الآجري، وروى عنه أبو سعد الماليني، والحافظ أبو بكر محمد بن ابراهيم العطار. من مصنفاته: حلية الأولياء. ومعرفة الصحابة. ترجم له: الذهبي في تذكرة الحفاظ 195/3-198 رقم : 399. والصفدي في الوافي بالوفيات 81/7-84 رقم 3024، والسيوطي في طبقات الحفاظ ص 423 رقم 958. وابن العماد في شذرات الذهب 245/3.

(2) في ج: ستة.

(3) سمع من جده لأمه اسماعيل بن نجيد، ومن أبيه، وأبي عبد الصفار وأبي العباس الأصم. وحدث عنه القشيري وأبو سعيد بن رامش وأبو بكر البيهقي. من مصنفاته "حقائق التفسير" وكان شافعي المذهب. ترجم له البغدادي في تاريخ بغداد 248/2-249 رقم 717. والذهبي في تذكرة الحفاظ 166/3-167 رقم 963 وفي سير أعلام النبلاء 247/17-255 رقم 152. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 143/4-147 رقم 320. وابن حجر في لسان الميزان 140/5-141 رقم 466 وغيرهم.

(4) العبارة ما بين قوسين ساقطة من ج.

(5) في ج: اثني عشر.

(6) الذي وقفت عليه في ترجمته: أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص الأنصاري الهروي الماليني، إلا أن السيوطي في طبقات الحفاظ قال: أبو سعيد أحمد ... حدث عن عبد الله بن عدي وأبي بكر القطيعي والحسن بن رشيق المصري، وعنه الحافظ عبد الغني وأبو بكر البيهقي ... له كتاب أربعين الصوفية. كان شافعي المذهب. ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ 181/3 رقم 977. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 255/4-256. والسيوطي في طبقات الحفاظ 417 رقم 943. وابن العماد في شذرات الذهب 1953.

(7) بكسر اللام وياء مثناة من تحت ساكنة، كورة ذات قرى مجتمعة على فرسخين من هراة، وأهل هراة يقولون مالان وإليها ينسب أبو سعد أحمد بن محمد بن احمد بن عبد الله الأنصاري الماليني الصوفي. معجم البلدان لياقوت 44/17.

(8) في ج. عشر.

وأبو عثمان الصابوني[1]: نسبة إلى عمله.

وعبد الله بن محمد الأنصاري[2]: توفي بهراة[3] سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وأبو بكر البيهقي[4]: نسبة إلى بيهق[5] قرية بناحية نيسابور، على عشرين فرسخا منها. ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين.

وقد استخرت الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام: "ما خاب من استخار. ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد"[6]**، لتعود بركتها على هذا التأليف**[7]. **وحديثها مشهور في**

---

(1) هو شيخ الإسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني حدث عن أبي سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وأبي طاهر بن خزيمة وأبي الحسين الخفاف، وعنه الكتاني والبيهقي ... توفي سنة 449هـ من مصنفاته الفصول في الأصول، وذكر له الذهبي مصنفا في السنة واعتقاد السلف. كان شافعي المذهب. ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء 18/40-44 رقم 17، وفي العبر 2/294 والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 4/271-292 رقم 366، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 5/63. والسيوطي في طبقات المفسرين 7 رقم 32 وابن العماد في شذرات الذهب 3/282-283.

(2) عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، سمع من أحمد بن علي بن منجويه الحافظ، وأبي سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدث عنه المؤتمن الساجي، وابن طاهر المقدسي. من مصنفاته: الأربعون، وذم الكلام وأهله، ومنازل السائرين. ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ: 3/249-253رقم 1028، والسيوطي في طبقات الحفاظ ص 440-441 رقم 993، وابن العماد في شذرات الذهب 3/365.

(3) هراة بالفتح، مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، وهراة أيضا مدينة بفارس قرب إصطخر. معجم البلدان لياقوت 20/396.

(4) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الإمام أبو بكر البيهقي. من كبار أصحاب أبي عبد الله الحاكم، أخذ مذهب الشافعي عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، والذي وقفت عليه أنه ولد في شعبان سنة 384. سمع الكثير من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي وهو من أكبر شيوخه. من مصنفاته: مناقب الشافعي، والمدخل إلى السنن الكبير، والسنن الصغير، والآثار، ودلائل النبوة، وشعب الإيمان. ترجم له السمعاني في الانساب 2/381 وابن خلكان في وفيات الأعيان 1/75 رقم 28، والذهبي في سير أعلام النبلاء 18/163 رقم 86، وفي تذكرة الحفاظ 3/1132 رقم 1014، والصفدي في الوافي بالوفيات 6/354 رقم 2856، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 8 رقم 250.

(5) بيهق بالفتح، أصلها بالفارسية بيهه يعني بهاءين ومعناه بالفارسية الأجود، ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، تشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوين. معجم البلدان لياقوت 4/537.

(6) رواه الطبراني في المعجم الصغير 2/78، وذكره محمد بن طولون الصالحي في الشذرة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة 2/107 رقم 819.

(7) في ج: المصنف.

جميع[1] أربعين حديثا اقتداء بهؤلاء / الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام. وقد اتفق العلماء على 9 و
جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: أي وأما في الأحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح والحسن.

فليس اعتمادي على هذا الحديث فقط، بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة: "ليبلغ الشاهد السامع ما أقول منكم الغائب"[2]، ففيه تحريض على التعليم والتعلم. وقوله: "نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها. فأداها كما سمعها"[3]، دعا له صلى الله عليه وسلم بالنضرة، التي هي الحسن والرونق والبهجة والسرور. لأنه سعي في نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه بذلك. وأيضا فإن من حفظ ما سمعه وأداه كما سمعه من غير تغيير كأنه جعل المعنى غضا طريا، وفي الحديث: "من أدى إلى أمتي حديثا واحدا يقيم به سنة أو يرد به بدعة فله الجنة"[4].

ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين: المراد بها الإلهيات والنبويات والحشر والنشر.

وبعضهم في الفروع: أي المسائل الفقهية.

---

(1) في ج: جمع.

(2) رواه أحمد في المسند 39/5 رقم 20678. والبخاري في كتاب العلم، باب قول النبي "رب مبلغ أوعى من سامع"، رقم 67. وباب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم 104. وفي كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم 1741، وكتاب المغازي، باب حجة الوداع، رقم 4406. وفي كتاب الأضاحي، باب من قال الأضحى يوم النحر، رقم 5550. وفي كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا ترجعوا بعدي كفارا" رقم 7078. وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناظرة﴾ رقم 7447. ومسلم في كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم 1679. وابن ماجة في المقدمة، باب من بلغ علما رقم 233. والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في حرمة مكة رقم 809. والنسائي في كتاب المناسك، تحريم القتال في الحرمة رقم 2694. والحديث ورد عن أبي بكرة وأبي شريح العدوي مع اختلاف في بعض لفظه.

(3) رواه أحمد في المسند 80/4 رقم 16859. والدارمي في المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء رقم 234. وأبو داود في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم 3660. وابن ماجة في المقدمة، باب من بلغ علما، رقم 236. وفي كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النصر، رقم 3056. والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم 2667. والحديث ورد عن أنس وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت ومطعم مع اختلاف في بعض لفظه.

(4) رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس، 44/10، إلا أنه قال: "أو يلثم به بدعة ...".

وبعضهم في الجهاد: أي فضله.

وبعضهم في الزهد: يعني فضله.

وبعضهم في الآداب : أي ما يحمد قولا وفعلا . والأدب طبيعي كالكرم والشجاعة، وكسبي كمعرفة نحو ولغة وكتاب[1] وسنة، وصوفي وهو ضبط الحواس ومراعاة الأنفاس، وشرعي وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات.

وبعضهم في الخطب، التي كان يخطب بها صلى الله عليه وسلم في نحو جمعة وعيد واستسقاء وكسوف وتعزية. والخطب كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة، مشتقة من الخطب؛ لأنهم كانوا إذا ألم بهم خطب له ليجتمعوا فيحتالوا في دفعه.

وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها. وقد رأيت: من الرأي. **جمع أربعين أهم من هذا كله، وهي أربعون حديثا مشتملة على ذلك** أي على جميع[2] أصول الشريعة وفروعها، والجهاد والزهد والأدب، وزيادة حديثين عليها لا يضر لأن مفهوم العدد لا يفيد حصرا، ولأن ذكر القليل لا ينفي الكثير، وهذا ما كان عزم عليه ثم عند[3] فراغها عن[4] له زيادة الحديثين الأخيرين منها.

وكل حديث منها قاعدة من قواعد الدين: القاعدة لغة الأساس. واصطلاحا، أمر كلي يتعرف منه أحكام جزئيات، والمراد هنا[5] العمدة والأصل التي[6] ترجع إليه الأحكام أو كثير منها. **قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه**: كحديث "الحلال بين" و"الدين النصيحة". أو هو نصف الإسلام أو ثلثه، كحديث "إنما الأعمال بالنيات"[7] **أو نحو ذلك.**

---

(1) في ب: وكتاب ولغة.

(2) في ج: جمع.

(3) في ب، د: بعد.

(4) في ج: عرض. وهي بمعنى عن، يقال عن لي كذا يعن ويعن عننا أي عرض واعترض. الصحاح مادة عنن، 2166/6.

(5) في ج: منها.

(6) في ب، ج: الذي.

(7) سيأتي تخريج هذه الأحاديث في محلها من الشرح.

9 ظ **ثم ألتزم / في هذه الأربعين أن تكون صحيحة**: أي غير ضعيفة، فيدخل الحسن. **ومعظمها**: أي غالبها، في **صحيحي البخاري**: هو الإمام فخر الأمة وزين الأئمة، صاحب أصح الكتب بعد القرآن، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة بن باذذبة الجعفي مولاهم البخاري نسبة لبخارى، أعظم مدن ما وراء النهر، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام. تفقه (في الدين)[1] على الحميدي وغيره، وكتب عن[2] أحمد زهاء ألف حديث، وعدة شيوخه الذين روى عنهم في الجامع الصحيح مائتان وتسعة[3]وثمانون. قال مولانا الوالد رحمه الله ونفعنا به:

فعن ثمـانين وألف قد روى وذا الصحيح ظفـر منهم حوى.

وكتب عنه المحدثون[4] وما في وجهه شعرة، وكان يحضر مجلسه زهاء عشرين ألفا، وسمع منه الصحيح نحو تسعين ألفا. وقال إنه ألفه من زهاء ستمائة ألف[5]، وما وضع فيه حديثا إلا بعد أن اغتسل وصلى ركعتين[6]. وصنفه في ستة عشر سنة[7]. قال الفربري[8]: "سمعت النجم بن فضيل، وكان من أهل المعرفة والفضل يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وخلفه محمد بن إسماعيل، فكلما خطا النبي صلى الله عليه وسلم خطوة، خطا محمد بن إسماعيل خطوة النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع قدمه على قدم النبي صلى الله عليه وسلم"[9].

---

(1) جملة "في الدين" ساقطة من ب و د.

(2) في ج: على: وهو خطأ.

(3) في ج: تسع.

(4) في ب: عند المحدثين.

(5) قال أبو علي الغساني "روي عنه أنه قال: خرجت الصحيح من ستمائة ألف حديث". هدي الساري لابن حجر العسقلاني ص 7.

(6) "عن محمد بن يوسف الفربري: قال البخاري: ما كتبت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين" نفس المصدر السابق ص 7.

(7) نفس المصدر السابق ص 676.

(8) بفتح الفاء والراء وسكون الباء الموحدة وبعدها راء أخرى، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري، راوية كتاب الجامع الصحيح، روى عنه أبو زيد محمد بن أحمد القاشاني، وأبو الهيثم الكشميهني، ولد 231 وتوفي 320هـ. ترجم له السمعاني في الأنساب 9/260-261 وابن الجزري في اللباب في تهذيب الأنساب 2/418، والزركلي في الاعلام 7/148.

(9) هدي الساري: ص 677.

وأخباره ومناقبه شهيره أفردها الناس بالتأليف، وكتابه مجرب في تفريج الكرب، لم يزل الناس يقصدونه في الشدائد فتظهر بركته. وروى عنه مسلم في غير الصحيح وكان يقول: "دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين ويا طبيب الحديث في علله"[1]. ولد سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ست[2]. وخمس ومائتين. ودفن بخرتنك، قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها. ولما دفن فاح من تراب قبره رائحة المسك، واستمرت أياما كثيرة.

"وقال أبو زيد المروزي: كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي، فقلت: يا رسول الله، وما كتابك ؟ قال: جامع محمد بن اسماعيل البخاري"[3].

ومن شعره رضي الله عنه:

"اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه السليمة فلته"[4]. / 10 و

وذيلها سيدنا الوالد رحمه الله ونفعنا به بقوله:

وسل العفو من إلاه كريم لم تزل صفة الكرامة نعته[5]

وأبو الحسين[6] **مسلم القشيري النيسابوري** أحد أئمة المسلمين وحفاظ المحدثين ومتقني المصنفين . أثنى عليه غير واحد من المتقدمين، وفضله بعضهم على البخاري، وقال: إنه أصح. والأصح أنه يليه في الصحة، وكل منهما تلقاه الأئمة بالقبول[7]. توفي رحمه الله عشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من

(1) نفس المصدر السابق ص 676.
(2) في ج: ستة.
(3) هدي الساري ص 677.
(4) نفس المصدر السابق ص668، إلا أنه قال: "الصحيحة" بدل "السليمة"
(5) انظر هذا البيت للتاودي بن سودة في شرحه للأربعين النووية، طبعة حجرية، ص 36.
(6) في ب، ج، د: أبو الحسن. والذي في الأصل أ هو الصواب
(7) قال الإمام النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم: 1/20-21 "اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث. وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري=

رجب عام واحد وستين ومائتين، وهو ابن خمس وخمسين سنة. ذكر الحاكم أن سبب موته أنه ذكر له حديث فلم يعرفه، فأوقد السراج وقال لمن بداره: لا يدخل منكم أحد، فقالوا: أهديت لنا سلة ثمر وقدموها، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة فأصبح ميتا وقد فنى التمر ووجد الحديث.

ونيسابور[1] التي نسب إليها أحسن مدن خراسان[2]. وقشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين.

وأذكرها محذوفة الأسانيد: جمع إسناد، وهي حكاية طريق المتن. **ليسهل حفظها** فيكثر حفاظها، والانتفاع بها كما قال[3]. **ويعم الانتفاع بها** إن شاء الله تعالى، **ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها**: من إضافة الصفة للموصوف.

وينبغي لكل راغب في ثواب الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات، واحتوت: أي جمعت، **من التنبيه**: أبي الايقاظ والتفهيم، **على جميع الطاعات، وذلك ظاهر لمن تدبره**: التدبر التفكر. **وعلى الله**: لا على غيره، **اعتمادي**: في هذا التأليف وغيره، **وإليه**: لا إلى غيره، **تفويضي**: التفويض إلى الله هو رد الأمر كله إليه، **واستنادي**: أي التجائي في كل شيء أحاوله. **وله**: دون غيره، **الحمد**: ملكا واستحقاقا واختصاصا، **والنعمة**: إيجاد أو إيصالا إلى خلق بسائر أنواعها كما مر. **وبيده**: أي قدرته، **التوفيق**: "أي التيسير للخلق للخير"[4] عند المتكلمين خلق القدرة على الطاعة، وضد الخذلان، وهو خلق القدرة على المعصية. **والعصمة**: هي عند أهل السنة أن لا يخلق الله في العبد ذنبا، وعند الحكماء ملكة تمنع الفجور؛ أي "كيفية يخلقها"[5] الله تمنع الفجور، وقال

= هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الاتقان ... وقال أبو علي الحسين بن علي النيسابوري الحافظ شيخ الحاكم أبي عبد الله بن البيع: كتاب مسلم أصح، ووافقه بعض شيوخ المغرب والصحيح الأول".

(1) نيسابور بفتح أوله، والعامة يسمونه نشاوور. معجم البلدان لياقوت 19/331-333.

(2) خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، تشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو ... معجم البلدان لياقوت 7/350.

(3) في ج، قيل، وهو خطأ.

(4) في ب، د: هو التيسير للخير.

(5) في ج: كيفيته فيخلقها. والصواب الذي في الأصل وباقي النسخ.

الأبي[6]: هي عدم خلق القدرة على المعصية، ويجوز الدعاء بها مقيدة هـ. والظاهر جواز سؤالها مطلقا / لأنها في حق غير الأنبياء جائزة، وسؤال الجائز جائز والله أعلم. 10 ظ

(6) أبو عبد الله، محمد بن خليفة الوشتاني، الشهير بالأبي، وذكر الشوكاني أنه محمد بن خلفة بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام وبعدها فاء، وعند صاحب الشجرة محمد بن خلف. أخذ عن ابن عرفة، وعنه ابن ناجي وأبو حفص القلشاني وغيرهم. اختلف في وفاته قيل 823، وقيل 827، وقيل 828. ترجم له ابن القاضي في درة الحجال 285/2 رقم 804. والشوكاني في البدر الطالع 169/2. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 244 رقم 874.

الحديث الأول

قال الفشني: «الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على الخواطر إذا اختلجت، الذي لا يغرب عن علمه مثقال ذرة في السماء والأرض تحركت أو سكنت، المحاسب على النقير والقطمير[1] والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت، المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت، المتطول[2] بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسماوات، وهو إلى العبد أقرب من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد. ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي رقت رتبته في سماء نبوته، وأسرعت الخوارق إلى جنابه[3] حين دعاها لإظهار معجزته، ودعا الناس إلى الله فاستجابت الخلائق لدعوته وتوافقت القلوب على صدق محبته، والتذ الخلق بسماع حديثه وأخباره الواردة عنه في غيبته شوقا إلى رؤيته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين بدوام ملته.

وبعد: فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[4].

قوله: «**عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما الأعمال بالنيات، وفي رواية: بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، وفي رواية: ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

---

(1) القطمير الفوفة التي في النواة، وهي القشرة الرقيقة، ويقال هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة. الصحاح، مادة قطمر، 797/2.

(2) في ج: المتطاول.

(3) في ج: جانبه.

(4) المجالس السنية: ص 1.

رواه إماما[1] المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري، ومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة»[2].

صدر المصنف رحمه الله بهذا الحديث كالبخاري، لأن السلف الصالح كانوا يستحبون تقديمه أمام كل شيء يبتدأ من أمور الدين، لعموم الحاجة إليه وتنبيه الطالب على مزيد / الاعتناء والاهتمام بحسن النية والإخلاص بالأعمال، فإنه 11 و
روحها الذي به قوامها، وبفقده تصير هباء منثورا. وقد تواتر النقل عن الأئمة بتعظيم هذا الحديث، وكثرة فوائده، وأنه أصل عظيم من أصول الدين، ومن ثم خطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجرا[3]، وخطب به عمر أيضا على منبره صلى الله عليه وسلم، كما في البخاري[4].

ولذلك قال أبو سعيد: "ليس في الأحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه"[5]. ومن ثم قال بعضهم: إنه نصف العلم، ووجهه أن أجل[6] أعمال القلب والطاعة

---

(1) في ب: إمام.

(2) رواه أحمد في المسند 25/1 رقم 168 والبخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي رقم 1، كتاب الإيمان باب ما جاء في أن الأعمال بالنية. رقم 54، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله وأصحابه إلى المدينة رقم 3898، كتاب النكاح، باب ما هاجر أو عمل خيرا اتزويج امرأة فله ما نوى، رقم 5070، كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان رقم 6689، كتاب الحيل، باب في ترك الحيل وأن لكل امرئ ما نوى، رقم 6953، كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق رقم 2529، ومسلم في كتاب الإمارة، باب "إنما الأعمال بالنية" رقم 1907، وأبو داود في كتاب الطلاق، باب ما عنى به الطلاق والنيات رقم 2201، وابن ماجة في كتاب الزهد، باب النية، رقم 4227. والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا رقم 1653، والنسائي في كتاب الطهارة، باب النية في الوضوء، رقم 73، وفي كتاب الطلاق باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه، رقم 3215، وفي كتاب الأيمان، باب النية في اليمين رقم 3552.

(3) حكاه المهلب كما ذكره ابن حجر في الفتح، ثم قال عقبه: "أما كونه كان في ابتداء قدومه إلى المدينة فلم أر ما يدل عليه، ولعل قائله استنند إلى ما روي في قصة مهاجر أم قيس ... وهذا لو صح لم يستلزم البداءة بذكره أول الهجرة النبوية" 17/1-16.

(4) كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي حديث رقم 1، عن محمد بن ابراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث.

(5) وقفت على هذا الكلام عند ابن حجر في الفتح 17/1 إلا أنه نسبه لأبي عبد الله.

(6) في د: أصل.

المتعلقة به وعليه مدارها، فهو قاعدة الدين، ومن ثم كان أصلا في الإخلاص أيضا، وأعمال القلب تقابل أعمال الجوارح، بل كلها أجل وأفضل، بل هي الأصل، فكان نصفا، بل أعظم النصفين.

وقيل لأن النية عبودية القلب، والعمل عبودية القالب، أو لأن الدين (إما ظاهر وهو العمل وباطن وهو النية)[1]. وقال آخرون: إنه ثلث العلم لأن الأحكام تدور عليه وعلى حديث "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" و"الحلال بين والحرام بين"[2]. ووجه كونه ثلثا بأن كسب العبد إما بقلبه وإما بلسانه أو[3] بجوارحه، فالنية أحدها وأرجحها.

وقال الفشني «مدار الإسلام على حديث "إنما الأعمال بالنيات" وحديث "من حسن إسلام المرء"[4] وحديث "الحلال بين"[5] ..الخ. وحديث "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" وحديث "من حسن إسلام المرء"، فكل واحد منهما ربع الإسلام.

وقال بعضهم: لو صنفت مائة كتاب لابتدأت في أول كل كتاب بهذا الحديث "إنما الأعمال بالنيات". وهو حديث عظيم كان السلف الصالح يحبون افتتاحهم به تنبيها للطالب عن حسن النية، واهتمامه بذلك ولأنه من أجل أعمال القلوب والطاعة المتعلقة بها وعليها مدارها. وقال أبو عبيدة: ليس شيء من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أجمع وأغنى وأكثر فائدة وأبلغ من هذا الحديث»[6] هـ.

وقال الشافعي: "يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه"[7]. وقد ذكره البخاري في سبعة مواضع من صحيحه[8].

---

(1) في ب: إما ظاهرا وهو العمل وإما باطنا ... وفي ج، ظاهر وهو العمل أو باطن ... بحذف إما.
(2) سيأتي تخريج هذه الأحاديث في محلها، لأنها من الأحاديث الأربعين التي يدور حولها الشرح.
(3) في ب، الواو بدل أو.
(4) في ب، بزيادة: تركه. والجملة: "حديث: من حسن إسلام المرء" ذكرت مرتين في جميع النسخ، وهي غير مثبتة عند الفشني في هذا الموضع.
(5) في ب بزيادة: والحرام.
(6) المجالس السنية: ص 4.
(7) ذكره ابن حجر في فتح الباري 17/1. وقال عقبه "ويحتمل أن يريد بهذا العدد المبالغة".
(8) انظر تخريج الحديث ص 140.

[ثم اعلم أن هذا الحديث مع جلالته وعظم شأنه غريب، تفرد به علقمة[1] عن عمر، والتيمي[2] عن علقمة، ويحيى[3] عن التيمي، ثم اشتهر عن يحيى حتى تواتر. قال أبو[4] إسماعيل: "كتبته عن سبعمائة من أصحاب يحيى"[5].

قال ابن الصلاح[6]: ومقتضى تعريف الحاكم للشاذ أن هذا منه، وهو مشكل. والصواب قول الشافعي: ليس الشاذ أن يروي ما لا يروي غيره، إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثا يخالف ما رواه الناس[7].

(1) علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة العتواري المدني الليثي، حدث عن عمر وعائشة، وابن عباس، وعنه محمد بن ابراهيم التيمي والزهري ... توفي بالمدينة في خلافة عبد الملك بن مروان، ذكر الذهبي أن وفاته بعد الثمانين. ترجم له ابن سعد في الطبقات 5/44-45 رقم 632، وابن عبد البر في الاستيعاب 3/1088 رقم 1852، وابن الأثير في أسد الغابة 4/85 رقم 3783، والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/43 رقم 35، وابن حجر في الإصابة 5/52 رقم 6276.

(2) محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر القرشي التيمي، أبو عبد الله المدني، روى عن أبي سعيد الخدري وجابر وأنس وعائشة وعلقمة بن وقاص، وعنه ابنه موسى ويحيى وهشام بن عروة والأوزاعي. توفي 119، وقيل 120، وقيل 121. قال ابن سعد: "ثقة كثير الحديث". ترجم له: ابن سعد في الطبقات 5/324 رقم 998، والبخاري في التاريخ الكبير 1/23-24 رقم 17، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 7/184 رقم 1042، والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/93 رقم 108، وابن حجر في تهذيب التهذيب 7/6-7 رقم 5890.

(3) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري النجاري، أبو سعيد المدني القاضي. روى عن أنس، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن ابراهيم التيمي، وعنه الزهري والسفيانان، والليث بن سعد ... قال ابن سعد: "كان ثقة كثير الحديث حجة". توفي 143، وقيل 144 وقيل 146، ترجم له: ابن سعد في الطبقات 5/423-424 رقم 1239، والبخاري في التاريخ الكبير 8/155-156 رقم: 81321، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 9/147-149 رقم 620، والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/104 رقم 130، وابن حجر في تهذيب التهذيب 9/238-241 رقم 7838.

(4) ساقطة من الأصل أ.

(5) ذكره ابن حجر في فتح الباري 1/18 عن أبي اسماعيل الأنصاري الهروي، وقال عقبه: "وأنا أستبعد صحة هذا/ فقد تتبعت طرقه من الروايات المشهورة في الأجزاء المنثورة منذ طلبت الحديث إلى وقتي هذا، فما قدرت على تكميل المائة، وقد تتبعت طرق غيره فزادت على ما نقل عمن تقدم".

(6) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري. أبو عمرو. سمع من عبيد الله بن السمين، ونصر الله بن سلامة وفخر الدين ابن عساكر، وحدث عنه فخر الدين عمر الكرخي وذكر ابن خلكان أنه من أشياخه. كان شافعي المذهب، توفي سنة 643. من مصنفاته: علوم الحديث، وأدب المفتي والمستفتي، وفوائد الرحلة، وطبقات الشافعية ... ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان 3/243-244 رقم 411، والذهبي في تذكرة الحفاظ 4/149-151 رقم 1141، وفي العبر 3/646-647، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 8/326-336 رقم 1229، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 6/313، وابن العماد في شذرات الذهب 5/221.

(7) انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص 237-238 بتصرف. وتعريف الحاكم للشاذ كما ذكر ابن الصلاح: "هو الحديث الذي ينفرد به ثقة من الثقات وليس له أصل بمتابع لذلك الثقة. وذكر أنه=

فهوغريب كما قلنا لكن باعتبار أوله مشهور بالنسبة لآخره، والمشهور ملحق بالمتواتر، غير أنه يفيد[1]، العلم النظري إذا كانت طرقه متباينة سالمة من ضعف الرواية ومن التعليل. والمتواتر يفيد العلم الضروري، ولا يشترط فيه عدالة ناقله وبذلك افترقا][2].

ولنقدم بين يدي الحديث شيئا مما يتعلق بسيدنا عمر لأنه راويه. وهو عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، العدوي القرشي، يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في الأب الثامن كعب. وأمه حمنة[3] بنت هاشم / ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن 11 ظ
نيصة[4] بن مرة بن كعب. أسلم رضي الله عنه سنة ست، وقيل خمس من النبوءة بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة[5] امرأة، ولما أسلم نزل جبريل قال: "يا محمد قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر"[6] وقال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم[7]. ونزل على المصطفى ﴿**يا أيها النبيء حسبك الله، ومن اتبعك من المومنين**﴾[8] .

= يغاير المعلل من حيث أن المعلل وقف على علته الدالة على جهة الوهم فيه، والشاذ لم يوقف فيه على علته كذلك". ومن ثم قال: "فيشكل بما يتفرد به العدل الحافظ الضابط كحديث: إنما الأعمال بالنيات". وقد ذكر السراج البلقيني في محاسن الاصطلاح ص 238-239 كجواب على هذا الإشكال "أن الانفراد هنا لم يحصل فيه الشذوذ المقصود لحصول الشهرة بعد ذلك. فلا يرد على من قال: الشاذ ما ليس له إسناد واحد، وأما على طريق الحاكم فالمراد بالانفراد ما خالف الشواهد أو القواعد، وهذا غير موجود في حديث إنما الأعمال بالنيات، ولا يقال: لم ينفرد عمر رضي الله عنه بذلك، فقد رواه عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرة ... فظهر أنه –أي الحديث– لم يصح عن أحد إلا عن عمر بن الخطاب فهو من أفراد عمر على الصحيح".

(1) في ب، مفيد.

(2) الكلام ما بين معقوفتين مثبت في هامش النسخة –أ–.

(3) في د: حنتمة. وهو الذي وقفت عليه في كتب التراجم.

(4) في ب، ج، د: يقضة.

(5) في ج: عشر.

(6) رواه ابن ماجة في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم 103. وهو من رواية ابن عباس.

(7) في ب، د: اليوم منا.

(8) الأنفال/65. ونقل ابن الأثير في أسد الغابة 139/4 عن ابن عباس قال: "أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وامرأة، ثم إن عمر أسلم فصاروا أربعين فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ...". وهو ما ذكره ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية، ثم قال عقبه: "وفي هذا نظر، لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم". 344/3.

وروى شريح[1] أنه قال: "خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿**إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون**﴾[2]، قال: فقلت كاهن، فقرأ: ﴿**ولا بقول كاهن، قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين**﴾[3] الخ السورة. قال: فوقع الإسلام في قلبي"[4].

وحكمه الله في العناصر الأربعة، الريح والتراب والماء والنار. فقال: يا سارية الجبل[5]، ويا أرض اسكني، وكتب للنيل، ورد رداؤه النار كما يأتي. وأعظم من ذلك موافقته لربه في آيات من القرآن وآراء من الأحكام: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾[6] فقال عليه الصلاة والسلام: "لو نزل عذاب ما نجا منه غير عمر". وقال صلى الله عليه وسلم: "ما لقيك الشيطان سالكا فجا"[7].

(1) شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي المقرائي أبو الطيب، وأبو الصواب وأبو الصلت الحمصي، روى عن ثوبان وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وعنه صفوان بن عمرو، وضمرة بن ربيعة. قال العجلي: شامي تابعي ثقة. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 4/194-195 رقم 5512، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 4/334 رقم 1446، والمزي في تهذيب الكمال 3/380 رقم 2711 وابن حجر في تهذيب التهذيب 3/618 رقم 2852.

(2) الحاقة/40-41.

(3) الحاقة/42-43

(4) مسند أحمد 1/17 رقم 107.

(5) قصة سارية ذكرها ابن الأثير في أسد الغابة 4/153. عن ابن عمر عن أبيه، وملخصها أن عمر بن الخطاب أرسل جيشا وأمر عليهم رجلا يسمى سارية بن زنيم، فبينما عمر يخطب على المنبر جعل يصيح: يا سارية الجبل، فلما قدم رسول الجيش فسألوه ذكر أنهم كانوا قد هزموا، فإذا بصوت يشبه صوت عمر يصيح: يا سارية الجبل، فأسندوا ظهورهم بالجبل فهزم الله المشركين.

(6) الأنفال/69، وتمام الآية: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ وذكر ابن كثير في سبب نزول هذه الآية 3/345، عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الناس في الأسارى يوم بدر، فأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم، وأشار غيره بمفاداتهم، فأنزل الله تعالى ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ الآية.

(7) رواه أحمد في المسند 1/171 رقم 1472. والبخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب رقم 3683. وفي كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم 3294. وفي كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، رقم 6850. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم 2396. والحديث من رواية سعد بن أبي وقاص وتمامه: "والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجاقط،، إلا سلك فجا غير فجك".

وقال: "إن يكن في أمتي محدثون"[1]. وقال: "رأيت الناس يعرضون وعليهم قمصا"[2].

وهو أول من جمع القرآن، وأول من سن قيام رمضان، وأول من استقضي في الأمصار.

ووصفه المصنف بأمير المؤمنين كما[3] نقله في شرح مسلم عن ابن خالويه وغيره: أن كل من ملك المسلمين يقال له أمير المؤمنين، ومن ملك الروم قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، ومن ملك الترك خاقان، ومن ملك القبط فرعون، ومن ملك مصر العزيز، ومن ملك الحبشة النجاشي، ومن ملك اليمن تبع، ومن ملك حمير القبل.

وقال الفشني: «ليس من الصحابة من اسمه عمر بن الخطاب إلا هو، وهو أول من سمي بأمير المؤمنين على العموم، سماه بذلك عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق، وقيل سماه به المغيرة بن شعبة، و(قيل إنه رضي الله تعالى عنه)[4] قال للناس: أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فسمي أمير المؤمنين. وكان قبل ذلك يقال له: يا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدلوا عن تلك العبارة لطولها.

وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي حفص، والحفص الأسد. وكان سبب ذلك ما رآه فيه من الشدة. / كما رواه زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال: رأيت عمر 12 و

(1) رواه أحمد في المسند 55/6 رقم 24789. والبخاري في كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، رقم 3469. وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر رقم 3689. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل عمر، رقم 2398. والترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص، رقم 3713. والحديث من رواية أبي هريرة وعائشة، ولفظه كما ورد عند البخاري: "لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر". قال مسلم عقب روايته للحديث: قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون.

(2) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم 23. وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر رقم 3691. وفي كتاب التعبير، باب القميص في المنام، رقم 7008، وباب جر القميص في المنام، رقم 7009. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم 2390، والحديث ورد عن أبي سعيد الخدري. وتمامه: "قال صلى الله عليه وسلم: بينا أنا نائم، رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب، وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله، قال: الدين".

(3) في ب، د: لما.

(4) ما بين قوسين ساقط من ج.

رضي الله عنه يمسك أذن فرسه بإحدى يديه، ويمسك بالأخرى أذنه ثم يثب[1] حتى يقعد عليه.

وكان مولده رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشر سنة، وعاش ثلاثا وستين سنة. قال عبد الله بن مسعود: "ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه"[2]. وكان سبب إسلامه أن أخته بنت الخطاب رضي الله عنها زوجة سعيد بن زيد أحد العشرة كانت قد أسلمت هي وزوجها، فسمع عمر بذلك فقصدهما ليعاقبهما، فقرأت القرآن فأوقع الله في قلبه الإسلام فأسلم، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار عند الصفا فأظهر إسلامه، فكبر المسلمون فرحا بإسلامه ثم خرج إلى مجامع قريش فنادى بإسلامه[3].

قال عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر فتحا، وهجرته نصرا، وإمارته كانت رحمة للمسلمين[4].

ولقب بالفاروق أيضا لقول النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق فرق بين الحق والباطل"[5]. وكان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام، وبه أعز الله الإسلام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، عمر بن الخطاب أو[6] عمرو بن هشام يعني أبا جهل"[7].

---

(1) في ج: يثبت وهو خطأ.

(2) انظر أسد الغابة 144/4.

(3) انظر قصة إسلام عمر في سيرة ابن هشام 121/2-124، وأسد الغابة 140/4.

(4) أسد الغابة 144/4.

(5) رواه احمد في المسند 53/2 رقم 5145 و165/5 رقم 2189، وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تدوين العطاء رقم 2962، وابن ماجة في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 108. والترمذي في كتاب المناقب باب مناقب أبي حفص رقم 370/2. والحديث ورد عن أبي ذر وابن عمر من غير قوله: "وهو الفاروق ..." ووقفت على هذه الزيادة عند ابن سعد في طبقاته 270/3 عن أيوب بن موسى.

(6) في ب: الواو بدل أو.

(7) رواه أحمد في المسند 95/2 رقم 5696، والترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص رقم 3701. قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عمر".

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، وكان شديدا على الكافرين والمنافقين، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد كبراء الصحابة. روى[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثا، وأجمعوا على كثرة علمه ووفور فهمه، وزهده وتواضعه، ورفقه بالمسلمين وإنصافه، ووقوفه مع الحق وتعظيمه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته، ومتابعته له، واهتمامه بمصالح المسلمين، وإكرامه أهل الفضل والخير.

ومناقبه كثيرة منها: قصة سارية الجبل المشهورة، ومنها ما روي عن ابن عباس أنه قال: أتت زلزلة عظيمة في زمن عمر حتى كادت الجبال أن تقع على وجه الأرض، وذلك عقب الفصل الذي يسمونه فصل عمواس، فضرب عمر الأرض بدرته وقال لها: اسكني أنا عدل، فويل لعمر إن لم يعدل، فسكنت ولم يات بعدها مثلها. ومنها ما كتبه لنيل مصر لما كتب إليه عمرو بن العاصي أن النيل لا يزيد زيادته المعتاده إلا أن تلقى/ فيه امرأة بكر، فأمر أن يلقى فيه كتابه بدل المرأة، ومن جملة ما هو 12 ظ
مكتوب فيه: إنك إن[2] تطلع من عند الله تعالى فاطلع، وإن كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فطلع ولم يلق فيه بعد ذلك امرأة.

ومنها ما قاله ابن عباس أيضا: كانت تأتي نار كل عام إلى المدينة الشريفة، فشكى المسلمون ذلك لسيدنا عمر فقال لغلامه: خذ هذا[3] الرداء، فإذا جاءت النار فأبرده[4] في وجهك، وقل: يا نار، هذا رداء عمر بن الخطاب فهي ترجع لوقتها، فلما جاءت النار ضج المسلمون، فأخذ الغلام الرداء وخرج به إلى ظاهر المدينة وبرده على وجهه كما أمره سيده، وقال: يا نار ارجعي هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت في الحال. ولم تعد. ومناقبه لا تحصى وفضائله لا تستقصى رضي الله عنه»[5].

(1) في ج، د: وروى، بزيادة الواو.
(2) في ج: بزيادة كنت.
(3) في ج: هذه.
(4) في ج: فابردها.
(5) المجالس السنية: ص 4-5.

وأول كلام تكلم به بعد خلافته حين صعد المنبر، قال: "اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخني"[1].

قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم[2]، وعمره ثلاث وستون سنة على الصحيح، وغسله ابنه عبد الله، وصلى عليه صهيب، ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة.

قوله: **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم**: أي كلامه، لأن السمع لا يتعلق بالذوات. وجملة: يقول، في محل نصب على الحال. **وإنما**: أداة حصر على ما عليه المحققون؛ تثبت المذكور وتنفي ما عداه، وهل إفادتها له بالمنطوق أو بالمفهوم قولان.

والأعمال: جمع عمل، وهو حركة البدن كله أو بعضه وربما أطلق على حركة النفس، فهو إذا إحداث أمر قولا كان أو فعلا، بالجارحة أو بالقلب. ثم الصواب شمول الأعمال هنا للأقوال دون أعمال القلوب، لأنها قصود مجردة كالنية، وأنها لا تشمل المتروك، وإن قلنا إن الترك كف لأنها لا تفتقر في الخروج عن عهدة النهي إلى نية؛ نعم لا يحصل الثواب إلا إذا حظر المنهي عنه بالبال وكف عنه امتثالا.

وقوله: **بالنيات**: هو من مقابلة الجمع بالجمع، والمفرد نية، بتشديد الياء على الأشهر، وتخفيفها لغة. ورواية الإفراد جاءت باعتبار أن محلها القلب وهو متحد، والأفعال متعلقة بالظواهر، وهي متعددة. ولأن النية ترجع للإخلاص وهو واحد للواحد الذي لا شريك له. وهو لغة: القصد إلى الشيء على وجه مخصوص كدفع

(1) الحلية، لأبي نعيم، 53/1.

(2) قال عثمان بن محمد الأخنسي: هذا وهم، توفي عمر لأربع بقين من ذي الحجة، وبويع عثمان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة. وقال ابن قتيبة: ضربه أبو لؤلؤة يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجة، ومكث ثلاثا. وقيل طعنه أبو لؤلؤة لثلاث بقين من ذي الحجة. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد 278/3. والاستيعاب لابن عبد البر 1152/3. وأسد الغابة لابن الأثير 166/4.

درهم لفقير على أنه زكاة أو صدقة، وصلاة ركعتين على أنها الفجر أو الصبح. وحفر بئر مثلا ليشرب منه أو ليقع فيه من يمر به. وللقرافي[1] فيها تأليف سماه الأمنية في إدراك النية، مشتمل على عشرة أبواب، / الأول في حقيقتها، قال: "وهي 13 و
إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلى بعض [ما يقبله، لا بنفس][2] الفعل من حيث هو فعل"[3]، أي فهي من باب الإرادات لا من باب العلوم والاعتقادات.

فقوله: بإمالة الفعل أي بترجيحه لا بالفعل نفسه كالقصد، ولا كالعزم، فهو التصميم على الفعل، فالقصد يتعلق بالفعل نفسه والنية تتعلق بصفته وكيفيته. وقوله: الفعل، أي فعل المريد نفسه، فإرادتنا مغفرة الله مثلا لا يقال فيها نية. وقوله: إلى بعض ما يقبله، احترازا من الأمور الصريحة كالعبادة، فلا تفتقر إلى نية.

قال: "وفائدتها تمييز العادات من العبادات، وتمييز العبادات بعضها من بعض"[4] كما مثلنا، وهي[5] الاكسير.

وقال البيضاوي: "هي عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا للغرض من جلب نفع أو دفع ضر، حالا أو مئالا، وخصها الشرع بالإرادة المتوجهة نحو الفعل

---

(1) هو الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء ادريس بن عبد الرحمن الصنهاجي البهفشيمي البهنسي المصري، توفي 684هـ. من مصنفاته: الذخيرة والفروق والاستغناء في أحكام الاستثناء والأمنية في إدراك النية وغيرها. كان مالكي المذهب. ترجم له ابن فرحون في الديباج المذهب 1/236-239 وابن القاضي في درة الحجال 1/8-9 رقم 3، وفي طبقات المالكية لمجهول، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم 3928د ص 363، وابن عجيبة في أزهار البستان، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 286 ك ص 67، وعبد الكبير الفلسي في تذكرة المحسنين 1/430، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 188-189 رقم 627.

(2) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل أ. وفي ج: ما لا يقبله إلا بنفس. وهو خطأ.

(3) الأمنية في إدراك النية، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1348 د، ضمن مجموع ص 70.

(4) الأمنية في إدراك النية، ص 76، قال القرافي: "فالأول لتمييز مالله تعالى عن ما ليس له، فصلح الفعل للتعظيم، كالغسل يقع تبردا وتنظفا ويقع عبادة مأمورا بها، فإذا نوى تعين أنه لله تعالى فيقع تعظيم العبد للرب بذلك الغسل، ومع عدم النية لا يحصل التعظيم ... وأما الثاني فكالصلاة تنقسم إلى فرض ومندوب، فالفرض ينقسم إلى مندوب وغير مندوب، وغير المندوب ينقسم إلى الصلوات الخمس قضاء وأداء، والمندوب ينقسم إلى راتب كالعيدين والوتر وغير راتب كالنوافل وكذلك القول في قربات المال والصوم ... فشرعت النية لتمييز هذه الرتب".

(5) في ب: وهو.

ابتغاء وجه الله تعالى، وامتثال أمره، وهي في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده"[1]. هذا قول البيضاوي وفيه شيء، إذ لو حملت على المعنى الشرعي كان[2] أنسب وأولى[3].

وهذا[4] الحديث متروك الظاهر لأنه يقتضي أنه لا عمل إلا بنية، وأن عملا بلا نية غير موجود، مع أن ذات العمل الخالي عن النية موجود قطعا، والجواب أن المعدوم شرعا كالمعدوم حسا، وأن التقدير: إنما[5] الأعمال تصح أو تجزئ أو تكمل. ولا يقدر المتعلق كونا عاما؛ أي يوجد ويكون مثلا كما هو الأصل.

ثم الحديث خرج عنه أعمالا لا تفتقر لنية إما بدليل آخر كالعتق مثلا، والوقف، أو لاستحالة دخولها فيه كالنية ومعرفة الله، فإن النية فيهما محال. أما النية لو توقفت على نية أخرى لزم التسلسل أو الدور وهو محال. وكذا ما لا يقع إلا طاعة كالإيمان والآذان والذكر، والدعاء والتلاوة ونحوها. وأما معرفة الله تعالى فلأنها لو توقفت على النية مع أن النية قصد المنوي بالقلب لزم أن يكون عارفا بالله تعالى قبل معرفته وهو محال. فالحديث من العام المخصوص، والحصر أكثري لا كلي، وهو من قصر الموصوف على الصفة عند البيانيين، أو من حصر المبتدأ في الخبر عند النحويين.

وقوله: **لكل** هي اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر وإجزاء المعرف.

وقوله: **امرئ**: أي رجل، يقال فيه امرئ على وزن زبرج، ومرء كفلس، وحكى الضم ولا جمع له، ومؤنثه يقال فيه امرأة ومرة. وأطلقه في الحديث عليهما بدليل قوله: **فمن**. وما يحتمل أن تكون موصولا إسميا، أي الذي نواه

(1) وقفت على كلام البيضاوي في فتح الباري لابن حجر 20/1.

(2) في ب، ج: لكان.

(3) حملها على المعنى الشرعي أحسن لما تقتضيه الإرادة عندئذ من الثواب، ولكن الأنسب هو المعنى اللغوي كما ذكر البيضاوي؛ لأنه يشمل التفصيل المذكور من تقسيم أحوال المهاجر، بخلاف المعنى الشرعي لا ينطبق إلا على القسم الأول من المهاجرين، مع أن الشطر الأخير من الحديث "فمن كانت هجرته إلى الله ... ومن كانت هجرته إلى دنيا ..." هو تفصيل لما ورد مجملا في أوله "إنما الاعمال بالنيات" والله أعلم.

(4) الواو ساقطة من ب.

(5) في ب: أن.

من خير أو شر، وأن تكون مصدرية أي جزاء نيته. وعلى هذا الثاني اقتصر الفشني، فقال: / «أي جزاؤه إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، "فنية المومن خير 13 ظ من عمله[1]" »[2]هـ.

وهذه الجملة قيل إنها لتأكيد الأولى تنبيها على شرف الإخلاص وتحذيرا من الرياء المانع من الخلاص هـ.

وفيه أن الإفادة خير من الإعادة[3]، وأن هذه من حصر الخبر في المبتدأ عكس تلك، وقيل إنها تأسيس وإن الثانية أفادت اشتراط تعيين المنوي ولولاها اقتضت الأولى الصحة بلا[4] تعيين أو أوهمت ذلك. وقال ابن عبد السلام[5]: "الأولى لبيان ما يعتبر من الأعمال في سقوط الطلب، والثانية لبيان ما يترتب عليها من ثواب وعقاب"[6]. وقيل إن الثانية أفادت منع الاستنابة في النية إلا فيما استثني كتفرقة زكاة وذبح ضحية ونحوهما.

وقال السمعاني: "إن الثانية دلت على أن الأعمال العادية لا تتوقف على نية قد تفيد الثواب إذا نوى بها فاعلها القربة، كالأكل ينوي به التقوي على الطاعة"[7]. وقال بعضهم: أفادت الأولى أن الأعمال لا تصح فتكون حاملة لثواب أو عقاب

(1) كما ورد بذلك الحديث، رواه الطبراني في المعجم الكبير 6/185-186. رقم 5942. وأبو نعيم في الحلية 3/255. والقضاعي في مسند الشهاب 1/119. رقم: 148.

(2) المجالس السنية ص 5.

(3) في ج: العادة، وهو خطأ.

(4) في ج: فلا: وهو خطأ.

(5) الإمام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم عز الدين السلمي، من شيوخه: سيف الدين الآمدي، وابن عساكر، ومن تلامذته، ابن دقيق العيد. توفي 660هـ، ومن مصنفاته: قواعد الأحكام في مصالح الأنام. مجاز القرآن. كان شافعي المذهب، ترجم له السبكي في طبقات الشافعية الكبرى 8/209 رقم 1183. وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات 2/350 رقم 287. وابن كثير في البداية والنهاية 13/235-236، وابن العماد في الشذرات 5/301-302.

(6) فتح الباري لابن حجر 1/22.

(7) الذي وقفت عليه عند ابن حجر في الفتح أن هذا الكلام لابن السمعاني، ذكره في أماليه. 1/22. وابن السمعاني هو الإمام تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر المنصور=

إلا بنية، وأفادت الثانية أن جزاء العمل يكون على قدر النية كغسل لجنابة أو لجنابة وجمعة. وقيل: إن الثانية دلت على أن من نوى شيئا يحصل له ثوابه، وإن لم يعمله لمانع. فقد ورد أنه حصل قحط في بني اسرائيل وغلاء، فخرج أحدهم للصحراء، فمر على كثيب رمل فقال: وددت لو كان هذا ذهبا، لتصدقت به، أو لو كان طعاما لقسمته بين الناس، فأوحى الله إلى نبي زمانه أن قل لفلان أني قبلت صدقته. ولم يتصدق بشيء، ولكن صحت منه لنيته[1].

وقال القشيري: إن بعضهم رئي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك، قال: غفر لي، ورفع درجاتي، فقيل له: بماذا[2]، فقال: ها هنا يعاملون بالجود، لا بالركوع والسجود، ويعطون بالنية لا بالخدمة، ويغفر لهم بالفضل لا بالفعل، قيل[3] لبعض النساك: كيف الناس عند مليكهم، قال: على قدر نياتهم.

قال الفشني: «وإخلاص النية لله تعالى لم يزل شرعا لمن قبلنا، ثم لنا من بعدهم، قال الله تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**﴾[4]. قال أبو العالية[5]: وصاهم

= بن محمد التميمي السمعاني المروزي، الفقيه الشافعي، الملقب قوام الدين. سمع من أبي عبد الفراوي، والحسين بن عبد الملك الخلال. توفي سنة 562هـ. وذكر ابن كثير وفاته سنة 506هـ. من مصنفاته: الأنساب، وتذييل تاريخ بغداد، والأمالي. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان 209/3-212 رقم 395. والذهبي في تذكرة الحفاظ 75/4 رقم 1090. وابن كثير في البداية والنهاية 175/12. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 356/5. وابن العماد في شذرات الذهب 205/4-206.

(1) في ج: النية.

(2) في ب، ج، د: بم ذا. وهو الصواب.

(3) في ب، د: فقيل.

(4) الشورى/11. وتمام الآية: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾.

(5) أبو العالية الرياحي، رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرئ. أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي بسنتين. رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أبي وغيره. وسمع من عمر وابن مسعود وعلي وعائشة. وعنه قتادة وخالد الحذاء وغيرهم. واختلف في وفاته فذكر ابن حجر والمزي أن الأصح أنها سنة 90هـ. وذكر الذهبي أن الأصح سنة 93هـ، وقيل سنه 106هـ، وقيل 111. روى له الجماعة. ترجم له: ابن سعد في الطبقات 79/7-84 رقم 2990. والبخاري في التاريخ الكبير 276/3-277 رقم 3997. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 510/3 رقم 2312. والمزي في تهذيب الكمال 488/2-489 رقم 1907. والذهبي في تذكرة الحفاظ 49/1 رقم 50. وابن حجر في تهذيب التهذيب 110/3-111 رقم 2017.

بالإخلاص لله وعبادته لا شريك له. وينبغي لمن أراد فعل شيء من الطاعات أن يستحضر النية. فينوي به وجه الله. فالنية رأس الأعمال كلها، وهي الأساس، وعلى الأساس قواعد البنيان، فمن فتح على نفسه باب سيئة فتح الله له سبعين بابا إلى الخذلان، فباب الحسنة من حسن النية، وباب السيئة من سوء النية، وإذا نوى العبد خيرا أثيب عليه، وإن لم يفعله، كما في مسند أبي يعلى مرفوعا قال: يقول الله / 14 و تعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الأجر، فيقولون يا ربنا لم نحفظ ذلك منه[1]، ولا هو في صحيفته، فيقول الله تعالى: إنه نواه.

وحكي أن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه، وكان العابد يتمنى أن يرى إبليس، قال: فظهر له إبليس يوما، فقال له: وآسفي عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة في حصر نفسك وإتعاب بدنك، وقد بقي من عمرك مثل ما مضى، فأطلق نفسك في شهواتها. فقال العابد في نفسه: لعلي أنزل إلى أخي في أسفل الدار فأوافقه على الأكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري، فنزل على نية ذلك، وأما أخوه المسرف فإنه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة ردية قد بال على ثيابه وهو مطروح على التراب، وفي الظلام، فقال في نفسه: قد أفنيت عمري في المعاصي وأخي يتلذذ بطاعة الله ومناجاته، فيدخل الجنة بطاعة ربه، وأنا بالمعاصي أدخل النار، ثم عقد التوبة، ونوى نية الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى، فطلع على نية الطاعة، ونزل أخوه على نية المعصية، فزلت رجله فسقط على أخيه فوقعا ميتين، فحشر العابد على نية المعصية، وحشر العاصي على نية التوبة[2]. فينبغي للعبد أن يحسن النية، ختم الله لنا بالحسنى.

وقد حكي أيضا أن العبد يوتى به يوم القيامة ومعه حسنات كأمثال الجبال، فينادي مناد، من كان له حق على فلان فليات له، وليأخذ حقه منه، فيات الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة، فيصير حيرانا، فيقول الله: عبدي إن لك عندي كنزا لم يطلع عليه أحد من خلقي، فيقول: يا رب وما هو. فيقول: نيتك التي كنت تنوي الخير، كتبتها لك سبعين ضعفا.

(1) في ج: عنه.
(2) في ج: الطاعة.

وحكي أيضا أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فياخذه بيمينه، فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها، فيقول: هذا[1] كتابي، فإني ما فعلت شيئا من ذلك، فيقول الله تعالى: هذا كتابك لأنك عشت عمرا طويلا وأنت تقول: لو كان لي مال[2] حججت منه، لو كان لي مال[3] تصدقت منه، فعرفت ذلك من صدق نيتك، وأعطيتك ثواب ذلك كله.

فيا إخواني من نوى شيئا حصل له، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نية المؤمن خير من عمله"[4]. يقال إنه ورد عن سبب وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضي الله عنه أن يحفرها، فسبق إليها كافر فحفرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نية المومن يعني عثمان، خير من عمله يعني الكافر. ويقال إن النية المجردة من المومن، خير من عمله المجرد عن النية. وذكر بعضهم أن العمل بالنية تحته فردان فعل ونية، فالقصد وقع لأحد الفردين، لأن في كل منهما أجرا. وأجر / النية أكثر من أجر الفعل الواقع بنية. وقال بعضهم: إن 14 ظ
نية المؤمن تبلغ إلى حيث لا يبلغ العمل، لأن نيته أن يعبد الله تعالى ولو عاش ألف سنة وعمله لا يبلغ ذلك»[5]هـ.

فهذا الحديث العظيم الذي ذكره المصنف أصل في وجوب النية في سائر العبادات والإخلاص في سائر المعاملات. وورد أيضا في الحديث: "ولكن جهاد ونية"[6]، وفي حديث سعد: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت

(1) في ج: بزيادة: ما قبل هذا.
(2) في ب: مالا. وهو خطأ.
(3) في ب: مالا. وهو خطأ.
(4) سبق تخريجه ص: 151.
(5) المجالس السنية: ص 5-6.
(6) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى، في الترجمة، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة رقم 3900، كتاب المغازي باب من شهد الفتح. رقم 4312، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر، رقم 3189، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير رقم 2783، باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية رقم 2825، ومسلم في كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد رقم 1863. والحديث من رواية عائشة وابن عباس.

عليها"[1]، وقال تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله**﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿**قل كل يعمل على شاكلته**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه**﴾[4] الآية، وقال تعالى: ﴿**من كان يريد حرث الآخرة**﴾[5] الآية.

فالنية معيار لتصحيح الأعمال، فحيث صلحت النية صلح العمل، وحيث فسدت النية فسد العمل، فإذا وجد العمل وقارنته النية فإما أن يعمله خوفا من الله، وهذه عبادة العبيد وإما أن يقصد به طلب جنة وثواب وهذه عبادة التجار، وإما أن يعمله حياء من الله وتأدية لحق العبودية والشكر، ويرى نفسه مع ذلك مقصرا خائفا لأنه لا يدري هل قبل عمله أم لا، وهذه عبادة الأحرار كما قال عليه الصلاة والسلام: "أفلا أكون عبدا شكورا"[6].

وهل الأفضل العبادة مع الخوف أو مع الرجاء ؟

---

(1) حديث سعد بن أبي وقاص رواه مالك في الموطأ، كتاب الوصية، باب الوصية في الثلث لا تتعدى رقم 4. والبخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية رقم 56، كتاب الجنائز باب رثى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة رقم 1295، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم أمض لأصحابي هجرتهم" رقم 3936، كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول "إني وجع" رقم 5668، كتاب الدعوات باب الدعاء يرفع الوباء والوجع رقم 6373. كتاب الفرائض، باب ميراث البنات رقم 6733، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث رقم 1628.

(2) البينة/5: وتمام الآية ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة، وذلك دين القيمة﴾.

(3) الإسراء/84، وتمام الآية: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾.

(4) في ب بزيادة ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ والآية من سورة الكهف/105، وتمامها ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.

(5) في ب: بزيادة "نزد له في حرثه". والآية من سورة الشورى/18 وتمامها ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها، وماله في الآخرة من نصيب﴾.

(6) رواه أحمد في المسند 251/4 رقم 18384 و115/6 رقم 25356. والبخاري في كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل، رقم 338، وفي كتاب التفسير باب تفسير سورة الفتح، رقم 4836. ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة رقم 2819 و2820. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في طول القيام في الصلوات رقم 1419. والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، رقم 412. والنسائي في كتاب قيام الليل، باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل رقم 1550. والحديث ورد عن عائشة والمغيرة بن شعبة.

(قال)[1] الغزالي[2] : "العبادة مع الرجاء أفضل"[3]. وهذه الأقسام في حق المخلصين، ثم اعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب وهو محبط العمل"[4]. "وحقيقة الإخلاص إرادة الله تعالى بالطاعة[5] وإفراد المعبود بالعبادة، لكنه قد يريده سبحانه وهو غافل عن حضور القلب فيها. والصدق هو إرادة الله تعالى بالعبادة مع حضور القلب إليه، فكل[6] صادق مخلص، وليس كل مخلص صادقا، وهو معنى الاتصال والانفصال؛ لأنه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله، وهو معنى التخلي والتحلي، فالتخلي عما سوى الله والتحلي بالحضور بين يدي الله سبحانه". قاله المحاسبي[7] .

وفي العهود[8] : «أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونرجو من ربنا الوفاء به، أن نخلص النية لله تعالى في علمنا وعملنا، وسائر أحوالنا من سائر الشوائب، حتى من شهود الإخلاص، ومن حظور استحقاقنا ثوابا على ذلك، قال: وأجمع أشياخ الطريق كلها، أن من أكل الحرام والشبهات لا يصلح له إخلاص في عمل؛ لأنه لا يخلص إلا إذا دخل حضرة الإحسان (ولا يدخل حضرة

(1) ما بين قوسين بياض في النسخة ب.

(2) والغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الملقب حجة الإسلام. زين الدين الطوسي، الفقيه الشافعي. توفي سنة 505هـ. من مصنفاته: إحياء علوم الدين والمستصفى وتهافت الفلاسفة وغيرها. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان 4/216-219 رقم 588، والصفدي في الوافي بالوفيات 1/274-277 رقم 176، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 6/191-389 رقم 694، وابن العماد في شذرات الذهب 4/10-13.

(3) إحياء علوم الدين 4/150. وبرر الغزالي قوله بأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف.

(4) في ب، ج، د: للعمل.

(5) في ب، ج: أو.

(6) في الأصل أ: فكان، والصواب: "فكل".

(7) وقفت على كلامه عند النووي في شرح الأربعين النووية، ص 9-10، وهو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، روى عن يزيد بن هارون ... وعنه أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي وأبو القاسم الجنيد. توفي سنة 243هـ، من مصنفاته الرعاية لحقوق الله وغيرها. ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 58-63، رقم: 6، وأبو نعيم في الحلية 10/73-110، رقم 465، والقشيري في الرسالة ص 429-430 رقم 64، والذهبي في سير أعلام النبلاء 12/110-111 رقم 35، وابن حجر في تهذيب التهذيب 2/106 رقم 1056، والمزي في تهذيب الكمال 2/10-11 رقم 922.

(8) العهود للإمام الشعراني.

الإحسان)[1] إلا مطهرا من سائر النجاسات الظاهرة والباطنة. وفي الحديث: "قيل يا رسول الله، ما الإيمان، قال الاخلاص، قيل فما اليقين، قال: الصدق"[2])[3] هـ.

وبالجملة فما أحسن قول سهل بن عبد الله[4] : "ليس على النفس أشق / من 15 و
الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب"[5] . قال في الحكم[6] : "الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها"[7] هـ وقال أبو طالب: "الإخلاص إخراج الخلق من[8] معاملة الحق". وقال يوسف بن الحسين الرازي[9] : "أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت على لون آخر"[10].

(1) ما بين قوسين ساقط من ب.
(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان 342/5 رقم 6858.
(3) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ص 5-6.
(4) سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى التستري، أبو محمد، الصوفي الزاهد، صحب خاله محمد بن سوار توفي سنة 273هـ، وقيل 283هـ، قال السلمي: وأظن أن ثلاثا وثمانين أصح والله أعلم. ترجم له: السلمي في طبقات الصوفية ص 166-171 رقم 30، والقشيري في الرسالة ص 400-401 رقم 18، وابن خلكان في وفيات الأعيان، 429/2-430 رقم 281، والذهبي في سير أعلام النبلاء، 330/13-333، رقم 151.
(5) الرسالة القشيرية: ص 209.
(6) الحكم لابن عطاء الله الإسكندري، أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، تاج الدين، أبو الفضل وأبو العباس الشاذلي، توفي 709هـ. من مصنفاته: الحكم، والتنوير في إسقاط التدبير، ولطائف المنن وغيرها. ترجم له: ابن فرحون في الديباج 242/1، وابن حجر في الدرر الكامنة 162/1-163 رقم 700 والونشريسي في الوفيات 587/2، والشعراني في الطبقات الكبرى 20/2 رقم 312، وابن القاضي في درة الحجال 12/1 رقم 9، وعبد الكبير الفاسي في تذكرة المحسنين 587/2، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية ص 204 رقم 703.
(7) الحكم: ص 106.
(8) في ج: عن.
(9) في ب: ابن الحسن وهو خطأ، والصواب: يوسف بن الحسين الرازي، أبو يعقوب، شيخ الصوفية، صحب ذا النون وأبا تراب ورافق أبا سعيد الخراز. توفي سنة 304هـ، ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 151-156 رقم 26، والبغدادي في تاريخ بغداد 314/14-319 رقم 7638. والقشيري في الرسالة ص 414-415 رقم 41، والذهبي في سير أعلام النبلاء 248/14-251 رقم 153. وابن كثير في البداية والنهاية 126/11-127. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 214/3.
(10) الرسالة القشيرية ص 210.

وقال ابن عيينة[1] : "كان من دعاء مطرف بن عبد الله[2] اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أوف لك به، وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت"[3] هـ.

وإخلاص كل عبد في أعماله على حسب رتبته ومقامه، فأما من كان منهم من الأبرار فمنتهى درجة إخلاصه أن تكون أعماله سالمة من الرياء الجلي والخفي وقصد موافقة الهوى النفسي طلبا لما وعد الله به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب، وهربا مما أوعد الله به المخلصين من أليم العذاب وسوء الحساب. وأما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا إلى عدم رؤية نفسه في عمله. فإخلاصه إنما هو شهود[4] انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى لنفسه في ذلك حولا ولا قوة، ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذي يصح به مقام الإخلاص هـ.

حكي[5] أن رجلا عبد الله سبعين سنة، فبينما هو في متعبده ذات ليلة، فوقفت على بابه امرأة جميلة، فسألته أن يفتح لها. وكانت ليلة شاتية، فلم يلتفت إليها وأقبل على عبادته، فولت المرأة فنظر إليها فأعجبته وملكت قلبه وسلبت لبه، فترك العبادة وتبعها، فقال: إلى أين، فقالت: إلى حيث أريد، فقال: هيهات صار المراد مريدا، والأحرار عبيدا، ثم جذبها فأدخلها مكانه، فأقامت عنده سبعة أيام، فعند

(1) أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، روى عن الزهري وأبي اسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ... وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن اسحاق .. توفي سنة 198هـ. ترجم له: ابن سعد في طبقاته 6/41-42، رقم 1642. وأبو نعيم في الحلية 7/270-318. والبغدادي في تاريخ بغداد 9/174، رقم 4764. وابن خلكان في وفيات الأعيان 2/391 رقم 267. والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/193-194 رقم 249. وابن حجر في تهذيب التهذيب 3/403-406 رقم 2525.

(2) مطرف بن عبد الله بن الشخير. أبو عبد الله الحرشي العامري البصري. حدث عن عائشة وعلي وأبي ذر ... وعنه أخوه يزيد أبو العلاء، والحسن البصري ... توفي سنة ست وثمانين، وقيل سبع وثمانين وقيل خمس وتسعين. ترجم له: خليفة في الطبقات ص 197، والبخاري في التاريخ الكبير 7/273 رقم 11068، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 8/312 رقم 1446 وأبو نعيم في الحلية 2/198، والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/51-52 رقم 54، وسير أعلام النبلاء 4/187-195 رقم 77 وابن حجر في تهذيب التهذيب 8/205-206، رقم 6977.

(3) الحلية، لأبي نعيم 2/207.

(4) في ج: مشهود والصواب شهود.

(5) في د. بزيادة الواو قبل حكي.

ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة، وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام. فبكى حتى غشي عليه، فلما أفاق، قالت له: يا هذا، أنت ما عصيت الله مع غيري، وأنا ما عصيت الله مع غيرك. وإني أرى في وجهك الصلاح، فبالله عليك إذا صالحك الله فاذكرني، فخرج هاربا على وجهه، فأواه الليل إلى خربة فيها عشرة عميان[1]، وكان بالقرب[2] منهم راهب يبعث لهم في كل ليلة عشرة أرغفة، فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته، فمد ذلك الرجل العاصي يده فأخذ رغيفا فبقي رجل منهم لم يأخذ شيئا، فقال له: أين رغيفي، فقال: قد فرقت عليكم العشرة، فقال: أبيت طاويا، فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه: أنا أحق أن أبيت طاويا لأني عاص وهذا مطيع، فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك، فأمر الله ملكا بقبض روحه / فاختلفت فيه ملائكة العذاب وملائكة 15 ظ
الرحمة، فقالت ملائكة الرحمة: إنه فر من ذنبه وجاء تائبا، وقالت ملائكة العذاب بل [مات][3] عاصيا، فأوحى الله إليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة[4] بمعصية السبعة الأيام[5]، فوزنوها فرجحت المعصية على السبعين سنة، فأوحى الله إليهم أن زنوا معصية[6] السبع ليال بالرغيف الذي آثر على نفسه فرجح الرغيف، فتوفته ملائكة الرحمة، وقبل توبته وهروبه إلى ربه هـ.

وقوله: **فمن كانت**: الفاء فيه جواب شرط مقدر، أي وإذا كان لكل امرئ ما نوى، فمن إلخ.

والمهاجرة المجافاة والترك، يقال هجره هجرا[7] وهجرانا بالكسر صرفه، والشيء تركه، وهجر الشرك هجرا وهجرانا وهجرة حسنة. والهجرة بالكسر والضم الخروج من أرض إلى أخرى، والاسم الهجرة بالكسر يقع على أمور هجرة الصحابة إلى الحبشة، وقد كانت بعد البعثة بخمس سنين. وإلى المدينة. وهجرة

(1) في ج، د، بزيادة عباد قبل عميان.
(2) في د: بالمغرب.
(3) في أ، ج: تم، والصواب: مات.
(4) ساقطة من ب.
(5) في ب: أيام دون تعريف.
(6) في أ: المعصية بالتعريف، وهو خطأ.
(7) في ب، ج، بزيادة: بالفتح.

القبائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلموا الشرائع ويرجعوا إلى قومهم فيعلموهم. وهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، فلا يحل للمسلم الإقامة بها. وهجرة المسلم أخاه المسلم فوق ثلاث بغير سبب وهي حرام إلا لضرورة. وهجرة الزوج زوجته إذا تحقق نشوزها. وهجرة العاصي في المكان والكلام. وهجرة ما نهى الله عنه وهي أعم.

وقوله: **إلى الله ورسوله**: المراد بها في الحديث الانتقال من مكة إلى المدينة، وهذا المعنى غالب استعماله في الأشخاص والأحيان والأعيان[1]. وذلك في حقه تعالى إما على التشبيه البليغ أي كأنه هجر إليه أو على مجاز الحذف؛ أي محل رضاه وثوابه ورحمته، أو يقال الانتقال إلى الشيء عبارة عن الانتقال إلى محل يجده فيه، ووجدان كل واحد[2] على ما يليق به، فالمراد الانتقال إلى محل قربه المعنوي وما يليق به، أو ذكر لله[3] للتعظيم والتبرك.

وقوله: **فهجرته إلى الله ورسوله**، أظهر فيه أن المحل للإضمار تبركا وتلذذا بذكر الله ورسوله، ولئلا يجمع بينهما في ضمير واحد، ولذا قال للخطيب: بيس الخطيب، وأورد أن الأصل تغاير الشرط والجزاء فلا يقال: من أطاع أطاع، بل يقال من أطاع نجا.

وأجيب بأن التغاير يقع تارة باللفظ وهو الأكثر، وتارة بالمعنى كما يفهم من السياق نحو: ﴿**ومن تاب وعمل صالحا**﴾[4] فلأنه يتوب إلى الله متابا كما جرى مثله في المبتدأ والخبر نحو:

أنا أبو النجم، وشعري شعري وأنت أنت، وهم هم

وقوله:

خليلي خليلي دون ريب وربما ألان امرؤ[5] قولا فظن خليلا / 16 و

(1) الأحيان ساقطة من د. والأعيان ساقطة من ب: وفي ب، د: بزيادة المعاني.
(2) في ب، ج، د: أحد.
(3) في ب، ج، د: الله.
(4) الفرقان717. وتمام الآية: ﴿ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا﴾.
(5) في ج: امرؤا.

والمعنى فمن كانت هجرته إلى الله نية وقصدا فهجرته إلى الله ورسوله حكما وشرعا، أو ثوابا وأجرا، أو الخبر محذوف فهجرته مقبولة. أو فله ثواب الهجرة.

وقال بعضهم: الإشكال مرفوع من أصله لأن الهجرة هي الانتقال، وهو يقتضي ما ينتقل إليه ويسمى مهاجرا إليه، وما يبعث على الانتقال هو المهاجر له، والفقرتان لبيان أن العبرة بالباعث، وذلك إنما يظهر إذا كانت إلى في جملة الشرط بمعنى اللام، فإذا تركت في الجزاء على معناها الحقيقي فلا اتحاد.

والمعنى من هاجر لله ورسوله أي لاتباع أمرهما وابتغاء مرضاتهما فقد هاجر إليهما حقيقة، وإن كان ظاهرا مشغلا[1] إلى الدنيا ونعيمها، ومن هاجر لغيرهما فالمهاجر إليه ذاك[2] وإن انتقل إلى الشيء ظاهرا.

وفي قوله: **إلى الله ورسوله**: إشارة لتعظيم الهجرة والمهاجرة إليه.

قوله: **ومن كانت هجرته إلى دنيا**: بضم الدال على وزن فعلى مقصورة غير منونة ممنوعة من الصرف للوصفية ولزوم ألف التأنيث. وحكي كسر الدال من الدنو، وهو القرب لسبقها الآخرة، أو[3] لدنوها إلى الزوال أو[4] من الدناءة أي الخسة. قال:

أعاف دنيا تسمى من دناءتها دنيا وإلا فمن مكروهها الداني

وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة، وقيل الأرض مع الهوا والجو.

قال النووي: "والأول أظهر". وقال الفشني «الدنيا هي هذه الدار التي نحن فيها، سميت بذلك لدناءتها وسبقها الآخرة، وهي دار الهموم (والأحزان والأكدار والتعب والنصب، ترفع الجاهل)[5]، وتضع العالم، كما قيل:

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل وتأخير ذي علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم وأهل التقى أبناء ضرتي الأخرى»[6]

(1) في ب: مشتقا.
(2) في ج: ذلك.
(3) في ب: الواو بدل أو.
(4) في ب: الواو بدل أو.
(5) ما بين قوسين ساقط من ب.
(6) المجالس السنية، ص 6. إلا أن الذي أورده الفشني في الشطر الثاني من البيت الأول: "وخفض لذي علم ...".

قوله: **يصيبها**: حال مقدرة، أي مقدرا إصابتها، أي تحصيلها. وقال الفشني: "شبه تحصيل الدنيا بإصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود"[1].

قوله: أو **امرأة ينكحها**، أي يتزوجها كما جاء في رواية للبخاري. وإنما ذم الدنيا والتزوج مع إباحتهما، لأنه لم يخرج في الظاهر لطلبهما، بل خرج في صورة طلب الهجرة فأبطن خلاف ما ظهر فلذلك ذم.

فإن قيل: ما فائدة النص على المرأة مع دخولها في الدنيا، لقوله عليه السلام: "إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة"[2]، قيل: إن دنيا نكرة في سياق الإثبات فلا تعم، أو للتنبيه على زيادة التحذير.

وذهب بعضهم إلى أن أو للتقسيم، وجعلها قسما مقابلا للدنيا / إيذانا بشدة فتنتها. ففي الحديث: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[3]. ولأن سبب ورود هذا الحديث أن رجلا هاجر إلى المدينة بنية أن يتزوج امرأة يقال لها أم قيس، جاء أن اسمها قيلة فسمي مهاجر أم قيس[4]. وقال بعض العارفين: ما أيس الشيطان من إنسان قط إلا أتاه من قبل النساء. وقال سفيان: "قال إبليس هن سهمي الذي إذا رميت به لم أخط"[5]. وفي خبر أحمد: "النظر إلى محاسن المرأة من سهام إبليس". وقال علي كرم الله وجهه: "في النساء ثلاث[6] من خصال اليهود، يتظلمن وهن الظالمات، ويتمنعن وهن الراغبات، ويحلفن وهن الكاذبات" فاستعيذوا بالله من شرارهن[7]، وكونوا على حذر من خيارهن. هـ. 16 ظ

(1) نفس المرجع السابق، ص 6.

(2) رواه أحمد في المسند 168/2 رقم 6567 ومسلم في كتاب الرضاع. باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة. رقم 1467، وابن ماجة، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، رقم 1855، والحديث من رواية عبد الله بن عمرو. ولفظه كما أورده المؤلف لابن ماجة.

(3) رواه أحمد في المسند 200/5 رقم 22089. والبخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة رقم 5096. ومسلم في الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء رقم 2740 و2741. وابن ماجة في كتاب الفتن، باب فتنة النساء رقم 3998. والترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء من تحذير فتنة النساء رقم: 2789. والحديث ورد عن أسامة بن زيد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

(4) ذكر ابن حجر في فتح الباري 17/1 قصة مهاجر أم قيس من رواية سعيد بن منصور والطبراني بإسناد صحيح. قال: "لكن ليس فيه أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك". ونقل في ص 26 عن ابن دحية أن اسمها قيلة بقاف مفتوحة ثم تحتانية ساكنة، قال: "ولم نقف على تسميته".

(5) في ج: يخطأ.

(6) في ج، بزيادة: خصال.

(7) في ج: شرورهن.

وهن من جملة نعيم الدنيا، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة. بل هذا هو المقصود بالذات من بيان الشرائع. كيف وهي عدوة الله لقطعها الطريق الموصلة إليه ولذلك لم ينظر إليها منذ خلقها، وعدوة لأوليائه (لأنها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وعدوة لأعدائه)[1] لأنها استدرجتهم بمكرها، واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها. وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال: "والذي نفسي بيده للدنيا أهون عند الله من هذه الشاة على أهلها. ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء"[2]. (وفي الخبر)[3] : "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وعالم أو[4] متعلم"[5]. وجاء أن أبا بكر رضي الله عنه دعا بشراب فأوتي بماء وعسل، فبكى حتى أبكى[6] أصحابه، ثم بكى ثم مسح عينيه، فسألوه فقال: "كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا، فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك، فقال هذه الدنيا مثلت لي، فقلت لها: إليك عني، ثم رجعت، فقالت: إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك"[7].

وفي الحديث أيضا: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها. وتهلككم[8] كما أهلكتهم"[9]. قال بعضهم:

(1) الجملة ما بين قوسين ساقطة من ج.

(2) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا رقم 4110، عن سهل بن سعد، مع اختلاف في بعض لفظه.

(3) ما بين قوسين فيه بياض في ب.

(4) في ب، الواو بدل أو.

(5) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم 4112. والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله رقم 2438 في صحيح الألباني. قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب" وورد عن أبي هريرة.

(6) في ج: بكى.

(7) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الرقاق 309/4، وقال عقبه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه..

(8) في ب: فتهلككم.

(9) رواه أحمد في المسند 137/4 رقم 17366-17367. والبخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة رقم 3158. وفي كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا رقم 4016. وفي=

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما / 17 و

وقال آخر:

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

[ولأبي العتاهية[1]:

"هي الدار دار الأذى والقذا ... ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها[2] ... لمت ولم تقض منها الوطر
ويامن يؤمل طول البقا ... وطول الخلود عليه قصر[3]
إذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في[4] بعد الكبر»[5].

وما أحسن قول القاضي العدل أبي عبد الله سيدي محمد بن سودة[6]، يزهد في هذه الدنيا الفانية لمن يلقي السمع بأذن واعية:

= كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم 6425. ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، رقم 2961، قال وفي رواية: "تلهيكم كما ألهتهم". وابن ماجة في كتاب الفتن، باب فتنة المال، رقم 3997. والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب 28، رقم 2470. والحديث ورد عن عمرو بن عوف.

(1) إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء العيني، المعروف بأبي العتاهية، أبو اسحاق الشاعر. توفي سنة 211هـ وقيل 213هـ. ترجم له: ابن قتيبة في الشعر والشعراء 675/2 رقم 193. والبغدادي في تاريخ بغداد 250/6-260 رقم 3288. وابن خلكان في وفيات الأعيان 219/1-226 رقم 94. والذهبي في سير أعلام النبلاء 195/10-198 رقم 43. وابن كثير في البداية والنهاية 265/10-266. وابن العماد في شذرات الذهب 25/2-26.

(2) في ب: بحذافرها. وهو خطأ. يقال حذافير الشيء، أعاليه ونواحيه، ويقال أعطاه الدنيا بحذافيرها أي بأسرها. الواحد حذفار. الصحاح مادة حذفر. 626/2.

(3) في ج، د: ضرر.

(4) في ج، د، بزيادة: عيش.

(5) توثيق.

(6) أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن سودة المري الغرناطي ثم الفاسي، آخر قضاة العدل بفاس. من شيوخه خاله أبو مالك عبد الواحد بن عاشر الأندلسي والقاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي، والقاضي أبو نعيم الغساني الأندلسي. ومن تلامذته أبو زيد الفاسي الصغير، والقاضي أبو عبد الله بن بردلة، وأبو سالم العياشي. توفي سنة 1076هـ. ترجم له القادري في نشر المثاني 1531/4-1532. والكتاني في سلوة الأنفاس 76/3-77.

لا تأسفن على الدنيا وما فيها ... فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
أما علمت بأن الله قدرها ... إلى الفناء وإن دامت سيخليها
واعلم بدار البقا رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها
والطير فيها على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهرا في مغانيها
أنهارها عسل محض ومن لبن ... والخمر تجري رحيقا في مجاريها
دلالها المصطفى والله بائعها ... وجبرئيل ينادي في نواحيها
من يشتري الدار في الفردوس يعمرها ... بركعتي ظلمات الليل يخفيهاه[1].

وقوله: **فهجرته إلى ما هاجر إليه**، أي من الدنيا[2] أو من المرأة. وترك الإتيان بالظاهر في هذه الجملة حثا على الإعراض عن الدنيا والغض عنها وعدم الاحتفال بأمرها، وتنبيها على أن العدول عن ذكرها أبلغ في الزجر.

(قال ابن عباد)[3] : "في هذا الحديث تنبيه على أنه لا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر إلى الله ورسوله، وهو قوله: فهجرته إلى الله ورسوله، وهذا من باب حصر المبتدأ في الخبر، كما تقول: زيد صديقي، أي لا صديق له غيري، وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه في القسم الثاني بالدنيا التي يريد أن يصيبها، والمرأة التي يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها، والعمل عليها كائنة ما كانت، وإن كان ظاهره طلب الحظ العاجل. فقوله: فهجرته إلى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الأكوان إلى المكون، وهو المطلوب من العبد، وهو مصرح به غاية التصريح. وقوله: فهجرته إلى ما هاجر إليه: هو البقاء مع

(1) الكلام ما بين معقوفتين مثبت في هامش الأصل أ. وساقط من ج.
(2) في ب، الواو بدل أو.
(3) ما بين قوسين بياض في النسخة ب، وفي د: وقال ... بزيادة الواو.
وابن عباد هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن ابراهيم الرندي النفزي، الخطيب الصوفي المالكي. توفي 792هـ، من مؤلفاته: شرح الحكم، الرسائل الصغرى والكبرى وله أجوبة كثيرة في مسائل من العلوم. ترجم له ابن القاضي في جذوة الاقتباس 315/1، وفي درة الحجال 276/2-277 رقم 786. والكتاني في سلوة الأنفاس 133/2-142، ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 238-239 رقم 856.

الأكوان والتنقل فيها، وهو الذي نهى عنه، وهو مشار به غير مصرح به، فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون له التفات إلى غير ولا كون البتة[1] .

قال رجل لأبي يزيد[2] رضي الله عنه: أوصني، فقال له: إن أعطاك الله من العرش إلى الفرش، فقل له: لا، أنت أريد. وقال أبو سليمان الداراني[3] : إني لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس، لاخترت الركعتين، لأني في الفردوس بحظي، وفي الركعتين بربي"[4]. قاله في قول التاج ابن عطاء الله "لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل منه هو ارتحل إليه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾[5] ... الخ.

«قال علي كرم الله وجهه: قد ارتحلت الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في المسجد إذ دخل عليه رجل أبيض اللون حسن الشعر عليه ثياب بيض فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام، ثم سأله عن الدنيا فقال: الدنيا كحلم النائم وأهلها مجازون ومعاقبون، فقال: ما الآخرة؟ فقرأ الآية: ﴿**فريق في الجنة وفريق في**

(1) ساقطة من ج.

(2) أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي، الزاهد المشهور، روى عن إسماعيل السدي وجعفر الصادق ... توفي سنة 261هـ وقيل 234هـ. ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 67-74، رقم 8، وأبو نعيم في الحلية 42/33/10 رقم 458، والقشيري في الرسالة ص 395-397 رقم 12، وابن خلكان في وفيات الأعيان 531/2 رقم 312، والذهبي في سير أعلام النبلاء 89-86/13 رقم 49، وفي ميزان الاعتدال 347-346/2 رقم 4035، وابن الملقن في طبقات الأولياء ص 398 رقم 108.

(3) عبد الرحمن بن عطية، ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، الزاهد، من أهل داريا قرية من قرى دمشق، روى عن سفيان الثوري، وأبي الأشهب العطاردي وعلقمة بن سويد، وعنه تلميذه أحمد بن أبي الحواري وهاشم بن خالد... توفي سنة 215 وقيل 250. نقل البغدادي عن محمد ابن الحسين بن موسى النيسابوري أنه توفي 215هـ، قال: "والشاميون أعلم بهذا من غيرهم فالله أعلم". ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 74-79 رقم 9، وأبو نعيم في الحلية 280-254/9 رقم 448، والبغدادي في تاريخ بغداد 250-248/10 رقم 5367، والقشيري في الرسالة، ص 411-412 رقم 35. وابن خلكان في وفيات الأعيان 131/3 رقم 363 والذهبي في سير أعلام النبلاء 186-182/10 رقم 34.

(4) شرح الحكم: 35/1.

(5) النجم/41.

السعير﴾[1] ، فقال: يا رسول الله ما الجنة ؟ فقال: أن تترك الدنيا / لطيب نعيمها أبدا، 17 ظ
قال: فما خير هذه الأمة ؟ قال: الذي يعمل بطاعة الله، قال: فكيف يكون فيها الرجل، قال مشمرا كطالب القافلة، قال: فكم القرار ؟ قال: كالمتخلف عن القافلة، قال: فكم بين الدنيا والآخرة ؟ قال: غمضة عين، قال: فذهب الرجل فلم يره أحد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا جبريل أتاكم يزهدكم في الدنيا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها، بادية لا يراها أحد إلا كره رؤيتها، (فيقال لهم أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من هذه، فيقال لهم: هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها"[2])[3] وفي كتاب المنبهات[4] : لا تحب الدنيا فإنها ليست بدار المؤمنين، ولا تصاحب الشيطان فإنه ليس برفيق المومنين، ولا تؤذ أحدا فليس ذلك بحرفة المومنين»[5] .

وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه[6] : لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء منهم، وطلابها مهانين عند الحكماء الماضين، وما قام داع في أمة إلا وقد حذر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها، ألا ترى من آل فرعون كيف قال: ﴿**اتبعون اهدكم سبل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع**﴾[7] ، أي لن تصل إلى سبيل الرشاد وفي قلبك محبة الدنيا، وطلب لها.

والحكايات والآثار في أحوال الدنيا وغرورها وشرورها أكثر من أن تحصى، ولا شيء أبين في ذلك من قوله تعالى في صفتها: ﴿**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو**﴾[8] الآية.

---

(1) الشورى/5. وتمام الآية: "وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه، فريق في الجنة، وفريق في السعير".
(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان، 3837، رقم 10671.
(3) الجملة ما بين قوسين ساقطة من ج.
(4) في ج: المنهيات.
(5) من قوله: قال علي كرم الله وجهه ... إلى قوله: هنا المومنين، وقفت عليه عند الفشني ص 6-7.
(6) وهو الحكيم الترمذي، سبقت ترجمته في ص 98.
(7) غافر/83–93 وتمام الآية: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرار﴾.
(8) الحديد/19 : وتمام الآية: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾.

قال الفشني: «فيا من بين يديه أهوال الحساب والصراط، يا قليل الوفاء، يا كثير العذر والانبساط، يا متكاسلا في طاعة مولاه، وفي لذات هواه في نشاط، يا مبارزا مولاه في المعاصي، أسرفت في الإفراط، يا ضعيفا عن حمل أثوابه، كيف تقوى على حمل السياط. فارفع يدك معي، وقل إلاهي بحق كرمك استعملنا في جميع الطاعات، ووفقنا لما تحب وترضى في جميع الأوقات، واغفر لنا بجودك يا ذا الجود جميع الزلات، وأيقظنا بجاه نبيك محمد صلى الله علي وسلم من سنة الغفلات، وارزقنا التيقظ فيما بقي، والتدارك[1] لما فات، وسلمنا في الدارين من جميع الآفات»[2].

إلاهي أنت المدعو بكل لسان، والمقصود في كل آن، إلاهي أنت قلت: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾[3]، فها نحن متوجهون إليك بكليتنا فلا تردنا، واستجب لنا كما وعدتنا، وسلمنا من كل الأسواء، واكفنا من جميع البلواء، وارحمنا يا مولانا برحمتك يا أرحم الراحمين.

(1) في ج: التذكر. وهو ما وقفت عليه عند الفشني.
(2) المجالس السنية: ص 7.
(3) وهو قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ غافر/60.

الحديث الثاني / 18 و

«عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت، فتعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تومن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتومن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. ثم انطلق، فلبث مليا ثم قال: يا عمر أتدري من السائل، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. رواه مسلم»[1].

افتتح الفشني هذا الحديث بقوله: "الحمد لله الذي بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للأنام، واختمه بشريعته السمحاء، مشتملة على الحكم والأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا[2] محمدا عبده ورسوله، أفضل الأنام، ومصباح الظلام، ورسول الملك العلام، صلى الله عليه وعلى آله السادات الكرام"[3]. ثم قال: "إنه حديث

(1) رواه أحمد في المسند 27/1 رقم 184. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم 8. وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، رقم 4695. وابن ماجة في المقدمة. باب في الإيمان. رقم: 63. والترمذي في كتاب الإيمان، باب وصف جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام رقم 2619. والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام، رقم 4617. وابن حبان في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان 195/1-196 رقم 168.

(2) في ج بزيادة: ومولانا.

(3) المجالس السنية: ص 7.

عظيم رواه مسلم بهذا اللفظ، والبخاري عن أبي هريرة بمعناه، وهو عظيم الموقع والجلالة، وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة"[1] هـ.

وهو كما قال: حديث عظيم جدا يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري في إخراجه، فخرجه من طريق كهمس[2] عن عبد الله بن بريدة[3] عن يحيى بن يعمر[4] قال: كان أول من قال في القدر[5] بالبصرة معبد الجهني[6]، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمان حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب / رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه 18 ظ

(1) نفس المصدر: ص 7.

(2) كهمس بفتح الكاف، وإسكان الهاء وفتح الميم. وبالسين المهملة؛ كذا ضبطه النووي في شرح مسلم 137/1. وهو كهمس بن الحسن أبو الحسن التميمي البصري. روى عن أبي الطفيل، وعبد الله بريدة، وعبد الله بن شقيق، وعنه ابنه، وابن المبارك، ويزيد بن هارون. توفي 149هـ. روى له الجماعة. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 121/7، رقم 10365. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 170/7 رقم 972. والمزي في تهذيب الكمال 179/6 رقم 5590. والذهبي في ميزان الاعتدال 415/3 رقم 6981. وفي سير أعلام النبلاء 316/6-317 رقم 134. وابن حجر في تهذيب التهذيب 593/6 رقم 5865.

(3) عبد الله بن بريدة بن الحصيب، الحافظ أبو سهل الأسلمي المروزي، قاضي مرو. حدث عن أبيه وعائشة وسمرة بن جندب. وعنه الجريري وحسين المعلم وكهمس بن الحسن. توفي 115هـ. ترجم له ابن سعد في الطبقات 165/7 رقم 3112. والبخاري في التاريخ الكبير 359/4-360 رقم 6180. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 13/5 رقم 61. والمزي في تهذيب الكمال 93/4-94 رقم 3167. والذهبي في تذكرة الحفاظ 78/1 رقم 95. وابن حجر في تهذيب التهذيب 244/4 رقم 3315.

(4) يحيى بن يعمر القاضي، أبو سليمان ويقال أبو عدي العدواني البصري. روى عن أبي ذر وعمار وعائشة، وعنه عبد الله بن بريدة وقتادة. اختلف في تاريخ وفاته فقيل 129، وقيل 189هـ، وقيل في حدود العشرين، وقيل توفي قبل التسعين. ترجم له ابن سعد في طبقاته 260/7-261 رقم 3622 والبخاري في التاريخ الكبير 195/8-196 رقم 12478. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 196/9 رقم 817. والذهبي في تذكرة الحفاظ 601 رقم 72. وفي سير أعلام النبلاء 441/4-443 رقم 170. وابن حجر في تهذيب التهذيب 320/9-321 رقم 7957.

(5) في ج، د: بالقدر، والذي عند مسلم "في القدر".

(6) الجهني، بضم الجيم وفتح الهاء وكسر النون في آخرها، هذه إلى جهينة. وهي قبيلة من قضاعة. واسمه زيد بن ليث بن سود بن أسلم. ومعبد بن خالد الجهني كان يجالس حسن البصري، وهو أول من تكلم بالبصرة في القدر، فسلك أهل البصرة بعد مسلكه فيها لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله، والمبتدع إذا أحدث بدعة ثم دعا الناس إليها لا يجوز الاحتجاج به بحال، قتله الحجاج =

عما يقول هؤلاء في القدر، فوقف لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتفقدون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف[1]، فقال: إذا (لقيت أولئك)[2] فأخبرهم أني بريء منهم وهم برءاء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث بطوله[3] ثم خرجه من طرق أخرى[4].

وقد خرجه ابن حبان في "صحيحه"[5] من طريق التيمي عن يحيى بن يعمر، وفيه زيادات، منها "في الإسلام: وتحج وتعتمر وتغتسل من الجنابة[6]. وقال في الإيمان: وتومن بالجنة والنار والميزان، وقال فيه: فإذا فعلت ذلك فأنا مومن ؟ قال: نعم[7]. قال في آخره: هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم خذوا عنه، والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ أتاني قبل مرتي هذه، وما عرفته حتى تولى[8]"[9].

وخرجاه "في الصحيحين"[10] من حديث أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل، فقال: ما الإيمان، الحديث.

=بن يوسف صبرا. وقد قيل إنه معبد بن عبد الله بن عويمر، روى عنه يحيى بن يعمر. الأنساب للسمعاني 3/394-396.

(1) هو بضم الهمزة والنون، أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، شرح مسلم للنووي 1/140.

(2) في ج: إذا رأيت ذلك.

(3) سبق تخريجه. وحكاية يحيى بن يعمر التي ذكرها أول الحديث أخرجها أيضا أبو داود والترمذي وابن حبان.

(4) خرجه من طرق أخرى بعضها يرجع إلى عبد الله بن بريدة، وبعضها إلى يحيى بن يعمر، وذكر أن في بعض ألفاظها زيادة ونقصا.

(5) كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان 1/198-199 رقم 173.

(6) زاد كذلك: "وأن تتم الوضوء".

(7) قال بعد أن سأله عن الإحسان "فإذا فعلت هذا، فأنا محسن ؟ قال، نعم".

(8) الذي وقفت عليه عند ابن حبان: ولى.

(9) قال ابن حبان عقب هذا الحديث: "قال أبو حاتم: تفرد سليمان التيمي بقوله "خذوا عنه" وبقوله: "تعتمر وتغتسل وتتم الوضوء".

(10) البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان. رقم 50، كتاب التفسير، باب تفسير سورة لقمان، رقم 4777، ومسلم في كتاب=

وخرجه مسلم بسياق أتم من هذا وفيه في خصال الإيمان: أن[1] تومن بالقدر كله. وقال في الإحسان: أن تخشى الله كأنك تراه[2].

وخرجه الإمام أحمد في "مسنده"[3] من حديث شهر بن حوشب.

فقوله: **بينما**، أصله بين، زيدت ما لتفكها عن الخبر، ويجوز بينا، وهو ظرف زمان بمعنى المفاجأة، ففيه إشارة إلى أن ذلك لم يكن عن ميعاد ولا استعداد.

وقوله: **نحن**: ضمير متكلم مع غيره، بدليل آخر الحديث.

وقوله: **جلوس**: جمع جالس، أو مصدر.

وقوله: **عند**، ظرف مكان معناه القرب حسا كما هنا، ومعنى كقوله تعالى: "وعنده أم الكتاب". ولا يدخل عليه حرف من حروف الجر إلا من.

وقوله: **ذات يوم**، فيه حذف، والتقدير: في ساعة ذات مدة من يوم.

= الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم 9، ورواه كذلك أحمد في المسند 426/2 رقم 9497. وابن ماجة في المقدمة، باب في الإيمان رقم 64. وابن حبان في صحيحه كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان 189/1 رقم 159.

(1) في باب، الواو بدل: أنا.

(2) مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم 10، عن أبي هريرة. وذكر في سبب وروده أن رسول الله (ص) قال: "سلوني" فهابوه أن يسألوه.

(3) المسند 129/4، رقم 17299، وفيه ... حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك زأن النبي بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل عليه السلام في غير صورته يحسبه رجلا من المسلمين، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم وضع جبريل يده على ركتبي النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله: ما الإسلام ؟ فقال: أن تسلم وجهك لله وأن تشهد ... ثم قال بعد الحديث عن الإحسان، ونسمع رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ولا يرى الذي يكلمه ولا يسمع كلامه، قال: فمتى الساعة يا رسول الله ؟ فقال رسول الله: سبحان الله، خمس من الغيب لا يعلمها إلى الله عز وجل إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير، فقال السائل: يا رسول الله إن شئت حدثتك بعلامتين تكونان قبلها، فقال: حدثني، فقال: إذا رأيت الأمة تلد ربتها، ويطول أهل البنيان بالبنيان، وعاد العالة الحفاة رؤوس الناس، قال: ومن أولئك يا رسول الله ؟ قال: العريب، قال: ثم ولى، فلم نر طريقه بعد، قال: سبحان الله –ثلاثا– هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم، والذي نفس محمد بيده ما جاءني قط إلا وأنا أعرفه إلا أن تكون هذه المرة".

وقوله: **إذ طلع**، عبر به دون دخل دلالة على تعظيمه، وعلو[1] قدره. وفيه استعارة تبعية أو مكنية.

وقوله: **علينا رجل**، أي ملك في صورة رجل، والتنوين فيه للتعظيم.

ورواية البخاري"[2] إذ أتاه رجل يمشي.

وعند مسلم أن سبب ورود هذا الحديث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلوني" فهابوا أن يسألوه، قال: فجاء رجل[3] إلخ. لأنهم أكثروا السؤال على رسول الله فزجرهم فتركوه، فقال لهم سلوني، فهابوه، فجاءهم من يتعلموا بسؤاله.

قال ابن العربي /[4]: للملك أن يتصور في أي صورة شاء، وتجري عليه أحكامها، 19 و
فلا يتكلم إلا بما يليق بتلك الصورة، وبهذا يندفع تردد إمام الحرمين[5] في تمثل الملك، هل معناه أن الله أفنى الزائد أو أزاله ثم أعاده إليه.

وجزم ابن عبد السلام[6] بالإزالة دون الفناء. وقال ابن جني والبلقيني لا فناء ولا إزالة، بل يخفى على الرائي أو ينضم فيصير على قدر هيئة الرجل، وإذا ترك ذلك عاد لهيئته كالقطن إذا جمع بعد أن كان منفشا.

---

(1) في ج: على.

(2) الرواية التي في كتاب التفسير.

(3) انظر تخريج الحديث في ص: 172.

(4) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، المعافري الأندلسي، الإشبيلي القاضي المالكي، المعروف بابن العربي، توفي سنة 543هـ. من مصنفاته: أحكام القرآن، القبس شرح موطأ مالك بن أنس، عارضة الأحوذي، المسالك في شرح موطأ مالك وغيرها. ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان 4/296-297 رقم 626، وابن فرحون في الديباج المذهب، 2/252، وابن قنفذ في شرف الطالب 1/355، وترجمته أيضا في طبقات المالكية لمجهول ص 306، وفي أزهار البستان لابن عجيبة ص 62 وسلوة الأنفاس للكتاني 3/198، وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 136-138 رقم 408.

(5) هو ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني، الفقيه الشافعي المعروف بإمام الحرمين. توفي سنة 478، من مصنفاته: البرهان في أصول الفقه، والشامل في أصول الدين والإرشاد، وغيرها. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان 3/167 رقم 378، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 5/165-222 رقم 475. وابن كثير في البداية والنهاية 12/128. وابن قنفذ في شرف الطالب 1/321. وابن العماد في شذرات الذهب 3/358-362.

(6) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام 2/235-236. وعلل ذلك بأن انتقال الروح من الجسد الأول غير موجب لموته، لأن موت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلا، وإنما هو بعادة مطردة أجراها الله في أرواح بني آدم فيبقى ذلك الجسد حيا لا ينقص معارفه ولا طاعته شيء، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف الطيور الخضر ...

قوله: شديد بياض الثياب، هذه إحدى حالات الملك الموكل به صلى الله عليه وسلم، لأن الوحي كان يغشاها الرؤيا الصادقة، ونزول إسرافيل أول البعثة ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي، ثم وكل به جبريل فكان يأتيه في صورة رجل، وفي صورة دحية، وفي صورته التي خلق عليها مرتين، وفي الصورة المذكورة في هذا الحديث.

وفي تفسير ابن عادل[1]: أن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين ألف مرة[2].

وفيه دليل على استحباب البياض من الثياب عند لقاء الرؤساء والجلوس في المحافل.

وقوله: شديد سواد الشعر، أي اللحية، كما وقع مصرحا به رواية ابن حبان[3]، وفيه تنبيه على استحباب تحسين الشعر بالتسريح والدهن وغيرهما عند الدخول على الأكابر. وفيه إشارة إلى أن زمن طلب العلم زمن الشباب.

وللنسائي[4]: "أحسن الناس وجها، وأطيب الناس ريحا، لأن ثيابه لا يمسها دنس".

قال الفشني: «يستفاد من طلوعه على تلك الهيئة الحسنة استحباب التجمل لطلب العلم، والقدوم على الغير وهو كذلك. قال أبو العالية: كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا. وقال ابن عبد السلام: "لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا، فإني كنت محرما فأنكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخلوا به من آداب الطواف فلم يقبلوا، فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت ذلك سمعوا

(1) أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي النعماني، له "اللباب في علوم الكتاب" في تفسير القرآن. فرغ منه 879، توفي بعد 880. ترجم له البغدادي في هدية العارفين 794/1. والزركلي في الأعلام 58/5.

(2) اللباب في علوم الكتاب، 79/15 عند تفسير قوله: "نزل به الروح الأمين" الشعراء/193، ولكنه ذكر "أربع عشرة ألف مرة".

(3) حديث رقم 168، سبق تخريجه.

(4) كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام، رقم 4618، وفيه ... كأن ثيابه لم يمسها دنس". وهو من رواية أبي هريرة وأبي ذر.

وأطاعوا. فإذا لبسها لمثل ذلك كان فيه أجر لأنه سبب لامتثال أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه"[1].

وقال العلماء: يكره لباس[2] الثياب الخشنة لغير غرض شرعي. قيل: إن الحسن جذب فرقدا فأخذ بكساه، وقال له: يا فرقد، يا فريقد يا ابن أم فريقد إن البر ليس في لبس هذا الكساء إنما البر ما وقر في الصدور وصدقه العمل»[3] هـ.

ولاشك في جواز لبس الثياب الحسنة مما ليس بمحرم منها شرعا، لاسيما في الجمع والأعياد، وملاقاة الوفود ونحو ذلك، وقد ترجم البخاري في أبواب الجمعة على ذلك، فقال: باب يلبس أحسن ما يجد. ثم أورد عن ابن عمر أن عمر رأى حلة سيراء عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه الحلة فلبستها يوم الجمعة وللوفد[4] إلخ.

وقال أيضا في ترجمة أخرى: باب في العيدين والتجمل فيه[5]، وكان ابن عمر رضي / الله عنه يلبس أحسن ثيابه. 19 ظ

وقوله: **لا يرى**، بالبناء للمجهول، **عليه أثر**: أي علامة السفر، وفي رواية[6]: سحناء السفر، بفتح أوله وثانيه الهيئة.

---

(1) فتاوى العز بن عبد السلام، ص 69. وقال عقب ذلك: "وأما المبالغة في تحسين الخياطة وغير ذلك فمن فعل أهل الرعونة والالتفات إلى الأغراض الخسيسة التي لا تليق بأولي الألباب".

(2) في ج: لبس.

(3) المجالس السنية: ص 7.

(4) البخاري في كتاب الجمعة. باب يلبس أحسن ما يجد رقم 886، وفيه عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة، وللوفد إذا قدموا عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة" ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حلل، فأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه منها حلة، فقال عمر: يا رسول الله، كسوتنيها وقد قلت من حلة عطارد ما قلت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لم أكسكها لتلبسها" فكساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخا له بمكة مشركا.

(5) ذكرها البخاري في كتاب العيدين، وهو أول باب من أبواب هذا الكتاب سماه باب في العيدين والتجمل فيهما. وذكر فيه حديث ابن عمر السالف الذكر مع اختلاف في لفظه. رقم 948، ولم أقف على قوله: "وكان ابن عمر يلبس ...".

(6) وهي رواية ابن حبان التي من طريق التيمي، وفيها: "... إذ جاء رجل ليس عليه سحناء سفر، وليس من أهل البلد يتخطى حتى ورك ..".

وقوله: **ولا يعرفه منا أحد**: إنما قال عمر ذلك استنادا إلى صريح قول الحاضرين، فقد ورد في رواية: "فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا، ما نعرف هذا"[1].

وقوله: **حتى جلس**، متعلق بمحذوف أي استأذن ودنا حتى جلس، وإلى بمعنى: مع أو عند. وقال الفشني: «لم يقل بين يديه، قيل لأن حاله يدل على أنه لم يجيء متعلما وإنما معلما.

وقوله: **فأسند** أي ألصق ركبتيه إلى ركبتيه، وهو ظاهر في أنه جلس بين يديه، إذ لو جلس إلى جانبه لما أمكنه إلا إسناد ركبة واحدة، وهو غير جلوس المتعلم بين يدي شيخه للتعلم. وإنما فعل ذلك جبريل عليه السلام للتنبيه على ما ينبغي للسائل من قوة النفس وعدم الاستحياء عند السؤال، وإن كان المسئول من يحترمه ويهابه، وعلى ما ينبغي للمسئول من التواضع والصفح عن السائل وإن تعدى ما ينبغي من الاحترام»[2]هـ. ولأن الجلوس على هذه الهيئة أبلغ في الإصغاء وحضور القلب.

وقوله: **وضع كفيه**، تثنية كف، وهي الراحة مع الأصابع سميت به لأنها تكف الأذى عن البدن.

وقوله: **على فخذيه**، [أي وضع الرجل كفيه على فخذيه][3] صلى الله عليه وسلم كما جاء مصرحا بهذا في رواية النسائي[4] من حديث أبي هريرة وأبي ذر: قالا: حتى وضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم.

قال[5] القرطبي[6]: "أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى [الظن][7] أنه من جفاة الأعراب فصنع صنيعهم، لأن الصحابة استنكروا هيئته وجلوسه كما ذكر"[8]هـ.

---

(1) وهي رواية عثمان بن غياث كما ذكر ابن حجر في الفتح 160/1.

(2) المجالس السنية: ص 7-8.

(3) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل أ.

(4) سبق تخريجه. رقم 4618.

(5) بياض في النسخة ب.

(6) أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي، ضياء الدين أبو العباس، المعروف بابن المزين. من شيوخه: أبو الحسن علي بن محمد اليحصبي، وأبو محمد عبد الله بن خوط الله. من تلامذته أبو عبد الله محمد بن فرح القرطبي، وأبو محمد عبد المومن بن خلف الدمياطي. توفي 626 هـ وقيل 656 هـ. من مصنفاته: المفهم في شرح ما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. وتلخيص صحيح مسلم. ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية 213/13. وابن فرحون في الديباج المذهب 240/1-242. والسيوطي في حسن المحاضرة 394/1، رقم 64. وابن العماد في شذرات الذهب 273/5-274.

(7) ساقطة من أ، ج.

(8) وقفت على هذا الكلام عند ابن حجر في الفتح ولم ينسبه للقرطبي 160/1 : والذي عند القرطبي في المفهم 139/1 "أن جبريل إنما فعل ذلك –والله أعلم– تنبيها على ما ينبغي للسائل من قوة النفس=

قلت: وهذا هو الصواب، وقول الفشني: فعل ذلك للاستيناس، يرده ما تقدم في رواية ابن حبان "والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ أتاني ..." الخ.

قوله: **يا محمد**، ناداه باسمه، كما تناديه الأعراب، مع أنه حرام، لأن حاله يدل على أنه لم يجئ متعلما، وإنما جاء معلما، أو قبل العلم بحرمته، وإما لأن الحرمة مختصة بالآدميين فلا تشمل الملائكة إلا بدليل، وإما جريا على عادة العرب من النداء بالاسم غالبا قصدا لمزيد التعمية عليهم[1]، [وهذا أوجه][2]. وأما نداء غيره ممن يستحق التوقير باسمه فغير حرام، وإنما هو خلاف الأولى إلا أن يتأذى به فينبغي تحريمه. قاله بعض العلماء. وإنما خاطبه[3] صلى الله عليه وسلم بهذا الإسم دون بقية أسمائه لأن هذا أشهرها.

قال بعضهم: محمد أشهر أسمائه بين العالمين، وأشوقها إلى/ الصلاة والسلام على 20 و
سيد المرسلين، وأكثرها سماعا عند جميع[4] المسلمين. هـ.

ولتلك الأشهرية مع ماله من مقام المحبوبية خص بكلمة التوحيد، وإن كان أحمد هو السابق.

قوله: **أخبرني عن الإسلام**، اختلفت الروايات في تقديم الإسلام على الإيمان وعكسه، ووجهت رواية تقديم الإسلام بأنه الأمر الظاهر، وأول واجب على المكلف النطق بكلمة الشهادة عند القدرة.

قال الطيبي[5]: "وهذه الرواية أرجح لما فيها من الترقي"[6]، فبدأ بالظاهر. وترقى إلى الأعلى، ووجه رواية العكس أن الإيمان هو الأصل فبدأ به، وثنى بالإسلام، لأنه

= عند السؤال، وعدم المبالاة بما يقطع عليه خاطره، وإن كان المسؤول ممن يحترم ويهاب، وعلى ما ينبغي للمسؤول من التواضع والصفح عن السائل وإن تعدى على ما ينبغي من الاحترام والأدب".

(1) وهو ما ذكره القرطبي في المفهم 139/1.

(2) ساقطة من أ، ب، ج. أثبتته من د.

(3) في أ، ج: خطب، وفي ب: خطبه، والصواب خاطبه.

(4) في ج: جماعة.

(5) الحسين أو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي، بكسر الطاء، قال ابن حجر: كان آية في استخراج الرقائق من القرآن والسنن، توفي سنة 743، من مصنفاته شرح الكشاف، شرح المشكاة، التفسير ... ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة 39/2 رقم 1614، والسيوطي في بغية الوعاة 522/1-523 رقم 1080، وابن العماد في شذرات الذهب 137/6.

(6) فتح الباري 161/1.

يظهر به مصداق الدعوى، وثلث بالإحسان لتعلقه بهما. فأما الإسلام فقد فسره عليه الصلاة والسلام بأعمال الجوارح الظاهرة من قول وعمل، فهو عبارة عن فعل الواجبات وهو الانقياد إلى عمل الظاهر كما بينه صلى الله وعليه وسلم بقوله: أن تشهد إلخ. أي تعلم وتتحقق أن لا إله أي لا معبود بحق موجود أو في الوجود إلا الله، قال الله تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو**﴾[1]، أي أعلم خلقه.

فأن مخففة، واسمها ضمير الشان، ولا نافية للجنس، وإلاه اسمها مبني على الفتح، وخبرها محذوف تقديره موجود أو في الوجود، والأداة استثناء، واسم الجلالة بدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر على الأصح، أو بدل من محل لا مع اسمها، فأل في الإسلام للحقيقة والماهية الشرعية، وكذا في نظائره. أي أخبرني عن الإسلام أي عن حقيقته.

وقوله : **أن محمدا رسول الله**، إنما لم يذكر الإيمان بجميع الأنبياء والملائكة والمرسلين، والكتب المنزلة للعلم بذلك كما في قوله عليه الصلاة والسلام: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"[2]، وأن ذلك محمول على قول الشهادتين فاستغنى بأحدهما عن الآخر لارتباطهما وشهرتهما، فمن آمن بالله ورسوله فهو مؤمن بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب وسنة، والكتاب والسنة مشتملان على وجوب الإيمان بكل ما ذكر من النبيئين والمرسلين والملائكة والكتب المنزلة، فرمز صلى الله عليه وسلم بقوله: وأن محمدا رسول الله إلى سائر ما تقدم، كما رمز بقوله: "أمرت أن أقاتل الناس" الحديث إلى الشهادة الأخرى.

تنبيه:

اعلم أنه يجب الإيمان بجميع ملائكة الله سبحانه وكتبه ورسله إيمانا كليا، فمن ثبت تعيينه باسمه كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، وجب علينا الإيمان به

(1) آل عمران/18، وتمام الآية: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم".

(2) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة". رقم 25. ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول" رقم 20. وسيأتي تخريجه بأوفى من هذا، لأنه من الأحاديث التي يدور حولها الشرح.

عينا، ومن لم نعرف اسمه آمنا به إجمالا، وكذلك الكتب المنزلة، وكذلك الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين /. 20 ظ

قوله: **وتقيم الصلاة**، أي بأن تاتي بها بأركانها وشروطها، وتواظب عليها في أوقاتها، "فإقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من الزيغ، من أقام (العود وقومه، أو)[1] الدوام والمحافظة من قامت السوق أي نفقت، أو التشمر لأدائها من قام في الأمر، أو أداؤها". قاله جار الله[2].

والصلاة لغة: الدعاء، قال تعالى: ﴿**وصلوات الرسول**﴾[3]، وقال: ﴿**وصل عليهم**﴾[4]، وقال عليه السلام: "من كان صائما (فليصل)[5] أي[6] فليدع. ومنع السهيلي[7] هذا

(1) في ب: العهود وقومها أي ... وهو خطأ. وفي د: العود قومه، الواو ساقطة.

(2) الكشاف، 39/1. عند تفسير قوله ﴿الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ البقرة/2.
وجار الله هو الإمام أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي، سمع من نصر بن البطر وغيره. وروى عنه بالإجازة أبو طاهر السلفي. توفي سنة 538هـ. من مصنفاته الفائق في غريب الحديث، وأسرار البلاغة. كان معتزلي الاعتقاد متظاهرا به. ترجم له: ياقوت في معجم الأدباء 126/19-135. وابن خلكان في وفيات الأعيان 168/5-174 رقم 711. والذهبي في سير أعلام النبلاء 151/20-156 رقم 91. والقرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية 447/3-448 رقم: 8261. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 266/5. والسيوطي في طبقات المفسرين ص 41، رقم 137.

(3) التوبة/100، وتمام الآية: ﴿ومن الأعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول، ألا إنها قربة لهم، سيدخلهم الله في رحمته، إن الله غفور رحيم﴾.

(4) التوبة/104، وتمام الآية: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم، والله سميع عليم﴾.
والصلاة بمعنى الدعاء في الآيتين كما ذكره ابن كثير في تفسيره: 444/3 و448.

(5) رواه أحمد في المسند 279/2 رقم 7735. ومسلم في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، رقم 106. وأبو داود في كتاب الصوم، باب في الصائم يدعى إلى وليمة، رقم 2460. والترمذي في كتاب الصوم، باب في إجابة الصائم الدعوة، رقم 780، والحديث من رواية أبي هريرة.

(6) ما بين قوسين ساقط من ب.

(7) أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حسين بن سعدون، توفي سنة 581هـ بمراكش، من مؤلفاته الروض الأنف كالشرح للسيرة النبوية، والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام، وكتاب الفرائض. ترجم له: الضبي في بغية الملتمس 364 رقم 1025. وابن خلكان في وفيات الأعيان 143/3-144. رقم 371. والذهبي في تذكرة الحفاظ 96/4-97 رقم 1099. والسيوطي في بغية الوعاة 81/2-82 رقم 1491. وابن فرحون في الديباج المذهب 480/1. وابن العماد في شذرات الذهب 271/4-272.

المعنى لأنه يستعمل في الخير والشر[1]، بل إنها ترجع إلى معنى[2] الحنو والانعطاف)[3]. وتستعمل بمعنى البركة والاستغفار.

وفي الشرع: قربة فعلية ذات إحرام وسلام أو سجود فقط، قاله ابن عرفة[4]. وفي اشتقاقها أقوال، قيل: من الصلوين وهما عرقان. وقيل: من صليت العود إذا قومته؛ لأنها تحمل على الاستقامة وتنهى عن المعصية. وقيل: من الصلة؛ لأنها تصل بين العبد وربه أي تدنيه من رحمته وتبلغه لجنته.

وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدي الرب. وفرضت ليلة المعراج، ولم يفرض عليه صلى الله عليه وسلم قبلها صلاة.

وهل فرضت ركعتين وكملت صلاة الحضر أربعا، وهو[5] قول عائشة رضي الله عنها، أو فرضت أربعا إلا المغرب والصبح وعليه الجمهور[6].

قوله: **وتوتي الزكاة**، أي تؤديها على وجهها الشرعي أي تعطيها لمستحقها. وهي لغة: النمو والزيادة والبركة، وشرعا: جزء من المال، شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصابا.

---

(1) في ج بزيادة: وقال.

(2) "معنى" ساقطة من د.

(3) الروض الأنف 54/2. والإمام السهيلي لم يمنع استعمال هذا المعنى بالكلية، وإنما منع استعمال الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق وعلل ذلك بقوله: "لا تقول صليت على العدو، أي دعوت عليه، إنما يقال صليت عليه في معنى الحنو والرحمة والعطف، لأنها في الأصل انعطاف، ومن أجل ذلك عديت في اللفظ بعلى. فتقول: صليت عليه، أي حنوت عليه، ولا تقول في الدعاء إلا دعوت له فتعدي الفعل باللام إلا أن تريد الشر والدعاء على العدو. فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء، وأهل اللغة لم يفرقوا، ولكن قالوا: الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقا ولم يفرقوا بين حال وحال، ولا ذكروا التعدي باللام ولا بعلى ولابد من تقييد العبارة لما ذكرناه".

(4) المختصر الفقهي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 402 ق، ورقة 14 ظ.
وابن عرفة هو الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، الفقيه المالكي. توفي سنة 803هـ، من مصنفاته: التقييد الكبير في المذهب، تفسير القرآن، تأليف في أصول الدين عارض به كتاب الطوالع للبيضاوي، والحدود وغيرها. ترجم له ابن قنفذ في شرف الطالب 715/2، والتنبكتي في نيل الابتهاج 463، والقرافي في توشيح الديباج 251، وابن القاضي في درة الحجال 280/2-283 رقم 793. والوزير السراج في الحلل السندسية 577/3، والشوكاني في البدر الطالع 256/2.

(5) "هو" ساقطة من ب.

(6) وقول الجمهور هو الراجح، وقد ناقش هذه المسألة العلامة عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر فتجده يقول في ص 16 "قول عائشة رضي الله عنها فرضت=

قوله: **وتصوم رمضان**، الصوم لغة الإمساك، والكف والترك، فمن أمسك[1] عن شيء أو تركه قيل له أنه صائم، قال تعالى: ﴿**إني نذرت للرحمن صوما**﴾[2] (أي صمتا[3]. ومن الكف قوله:

خيل صيام وأخرى[4] غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وشرعا: "كف عن إنزال يقظة ووطء وانعاظ[5] ومذي، ووصول غذاء غير غالب غبار و[6] ذباب أو فلقة بين أسنان لحلق أو[7] جوف "من الفجر حتى الغروب، دون إغماء أكثر نهاره" قاله ابن عرفة[8].

وقال القرافي: "إمساك عن شهوتي الفم والفرج، أو ما يقوم مقامها مخالفة للهوى في طاعة المولى في جميع أجزاء النهار بنية قبل الفجر أو فيه إن أمكن، فيماعدا زمن الحيض والنفاس وأيام الأعياد"[9]هـ.

=الصلاة ركعتين ركعتين، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر، لا يصلح لمعارضة الأدلة المذكورة ولا يمكن أن يقف معها على قدم المساواة لرجحانها عليه من وجوه" ومن بين الأسباب التي رجح بها أن هذا القول موقوف عليها، وغلط من جعله في حكم المرفوع، وأنه شاذ، لأنه أفاد أن صلاة السفر أصل وصلاة الحضر مزيدة وهو مخالف للقرآن والسنة لإجماع المسلمين في تسمية صلاة السفر مقصورة، والشاذ من قبيل الضعيف، وأن حديث إمامة جبريل فيه تصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى ليلة الإسراء خمس صلوات في أوقاتها بركعاتها، وأن أهل التفسير والمغازي والسير تتبعوا ما شرع من الأحكام بعد الهجرة ولم يات في شيء من الطرق التي استندوا إليها صحيحها وضعيفها أن الصلاة كانت اثنتين ثم فرضت بعد الهجرة أربعا إلا بعض من شذ منهم ورده عليه العلماء، وغيرها من الأسباب، وقال في آخر كلامه ص 21 (ولهذا أول الحافظ ابن حجر كلامها بقوله: "المراد بقول عائشة، فأقرت صلاة السفر، أي باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف، لا أنها استمرت منذ فرضت" وهذا التأويل متعين ليكون كلامها موافقا للواقع).

(1) في ج استمسك، وهو خطأ.

(2) مريم/25، وتمام الآية: ﴿فكلي واشربي وقري عينا، فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾.

(3) ما بين قوسين ساقط من ج.

(4) في ج، د: وخيل.

(5) الإنعاظ الشبق، يقال أنعظت الدابة إذا فتحت حياها مرة وقبضته أخرى. الصحاح: مادة نعظ 3/1180-1181.

(6) في ج: أو، وهو ما وجدته في المختصر.

(7) في ب: الواو بدل أو، وفي المختصر أو.

(8) المختصر الفقهي. ورقة 60 ظ.

(9) الذخيرة: 2/485.

ورمضان مأخوذ من الرمض، مطر يأتي زمن الخريف سمي به الشهر لأنه يغسل الأبدان من الآثام (ويطهر القلوب)[1] وقيل سمي به لأنه / يرمض الذنوب أي يحرقها. 21 و

وقال الفشني (سمي كذلك لاشتداد حر الرمضاء أي الحجارة فيه حين وضع له هذا الاسم)[2] هـ.

وفرض في السنة الثانية[3]من الهجرة. وفيه جواز استعماله غير مضاف، وقيل لا يجوز إلا بقرينة ويكره بدونها، قال:

لا تضف[4] لفظة شهر لإسم إلا ربيعين وشهر الصوم[5]
وسيبويه جوز الإضافة للكل لكن فاعتمد خلافه

وحكمة مشروعيته مخالفة النفس وكسرها وتصفية[6] القلب، والانصاف بسمة الملائكة، والتنبيه على مواساة الجائع.

قوله: **وتحج البيت**، الحج لغة القصد، واصطلاحا: قال ابن عرفة: "يمكن رسمه بأنه عبادة يلزمها الوقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة وحده، بزيادة سعي[7] وطواف ذي طهر اخص بالبيت عن يساره سبعا بعد فجر يوم النحر والسعي من الصفا للمروة، ومنها إليها سبعا بعد طواف كذلك، لا بقيد وقته بإحرام في[8] الجميع"[9] هـ.

والبيت علم بالغلبة على الكعبة، كالنجم على الثريا.

---

(1) في د: ويطهرها.
(2) المجالس السنية: ص 8.
(3) في ج: الثامنة، وهو خطأ. فقد فرض في السنة الثانية. انظر البداية والنهاية لابن كثير 3/254-255.
(4) في ج: تضعف، وهو خطأ.
(5) وقفت على هذا البيت عند التاودي في شرحه على الأربعين ص 71. ونسبه لنفسه.
(6) في ج بزيادة: من آفات.
(7) ساقطة من ج.
(8) ساقطة من ج.
(9) المختصر الفقهي: ورقة 67 و.

وقوله: **إن استطعت إليه**، أي الحج أو البيت، **وسبيلا**، مفعول أو[1] تمييز، أي طريقا، والسبيل يذكر ويؤنث.

والاستطاعة "إمكان الوصول بلا مشقة مع أمن على نفس ومال، ولو بلا زاد وراحلة لذي صنعة تقوم به، وقدر على المشي" كما قال خليل[2]. وقال الشافعي: "هي الزاد والراحلة"[3]. وفي فوريته وتراخيه لخوف الفوات خلاف. والسبيل يطلق على اثني عشر معنى وكلها في القرآن. وقيد[4] الحج بالاستطاعة دون ماعداه، وإن كان كذلك لوجود عظم[5] المشقة فيه.

قال[6] الفشني: «ظاهر الحديث أنه لابد في حصول الإسلام من مجموع الشهادتين حتى لو اقتصر على إحداهما لم يكن مسلما وهو كذلك. وقدم الكلام على الشهادتين لأن بهما حصول الإيمان الذي هو ملاك الأمر وأصله، إذ الباقي مبني عليه مشروط به، وبه النجاة في الدارين. ثم الصلاة لأنها "عماد الدين"[7]، و"بين العبد[8] والكفر ترك الصلاة"[9]، ولشدة الحاجة إليها وتكررها كل يوم خمس مرات. ثم الزكاة لأنها قرينة

---

(1) في ج، الواو بدل أو.

(2) المختصر، ص 72.

وخليل هو الشيخ أبو الضياء خليل بن إسحاق الجندي المصري، توفي 769 كما ذكر ابن فرحون في الديباج، وذكر ابن القاضي أنه توفي 767، وقيل: 776. من مصنفاته: المختصر، والتوضيح شرح ابن الحاجب، وله شرح على المدونة لم يكمل، وشرح على ألفية ابن مالك. ترجم له ابن فرحون في الديباج المذهب 357/1، والتنبكتي في نيل الابتهاج ص 168، والقرافي في توشيح الديباج ص 92، وابن القاضي في درة الحجال 257/1 رقم 388، وترجمته في طبقات المالكية ص 414، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين 352/1، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية ص 223 رقم 794.

(3) الأم 113/2.

(4) في ب: قيل، وفي ج: نية، وكلاهما خطأ.

(5) في د: عظيم.

(6) بياض في ب.

(7) كما في الحديث: "الصلاة عماد الدين"، انظر الجامع الصغير للسيوطي، ص: 51. ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان عن علي وضعفه، ولم أقف عليه عنده.

(8) بياض في د.

(9) كما ورد بذلك الحديث الذي رواه أحمد في المسند 370/3 رقم 15042. والدارمي في كتاب الصلاة، باب في تارك الصلاة رقم 1629. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة رقم 82. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم 1078. والترمذي في كتاب الإيمان، باب ترك الصلاة، رقم 2628. والحديث ورد عن جابر بن عبد الله.

الصلاة في أكثر المواضع. ثم صوم رمضان لتكرره كل سنة، وكثرة أفراد فاعله بخلاف الحج للتغاليظ الواردة فيه من نحو قوله تعالى: ﴿**ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**﴾[1]. ونحو قوله صلى الله عليه وسلم: "فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا"[2]»[3].

قوله: **فعجبنا له**، أي منه أو لأجله، **يسأله**، وهو قرينة عدم العلم، **ويصدقه**: والتصديق قرينة العلم، وقد زال تعجبهم بإعلامهم أنه جبريل.

قوله: **فأخبرني عن الإيمان**، وهو في اللغة / مطلق التصديق. وشرعا: عبارة عن 21 ظ
تصديق خاص، وهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. والمراد بالتصديق الإذعان والقبول، لا مجرد نسبة الصدق[4] له صلى الله عليه وسلم، لئلا يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار.

وقوله: **أن تومن بالله**، قال الكرماني [5]: ليس فيه تعريف[6] الشيء بنفسه، بل إفادة أن الإيمان الشرعي هو اللغوي مقيدا بما ذكر، أي هو تصديق خاص[7]، وقد ذكر الله سبحانه الإيمان في كتابه بهذه الأصول الخمس في مواضع، كقوله تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون**﴾[8] الآية، وقال تعالى: ﴿**ولكن البر من آمن بالله**

(1) آل عمران/97، وتمام الآية: ﴿فيه آيات بينات، مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب إمكان الحج 334/4، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا" قال عقبه: وهذا وإن كان إسناده غير قوي فله شاهد من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "ليمت يهوديا أو نصرانيا". ورواه كذلك في شعب الإيمان 430/3، رقم 3979. وأورده المنذري في الترغيب والترهيب، كتاب الحج، ترهيب من قدر على الحج فلم يحج، 211/2.

(3) المجالس السنية، ص 8.

(4) في ج: التصديق.

(5) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ثم البغدادي، الشيخ شمس الدين، قرأ على والده بهاء الدين وعلى نصر الدين الفارقي، وسمع من جماعة. توفي سنة 786، من مصنفاته: شرح البخاري، شرح مختصر ابن الحاجب، حاشية على تفسير البيضاوي. ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة 189/4-190 رقم 4816، والسيوطي في بغية الوعاة 279/1، رقم 515، والشوكاني في البدر الطالع 292/2 رقم 535، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين 172/2.

(6) في ج: تقريب، وهو خطأ.

(7) شرح البخاري 194/1 بتصرف.

(8) البقرة/284، وتمام الآية: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير﴾.

واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾**[2]. الخ.

والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتب والبعث والقدر وغير ذلك كما تقدم. والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان لكنها شرط كمال[3].. وحكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ذلك[4]. وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن[5] الإيمان إنكارا شديدا. قال البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل كلهم يقولون أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص"[6]، وهو مذهب الثوري[7] والأوزاعي[8] واسحاق بن راهويه[9] والشافعي وأحمد، وفقهاء الأمصار[10].

(1) البقرة/جزء من آية 176.
(2) البقرة/2، وتمام الآية ﴿الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.
(3) فتح الباري 68/1.
(4) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 104.
(5) في ج: على، مع زيادة عين، يعني على عين ...
(6) فتح الباري 69/1.
(7) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، روى عن أبيه وأبي إسحاق الشيباني والأعمش ... ذكر خليفة أنه توفي سنة 162، وقال ابن سعد: اجتمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة 161هـ. وفي بعض ذلك خلاف، والصحيح ما هنا. ترجم له ابن سعد في طبقاته 350/6-352 رقم 2641، وخليفة في الطبقات ص 168، وأبو نعيم في الحلية 356/6 رقم 387، وابن حجر في تهذيب التهذيب 397/3 رقم 2519.
(8) شيخ الإسلام، أبو عمر عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ. حدث عن عطاء بن أبي رباح ومحمد بن ابراهيم التيمي وغيرهم، وعنه شعبة وابن المبارك والوليد بن مسلم ... اختلف في وفاته قيل 157، وقيل 155 وقيل 156 وقيل 151، وهو من كبار تابعي التابعين. ترجم له ابن سعد في الطبقات 339/7 رقم 3987، والبخاري في التاريخ الكبير 198/5-199 رقم 7104، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 266/5-267 رقم 1257, والذهبي في تذكرة الحفاظ 134/1-137 رقم 177 وابن حجر في تهذيب التهذيب، 148/5-151 رقم 4078، وابن العماد في شذرات الذهب 241/1.
(9) أبو يعقوب إسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ثم النيسابوري. سمع الدراوردي، والفضيل بن عياض وابن عيينة. حدث عنه بقية بن الوليد ويحيى بن آدم من شيوخه، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين من أقرانه. توفي سنة 238هـ. ترجم له: البخاري في التاريخ 355/1 رقم 1209. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 209/2-211 رقم 714. وأبو نعيم في الحلية 234/9-238. والبغدادي في تاريخ بغداد 345/6-355 رقم 3381. والذهبي في سير أعلام النبلاء 358/11-382 رقم 79. وابن العماد في شذرات الذهب 89/2.
(10) انظر فتح الباري 68/1-69.

وظاهر الحديث تباين الإيمان والإسلام، وقد يطلق الإيمان على الإسلام كما في حديث وفد عبد القيس[1] وعكسه[2].

والجمع بين حديث سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام، وتفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون مسمى الإيمان، وبين غيره من الأحاديث الواردة بخلافه، يتبين لك بإيضاح تقرير أصل؛ وهو أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند انفراده وإطلاقه، فإذا[3] قرن ذلك الإسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات، والإسم المقرون به دالا على باقيها كاسم الفقير والمسكين، فإذا[4] أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها. فهكذا إسم الإيمان والإسلام فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي[5]. صرح بهذا جماعة من الأئمة كالإسماعيلي[6] فإنه قال: "الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر. فقيل المومنون والمسلمون

(1) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، رقم 53. كتاب العلم، باب تحريض وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم رقم 87. كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس رقم 4368 ورقم 4369، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان ... رقم 24. والحديث ورد عن ابن أبي جمرة وفيه أن الإيمان زشهادة أن لا إله إلا الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمسس.

(2) في ب: حكمه.

(3) في ج: وإذا، والأنسب: فإذا.

(4) في ج: وإذا.

(5) في ج: الثاني.

(6) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني، كبير الشافعية. سمع من إبراهيم بن زهير العلواني، وحمزة بن محمد الكاتب. حدث عنه الحاكم البرقاني وحمزة السهمي. توفي 371هـ. من مصنفاته: المستخرج على الصحيح، ومسند عمر، وله معجم مروي. ترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء ص 111. والصفدي في الوافي بالوفيات 213/6 رقم 2678. والذهبي في تذكرة الحفاظ 106/3-108 رقم 897 وفي سير أعلام النبلاء 292/16-296 رقم 208. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 87/3 رقم 73. وابن كثير في البداية والنهاية 298/11. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 144/4.

جميعا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد بالآخر؛ / وإذا ذكر أحد الإسمين شمل 22 و
الكل وعمهم"[1]. ونحوه للخطابي[2] وجماعة. ويدل على صحة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان عند ذكره مفردا في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل. وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان كما في مسند أحمد[3].

وبهذا التفصيل يظهر تحقيق القول في مسألة الإسلام والإيمان هل هما مترادفان أو مختلفان[4]. فإن أهل السنة والحديث اختلفوا فمنهم من ادعى أن جمهور أهل السنة على أنها شيء واحد، ومنهم من حكى عن أهل السنة التفرقة بينهما. وبهذا التفصيل يزول الاختلاف فيقال: إذا أفرد كل من الإيمان والإسلام بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قرن بين[5] الإسمين كان بينهما فرق.

والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده[6]، وذلك يكون بالعمل وهو الدين . ولهذا قال المحققون أن كل مومن مسلم، فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه

(1) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 106. وذكر أن أبا بكر الاسماعيلي قاله في رسالته إلى أهل الجبل.

(2) معالم السنن 315/4.
والخطابي هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي. سمع أبا سعيد بن الأعرابي وإسماعيل بن محمد الصفار. روى عنه الحاكم وأبو حامد الاسفراييني. توفي 388هـ. من مصنفاته: معالم السنن، وغريب الحديث، وشرح الأسماء الحسنى. ترجم له ياقوت في معجم الأدباء 268/10-272. وابن خلكان في وفيات الأعيان 214/2 رقم 107. والذهبي في سير أعلام النبلاء 23/17-28 رقم 12، وفي تذكرة الحفاظ 149/3-150 رقم 950. وفي العبر 1742. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 282/3-290 رقم 181. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 201/4. وابن العماد في شذرات الذهب 127/3-128.

(3) 114/4 رقم 17152، عن عمرو بن عنبسة: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، قال: فأي الإسلام أفضل ؟ قال الإيمان، قال، وما الإيمان ؟ قال: أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، قال فأي الإيمان أفضل ؟ قال الهجرة" إلخ الحديث.

(4) في ب: متخالفان.

(5) في ج: من، وهو خطأ.

(6) في ب، د بزيادة: له.

قام بأعمال الإسلام كما قال عليه السلام : "ألا إن في الجسد مضغة"[1] الحديث، فلا يتحقق القول بالإيمان إلا وتنبعث[2] الجوارح بأعمال الإسلام، وليس كل مسلم مومن فإنه يكون الإيمان ضعيفا فلا يتحقق القلب به تحققا تاما مع عمل جوارحه بأعمال الإسلام فيكون مسلما وليس بتام الإيمان، ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان[3] الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضا.

وقال القسطلاني[4] : "الإسلام هو الانقياد، ولا يتحقق ذلك إلا بقبول الأحكام والإذعان وذلك حقيقة التصديق. قال تعالى: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المومنين**﴾[5] الخ. فالإيمان لا ينفك عن الإسلام حكما فهما متحدان مصدوقا، وإن تغايرا مفهوما، إذ مفهوم الإيمان تصديق بالقلب، ومفهوم الإسلام عمل بالجوارح. فلا يصح في الشرع الحكم على أحد بأنه مومن وليس بمسلم أو مسلم وليس بمومن ومن أثبت التغاير بينهما يقال له ما حكم من آمن ولم يسلم، أو أسلم ولم يومن، فإن أثبت لأحدهما حكما ليس ثابتا للآخر فقد ظهر بطلان قوله"[6] هـ وتأمله.

---

(1) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم 52، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم 1599. والحديث عن النعمان بن بشير وسياتي تخريجه بأوفى من هذا لأنه من الأحاديث التي يدور حولها الشرح.

(2) في ج: تبعث.

(3) في د: إيمان بدون تعريف.

(4) شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني الأصل المصري، الشافعي، ويعرف بالقسطلاني. أخذ عن ابن حجر وغيره، وعنه الشيخ جار الله ابن فهد. توفي 923هـ. من مصنفاته: إرشاد الساري على صحيح البخاري. والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية. ترجم له: السخاوي في الضوء اللامع 2/103-104 رقم 313. والغزي في الكواكب السائرة: 1/128-129. رقم: 250. وابن العماد في شذرات الذهب 8/121-123. والشوكاني في البدر الطالع 1/102-103 رقم 60.

(5) الذاريات/35-36 وتمام الآيتين: "فأخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين". في ب، ذكر الآيتين.

(6) إرشاد الساري: 1/85.

«وقد نقل أبو عوانة عن المزني[1] صاحب الشافعي الجزم بترادفهما، وعن الإمام أحمد الجزم بتغايرهما، ولكل من القولين أدلة متعارضة. وقال الخطابي: "الحق أن بينهما عموما وخصوصا، فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا"[2] هـ.

ومقتضاه أن الإسلام لا يطلق على الاعتقاد والعمل معا بخلاف الإيمان، فإنه يطلق عليهما معا. ويرد عليه قوله تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[3]. فالدين يتناول الاعتقاد والعمل معا، لأن العامل الغير المعتقد ليس بذي دين مرضي، بهذا استدل المزني والبغوي»[4]. / والكلام في هذه المسألة يستدعي طولا أكثر من هذا، فلتقتصر 22 ظ
على ما ذكرناه ولنرجع لما نحن بصدده من تتبع ألفاظ الحديث وبيان معانيها.

(1) أبو ابراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري، تلميذ الشافعي. حدث عن الشافعي وعن علي بن معبد بن شداد ونعيم بن حماد ... وعنه أبو بكر بن خزيمة، وأبو جعفر الطحاوي. توفي سنة 264 هـ. من مصنفاته: المختصر في الفقه، والجامع الكبير، والجامع الصغير وغيرها. ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، 204/2 رقم 688، وابن خلكان في وفيات الأعيان 217/1-219 رقم 93. والذهبي في سير أعلام النبلاء 492/12-497 رقم 108. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 93/2-109 رقم 20. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 47/3-48. وابن العماد في شذرات الذهب 148/2.

(2) معالم السنن 315/4.

(3) آل عمران 19 وتمام الآية: ﴿إن الدين عند الله والإسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءهم العلم، بغيا بينهم، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾.

(4) انظر فتح الباري لابن حجر 157/1-158. وقد وقفت في مسند أبي عوانة على قوله أنه سأل المزني عن هذه المسألة لما علم اختلاف أهل الحديث حولها. قال: فسألته فقال لي: هما والله واحد، كان بلغنا عن أحمد بن حنبل أنه فرق بينهما وزعم أن حماد بن زيد فرق بينهما، ثم حدثنا به صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه بذلك فقال لي المزني: هما واحد، فاحتججت عليه بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" وبقول الزهري في ذلك والأحاديث التي جاء فيها أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله وسلم فسأله عن الإيمان وسأله عن الإسلام في أحاديث أخر، فرأيته لا يرجع عن قوله، وقلت له: ﴿قالت الاعراب آمنا. قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ قال: هذه استسلمنا، فقال لي فيما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ وقال لي ويحك أفدين أعلاها عند الله، قال الله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾. وكذلك كان اسماعيل القاضي يقول إنهما واحد".
كما وقفت في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل على مجموعة من الآثار التي استندوا عليها للقول بالتغاير: من ذلك ما رواه الإمام أحمد ابن حنبل عن الزهري قال: فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل، ص 101 رقم 570، ومن ذلك ما رواه عن أبي سلمة الخزاعي قال: قال مالك وشريك وأبو بكر بن عياش وعبد العزيز بن سلمة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد: "الإيمان المعرفة=

فقوله: **أن تؤمن**، خبر مبتدأ محذوف، أي الإيمان وهو أن تؤمن بالله أي بأنه موجود وبأنه إلاه واحد لا إله غيره ولا شبيه له، ولا نظير متصف بجميع الكمالات، منزه عن النقائص وسمات المحدثات.

«وقال العلماء رضي الله تعالى عنهم: الإيمان بالله جل جلاله يتضمن معنيين: الأول: الإيمان بذاته، والثاني: الإيمان بوحدانيته. فأما الإيمان بذاته الكريمة فهو أن تعلم أن ذاته لا تشبه الذوات، كما أن صفاته لا تشبه الصفات، فكل ما تصورته بذهنك، وتوهمته في وهمك فالله[1] تعالى بخلافه، لأنك مخلوق وكل ما تصورته أو توهمته فهو مخلوق مثلك، لأن الله جل جلالته تقدس وتنزه أن يحل في مخلوق أو يحل فيه مخلوق، وأنت جسم وعرض وجوهر والله تعالى بخلاف ذلك، وكل[2] جنس ونوع، والله تعالى لا جنس ولا نوع تحته.

فائدة:

قال أبو إسحاق الإسفراييني[3]: جمع أهل الحق جميع ما قيل في التوحيد في كلمتين: إحداهما: أن كل ما تصور في الأفهام، فالله تعالى بخلافه، الثانية: اعتقاد

= والإقرار والعمل". إلا أن حماد بن زيد كان يفرق بين الإيمان والإسلام ويجعل الإسلام عاما والإيمان خاصا. ص 83 رقم 432. ونقل في قوله "لا يزني الزاني ...": يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلى الإيمان، فإذا تاب تاب الله عليه، قال رجع إلى الإيمان" ص 102 رقم 575. وأعجبني كثيرا قول الإمام البغوي في المسألة جعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الإسلام اسما لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان، أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال: "ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم" والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾. شرح السنة 10/1.

(1) في د: فإن الله.

(2) في جميع النسخ: كل، والصواب: لك.

(3) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الاسفراييني الأصولي الشافعي ركن الدين. من شيوخه: دعلج السجزي، وعبد الخالق بن أبي روبا. ومن تلامذته: أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وأبو الطيب الطبري. توفي 418هـ. من مصنفاته: جامع الخلي في أصول الدين والرد على الملحدين، وله تعليقة في أصول الفقه: ترجم له: الشيرازي في طبقات الفقهاء ص 120. =

أن ذاته ليست مشبهة بالذوات[1] ولا معطلة عن الصفات، وقد أكد ذلك سبحانه بقوله: ﴿**ولم يكن له كفوًا أحد**﴾[2]، وهذا غاية في الجودة والإيجاز. ويرحم الله القائل:

كل ما ترتقي[3]، إليه بوهم ... من جلال وقدرة وسناء[4]،
فالذي أبدع البرية أعلى ... منه سبحان مبدع الأشياء

وحكي أن الشافعي رضي الله عنه قال: "من انتهض لطلب مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه وإن اطمأن إلى عدم صرف فهو معطل، أو إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد". فالعجز عن الإدراك إدراك كما قال الصديق الأكبر رضي الله عنه"[5] ونظمه ابن عرفة فقال:

ألا إن إدراك الحقيقة معجز ... وإدراك نفس العجز عين الحقيقة
كما قاله الصديق أول قائل ... بفكر صحيح أو بحسن بديهة

«وقال بعض العارفين: "سبحان من رضي في معرفته بالعجز عن معرفته". وقال الجنيد: "لا يعرف الله إلا الله"[6]، ولبعضهم:

لا يعرف الله إلا فاتئدوا ... والدين دينان توحيد وإشراك / 23 و
وللعقول حدود لا تجاوزها ... والعجز عن درك الإداك إدراك

والسمعاني في الأنساب 237/1. وابن الصلاح في طبقات الشافعية 312/1-314 رقم 87. وابن خلكان في وفيات الأعيان 28/1 رقم 4. والذهبي في سير أعلام النبلاء 353/17-356 رقم 220. والصفدي في الوافي 104/6-105 رقم 2539. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 256/4-257 رقم 357. وابن كثير في البداية والنهاية 24/12. وابن العماد في شذرات الذهب 209/3-210.

(1) في ج: مشبهة ساقطة، بذوات بدون تعريف.
(2) الإخلاص/4.
(3) في ج: يرتقى.
(4) عند الفشني: ثناء.
(5) المجالس السنية: ص 8 -9.
(6) المجالس السنية: ص 9.

[وقال سهل بن عبد الله: "المعرفة غايتها شيئان، الدهشة[1] والحيرة"[2]. وقيل: "انتهت عقول العقلاء إلى الحيرة". فبقدر ما يظهر للخواص من عجائب القدرة، يكون تحققهم بأنه[3] أجل من أن يوصف وأعظم من أن يعرف][4].

وأما الإيمان بوحدانيته تبارك وتعالى فهو أن تعلم أنه منفرد بالملك والتدبير، واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، واحد في أقواله، سبحانه وتعالى.

ثم اعلم أن هنا ثلاثة أمور:

الأول: التصديق بالقلب، وهو حقيقة الإيمان، فلا إيمان بدونه إجماعا.

الثاني: النطق باللسان، وفيه ثلاثة أقوال: واجب ليس بشرط ولا ركن مطلقا، واجب ركن مطلقا، واجب شرط في حق القادر. وهذه الأقوال في الكافر، أما من ولد في الإسلام فيجب عليه ذكرها مرة في عمره، فإن ترك فعاص ما لم يكن تكبرا فكافر.

الثالث: العمل بالجوارح، وهو شرط كمال على المشهور.

ثم اعلم أيضا أن الإيمان على أربع مراتب:

إيمان المنافقين وإيمان عامة المؤمنين؛ وهم الذين اعتقدوا الحق على ما هو عليه، ولكن لم يتخلفوا بمقتضى إيمانهم، ولم تظهر عليهم ثمرة[5] اليقين، ولذلك تحصل منهم الغفلة عن الله تعالى، فتقع منهم المعصية ويدبرون معه، ويخافون غيره، وإيمان المغربين؛ وهم الذين غلب عليهم استحضار عقائد الإيمان وأدركوها بنور بصيرتهم، لا بطريق الاستدلال فقط أن الأشياء كلها صادرة من عين[6] القدرة الأزلية، وأنه لا فاعل إلا الله، فظهرت عليهم ثمرة أهل اليقين، وأنتج لهم ذلك أنهم لا يخافون إلا الله ولا يرجون إلا الله لأن[7] الخلق لا يملكون نفعا ولا ضرا. وإيمان أهل الفناء في التوحيد وهو أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات

(1) في د: الدهش.
(2) الرسالة القشيرية ص: 413.
(3) في د: لأنه.
(4) ما بين معقوفتين ساقط من أ، ب، أثبتته من ج، د.
(5) في ب، د: بزيادة أهل.
(6) في ج: غير، وهو خطأ.
(7) في ب: أن.

والأذكار، وتفنيه عن كل شيء، وعن عقله، وعن نفسه، وفنائه عن الأشياء، وعن فنائه عن الفناء، لأنه يغرق في التعظيم، فلا يرى في الوجود إلا واحدا.

فالحاصل أن الإيمان تارة يكون لسانيا فقط ولا عبرة به، قال الله تعالى: ﴿**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾[2]. وتارة يكون قلبيا، وهو ثلاثة مراتب: إما عن اعتقاد جازم، أو عن كشف[3] ومشاهدة[4] من غير فناء[5]، أو عن كشف[6] مع الفناء. وهذه المشاهدة هي التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق، تارة تدوم وتارة تطرق كالبرق الخاطف وهو الأكثر.

وقوله: **وملائكته**، جمع مالك بتقديم الهمزة [من الألوكة وهي الرسالة، فأخرت اللام، ثم حذفت الهمزة)[7] تخفيفا بعد نقل حركتها إلى اللام، والتأنيث للمبالغة أو للجمع.

قال الحليمي[8]: "ولا يكتب لهم عمل، وهل يثابون أم لا"[9] فالإيمان بهم هو التصديق بأنهم عباد مكرمون مخلوقون من نور العزة، لا يسبقونه بالقول، وهم

(1) الفتح/11، وتمام الآية: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن اراد بكم ضرا أو اراد بكم نفعا، بل كان الله بما تعلمون خبيرا﴾.

(2) النساء/144، وتمام الآية: ﴿ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا﴾.

(3) في ج: شك. وهو خطأ، والصواب هو كشف ومعناه "في اللغة رفع الحجاب وفي الإصطلاح، الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا". انظر التعريفات للجرجاني ص: 80.

(4) "المشاهدة تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق بإزائه على رؤية الحق في الأشياء وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شيء". انظر التعريفات للجرجاني ص: 94.

(5) "الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة، والفناء فناءان أحدهما ما ذكرنا، وهو بكثرة الرياضة، والثاني عدم الإحساس" بعالم الملك والملكوت وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحقس. انظر التعريفات للجرجاني ص: 73.

(6) في ج: شك.

(7) ما بين قوسين ساقط من ب.

(8) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، القاضي، أخذ عن أبي بكر القفال وأبي بكر الأودني وحدث عن خلف بن محمد الخيام وبكر بن محمد المروزي، وعنه أبو عبد الله الحاكم وغيرهم. توفي 403 هـ، من مصنفاته شعب الإيمان، ترجم له: الذهبي في تذكرة الحفاظ 3/156-157، رقم 958، وفي سير أعلام النبلاء 17/231-234 رقم 138، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 4/333-334 رقم 388، وابن كثير في البداية والنهاية 11/349، والسيوطي في طبقات الحفاظ ص 408 رقم 923، وابن العماد في شذرات الذهب 3/167-168.

(9) المنهاج في شعب الإيمان 1/416. قال الحليمي: "أما كتبة أعمالهم فما يشبه أن تكون، لأن الملائكة هم الذين يكتبون أعمال الناس". ولو كتبت أعمال الملائكة لاحتاج كل ملك إلى كاتب أو اثنين،=

بأمره يعملون / ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[1]. ويسبحون بالليل والنهار لا يفترون[2]، وأنهم سفراء الله بينه وبين خلقه، والمتصرفون في خلقه كما أذن لهم فنومن بهم إجمالا وتعيينا كما تقدم. 23 ظ

قال الفشني: «ذكر أن من أعجب ما خلق الله فيهم ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج، فلا النار تذيب الثلج، ولا الثلج يطفئ النار، وهو يسبح الله تبارك وتعالى، ويقدسه ويمجده ويوحده، ويقول في كلامه: "اللهم يا من ألف بين النار والثلج ألف بين قلوب عبادك المومنين" وهو أكثر الملائكة نصحا لأهل الأرض. قال: وقد قسم الله الخلائق إلى ثلاثة أقسام: قسم خلقوا بعقل من غير شهوة وهم الملائكة، وقسم خلقوا بشهوة من غير عقل وهم الدواب، وقسم خلقوا بعقل وشهوة وهم بنو آدم. فمن غلب عقله على شهوته كان من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله كان مع الدواب»[3]هـ.

وقوله: **وكتبه**، جمع كتاب، مصدر كتب أي جمع، هي ما أنزل الله على الأنبياء، وخص الإيمان بها لأنها الكلام الأزلي القديم، القائم بذاته، المنزه[4] عن الحروف والأصوات[5]. أنزلها الله على بعض رسله بألفاظ حادثة في ألواح أو على لسان[6] ملك.

= وذلك الكاتب إلى مثل ذلك إلى ما لا يتناهى. والقول بذلك فاسد. والمحاسبة أيضا لا معنى لها، لأنهم لا يخلطون الحسنات بالسيئات، وما أكثر من لا يحاسب من بني آدم، فلا تكون الملائكة أولى ولا أدنى منزلة منهم. وأما الإثابة فقد قيل: يرفع التكليف عنهم فيتنعمون بالراحة ويتلذذون بالخفض والدعة وليسوا من أهل المطاعم والمشارب فيوردون موارد بني آدم من الجنة، ويحتمل أن يكون قد أوضع التكليف غيرهم نعمة أعدها الله لهم ولا تبلغها أفهامنا وعقولنا فإنه تعالى يقول: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". وإذا جاز أن يعيد للناس مثل هذا الثواب المغيب فأولى أن يكون ذلك للملائكة والله أعلم".

(1) التحريم/6: وتمام الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرن﴾.

(2) كما في قوله تعالى: ﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾. فصلت/37.

(3) المجالس السنية: ص 9.

(4) في ب، د: المنزهة.

(5) في ب: الصوت، وفي ج: الصوات.

(6) ساقطة من ب، ج، د.

«**فائدة:**

عدد ما أنزل الله على رسله مائة صحيفة وأربعة كتب واختار من الجميع أربعة كتب، واختار من الأربعة القرآن، واختار من القرآن سورة الفاتحة، فهي خيار من خيار، وهي الفاتحة والشافية والكافية والوافية والكنز والأساس، ولها ثلاثون إسما، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

قوله: **ورسله**، جمع رسول، ومعنى الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام التصديق بما جاءوا به عن الله تعالى. وقدمت الملائكة على الرسل اتباعا للترتيب الوجودي، فإن الملائكة مقدمة في الخلق، أو للترتيب الواقع في تحقيق معنى الرسالة بأن[1] الله تعالى أرسل الملك إلى الرسل.

واعلم أن أنبياء الله ورسله خير الخلق، اصطفاهم واختارهم وعصمهم[2] وارتضاهم وجعلهم أمناء على دينه وتوحيده، وجعلهم بركة وأمنا لخلقه في أرضه، وجعلهم شفعاء مرضيين مقبولي الشفاعة، وبهم الرحمة، وبهم يرحم أهل الأرض صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وعددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي ورد غير ذلك، أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.)وأولوا العزم منهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم[3]، وقد نظم أسماءهم بعض الفضلاء على ترتيبهم في الفضل فقال:

محمد إبـــراهيم وموسى كليمه فعيسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم[4]/ 24 و

فمعنى التصديق بهم أنه تعالى أرسلهم إلى الخلق لهدايتهم إلى سبيل الحق، وهم صادقون في جميع ما أخبروا به عن الله تعالى، وبلغوا عنه، وأنهم بينوا للمكلفين ما أمروا ببيانه، وأنه يجب احترامهم ولا نفرق[5] بين أحد منهم.

---

(1) في ب، ج: فإن.

(2) في ج: وعظمهم.

(3) ما بين قوسين ساقط من ج.

وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم من الرسل وأشهرها ما ذكر هنا. انظر تفسير ابن كثير 307/6.

(4) المجالس السنية ص 9.

(5) في ب: بزيادة أن بعد الواو، ويفرق بالياء، يعني "وأن لا يفرق".

وفي أفضليتهم على الملائكة العلوية والسلفية طرق:

الطريقة الأولى: تفضيلهم مطلقا.

والثانية: في قصر الخلاف على الملائكة العلوية، وأما السفلية فلا اختلاف أنهم أفضل من الملائكة.

والثالثة: وهي الراجحة، أن خواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة كجبريل، وخواص الملائكة أفضل من عامة البشر، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة.

قال ابن عبد السلام بعد أن قرر أن خواص البشر أفضل من خواص[1] الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الأنبياء، فقد ساد سادات الملائكة فصار أفضل من الملائكة بدرجتين وأعلى منهم بمرتبتين لا يعلم قدر تلك المرتبتين وشرف تلك الدرجتين إلا من ختم النبيئين وساد المرسلين، المفضل على جميع العالمين.

وقد انعقد الإجماع على أن الله لم يخلق مثل النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أشرف المخلوقات وأفضلها على الإطلاق. نقله الفخر[2] والأبي.

وما وقع للكشاف[3] خرق للإجماع. قال المقري:

وانعقد الإجماع أن المقتفى ... أفضل خلق الله والخلق انتفى
وما انتحى الكشاف في التكوير ... خلاف إجماع ذوي التنوير

(1) ساقطة من أ.

(2) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الأصولي المفسر الشافعي. أبو المعالي وأبو عبد الله، يعرف بابن خطيب الري، توفي 606هـ. من مصنفاته: كتاب الأربعين، التفسير الكبير، شرح الفاتحة، المحصول في أصول الفقه، شرح الوجيز للغزالي. ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان 248/4 رقم 600. والذهبي في سير أعلام النبلاء 500/21-501 رقم 261، وفي العبر 142/3. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 81/8-96 رقم 1089. وابن كثير في البداية والنهاية 55/13. وابن حجر في لسان الميزان 426/4-429 رقم 1311.

(3) يقصد الزمخشري في الكشاف عند تفسير سورة التكوير حيث قال: "وما صاحبكم" يعني محمد "بمجنون" كما تبهته الكفرة، وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد صلى الله عليه وسلم إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله: "إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمينس وبين قوله: "وما صاحبكم بمجنون".

قوله: **واليوم الآخر**، هو من وقت الموت أو الحشر إلى ما لا يتناهى، أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، أو لأنه آخر الأوقات المحدودة، أو لأنه آخر أيام الدنيا، و(المراد الإيمان)[1] بما فيه من بعث وحشر وحساب وميزان وتطاير صحف وصراط وجنة ونار، وأنها دار ثواب وجزاء، إلى غير ذلك مما ورد النص القاطع به.

قوله: **وتومن بالقدر**: بفتح الدال وسكونها، وهو مصدر قدرت الشيء أقدره وأقدره قدرا وقدرا، (وفي القاموس[2] : "قدر الله ذلك عليه يقدره ويقدره قدرا وقدرا)[3]. وقال قبله: القدر القضاء والحكم، والقدرية جاحدو القدر"هـ.

وقوله: **خيره وشره**، بدل كل، وفي رواية وبالقدر كله[4] ، وفي رواية بزيادة حلوه ومره[5] ، والحلو ما تستطيبه النفس وتميل إليه، والمر ما تكرهه النفس وينفر منه الطبع، ومنه / الآلام[6] والأسقام. 24 ظ

ولما كان الإيمان بالقدر مستلزما للإيمان بالقضاء لم يتعرض له.

ومعنى الإيمان به؛ أن تعتقد أن الله تعالى قدر الخير والشر في القدم، وأن ذلك سيقع في أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة وقي أمكنة معلومة، وعلم سبحانه أنها ستقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، فكل محدث (صادر عن)[7] علمه وقدرته وإرادته.

---

(1) في ب: الإيمان المراد.

(2) القاموس للفيروزآبادي، فصل القاف، باب الراء. ص 591.
والفيروزآبادي هو محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الشيرازي اللغوي الشافعي. توفي سنة 817هـ. من مصنفاته القاموس المحيط، وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس. ترجم له: السيوطي في بغية الوعاة 1/273-275 رقم 506. والسخاوي في الضوء اللامع 10/79-86 رقم 274. وابن العماد في شذرات الذهب 7/126-131. والشوكاني في البدر الطالع 2/280-284 رقم 53.

(3) ما بين قوسين ساقط من ج.

(4) رواية أبي هريرة وهي عند مسلم رقم 10، ورد فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للناس: "سلوني" وقد سبق ذكرها.

(5) رواية ابن عمر، وهي عند ابن حبان رقم 168، سبق ذكرها كذلك.

(6) في ج: الألم.

(7) في ج: صادق من، والصواب ما في الأصل.

واعلم أن التقدير أربعة:

الأول: التقدير في العلم، ولهذا قيل العناية قبل الولاية، والسعادة قبل الولادة، واللواحق مبنية على السوابق، قال تعالى: ﴿**يوفك عنه من افك**﴾[1]، أي يصرف عن سماع القرآن وعن الإيمان به في الدنيا من صرف في القدم. وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يهلك على الله إلا هالك"[2]، أي من كتب في علم الله أنه هالك.

الثاني: التقدير في اللوح المحفوظ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير، قال سبحانه: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾[3]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول في دعائه: "اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا".

الثالث: التقدير في الرحم، وذلك أن الملك يومر بكتب رزقه وأجله، وشقي أو سعيد.

الرابع: التقدير، وهو سوق المقادير إلى المواقيت والله سبحانه وتعالى خلق الخير والشر، وقدر مجيئه إلى العبد في أوقات معلومة، والدليل على أن الله تعالى خلق الخير وعديله قوله تعالى: ﴿**إن المجرمين في ضلال وسعر**﴾ إلى قوله: ﴿**بقدر**﴾[4]، ونزلت الآية في القدرية[5]، يقال لهم ذلك في جهنم. وقال تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق**﴾[6]. وهذا القسم إذا حصل اللطف بالعبد صرف عنه قبل أن يصل إليه.

---

(1) الذاريات/9.

(2) رواه أحمد في المسند 279/1 رقم 2519. والدارمي في كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة رقم 2828. ومسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب رقم 131. عن ابن عباس.

(3) الرعد/40، وتمام الآية: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب﴾.

(4) القمر/47-48-49، وتمام الآيات: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر، إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

(5) قال ابن كثير في تفسيره: 479/6 "يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها. وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية، الذين بغوا في أواخر عصر الصحابة".

(6) الفلق/1-2.

وفي الحديث: "إن الصدقة وصلة الرحم تدفع ميتة السوء وتقلبه سعادة"[1]، وفي الحديث: "إن الدعاء والبلاء بين السماء والأرض، فيرد الدعاء البلاء قبل أن ينزل"[2].

وزعمت القدرية أن الله تبارك وتعالى لم يقدر الأشياء في القدم، ولا سبق علمه بها، وأنها مستأنفة، وأن الله تعالى إنما يعلمها بعد وقوعها، وكذبوا على الله تبارك وتعالى، جل عن أقوالهم الكاذبة وتعالى علوا كبيرا، وهؤلاء انقرضوا[3] وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة يقولون الخير من الله والشر من غيره تعالى عن قولهم، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "القدرية مجوس هذه الأمة"[4]، سماهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس من النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، و[5] الشر من فعل الظلمات، فصاروا ثنوية. كذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، / وهو تعالى خلق الخير والشر. 25 و

قال إمام الحرمين في كتاب الإرشاد[6] "أن بعض القدرية قال: لسنا بقدرية، بل أنتم القدرية لاعتقادكم أخبار القدر. ورد على هؤلاء الجهلة بأنهم يضيفون القدر إلى أنفسهم، ومن يدعي الشر لنفسه ويضيفه إليها أولى بأن ينسب إليها ممن يضيفه لغيره ويكفيه عن نفسه"هـ.

---

(1) لم أقف على لفظه بالضبط، ووقفت على حديث يحمل نفس المعنى، وهو قوله صلى الله عليه وسلم عن علي: "الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء". رواه أبو نعيم في الحلية، 145/6 وقال: غريب. وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ص: 50.

(2) لم أقف عليه.

(3) قال القرطبي في المفهم 132/1-133 "وهذا المذهب هو مذهب طائفة منهم تسمى السبكية، وقد ترك اليوم، فلا يعرف من ينسب إليه من المتأخرين من أهل البدع المشهورين" قال ابن حجر في الفتح 163/1 "وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول".

(4) رواه أحمد في المسند 86/2 رقم 5584 وأبو داوود في كتاب السنة، باب في القدر رقم 4691. وابن ماجة في المقدمة، باب في القدر، رقم 92، بلفظ: "إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله"، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان 85/1، والبيهقي في السنن، كتاب الشهادات، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء 203/10. والحديث ورد عن ابن عمر، ولابن ماجة عن جابر.

(5) د، بزيادة أن بعد الواو.

(6) الإرشاد 224/1-225، بمعناه.

«وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يجيبون [من سألهم][1] عن القضاء والقدر بأن يقولوا أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطيك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. وقد سأل سائل الإمام عليا رضي الله عنه عن القضاء والقدر فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه. إلى أن سأله الرابعة فأقبل عليه، فقال له: لم خلق الله تعالى خلقك كيف يشاء أم كيف تشاء، فقال: بل كيف يشاء، فيحييك كيف يشاء أم كيف تشاء، قال: بل كيف يشاء، قال: فيميتك كيف يشاء أم كيف تشاء، قال: بل كيف يشاء، [قال: فيبعثك يوم القيامة كيف يشاء أم كيف تشاء، قال: كيف يشاء][2]، قال: فاذهب[3]، فليس لك من الأمر شيء.

تنبيه:

جاء في رواية الترمذي تقديم السؤال عن الإيمان على السؤال عن الإسلام، قال بعضهم: وهو أولى مما هنا إذ السنة مبينة لكتاب الله عز وجل، فالأولى بالتقديم الإيمان لوفقه لكتاب الله عز وجل بدليل قوله سبحانه: ﴿**إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾[4] الآية، قدم فيه الإيمان على الإسلام وغير ذلك من الآيات كقوله عز وجل: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**﴾[5] إذ فيه تقديم التوحيد الذي هو من قبيل الإيمان على الاستغفار الذي هو من قبيل الإسلام»[6] هـ.

وفي الحديث رد على فرقة أخرى من القدرية وهؤلاء مطبقون على أن الله تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم أن أفعال العباد

(1) في ب: عن سؤالهم.
(2) ما بين معقوفتين ساقط من ج.
(3) في ب، ج: اذهب.
(4) الأنفال/2، وتمام الآية: ﴿إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾.
(5) في ب بزيادة: "وللمومنين والمومنات". محمد/20، وتمام الآية: ﴿فاعلم أنه لا إله الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات، والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾.
(6) المجالس السنية، ص 9-10.

مقدورة لهم، واقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الأقدار والتمكين[1]. وقد اتفق لشخص منهم أنه رفع رجله بحضرة رجل سني، وقال له: أني رفعت رجلي عن الأرض بقدرتي، فقال له السني: فإذا ارفع الأخرى، فلم يجد جوابا.

وفيه أيضا رد على المعتزلة في زعمهم كبعض القدرية المتقدم أنه تعالى لا يخلق الشر[2]، إذ لو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهي أكثر وقوعا من الطاعات لكان أكثر ما يجري في الوجود على خلاف إرادة رب الأرض والسماوات، وذلك أمر لا يرضاه أمير بلد فضلا عن الواحد الأحد، تعالى ربنا عما يقولون علوا كبيرا.

في حياة الحيوان: "أن ملكا قال له منجموه أنك تموت في اليوم الفلاني، في الوقت الفلاني بلدغة عقرب، فلما كان الوقت تجرد من ثيابه / وركب فرسه بعد 25 ظ غسلها، وتسريح شعرها، ودخل به البحر فعطست فرسه، فخرج من منخرها عقرب فمر بها الماء حتى تعلقت به، فلسعته فمات، وما أغناه الحذر من القدر"[3].

فـائـدة:

ذكر صاحب مقامات العلماء أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسما، خمسة بالقضاء والقدر، وخمسة بالاجتهاد، وخمسة بالعادة، وخمسة بالجوهر، وخمسة بالوراثة. فأما الخمسة التي فيها بالقضاء والقدر؛ فالرزق والأهل

(1) انظر المفهم للقرطبي. 1/231-331.

(2) قال الشهرستاني في الملل والنحل 401 "واتفقوا -يعني المعتزلة- على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا".

(3) حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين الدميري، 2/138.
والدميري هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي، الكمال أبو البقاء الدميري الأصل، القاهري الشافعي. توفي 808هـ. من مصنفاته شرح ابن ماجة، وشرح المنهاج لخصه من السبكي والأسنوي وغيرهما، وحياة الحيوان كبرى، ووسطى، وصغرى. ترجم له: السخاوي في الضوء اللامع 10/59-62 رقم 204. والسيوطي في حسن المحاضرة 1/378 رقم 190. وابن العماد في شذرات الذهب 7/79-80. والشوكاني في البدر الطالع 2/272 رقم 525.

والولد والسلطان والعمر، وأما الخمسة التي[1] بالاجتهاد الجنة والنار والفقه والفروسية والكتابة، والخمسة التي بالعادة الأكل والنوم والمشيء والنكاح والتفرط، والخمسة التي بالجوهر الزهد والذكاء والبدن والجمال والهيئة[2]، والخمسة التي بالوراثة فالخير والتواصل والسخاء والصدق والأمانة، وهذا كله لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم: "كل شيء بقضاء وقدر"[3]. وإنما معناه أن بعض هذه الأشياء يكون مرتبا على سبب، وبعضها بغير سبب، والجميع بقضاء وقدر »[4].

وقوله: **فأخبرني عن الإحسان**، أراد به الإخلاص، جاء في الحديث الرباني: "الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي"[5]. وقيل: "سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه، ولا شيطان فيفسده"[6].

فأل في الإحسان، للعهد الذهني المذكور في الآيات، قال تعالى: ﴿**ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين**﴾[7]، ﴿**إنا لا نضيع اجر من أحسن عملا**﴾[8]، ﴿**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾[9] ﴿**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن**﴾[10])[11]،

---

(1) في ج، د: بزيادة. فيها بعد التي.
(2) في ج: الهيبة وهو الذي وقفت عليه عند النووي.
(3) رواه مالك في الموطإ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، رقم 4، وأحمد في المسند 110/2، رقم 5893. ومسلم في كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، رقم 2655.
(4) وقفت على هذه الفائدة بتمامها عند الإمام النووي في شرح الأربعين – ص: 18.
(5) أورده الغزالي في الإحياء عن الحسن 364/4-365، قال الحافظ العراقي في المغني (هامش الاحياء): "حديث الحسن مرسل، وفيه أحمد بن عطاء وعبد الواحد وكلاهما متروك، ثم قال: ورواه القشيري في الرسالة بسند ضعيف". انظر الرسالة ص 208.
(6) الرسالة القشيرية ص 209، عن الجنيد إلا أنه قال: "سر بين الله والعبد، ولا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله".
(7) المائدة/95، وتمام الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾.
(8) الكهف/30، وتمام الآية: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من احسن عملا﴾.
(9) البقرة/111، وتمام الآية: ﴿بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.
(10) لقمان/ 21، وتمام الآية: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى، وإلى الله عاقبة الأمور﴾.
(11) ما بين قوسين ساقط من ج.

﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1] ، ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[2].

فإحسان العبادة الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها، قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[3]. جاء في صحيح مسلم تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله في الجنة[4]، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان، لأن الإحسان هو أن يعبد المومن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله.

فتفسيره صلى الله عليه وسلم الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه يشير به إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضار قربه[5]، وأنه بين يديه كأنه يراه وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم وفراغ القلب [حال[6]. التلبس بالعبادة ومراقبة المعبود][7]. ويجوز أن يراد به إجادة العمل، من أحسن في كذا إذا أجاد فعله، يقال أحسن الشيئ إذا أتقنه، وأحسن إلى فلان إذا أوصل إليه نفعا يتعدى ولا يتعدى / قوله[8]. وهذا التفسير أخص من الأول، وهو سؤال عن الحقيقة كالذي 26 و
قبله ليعلمه الحاضرون.

(1) النحل/ 128.

(2) الرحمن/59.

(3) يونس/26، وتمام الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة، هم فيها خالدون﴾.

(4) روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى رقم: 101 عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار، قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل" ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

(5) في ب: قلبه.

(6) في د: حين.

(7) ما بين معقوفتين ساقط من أ، ج.

(8) ساقطة من ب، ج، د.

قوله: **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**، «هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، لأنه يشمل مقام المشاهدة، ومقام المراقبة، بيان ذلك وإيضاحه أن للعبد في عبادته ثلاث مقامات:

الأول: أن يفعلها على الوجه الذي يسقط معه الطلب بأن تكون مستوفاة للشروط والأركان.

الثاني: أن يفعلها كذلك، وقد استغرق في بحور المكاشفة حتى كأنه يرى الله تعالى، وهذا مقامه صلى الله عليه وسلم كما قال: "وجعلت قرة عيني في الصلاة"[1].

الثالث: أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده، وهو مقام المراقبة»[2]هـ.

قال بعضهم: من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه[3]، وسئل ابن عطاء الله: ما أفضل الطاعات، فقال: "مراقبة الحق على دوام الأوقات"[4]. ورأى شخص مسافر غلاما يرعى غنما فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة، فقال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها إن الذئب قد أخذ منها واحدة، فقال الغلام: وأين الله[5] ؟ وقال أبو عبد الله الرازي: سمعت أبا عثمان يقول: قال لي أبو حفص، إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك. نقله في الإحياء[6].

وقوله: **أن تعبد الله**، من عبد أي أطاع، والتعبد والتنسك والعبودية الخضوع والذل، والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود، والقربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب إليه.

---

(1) رواه أحمد في المسند 128/3 رقم 12318، والنسائي في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم 3680 رقم 3681. والحديث ورد عن أنس بن مالك.

(2) المجالس السنية ص 10.

(3) الرسالة القشيرية ص 190.

(4) نفس المصدر ص 191، والإحياء للغزالي 384/4.

(5) الرسالة القشيرية ص 190، والاحياء 385/4، وذكرا أن هذا الشخص هو ابن عمر.

(6) الإحياء 384/4، الرسالة القشيرية ص 192. ولم يذكر أحدهم أبا عبد الله الرازي.

وقوله: **كأنك تراه**، حال من الفاعل، أي تعبد الله شبيها بمن ينظر إليه خوفا منه وحياء، قاله الكرماني[1].

والأقرب للمعنى أن يكون التقدير، الإحسان عبادتك الله حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيا له فهو على معنى التشبيه ففرق[2] بين عبادة الراءي بنفسه وعبادة المشبه بالراءي بنفسه. وفيه دليل على جواز رؤية الباري سبحانه وتعالى في الدنيا[3]،

(1) شرح البخاري، 196/1.

(2) ساقطة من ج.

(3) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم 15-14/3 :«اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ... وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فقد قدمنا أنها ممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا، وحكى الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري، أحدهما وقوعها والثاني لا تقع، ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك، لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط، وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالى إلى إثبات جهة تعالى عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة والله أعلم».

وقال ابن حجر في فتح الباري: 165-164/1: «دل سياق الحديث على أن رؤية الله في الدنيا بالأبصار غير واقعة ... وقد صرح مسلم في روايته من حديث أبي أمامة بقوله "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا". وأقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم فقال: فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء، وتقديره: فإن لم تكن –أي فإن لم تصر– شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه. وغفل قائل هذا –للجهل بالعربية– عن أنه لو كان المراد ما زعم لكان قوله: "تراه" محذوف الألف، لأنه يصير مجزوما، لكونه على زعمه جواب الشرط، ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف، ومن ادعى أن إثباتها في الفعل المجزوم على خلاف القياس فلا يصار إليه إذ لا ضرورة هنا. وأيضا فلو كان ما ادعاه صحيحا لكان قوله "فإنه يراك" ضائعا لأنه لا ارتباط له بما قبله».

وسيأتي كلام الصفدي حول هذه المسألة اللغوية وتعقيب الدماميني عليها عند الشارح. والذي يظهر لي والله أعلم أن قول الجمهور هو الراجح. وما ذكره المؤلف من أن الحديث فيه دليل على جواز رؤيته تعالى فقد رده ابن حجر إلى الجهل باللغة العربية فضلا عما ورد صريحا في الحديث. ثم الكلام الذي ذكره في الشرح هو نفسه يرد هذه النتيجة التي وصل إليها. ولعله تأثر بمذهب بعض غلاة التصوف وبعض الأئمة كالإمام النووي من أن الرؤية ممكنة وأنها قوة يجعلها الله في بعض خلقه وأنها ليست لها جهة ولا شكلا معينا، وهذا أيضا مردود بصريح قوله تعالى في سورة=

ولا ينافيه ما في صحيح مسلم : "اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"[1].

قال علماؤنا: والنبي صلى الله عليه وسلم خارج من هذا الخطاب، إذ قد رآه ليلة الإسراء، ونقله عنه الأكثر وبعيني[2] رأسه عند المحققين.

وعن المروزي[3]: قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت :من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية"[4]. فبأي معنى يدفع قولها ؟ قال: بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "رأيت ربي"[5] وقول النبي أكبر من قولها[6]هـ.

= الأعراف/143:﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المومنين﴾.

والواقع أن معنى الحديث صريح وواضح لا يحتاج إلى كل هذه التأويلات، وهو أن الإنسان عليه أن يعمل وحاله كأنه ينظر إلى الباري سبحانه من باب التشبيه، لأنه عند ممارسته لعمله بحضور رب العمل فهو حتما سيتقنه ويدقق فيه، فإن غاب رب العمل ربما حصل بعض التهاون، ومن ثم جاء التأكيد في الحديث "فهو يراك" يعني إن لم تستحضر في عملك رؤيتك رب الأرباب فأخلص في عملك ولتتأكد بأنه يراك ويراقبك فلا مجال لتهاونك.

(1) لم أقف عليه عند مسلم، ورواه أحمد في المسند 324/5 رقم 23144 عن عبادة بن الصامت.

(2) في د: بعين.

(3) الحافظ الحجة، أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي مولى بني أمية، سمع علي بن الجعد وأبا نصر التمار، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعنه أبو عبد الرحمن النسائي، وأبو القاسم الطبراني. توفي 292. من مصنفاته: كتاب العلم، والجمعة، ومسند أبي بكر وعثمان وعائشة. ترجم له البغدادي في تاريخ بغداد 304/4-305 رقم 2088. والمزي في تهذيب الكمال 61/1-62 رقم 79. والذهبي في سير أعلام النبلاء 527/13-528 رقم 260. وفي تذكرة الحفاظ 172/2 رقم 683. وابن حجر في تهذيب التهذيب 88/1 رقم 90.

(4) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى ...﴾ رقم 177.

(5) رواه أحمد في مسنده 290/1، رقم 2634، والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، 65/1.

(6) في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام: نور أنى أراه، رقم 178، عن أبي ذر قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال: نور أنى أراه".

قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة عن أصول الديانة ص 65 "لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها، لأن الإنسان لو حدق بنظره إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر بصره، فإذا كان الله عز وجل حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس، فأحرى أن لا يثبت البصر للنظر إلى الله عز وجل في الدنيا إلا أن يقويه الله عز وجل"، وقال الإمام علي بن أبي العز الدمشقي في شرح العقيدة الطحاوية 224/1 : "معنى قوله لأبي ذر: "نور أنى أراه" النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه". أي فكيف أراه، والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية والله أعلم".

وقوله: **فإن لم تكن تراه**، شرط جزاءه محذوف، تقديره: فأحسن العبادة، فإنه يراك، ولا يصح أن يكون فإنه يراك جزاء لأنه / ليس مسببا عنه؛ إذ عدم رؤية العبد ليست 26 ظ
بسبب لرؤية[1] الله تعالى، فإن الله تعالى يراه وجدت من العبد رؤية أو لم توجد.

«وقد قيل إن هذه الجملة تعليل للأولى، فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله في العبادة واستحضار قربه من عبده[2] حتى كأن العبد يراه، فإنه يشق ذلك عليه فيستعين على ذلك بإيمانه، وأن الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره[3]، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا حقق هذا المقام سهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني وهو دوام التحديق بالبصيرة إلى قرب الله، من عبد الله هو معينه حتى كأنه يراه.

وقيل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه، ويطلع عليه فيستحيي من نظره إليه. كما قال بعض العارفين: "اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك". وقال بعضهم: "خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر (قربه منك)"[4]. قال بعض العارفات من السلف: "من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص" فأشارت إلى مقامين: أحدهما: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل، والثاني مقام المشاهدة؛ وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهل هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر»[5].

قال أبو يزيد البسطامي: "إن[6] انسلخت نفسي عن نفسي كما تسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو"هـ.

---

(1) في ج: رؤية.
(2) في ج: بعده.
(3) في د: وظاهره وباطنه.
(4) في ج: قربك منه، والصواب الذي في الأصل وهو ما وقفت عليه عند ابن رجب أيضا.
(5) وقفت على هذا الكلام بتمامه عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 128-129.
(6) إن ساقطة من ج.

والمعنى أنه انسلخ عن شهوات نفسه وهواها وهمها، فلم يبق له متسع لغيره، ولم يكن همه سواه، فإن لم يجد في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو، لا أنه هو تحقيقا، وفرق بين قوله: هو هو ، وبين قولنا: كأنه هو، ولكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو توسعا ومجازا، ومن تزين بالمعرفة عن الموهومات[1] والمحسوسات وبالهمة عن الحظوظ والشهوات، نال هذا المقام وصفا له المرام.

وقال الفشني: «فقوله؛ فإن لم تكن تراه نزول عن مقام المكاشفة إلى مقام المراقبة. أي إن لم تعبده وأنت من أهل الرؤية، فاعبده وأنت بحيث تعتقد أنه يراك. فكل من المقامات الثلاثة / إحسان، لأن الإحسان الذي هو شرط في صحة العبادة إنما هو 27 و
الأول، لأن الإحسان في الأخيرين من صفة الخواص ويتعذر من كثير.

نكتة[2] **لطيفة**: حكي عن بعض شيوخ الطريق أنه ذكر هذا الحديث يوما فقال: اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه ثم وقف، وهي إشارة إلى أنك[3] إن أفنيت نفسك ولم ترها شيئا شاهدت ربك، لأنها حجاب دونه، فإذا ألقيت الحجاب شاهدت الجناب. وهذا يشبه ما حكي عن بعضهم أنه قال: رأيت رب العزة في المنام، فقال: يا رب كيف الطريق إليك ؟ قال: خل نفسك وتعال.

قيل: وأوحى الله إلى بعض الصديقين: عاد نفسك فليس في المملكة من ينازعني غيرها[4]هـ.

قال الصلاح الصفدي[5]: غفل هذا البعض من شيوخ الطريق للجهل بالعربية، على أنه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تره، محذوف الألف لأنه يصير مجزوما

(1) في ج: الموهنات.
(2) في ب، بزيادة: زوهناس قبل نكتة، وفي ج: بزيادة: منها، وفي د بزيادة: وها هنا.
(3) في ج: لو بدل إن.
(4) المجالس السنية، ص 10.
(5) خليل بن أيبك بن عبد الله الأديب صلاح الدين الصفدي. أبو الصفاء. أخذ عن ابن سيد الناس، وابن نباتة وأبي حيان والتقي السبكي وسمع منه الذهبي وابن كثير، والحسيني ... توفي سنة 764 هـ، من مصنفاته: الوافي بالوفيات، وشرح لامية العجم، وتوشيح الترشيح وغيرها. ترجم له: السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، 10/5-32 رقم 1352. وابن حجر في الدرر الكامنة، 2/49-50 رقم 1655. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 11/15-17. وابن العماد في شذرات الذهب 6/200-201.

لكونه على زعمه جواب الشرط. وتعقبه الدماميني[1] فقال: إنما تصح هذه الدعوى التي عارض بها الصفدي لو كان الجواب في هذه الصورة مما يجب جزمه وهو ممنوع، فقد نص الإمام ابن مالك[2] في التسهيل على أن الشرط إذا كان منفيا بلم جاز رفع الجواب بكثرة[3]، وكفانا به حجة.

قوله: **قال: فأخبرني عن الساعة**، قال الجوهري[4]: "الساعة الوقت الحاضر والقيامة"[5]هـ. أي أخبرني عن زمن وجودها ووقت قيامها لا عنها نفسها. لأنهما مقطوع بها، وهي عبارة عن القيامة. وسميت ساعة مع طول زمنها؛ إما لوقوعها بغتة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة، فقد جاء في الحديث عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل الترس[6] فلا تزال ترتفع في السماء

(1) بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر القرشي المخزومي الاسكندراني المالكي النحوي الأديب، سمع من البهاء ابن الدماميني والسراج بن الملقن، والقاضي أبي الفضل النويري. توفي سنة 837 وقيل 838، وقيل 827. من مصنفاته شرح البخاري، وشرح التسهيل، وحاشية على الغيث المنسجم في شرح لامية العجم للصفدي وغيرها. ترجم له: السخاوي في الضوء اللامع 7/184-187، رقم 440. والسيوطي في بغية الوعاة 1/66-67 رقم 113. وابن العماد في شذرات الذهب 7/181-182.

(2) جمال الدين أبو عبد الله. محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني بفتح الجيم وتشديد التحتية ونون نسبة، إمام النحاة وحافظ اللغة. سمع من السخاوي والحسن بن الصباح ... وروى عنه ابنه الإمام بدر الدين، والبدر بن جماعة، والعلاء بن العطار ... توفي 672هـ. من مصنفاته: الألفية تسمى الخلاصة، والكافية، والتسهيل وغيرها. ترجم له: الصفدي في الوافي بالوفيات 3/359-364 رقم 1439. وابن الجزري في طبقات القراء 2/180-181، رقم 3163. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 2117. والسيوطي في بغية الوعاة 1/130-137 رقم 224. وابن العماد في شذرات الذهب 5/339.

(3) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 237.

(4) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي. قرأ العربية على أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي، توفي سنة 393هـ، وقيل في حدود سنة 400هـ. وذكر ياقوت أنه وقف على نسخة بالصحاح بخطه بدمشق عند الملك المعظم بن العادل وقد كتبها سنة 396هـ. من مصنفاته: الصحاح ومقدمة في النحو وكتاب في العروض. ترجم له: ياقوت في معجم الأدباء. 6/151–561. رقم: 22. والذهبي في سير أعلام النبلاء 17/80-82 رقم 46. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 4/209. والسيوطي في بغية الوعاة 1/446-448 رقم 913. وابن العماد في شذرات الذهب 3/142-143 رقم 393.

(5) الصحاح: 3/1233، باب العين، فصل السين، مادة [سوع].

(6) الترس بالضم، من السلاح المتوقى بها. تاج العروس للزبيدي مادة ف(ت، ر،س) 15/477.

وتنتشر حتى تملأ السماء، ثم ينادي مناد[1] يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فوالذي نفسي بيده إن الرجلين لينشران الثوب فلا يطويانه أبدا، وإن الرجل ليمدر[2] حوضه فلا يسقي منه شيئا أبدا. وإن الرجل يحلب ناقته فلا يشربه أبداس. رواه الطبراني[3] بإسناد جيد.

وإما لسرعة حسابها، وإما لتسمية الكل باسم البعض، والمراد أول ساعتها، وإما لأنها على طولها عند الله كساعة على الخلق، وإما لطولها على الكفار والمومنون تكون عليهم كساعة.

قوله: قال ما المسئول، ما نافية، وعنها أي عن زمنها، بأعلم: خبر ما، من السائل: أي كلانا سواء في عدم العلم بزمن وقوعها هـ.

وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يعلم متى الساعة، بل علم / الساعة مما استأثر الله تعالى به، قال تعالى: ﴿**إن الله** 27 ظ **عنده علم الساعة**﴾[4]، ﴿**إن الساعة آتية أكاد أخفيها**﴾[5]. ﴿**يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي**﴾[6] الآيات.

وفي الصحيح: "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، وتلا: ﴿**إن الله عنده علم الساعة**﴾ الآية"[7].

---

(1) في ج: المنادي.

(2) مدر الحوض سد خصاص حجارته بالمدر، والمدر محركة قطع الطين اليابس. الصحاح مادة مدر 817/2. وتاج العروس مادة (م.د.ر) 97/14.

(3) رواه الطبراني في المعجم الكبير 325/17 رقم 899. ورواه كذلك الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم 539/4-540 وقال "هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه". والمنذري في الترغيب والترهيب، كتاب البعث وأهوال القيامة، فصل في النفخ في الصور 382/4. وقال: "رواه الطبراني بإسناد جيد، رواته ثقات مشهورون". والهيتمي في مجمع الزوائد 331/10.

(4) لقمان/33 وتمام الآية: "إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير".

(5) طه/14، وتمام الآية: ﴿إن الساعة آتية اكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾.

(6) الأعراف/187 وتمام الآية: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي، لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السماوات والارض، لا تاتيكم إلا بغتة، يسألونك كأنك حفي عنها، قل انما علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

(7) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام باب ﴿وعنده مفاتيح الغيب ...﴾ رقم 4627. وفي تفسير سورة الرعد، باب قوله ﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى ...﴾ رقم 4697. وفي تفسير سورة=

ووقع مثل هذا السؤال والجواب بين عيسى بن مريم وجبريل، لكن كان عيسى سائلا وجبريل مسئولا، كما نقله في الفتح عن الحميدي[1].

والحق أن الله تعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه، إلا أنه أمره بكتم بعض، والإعلام ببعض.

وفي الحديث دلالة على أن العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يكون حطا لمرتبته، بل يستدل به على ورعه وتقواه.

روى البزار[2] "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي البقاع أفضل، قال: لا أدري، حتى أسأل جبريل، فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل العالم، ثم ذهب وأتاه فقال: إن الله عز وجل يخبرك أن خير بقاع الأرض المساجد، وشر بقاعها الأسواق".

وقال علي رضي الله عنه وأبرد على كبده: "إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول لا أعلم".

وقال الهيثم بن جميل[3] : شهدت مالكا رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري.

= لقمان. باب ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾. رقم 4777. وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ ... رقم 7379. والحديث ورد عن ابن عمر.

(1) 166/1.

والحميدي هو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله الحميدي القرشي المكي. سمع سفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد، والشافعي ... وروى عنه البخاري وروى له مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة بواسطة سلمة بن شبيب وهارون الحمال ... توفي سنة 219هـ وقيل 220هـ. ترجم له: ابن القيسراني في الجمع بين رجال الصحيحين 265/1 رقم 968، والذهبي في تذكرة الحفاظ 432 رقم 419، وفي سير أعلام النبلاء 616/10-621 رقم 212، وابن حجر في تهذيب التهذيب 298/4-299 رقم 3408.

(2) مسند البزار 353/8 رقم: 3430 عن جبير عن مطعم. ورواه أحمد في المسند 81/4، رقم 16865 عن جبير أيضا. ووجدت في معناه حديث أبي هريرة في صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح رقم 671، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها".

(3) أبو سهل الأنطاكي، وهو بغدادي سكن أنطاكية. حدث عن حماد بن سلمة، والليث ومالك بن أنس، وعنه أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى الذهلي. توفي 213هـ، وأرخه ابن حبان 214 كما ذكر ابن حجر. ترجم له: ابن سعد في الطبقات 340/7 رقم 3996. والبخاري في التاريخ الكبير 103/8 رقم 12108. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 86/9 رقم 351. والبغدادي في تاريخ بغداد 56/14-57 رقم 7395. والذهبي في تذكرة الحفاظ 266/1 رقم 355. وفي سير أعلام النبلاء 396/10 رقم 109. وابن حجر في تهذيب التهذيب 101/9-102 رقم 7638.

وقـيـل[1] : سئل عن أربعين فأجاب عن أربع، وقال في الباقي لا أدري. وكان يقول: "ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري".

وقد عتب الله سيدنا موسى حيث لم يرد العلم إليه.

وذكر أن ابن عباس قال: أنا من الراسخين في العلم، وقال يوما سلوني قبل أن تفقدوني، فلما انصرف إلى منزله بعث الله له[2] ملكا في صورة رجل، فدق عليه الباب فخرج إليه ابن عباس، فقال له الملك: يا ابن عباس ما تقول في النملة مع صغرها، أي وجهها في مقدمها أو مؤخرها؟ فلم يجد جوابا، فدخل منزله وأغلق بابه، وآلى على نفسه ألا يدعي علما أبدا. قال تعالى: ﴿**فوق كل ذي علم عليم**﴾[3] علمت أشياء وغابت عنك أشياء.

قوله: **فأخبرني عن أماراتها**، بفتح الهمزة والجمع، أي علاماتها. وفي حديث أبي هريرة: وسأحدثك عن أشراطها[4]، ومنه سمي الشرط، لأنهم يعلمون أنفسهم بعلامات يعرفون بها، وقيل مقدماتها، وقيل أوائلها، وروي بالإفراد[5]، أي علامتها التي تدل على اقترابها، لا المقارنة لها. ومن ثم قال القرطبي: "أمارات الساعة قسمان: ما يكون من نوع المعتاد وغيره"[6] والمذكور هنا الأول، وأما غير المعتاد كطلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنة أو مطابقة[7] .

وقد ذكر صلى الله عليه وسلم / لها[8] علامتين فقط مع مجيء الجمع لإطلاقه على اثنين أو لحصول البيان بهما. 28 و

(1) في ب، د: قال.
(2) "له" ساقطة من ب، وج، ود.
(3) يوسف/76، وتمام الآية ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه، كذلك كدنا ليوسف، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله، نرفع درجات من نشاء، وفوق كل ذي علم عليم﴾.
(4) انظر تخريج الحديث ص: 171-172.
(5) وهي رواية مسلم في كتاب الإيمان رقم 8، عن عمر بن الخطاب، سبق ذكرها.
(6) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: 155/1.
(7) في ج: مضافية، وهو خطأ، والصواب الذي في الأصل.
(8) ساقطة من ب.

الأولى: **أن تلد الأمة** أي الجارية **ربتها**، وفي رواية: إذا ولدت[1]. وهي أولى كما قاله في الفتح "لإشعارها بتحقيق الوقوع"[2] وأل لتعريف الماهية أو المعهود عند المخاطب. وربتها بالتاء سيدتها، وفي رواية ربها[3]، وفي أخرى أربابهن[4]، وفي أخرى بعلها أي ربها، قال تعالى: ﴿**أتدعون بعلا**﴾[5].

وفيه جواز إطلاق رب على غير الله إذا كان مضافا. واختلف في معناه، فقيل: المراد بالرب المربي، فيكون حقيقة، قال في الفتح: "وهذا أوجه الوجوه عندي"[6].

وقيل: إن ولد أم الولد لما كان سببا في عتقها أطلق عليه ذلك مجازا.

وقيل: إنه كناية عن كثرة السراري وأولادهن، وأن ولدها من سيدها، بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر إلى ولده، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين، إما بالإذن أو بقرينة الحال، وعرف الاستعمال. وعبر بعضهم بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفار فتكثر السراري فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه.

وقيل: معناه أن الإماء تلد الملوك فتكون أمه من جملة رعيته، إذ هو سيدها.

وقيل[7]: أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان، فيكثر ترادها في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها من غير علم أنها أمه.

وقيل: إنه[8] كناية عن كثرة العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب.

---

(1) عند البخاري في الإيمان رقم 50، وفي التفسير رقم 4777 عن أبي هريرة، سبق ذكرها كذلك.
(2) الفتح 166/1، ولم ينص على أنها أولى.
(3) وردت عند مسلم في كتاب الإيمان، رقم 10، عن أبي هريرة. سبق ذكرها، وعند النسائي في كتاب الإيمان رقم 4618، عن أبي ذر وأبي هريرة. سبق ذكرها كذلك.
(4) في ج: أربابها. وقد وقفت على هذه الرواية في مسند أحمد 27/1 رقم 184 عن عمر بن الخطاب.
(5) الصافات/ 125،/ وتمام الآية: ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾.
(6) 167/1.
(7) في ب، ج، بزيادة: معناه.
(8) في ب: هو.

وقيل[1]: كناية عن رفع الأسافل، لأن الأمة إذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها، ويشهد لهذا المعنى حديث "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع"[2].

وما أحسن قول القائل:

إذا التحق الأسافل بالأعالي فقد طابت منادمة المنايا.

العلامة الثانية قوله: أن **ترى الحفاة**[3]، جمع حاف، وهو من لا نعل له. **والعراة**: جمع عار، المتجرد من الثياب، وفي رواية حفوة، أي خدمة. وأل للعهد عند المخاطب[4]، أو لتعريف الماهية لا للاستغراق.

والعالة: بتخفيف اللام المفتوحة. الفقر. جمع عائل، من عال يعيل عيلا وعيلة وعيولا ومعيلا. افتقر فهو عائل، ككاتب وكتبة.

ورعاء: بكسر أوله مع مده، جمع راع، كجائع وجياع، ويجمع على رعاة بالضم كقاض وقضاة، وعلى رعيان، كشاب وشبان.

والرعي حفظ الغير. قال في القاموس: "الراعي كل من ولي أمر قوم، الجمع رعاء ورعيان ورعاء، ويكسر"[5].

والشاء جمع شاة فهو مما يفرق بينه وبين واحده بالهاء كشجر وشجرة، وتمر وتمرة. وفي رواية لابن عمر: "الصم البكم العمي الحفاة" أي لا يستعملون أسماعهم ولا ألسنتهم ولا أبصارهم في شيء من أمر دينهم.

وفي رواية رعاء البهم[6] بفتح الباء الموحدة جمع بهيمة، / وهي صغار الضأن والمعز، وقيل أولاد الضأن فقط. وفي القاموس: "البهيمة كل ذات أربع قوائم، ولو 28 ظ

(1) في ب: بزيادة هو. وفي ج بزيادة أنه.
(2) رواه أحمد في المسند 389/5 رقم 23692، والترمذي في كتاب الفتن، باب: 73. رقم: 6122. والحديث عن حذيفة بن اليمان.
(3) في ب، بزيادة: العراة.
(4) في ج: الخطاب. والصواب الذي في الأصل.
(5) ص: 1663، فصل الراء، باب الواو والياء (الرعي).
في جميع النسخ "رعاء ورعيان ورعاء" وفي القاموس "رعاة ورعيان ...".
(6) وهي رواية مسلم في كتاب الإيمان، رقم 9 عن أبي هريرة.

في الماء، أو كل حي لا يميز، الجمع بهائم. والبهمة أولاد الضأن والمعز والبقر، الجمع بهم ويحرك"[1].

وفي رواية البخاري: "رعاء الإبل" البهم بضم الباء لا غير، جمع ابهم وهو الذي لا شبه له". قاله الكرماني[2].

وخص الرعاء لأنهم أضعف الناس.

قوله : **يتطاولون في البنيان**، أي يتفاخرون بطول البناء وكثرته، ويتباهون في ارتفاعه، وفيه دليل على عدم التباهي والتفاخر خصوصا بالتطاول بالبنيان[3]، ولم يكن إطالة البناء معروفا في زمانه صلى الله عليه وسلم، بل كان بنيانهم قصيرا بقدر الحاجة.

وفي البخاري مرفوعا: "لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان"[4]، وفي أبي داود عن أنس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه ؟ قالوا: هذه لفلان رجل من الأنصار فجاء صاحبها فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه، فعل ذلك مرارا، فهدمها الرجل"[5]. وروى الطبراني مرفوعا: "كل بناء، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا على رأسه أكثر من هذا فهو وبال"[6]. وعن الحسن: "كنت أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي". وروي عن عمر أنه كتب "لا تطيلوا بناءكم[7] فإنه شر أيامكم". وعن عمار أنه قال: "إذا رفع الرجل بناء فوق سبعة أذرع نودي يا أفسق الفاسقين إلى أين"[8].

---

(1) ص 1398، فصل الباء، باب الميم (البهيمة).
(2) في كتاب الإيمان، رقم 50 عن أبي هريرة وفيه "رعاة الإبل".
(3) شرح صحيح البخاري: 198/1.
(4) في ب، د: في البنيان.
(5) كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم 1721، عن أبي هريرة.
(6) كتاب الأدب، باب ماجاء في البناء رقم 5237،
(7) في المعجم الكبير، 55/22، رقم 131 عن واثلة بن الأسقع.
(8) في ج: بنيانكم.
(9) قول الحسن وعمر وعمار وقفت عليه عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 141-142 وقال عقبه: "خرجه كله ابن أبي الدنيا".

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان لا يبني بيتا ويقول: "سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة".

ومعنى الحديث أن أهل البادية وأشباههم تنبسط عليهم الدنيا ويصيرون رؤساء وتكثر أموالهم وتعظم شوكتهم فيملكون البلاد ويتوطنونها فيبنون القصور المرتفعة، ويتباهون بها، فهو[1] إشارة إلى كون الأسافل يصيرون كالملوك، ويتولى الرياسة من لا يستحقها، ويتعاطى السياسة من لا يحسنها. ففي الحديث الكريم: ﴿**إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة**﴾[2] «فإنه إذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء وهم أهل الجهل والجفاء رؤوس الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان فإنه يفسد[3] بذلك نظام الدين والدنيا، لأنه إذا رأس الناس من كان فقيرا عائلا فصار ملكا على الناس سواء كان ملكه عاما أو خاصا في بعض الأشياء، فإنه لا يكاد يعطي الناس حقوقهم بل يستتر[4] عليهم بما استولى عليه من المال، فقد قال بعض السلف: لأن تمدن يدك إلى فم التنين فيقضمها خير لك من أن تمدها إلى غني قد عالج الفقر. وإذا كان مع هذا جاهلا جافيا فسد بذلك الدين، لأنه لا تكون له همة في إصلاحه، بل همته / في جباية[5] المال واكتنازه، ولا يبالي بما فسد من دين 29 و
الناس، ولا بمن ضاع من أهل حاجاتهم»[6].

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: "إن من أشراط الساعة أن يوضع الأخيار ويرفع الأشرار"[7].

وقال الفشني: «القصد من الحديث الإخبار عن تبدل الحال وتغييره بأن يستولي أهل البادية والفاقة الذين هذه صفاتهم على أهل الحاضرة ويتملكون بالقهر

(1) في ب: فهؤلاء.
(2) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم 6496.
(3) في ج: ستفسد.
(4) في جامع العلوم والحكم ص 139 : يستأثر، ومعناه يستبد بالشيء، الصحاح مادة أثر، 575/2.
(5) في ج: جباة والصواب الذي في الأصل، وفي د: جناية، وهو مناسب للمقام أيضا.
(6) والفقرة ما بين قوسين وقفت عليها بتمامها عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 139-140.
(7) رواه الحاكم في المستدرك 554/4-555 في كتاب الفتن والملاحم. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" والبيهقي في الشعب: 603/4. رقم 5199، باب في حفظ اللسان.

والغلبة، فتكثر أموالهم ويتسع في الحطام[1] آمالهم، فتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان. قال: وهذا مشاهد في زماننا»[2] هـ.

وذكر صلى الله عليه وسلم هاتين العلامتين تحذيرا للحاضرين وغيرهم منهما، وإلا فالساعة لها علامات كثيرة، كقبض العلم، وكثرة الزلازل، وكثرة الفتن، وأن يفيض المال حتى لا يجد الرجل من يدفع له زكاة ماله. وكثرة الهرج يعني القتل، وإضاعة الصلاة والأمانة، وأكل الربا، وخروج الدجال، وخروج ياجوج وماجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿**وإذا وقع القول عليهم**﴾[3] الآية. قال الترمذي: "فتخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلو وجوه المومنين بالعصا، ويختم أنف الكافر بالخاتم. حتى إن أهل المائدة الواحدة يجتمعون للطعام فينادي بعضهم بعضا يا مومن ويا كافر"[4]. لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي.

قيل: وهذه الدابة هي الفصيل الذي كان لناقة صالح عليه الصلاة والسلام، فلما عقرت أمها هربت، وانفتح لها حجر فدخلت فيه، فانطبق عليها، وهي فيه إلى وقت خروجها[5].

قيل: هي الجساسة، روي أن طولها ستون ذراعا، ولها قوائم وزغب وريش وجناحان، وتسير في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب. وروي أنها على خلقة الآدميين، وهي في السحاب وقوائمها في الأرض، وأنها جمعت من

---

(1) في ج: النظام. وهو خطأ.

(2) المجالس السنية: ص 11.

(3) النمل/84، وتمام الآية: "وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم، إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون".

(4) كتاب التفسير، باب: ومن سورة النمل، رقم 3198، قال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن غريب. ورواه كذلك أحمد في المسند 295/2 رقم 7924. وابن ماجة أيضا في كتاب الفتن، باب دابة الأرض. رقم: 4066.

(5) انظر تذكرة القرطبي، 582/2-583 قال "ويدل عليه حديث حذيفة المذكور في هذا الباب. وفيه: "وهي ترغو". والرغاء إنما هو للإبل، والله أعلم. ولقد أحسن من قال:

واذكر خروج فيصل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والإيمن".

خلق كل حيوان، وأنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلي[1] المومن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم[2] ، فيعلم الكافر من المومن، وينقطع بخروجها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم إن أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العالم طلوع الشمس من مغربها، ولعل خروج الدابة في ذلك الوقت أو قريب منه.

قوله: **ثم انطلق**، أي ذهب السائل.

فلبثت: بضم التاء أي مكثت. وفي رواية: فلبث، أي أمسك على الكلام.

مليا: بتشديد المثناة التحتية، أي زمنا طويلا من الملاوة، وهي طول الزمان، ويقال: الليل والنهار ملوان. ومنه ﴿**اهجرني مليا**﴾[3] .

وفي رواية الترمذي وأبي داود: "أنه لبث ثلاث"[4])[5] .

قوله: ثم **قال**: **يا عمر، أتدري من السائل ؟ قلت**: **الله ورسوله أعلم، قال**: **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**، / أي قواعده وكلياته بسبب سؤاله. ونسبة التعليم إليه مجاز، بل 29 ظ
المعلم حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن المنير[6] : "في قوله: يعلمكم الخ، دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علما وتعليما. لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك فقد سماه معلما، وقد اشتهر قولهم: حسن السؤال نصف العلم. ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب"[7] هـ.

---

(1) في ب: فتجلو، وفي ج: فتجلد وهو خطأ حسب ما ورد في رواية الترمذي وغيره.

(2) ساقطة من د.

(3) مريم/46، وتمام الآية: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي، يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾.

(4) في ب، ج: ثلاثا.

(5) رواية الترمذي في كتاب الإيمان، رقم: 2619. وأبي داود في كتاب السنة رقم 4695. وقد سبق ذكر الروايتين.

(6) زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن المنير، الاسكندري. قرأ الفقه على أخيه ناصر الدين وعلى أبي عمرو بن الحاجب. كان ممن له أهلية الاجتهاد والترجيح في مذهب مالك. توفي 695هـ. من مصنفاته: شرح على البخاري، وله حواش على شرح ابن بطال. ترجم له الصفدي في الوافي 190/12. وابن فرحون في الديباج 2-123-124. ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية ص 188، رقم 626.

(7) فتح الباري، 171/1.

وفيه أن الدين اسم للثلاثة. قال ابن عاشر[1] : "والدين ذي الثلاث خذ أقوى عراك"[2] وأنه يندب للمعلم تنبيه المتعلم على ما ينفعه من أمر دينه.

وجبريل اسم سرياني غير منصرف للعلمية والعجمة، وهو مركب من جبر وهو العبد، وايل وهو الله. أو الرحمن أو العزيز فمعناه عبد الله، أو عبد الرحمن أو عبد العزيز.

وذهب ابن العربي إلى أن هذا وما شابهه إضافته مقلوبة كما هي في كلام العجم، يقولون في غلام زيد، زيد غلام، فيكون إيل عبارة عن العبد، وأول عبارة عن اسم من أسمائه، والأكثرون على الأول.

وجبريل له ستمائة جناح، ومن وراء ذلك جناحان أخضران لا ينشرهما إلا عند هلاك القرى. وقد ورد "أنه اقتلع مدائن قوم لوط، ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونباح الكلاب، ثم جعلها عاليها سافلها"[3] .

وفيه لغات كسر الجيم والراء، وبهمزة بعدها مثناة، ولا مثناة بعد الهمزة، وفيه لغات أخر أوصلها بعضهم إلى ثلاثة عشر[4] .

قال الفشني: «اعلم أن جبريل عليه السلام ملك متوسط بين الله ورسوله، وهذا الاسم سرياني، ومعناه عبد الله. والخبر دال على أن الله تعالى شكل الملائكة بما شاءوا من الصور كما مر. وقد كان جبريل يتمثل لنبينا صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي[5] . في رواية: ما جاءني جبريل في صورة لم أعرفه إلا في هذه المرة.

(1) أبو محمد، عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبا، الأندلسي أصلا، الفاسي منشأ ودارا، أخذ على أبي العباس أحمد بن عثمان اللمطي، وأبي العباس الكفيف. توفي سنة 1040هـ. من مصنفاته: فتح المنان بشرح مورد الظمآن، والمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وشرح على مختصر خليل. ترجم له: المحبي في خلاصة الأثر، 3/96-98. وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين 636/1. والكتاني في سلوة الأنفاس. 2/274–276.

(2) المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، ص 61.

(3) انظر تفسير ابن كثير 569/3، عند تفسير قوله تعالى من سورة هود: "فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد". الآيتين 81-82.

(4) في ب، ج، بزيادة: لغة.

(5) ووقع في رواية عند النسائي في كتاب الإيمان، باب صفة الإيمان رقم 4618، عن أبي ذر وأبي هريرة: "والذي بعث محمدا بالحق هدى وبشيرا ما كنت بأعلم به من رجل منكم وأنه لجبريل عليه السلام نزل في صورة دحية الكلبي".

قال ابن عادل رحمه الله: "يروى أن جبريل عليه السلام نزل على آدم اثنتي عشرة مرة، وعلى ادريس أربع مرات، وعلى موسى أربعمائة، وعلى عيسى عشر مرات، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين أربعا وعشرين ألف مرة"[1].

وقد وصف الله سبحانه جبريل عليه السلام بالقوة فقال: ﴿**علمه شديد القوى**﴾[2] كان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ورفعها / 30 و إلى السماء ثم قلبها، وكان من قوته أنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين[3] خامدين.

وكان هبوطه من السماء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصعوده إليها في أسرع من طرفة عين، ويقال له الناموس كما في البخاري ومسلم[4].

ولقد حكى بعض العلماء في تصنيف له أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبريل عليه الصلاة والسلام، أن اهبط إلى البلاد الفلانية فاقلب عاليها سافلها، فإنه قد اشتد غضبي عليهم في هذه الليلة، فقال جبريل سبحانك يا رب[5]، وأي ذنب فعلوا؟ فقال: إنه قد ركب فيهم في هذه الليلة سبعون ألف ذكر سبعون ألف فرج زنى، قال: فذهب إلى تلك القرى وكانت سبع مدائن فرفعها على (خافقة من)[6]

(1) اللباب في علوم الكتاب: 79/15 إلا أن الذي وقفت عليه "روي أن جبريل نزل على آدم عليه السلام اثنتا عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى موسى أربعمائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات، وعلى محمد عليه السلام أربع عشرة ألف مرة".

(2) النجم/5.

(3) ساقطة من ج.

(4) ذكره كل من البخاري ومسلم، وهو حكاية ورقة بن نوفل للرسول صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ بالوحي "الناموس الذي أنزل على موسى". والحديث رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، الباب الثالث رقم 3، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب "واذكر في الكتاب موسى ..." رقم 3392. وذكر فيه أن "النامو" صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره". وفي كتاب التفسير، تفسير سورة العلق، الباب 1، رقم 4953، وفي كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، رقم 6982. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم 160. والحديث عن عائشة.

(5) الواو ساقطة من د.

(6) ما بين قوسين ساقط من د.

جناحه حتى وصل بها إلى عنان السماء وأراد أن يقلبها، وكان لامرأة منهم عجين فقامت إليه، وكان لها طفل نائم في المهد فلما أن وضعت يدها في العجين استيقظ الطفل من مهده، وصاح فحارت المرأة في أمرها، وماذا تفعل ويدها في العجين وولدها يصيح، فقالت من عظم حرقتها تخاطب ولدها: يا ولدي إن ربي سبحانه وتعالى من كرمه حليم لا يعجل بالعقوبة، قال: فلما تكلمت المرأة بذلك سكن غضب الله عز وجل وقال لجبريل: ضع القرى مكانها، فإنه قد سكن غضبي بمناجاة هذه المرأة لولدها، وإني حليم لا أعجل بالعقوبة على من عصاني، فكان الطفل سببا للشفاعة فيمن استحق العذاب وهم لا يعلمون»[1] هـ.

تنبيهـان:

الأول: من تأمل هذا الحديث العظيم علم أن جميع العلوم والمعارف ترجع إليه، وتدخل تحته، وأن جميع العلماء من فرق هذه الأمة لا تخرج علومهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث، وما دل عليه مجملا ومفصلا، فإن الفقهاء إنما يتكلمون في العبادات التي هي من جملة خصال الإسلام، ويضيفون إلى ذلك الكلام في أحكام الأموال والأبضاع والدماء؛ وكل ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيه إليه، ويبقى كثير من علم الإسلام من الآداب والإخلاص وغير ذلك لا يتكلم عليه إلا القليل منهم، ولا يتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصل الإسلام كله، والذين يتكلمون في أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر، والذين يتكلمون على علم المعارف والمعاملات يتكلمون على مقام الإحسان وعلى الأعمال الباطنة التي تدخل في الإيمان أيضا، كالخشية والمحبة والتوكل / والرضى 30 ظ
والصبر ونحو ذلك، فانحصرت العلوم الشرعية التي يتكلم عليها فرق المسلمين في هذا الحديث، ورجعت كلها إليه، ففي هذا الحديث وحده كفاية، ولله الحمد والمنة.

(1) المجالس السنية ص 11.

الثاني: ينبغي للعبد أن يشتغل بطاعة مولاه ويعرض بقبله وقالبه عن كل ما سواه. «قال بكر المزني[1]: "من مثلك ابن آدم خلي بينك وبين المحراب والماء كلما شئت دخلت على الله عز وجل وليس بينك وبينه ترجمان"[2]هـ.

ومن وصل إلى استحضار هذا في حال ذكره لله وعبادته استأنس بالله واستوحش من خلقه ضرورة.

قال ثور بن يزيد[3]: "قرأت في بعض الكتب أن عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريين كلموا الله كثيرا وكلموا الناس قليلا، قالوا: كيف نكلم الله كثيرا ؟ قال: اخلوا بمناجاته، اخلوا بدعائه". خرجه أبو نعيم[4].

وقال أبو أسامة: "دخلت على محمد بن النضر الحارثي فرأيته كأنه منقبض فقلت: كأنك تكره أن تؤتى، قال: أجل، فقلت: أما تستوحش، فقال: وكيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني"[5]. وقيل لمالك بن المغول وهو جالس في بيته وحده: "ألا تستوحش" قال: "ويستوحش مع الله أحد". وكان حبيب أبو محمد[6] يخلو في بيته ويقول: "من لم تقر عينه بك، فلا قرت عينه، ومن لم يأنس بك فلا أنس".

---

(1) بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال. روى عن ابن عمر وأنس، وعنه قتادة وحميد الطويل والتيمي. توفي 106هـ. وقيل: 801 هـ. قال ابن سعد: وهو أثبت عندنا. وقال الذهبي: وهو أصح. ترجم له: ابن سعد في الطبقات 7/157-158 رقم 3084. والبخاري في التاريخ الكبير 2/77 رقم 1795. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 2/388 رقم 1507. وأبو نعيم في الحلية 2/224-232. والذهبي في سير أعلام النبلاء 4/532-536 رقم 215. وابن حجر في تهذيب التهذيب 1/505-506 رقم 789.

(2) الحلية لأبي نعيم 2/229.

(3) ثور بن يزيد الكلاعي، يكنى أبا خالد، من أهل حمص. حدث عن عطاء بن أبي رباح ونافع والزهري ... وعنه سفيان الثوري وابن البارك وأبو عاصم النبيل. توفي سنة 150، وقيل 153، وقيل 155هـ. ترجم له ابن سعد في الطبقات 7/324 رقم 3910، وخليفة في الطبقات ص 315، والبخاري في التاريخ الكبير 2/162-163 رقم 2126، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 2/468، رقم 1904. وأبو نعيم في الحلية 6/93-100 رقم 337 والذهبي في سير أعلام النبلاء 6/344 رقم 146.

(4) الحلية: ج 6، ص 94.

(5) الحلية 8/217.

(6) حبيب بن الشهيد أبو محمد الأزدي الحافظ، ويقال: أبو شهيد. سمع الحسن وابن أبي مليكة وطبقتهم. وروى عنه شعبة ويزيد بن زريع ويحيى القطان. وقال المزي: تابعي أدرك أبا الطفيل. توفي سنة 145. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 2/307، رقم 2615. والمزي في تهذيب الكمال 2/47-48 رقم 1075. والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/124 رقم 160. وفي سير أعلام النبلاء 7/56-57 رقم 17. وابن حجر في تهذيب التهذيب 2/161 رقم 1148.

وقال غزوان: "إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي".

وقال مسلم بن يسار[1]: "ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل"[2].

وقال مسلم العابد: "لولا الجماعة ما خرجت من بابي أبدا حتى أموت. وقال: ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحسب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إليه ثم غشي عليه".

وعن إبراهيم بن أدهم[3] قال: أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر عليه شيئا، فإذا كانت كذلك لم تبال في بر كنت أو في بحر أو في سهل أو في جبل، وكان[4] شوقك إلى لقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عندك أحلى من العسل، وأحلى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله جليسه[5].

وقال أبو سليمان: لا آنسني[6] الله إلا به أبدا.

---

(1) مسلم بن يسار البصري الأموي المكي. أبو عبد الله الفقيه. روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ... وعنه ابنه عبد الله وثابت البناني ويعلى ابن حكيم ... توفي سنة 100 أو 101. ترجم له: ابن سعد في الطبقات الكبرى 7/138-140 رقم 3059. والبخاري في التاريخ الكبير 7/151 رقم 1166. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 8/198 رقم 868. وأبو نعيم في الحلية 2/290-298 رقم 290، والمزي في تهذيب الكمال 7/107-108 رقم 6542 والذهبي في سير أعلام النبلاء 4/510-514 رقم 203. وابن حجر في تهذيب التهذيب 8/64 1 رقم 6923.

(2) الحلية – 2/492.

(3) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو اسحاق البلخي العجلي التميمي الزاهد. حدث عن أبيه ومحمد بن زياد الجمحي، وصحب الثوري والفضيل بن عياض. روى عنه الثوري والأوزاعي ... توفي سنة 61 1، وقيل 162هـ. ترجم له: البخاري في التاريخ الكبير 1/268 رقم 877، والسلمي في طبقات الصوفية ص 35 رقم 3، وأبو نعيم في الحلية 7/367-395 رقم 394، والقشيري في الرسالة ص 391 رقم 4. والذهبي في سير أعلام النبلاء 7/387-396 رقم 142، والصفدي في الوافي بالوفيات 1/318 رقم 2390. وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات 1/13 رقم 1.

(4) في د: ويكون.

(5) الحلية لأبي نعيم 8 /108.

(6) في ج: أنسى.

وقال معروف[1] لرجل: على الله توكل حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك[2].

وقال ذو النون[3]: من علامة المحبين لله أن لا يأنسوا / بسواه، ولا يستوحشوا 31 و
معه. ثم قال: إذا سكن القلب حب الله أنس بالله، لأن الله أجل في صدور العارفين أن يحبوا سواه»[4]رهـ. ولسيدنا الوالد رحمه الله ونفعنا به في هذا المعنى:

طوبى لمن قلبه بالله مشتغل ... يبكي النهار وطول الليل يبتهل
خوف الوعيد وذكر النار أحرقه ... والدمع منه على الخدين ينهمل

إلاهي بالنور المحمدي الذي رفعت على كل رفيع مقامه، وضربت فوق خزانة أسرار ألوهيتك أعلامه، افتح لنا فتحا صمدانيا، وعلما ربانيا، وتجليا رحمانيا، وفيضا إحسانيا، وتولنا بالهداية والرعاية، والحماية والكفاية يا أكرم الأكرمين (يا رب العالمين)[5].

(1) معروف بن فيروز الكرخي، ويقال معروف بن الفيرزان، ويقال معروف بن علي، أبو محفوظ. من المشايخ المشهورين بالزهد، صحب داود الطائي، وأخذ عنه السري السقطي. توفي سنة 200هـ. ترجم له: السلمي في طبقات الصوفية ص 80-86 رقم 10. وأبو نعيم في الحلية 8/360-368 رقم 436. والبغدادي في تاريخ بغداد 13/199-209 رقم 7177. والذهبي في سير أعلام النبلاء 9/339-345 رقم 111. والشعراني في الطبقات الكبرى 1/72 رقم 142.

(2) الحلية لأبي نعيم: 8/360.

(3) ثوبان بن إبراهيم، وقيل فيض بن إبراهيم وقيل فيض بن أحمد، وذو النون لقب له، ويكنى أبا الفيض، روى عن مالك والليث وابن لهيعة وسفيان بن عيينة ... وعنه ربيعة بن محمد الطائي والجنيد بن محمد الزاهد ... توفي سنة 245هـ، وقيل 246، وقيل 248هـ. ترجم له السلمي في طبقات الصوفية، ص: 72–43 رقم 2، وأبو نعيم في الحلية 9/331-395 رقم 456، والبغدادي في تاريخ بغداد 8/393-397 رقم: 4497، والقشيري في الرسالة ص 433 رقم 69، والذهبي في سير أعلام النبلاء 11/532-536 رقم 153.

(4) وقفت على كلام القوم عند ابن رجب من ص 132 إلى ص 134، ابتداء من قول بكر المزني إلى آخر قول ذي النون وبنفس الترتيب.

(5) ما بين قوسين ساقط من ب، وفي ج بزيادة: آمين.

الحديث الثالث

«عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". رواه البخاري ومسلم»[1].

نص ما افتتح به الفشني هذا الحديث: «الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تكون سببا للنعيم المؤبد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، النبي المفضل المشرف المؤيد، فهو حامد ومحمود وأحمد ومحمد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما ركع راكع وسجد، آمين.

ثم قال: وهذا الحديث عظيم رواه البخاري في الإيمان والتفسير، ومسلم في الإيمان والحج»[2]هـ.

وقد خرجه أيضا الإمام أحمد.

ولنقدم بين يدي الحديث فضائل راويه، وهو عبد الله القرشي العدوي المكي، وتقدم ذكر نسبه في ترجمة أبيه وأمه، فهي زينب بنت مضعون أخت عثمان بن مضعون. أسلم بمكة قديما مع أبيه وهو صغير، وهاجر معه، ولا يصح قول من قال إنه أسلم قبل أبيه وهاجر قبله[3]. ولم يشهد بدرا، وعرض على النبي صلى الله عليه

---

(1) رواه أحمد في المسند 26/2 رقم 4798, 93/2 رقم 5672. والبخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، رقم 8، وفي كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة، باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ رقم 4514. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، رقم 16. والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في بني الإسلام على خمس، رقم 2618. والنسائي في كتاب الإيمان، باب على كم بني الإسلام، رقم 4628.

(2) المجالس السنية ص 12.

(3) قال ابن عبد البر في الاستيعاب 950/3 : "وقد قيل إن إسلامه كان قبل إسلام أبيه، ولا يصح. وكان عبد الله بن عمر ينكر ذلك، وأصح منذ ذلك قولهم: إن هجرته كانت قبل هجرة أبيه".

وسلم يوم أحد وهو ابن عشرة سنة فرده، ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، ثم لم يتخلف بعد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو أحد العبادلة الأربعة / وثانيهم عبد الله بن عباس، وثالثهم عبد الله بن 31 ظ
عمرو بن العاصي، ورابعهم عبد الله بن الزبير. ووقع في مبهمات النووي وغيرها أن الجوهري أثبت ابن مسعود منهم، وحذف ابن عمر، وليس كذلك لأنه مات قبل اشتهار الأربعة بالعبادلة. وهو أحد المكثرين في[1] الصحابة رواية.

قال جابر: "ما منا إلا من نال من الدنيا ونالت منه إلا عمر وابنه"[2] وقال طاوس[3]: ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر. ولا أحد أعلم من ابن عباس. وقال سعيد بن المسيب: لو كنت شاهدا لأحد من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر.

"وجلس في الحجر هو ومصعب وعروة وعبد الله بن الزبير، فقال ابن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ علي العلم، وقال مصعب: وأما أنا فأتمنى إمارة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين، وقال عبد الله بن عمر: وأما أنا فأتمنى المغفرة. فقالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر الله له"[4]. وكان عالما عابدا لزوما[5] للسنة، فارا من البدعة، ناصحا للأمة، حج ستين حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وحمل على ألف فرس في سبيل الله.

قال مالك: بلغ ابن عمر ستا وثمانين، وأفتى في الإسلام ستين سنة، وكان متحريا[6] في فتواه. قال ابن المبارك في الزهد: كان ابن عمر يسأل فيقول: لا أدري أتريدون أن تتخذ جسرا على جهنم. ونشر نافع عنه علما جما.

---

(1) في ج: من.

(2) انظر الحلية لأبي نعيم 294/1. عن جابر إلا أنه قال: نالت بدل مالت.

(3) طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني. سمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة ... وعنه ابنه عبد الله والزهري ... توفي سنة 101، وقيل 106، وقيل بضع عشرة ومائة. ترجم له: ابن سعد في الطبقات 66/6-70 رقم 1754، والبخاري في التاريخ الكبير 316/4 رقم 6059، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 500/4 رقم 2203، والذهبي في تذكرة الحفاظ 69/1 رقم 79، وابن حجر في تهذيب التهذيب 100/4، رقم 3089.

(4) انظر الحلية لأبي نعيم 309/1.

(5) في ج: لزيما.

(6) في د، ج: متحيرا.

وقال الثوري: "كان ابن عمر إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به، وكان خدمه قد فهموا ذلك، فيلزمون المسجد والصلاة فيعتقهم، فقيل له: إنهم يخدعونك، فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له"[1]. وقال ميمون بن مهران: "ما رأينا أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس"[2].

ولما طعن عمر قيل له: ألا تستخلف ابنك عبد الله فإنه أهل لها، قال: فحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم على الناس رجل واحد.

«وروى ابن الماجشون: أن مروان بن الحكم دخل في نفر على عبد الله بن عمر بعدما قتل عثمان، فعزموا عليه أن يبايعوه، فقال: كيف لي بالناس، قالوا: نقاتلهم، فقال: والله لو اجتمع علي أهل الأرض، إلا أهل فدك ما قاتلتهم، فخرجوا من عنده، ومروان يقول:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها[3] والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

مات ابن عمر عن أربع وثمانين سنة بمكة، سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل بستة أشهر، ودفن بذي طوى بمقبرة المهاجرين رحمه الله ورضي عنه. وكان سبب موته أن الحجاج / أمر رجلا فسم[4] زج رمحه، وزاحمه 32 و
في الطواف، فوضع الزج في ظهر[5] قدمه فمرض فمات منها» قاله ابن عبد البر[6].

وقال ابن حجر في كتاب العيدين: "حكى الزبير في الأنساب أن عبد الملك لما كتب للحجاج أن لا يخالف ابن عمر شق عليه ذلك فأمر رجلا معه حربة يقال إنها كانت مسمومة، فأمر الحربة على قدمه فمرض منها أياما ثم مات"[7]هـ.

(1) الحلية لأبي نعيم: 294/1.
(2) الاستيعاب: 951/3.
(3) لم يذكر ابن عبد البر هذا الشطر من البيت ووقفت عليه عند ابن سعد في الطبقات 127/4.
(4) في د: بسم.
(5) في ج: موضع.
(6) الاستيعاب 2/3 9! بتصرف. ولم أقف على قوله زعن أربع وثمانين سنةس ووجدت عنده عن ابن وهب عن مالك زبلغ عبد الله بن عمر ستا وثمانين سنةس. 159/3. وذكره ابن سعد في طبقاته 142/4.
(7) فتح الباري 133/3. كتاب العيدين، وباب ما يكره من حمل السلاح في العيد والحرم.

وفي البخاري عن سعيد بن جبير: "كنت مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح في أخمص قدمه، فلزقت بالركاب، فنزعتها، وذلك بمنى، فبلغ الحجاج فجاء يعوده، فقال الحجاج: لو نعلم من أصابك ؟ فقال ابن عمر: أنت أصبتني، قال: وكيف ؟ قال: حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه، وأدخلت السلاح الحرم، ولم يكن يدخل الحرم"[1].

وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه لأخته حفصة لما قصت عليه رؤياه كما في البخاري "أن عبد الله رجل صالح"[2]هـ.

وعن عبد الله بن أبي عثمان قال: "كان عند عبد الله بن عمر جارية يقال لها رميثة، فقال: إني سمعت الله عز وجل يقول: ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾[3]، وإني كنت والله لأحبك في الدنيا، اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى"[4]. قال: ولولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها، فأنكحها نافعا وهي أم ولده.

وقال[5] نافع: "كان ابن عمر إذا اشتد عجبه لشيء من ماله قربه لله عز وجل، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا، وراح على نجيب له قد أخذه بمال، فلما أعجبه سيره أناخه مكانه، ثم نزع عنه، فقال: يا نافع (انزعوا زمامه ورحله وجللوه واشعروه وأدخلوه)[6] في البدن"[7].

وعن أبي هلال: "أن عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك، فقال: إني لأشتهي حيتانا، فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتا واحدا، فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد وصنعته، ثم قربته إليه، فأتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر: خذه، فقال أهله: سبحان الله قد عنتنا، ومعنا زاد نعطيه، فقال: إن شهوتي ما أريده".

---

(1) البخاري، كتاب العيدين، باب ما يكره من حمل السلاح في العيد والحرم رقم 966.

(2) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب، رقم 3741، وكتاب التعبير، باب الأمن وذهاب الروع في المنام رقم 7029، باب الأخذ على اليمين في النوم، رقم 7031، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن عمر رقم 2478.

(3) آل عمران/91.

(4) الحلية لأبي نعيم 1/295.

(5) في أ، ب، ج، بزيادة ابن، وهو خطأ والصواب نافع وهو خادم ابن عمر رضي الله عنه.

(6) في د: انزعه أزمامه ورحله وجلله وأشعره وأدخله ...

(7) الحلية لأبي نعيم 1/294-295.

وعن نافع: "أنه اشتكى، فاشترى له عنقود عنب بدرهم، فجاء مسكين، فقال: أعطوه إياه، فخالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، ثم جاء به إليه، فجاء المسكين يسأل، فقال: أعطوه إياه، ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به إليه، فجاء المسكين، فقال: أعطوه إياه، ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، فأراد أن يرجع فمنع، ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه"[1].

"وأعطاه ابن جعفر في رقيقه نافع عشرة آلاف دينار، فقال له عاصم بن محمد: يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر أن تبيع، فقال: فهل لا ما هو خير من ذلك، هو حر لوجه الله تبارك وتعالى"[2]. وعن ميمون بن مهران قال: "أتى ابن عمر / اثنان وعشرون 32 ظ
ألف دينار في مجلس، فلم يقم حتى فرقها"[3]. "وبعث إليه معاوية بمائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء"[4]. وكان لا يسأل أحدا شيئا ويقول لا أرد[5] ما رزقني الله.

وعنه أيضا: "أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه، فقيل لها ما تطلقين هذا الشيخ، قالت: فكيف أصنع به، ما أصنع طعاما إلا دعا إليه من ياكله، فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد، فأطعمتهم، وقالت لهم لا تجلسوا بطريقه، ثم جاء إلى بيته، وقال: أرسلوا إلى فلان وفلان وكانت امرأته قد أرسلت إليهم بطعام، وقالت: إذا دعاكم فلا تاتوه، فقال ابن عمر: أردتم أن لا أتعشى الليلة، فلم يتعش تلك الليلة"[6].

وعن أبي بكر بن أبي حفص:" أنه كان لا ياكل طعاما إلا وعلى خوانه يتيم"[7].

وعن يحيى الغساني[8]: أنه جاءه سائل فقال لابنه: أعطه دينارا، فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمت أن الله عز وجل تقبل مني سجدة

(1) الحلية لأبي نعيم: 1/792.
(2) نفس المصدر السابق 1/296.
(3) نفس المصدر السابق 1/296.
(4) نفس المصدر السابق 1/296، عن أيوب عن نافع.
(5) في ب، ج، د: أدري.
(6) الحلية: 1/298، عن ميمون بن مهران.
(7) الحلية 1/299.
(8) يحيى بن يحيى بن قيس بن حارثة الغساني، أبو عثمان الشامي، روى عن محمود بن لبيد، وسعيد بن المسيب، وأبي ادريس الخولاني وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعنه ابنه هشام،=

واحدة، وصدقة واحدة بدرهم واحد، لم يكن غائب أحب إلي من الموت، أتدري ممن يتقبل الله، إنما يتقبل الله من المتقين.

وشرب ماء مبردا فبكى واشتد بكاءه، فقيل له: ما يبكيك ؟ فقال[1]: ذكرت آية في كتاب الله: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾[2]، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئا شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله عز وجل: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾[3].

"وكان إذا قرأ: ﴿**ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾[4]؛ بكى حتى يغلبه البكاء"[5].

"وكان يقول: لا يصيب عبد شيئا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل، وإن كان عند الله كريما"[6]هـ. رضي الله عنه ونفعنا به.

ولنرجع إلى شرح ألفاظ الحديث وبيان معانيها.

قوله صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس، أي أسس، والمراد أن الإسلام مبني على هذه الخمس، كالدعائم والأركان لبنيانه[7]، وفي لفظ: **بني الإسلام على خمس دعائم**[8]. «والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان، ودعائم البنيان هذه

=وسفيان بن عيينة ... توفي 132هـ وقيل 133هـ، وقيل 135هـ وقيل 136هـ. ترجم له ابن سعد في الطبقات 323/7 رقم 905، والبخاري في التاريخ الكبير 192/8-193 رقم 12467، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 197/9 رقم 822، والمزي في تهذيب الكمال 104/8-105 رقم 7539، وابن حجر في تهذيب التهذيب 314/9-315 رقم 7948.

(1) في د: قال.

(2) سبأ/54. وتمام الآية: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب﴾.

(3) الأعراف/49 وتمام الآية: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين.

(4) الحديد/15. وتمام الآية: ﴿ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين آوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون﴾.

(5) الحلية 305/1.

(6) نفس المصدر 306/1.

(7) في د: لبنائه.

(8) قال في الفتح 72/1 صرح به عبد الرزاق في روايته. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 145 : وقد خرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، ولفظه: "بني الإسلام على خمس دعائم" فذكره.

الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها. وبقية الخصال لتتمة البنيان، وإذا فقد شيء نقص البنيان، وهو قائم لا ينتقض لنقص[1] ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعا بغير إشكال، يزول[2] بفقد الشهادتين»[3] كالبيت من الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها وسط والبقية أركان، فمادام الوسط قائما فمسمى البيت موجودا ولو سقط من الأركان شيء؛ فإذا سقط الوسط، سقط مسمى البيت، فالبيت بالنظر إلى مجموعه شيء واحد، وبالنظر إلى أفراده أشياء، ففيه تشبيه معنوي[4] بحسي.

فالمصطفى عليه السلام لبلاغته وفصاحته أراد أن يفيد أصحابه بما لا عهد لهم به، فصاغ / لهم أمثلة من أساليب كلامهم ليفهموا بما يعرفون ما لا يعرفون. ووجه 33 و
الشبه أن البناء الحسي إذا انهدم بعض أركانه لا يتم، فكذلك البناء المعنوي، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "الصلاة عماد الدين"[5] فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين، وكذلك بقية المباني.

وفي قوله: **بني**، استعارة بالكناية، وعند صاحب التلخيص[6] "أن يضمر التشبيه في النفس ولا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه، والدلالة على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص المشبه به"[7]، فشبه الإسلام ببناء عظيم محكم له دعائم، وأركانه الآتية بقواعد ثابتة محكمة[8] حاملة لذلك البناء، فذكر المشبه وطوى ذكر

(1) في ب: لنقض، والصواب المثبت في الأصل.

(2) في ب، ج، بزيادة زوكذلكز قبل: يزول، وبها يستقيم المعنى، وهو ما وجدته عند ابن رجب كذلك.

(3) الكلام ما بين قوسين، وقفت عليه بتمامه عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 145.

(4) ساقطة من ب.

(5) سبق تخريجه ص: 183.

(6) هو القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، جلال الدين أبو المعالي، أخذ عن الأيكي وغيره، وسمع من العز الفاروتي، توفي سنة 739هـ . من مصنفاته : تلخيص المفتاح وإيضاح التلخيص. ترجم له: الصفدي في الوافي بالوفيات 242/3-243 رقم 1255. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 158/9-161 رقم 1318. وابن كثير في البداية والنهاية 185/14. والسيوطي في بغية الوعاة 156/1-157 رقم 261. وابن العماد في شذرات الذهب 123/6. والشوكاني في البدر الطالع 183/2-184 رقم 456.

(7) التلخيص ص 349، (مطبوع مع المطول).

(8) ساقطة من ب، د.

المشبه به وهو البناء، وهو تخييل. ويجوز أن يكون استعارة تبعية[1]؛ بأن تقدر الاستعارة في بناء[2]، والقرينة الإسلام.

شبه ثبات الإسلام واستقامته على هذه الأركان ببناء الخباء على الأعمدة الحسية، ثم اشتق منه لفظ بني[3].

وقوله: على خمس؛ أي دعائم، وفي رواية: خمسة[4]، أي أشياء، وقد تقرر عند النحاة أن أسماء العدد إنما يكون تذكيرها بالتاء، وتأنيثها بسقوطها[5] إذا ذكر المميز وإلا جاز الأمران؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال"[6].

وعلى؛ بمعنى الباء، أو بمعنى من، كما في قوله تعالى: ﴿الا على أزواجهم﴾[7] وقوله: ﴿**إذا كتالوا على الناس**﴾[8] كما اقتصر عليه الأبي[9].

ولو أخذ بظاهر الحديث لكانت الخمسة خارجة عن الإسلام وهو فاسد. وقد ضرب الله مثلا للمومنين والمنافقين، فقال تعالى: ﴿**فمن أسس بنيانه على تقوى من الله**

(1) الاستعارة التبعية هي زان يكون في الحروف والأفعال وما يشتق منهاس. كما ذكره السعد في المطول ص 363.

(2) في ج: البناء.

(3) في ب: بناء. والصواب بني.

(4) وهي أول رواية أوردها مسلم في كتاب الايمان باب بيان أركان الإسلام.

(5) باستثناء الواحد والاثنين، فإنهما يذكران مع المذكر ويؤنثان مع المؤنث. انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري 214/3.

(6) رواه أحمد في المسند 417/5 رقم 2393. والدارمي في السنن في كتاب الصوم، باب في صيام الستة من شوال رقم 1100. ومسلم في كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان رقم 1164. وابن ماجة في كتاب الصيام، باب صيام ستة أيام من شوال، رقم 1716. والترمذي في كتاب الصوم، باب في صيام ستة أيام من شوال، رقم 759.

(7) المومنون/6 المعارج/30 وتمام الآية: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فإنهم غير ملومين﴾ وقد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ في السورتين.

(8) المطففين/2، وتمامها ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾.

(9) إكمال إكمال المعلم 86/1، وقال: «المبني على الشيء غير الشيء، فالإسلام إن أريد به ما تقدم في حديث جبريل عليه السلام فالتقدير من خمس لأنه نفس الخمس، وإن أريد به ما هو أعم أي الدين فهو استعارة، مثل الدين مع أركانه الخمس ببيت أو بخباء أقيمت على خمس أعمدة لأن الخمس هي أسس الدين».

ورضوان﴾[1] الآية، شبه[2] بناء المؤمن بالذي وضع بنيانه على وسط طود أي جبل راسخ، وشبه بناء الكافر بمن وضع بنيانه على طرف جرف بحر هار لا ثبات له، فأكلها البحر فانهار الجرف، فانهار بنيانه فوقع في البحر فغرق، فأدخله جهنم.

ووجه الحصر في الخمس أن العبادة إما قولية أو غيرها؛ الأولى: الشهادتان، والثانية إما تركية أو فعلية؛ الأولى الصوم، والثانية إما بدنية أو مالية الأولى الصلاة، والثانية الزكاة، أو مركبة منهما وهي الحج.

قوله: **شهادة أن لا إله إلا الله**، بالجر مع ما بعده بدل من خمس، ويجوز رفعه على تقدير مبتدأ أو خير أي منها، وهو أولى لأن الخبر كالفضلة، ونصبه بتقدير اعني. والكلمة الشريفة عند علماء المعاني من باب قصر الصفة على الموصوف، فإن الإلاه بمعنى الوصف.

فإن قلت: لم قدم النفي فيها على الإثبات، قلت: / لأنه إذا نفى أن يكون ثم إلاه 33 ظ
غير الله، فقد فرغ قلبه مما سوى الله بلسانه ليواطئ القلب، وليش مشغولا بشيء سوى الله فيكون نفيا للشريك بالجوارح الظاهرة والباطنة.

قوله: **وأن محمدا عبده ورسوله**، وصف نفسه الشريفة بالعبودية تعريضا لبطلان قول النصارى في المسيح، لأن الرسل مستوون في أنهم عباد الله، والإضافة للتشريف.

ولم يذكر الإيمان بالملائكة والأنبياء؛ لأن المراد بالشهادة تصديق القلب بكل. ما علم بالضرورة أنه من دين محمد، وتصديقه بما جاء به فيستلزم جميع ما ذكر من الاعتقادات مما تقدم. ولما كان تصديق القلب أمرا باطنيا[3] لا اطلاع لنا عليه جعله الشارع منوطا بالشهادتين، قال تعالى: ﴿**قولوا آمنا**﴾[4]، وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(1) التوبة/110. وتمام الآية: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

(2) في ب، د بزيادة الواو قبل شبه.

(3) في ج: باطنا.

(4) البقرة/ 135، وتمام الآية: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله" رواه الشيخان[1].

قال الفشني: «تنبيه: هل النطق بالشهادتين شرط لإجراء أحكام المومنين في الدنيا من الصلاة عليه والتوارث والمناكحة وغيرها داخل في مسماه قولان:

– ذهب جمهور المحققين إلى أولهما، وعليه من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الإقرار فهو مومن عند الله تعالى، وهذا أوفق بالعرف واللغة[2].

– وذهب كثير من الفقهاء إلى ثانيهما.

وألزمهم الأولون أن من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الإقرار بلسانه يكون كافرا، وهو خلاف الإجماع على ما نقله الإمام الرازي[3] وغيره.

لكن يعارض دعوى الإجماع، قول الشفا: الصحيح أنه مومن مستوجب الجنة حيث أثبت فيه خلافا[4]»[5]وقد ذكر(ذلك أيضا)[6] القسطلاني[7] وغيره.

قوله: **وإقام**؛ أصله أقوام فنقلت الفتحة إلى الساكن قبلها، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وعوض عنها التاء فقيل إقامة، أو المضاف إليه وهو قوله: الصلاة. وإقامتها المداومة عليها والإتيان بأركانها وشروطها.

---

(1) سيأتي تخريجه بتمامه لأنه من الأحاديث الأربعين.

(2) في ج: الثقة، وهو خطأ.

(3) أسرار التنزيل – ص: 133-135.

(4) قال القاضي عياض في الشفا 6/2 "... أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه، فاختلف فيه، فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به، ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة، لقوله صلى الله عليه وسلم "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان". فلم يذكر سوى ما في القلب، وهذا مؤمن بقلبه، غير عاص ولا مفرط بترك غيره، وهذا هو الصحيح في هذا الوجه".

(5) المجالس السنية ص 12.

(6) "ذلك ساقطة من أ، د. وأيضا ساقطة من ج.

(7) إرشاد الساري 86/1 قال القسطلاني: "...ووجه الحصر أن الإيمان لا يخرج بإجماع المسلمين عن فعل القلب وفعل الجوارح، فهو حينئذ إما فعل القلب فقط وهو المعرفة على الوجهين، أو التصديق المذكور، وإما فعل الجوارح فقط وهو فعل اللسان، وهو الكلمتان أو غير فعل اللسان، وهو العمل بالطاعة المطلقة أو المفترضة، وإما فعل القلب والجوارح معا، والجارحة إما اللسان وحده أو جميع الجوارح، وهذا كله بالنظر إلى ما عند الله تعالى، أما بالنظر إلى ما عندنا فالايمان هو الإقرار فقط، فإذا أقر حكمنا بإيمانه اتفاقا ...".

قال ابن عطاء الله: إقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله تعالى لا يختلج بسرك سواه.

وقال الإمام القشيري: "هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من تصلي له، فيحفظ الله عليه أحكام الأمر بما يجري عليه منه، وهو عن ملاحظتها محو، فنفوسهم منه مستقبلة إلى القبلة، وقلوبهم مستقرة في حقائق الوصلة"[1]هـ.

وما أحسن قول سيدي أبي العباس السبتي[2]:

رفعوا الأنامل للصلاة وكبروا فبدا الخشوع لخوفهم يترنم / 34 و
وبدت سواكب الدمع مسبولة خوفا (لما قد أخروا أو)[3] قدموا
هذي صلاة المتقين وغيرهم نائي[4] الفؤاد وألسن تتكلم[5] هـ.

وتأمل قول ابن عطاء الله: "فما كل مصل مقيم"[6]هـ.

فائدة:

قال الفشني: «قال الرافعي في شرح المسند أن الصبح كانت صلاة آدم، والظهر كانت صلاة داوود، والعصر كانت صلاة سليمان، والمغرب كانت صلاة يعقوب، والعشاء كانت صلاة يونس، وأورد في ذلك خبرا، فجمع الله سبحانه وتعالى[7] ذلك لنبينا [عليه][8] وعليهم الصلاة والسلام ولأمته تعظيما له وكثرة الأجور لأمته.

(1) لطائف الإشارات 1/56-57. إلا أنه قال: "قلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة".
(2) أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي، نزيل مراكش، من شيوخه أبو عبد الله الفخار (ت 586)، توفي سنة 601هـ. ترجم له التادلي في التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ص 451-477. والعباس بن إبراهيم في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 1/234-325 رقم 87. والتليدي في المطرب في مشاهير أولياء المغرب ص 78-85. وحسن جلاب في الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال ص 159.
(3) في ب لها أجرجواو ... وفي د: "قد" ساقطة.
(4) في ج: فان.
(5) التشوف إلى رجال التصوف ص 463، وروى هذه الأبيات عن أبي بكر بن مساعد اللمطي عن أبي العباس.
(6) الحكم ص 125.
(7) في ب، ج بزيادة: جميع.
(8) "عليه" ساقطة من أ.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة، (ومن لم يات بهن فليس له[1] عهد عند الله إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة)[2]" [3].

وقال صلى الله عليه وسلم: "علم[4] الإيمان الصلاة"[5]، وقال أيضا: "إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب يمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون يبقى ذلك من درنه؟ قالوا: لا شيء، قال: فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن"[6]. وقال عليه الصلاة والسلام: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"[7].

وقال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة، فإن الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب. وأنشدوا:

---

(1) ساقطة من ب.

(2) ما بين قوسين ساقط من ج.

(3) رواه مالك في الموطأ، كتاب صلاة الليل، باب الأمر بالوتر، رقم 14. وأحمد في المسند 317/5 رقم 23080. والدارمي في كتاب الصلاة، باب في الوتر، رقم 1618. وأبو داود في كتاب الوتر، باب من لم يوتر، رقم 1420. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس، رقم: 1041. والنسائي في كتاب الصلاة، باب المحافظة على الصلوات الخمس، رقم 447. والحديث ورد عن عبادة بن الصامت.

(4) ساقطة من ج.

(5) رواه القضاعي في مسند الشهاب 131/1 رقم 165. عن أبي سعيد الخدري، والبغدادي في تاريخ بغداد 109/11، إلا أنه قال: "علم الإسلام".

(6) رواه مالك في الموطإ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة رقم 19، وأحمد في المسند 177/1 رقم 1534. والبخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم 528، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا ... رقم 667، ورقم 668. والحديث ورد بروايات متعددة عن أبي هريرة وجابر وسعد بن أبي وقاص، واللفظ في هذا الحديث هنا عند مالك عن سعد.

(7) رواه مالك في الموطإ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي فيها، رقم 55. وأحمد في المسند 277/2 رقم 7715. ومسلم في كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم 251. والترمذي في كتاب الطهارة، باب إسباغ الوضوء رقم 51. والنسائي في كتاب الطهارة، باب الفضل في ذلك رقم 139. عن أبي هريرة.

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع ... لأن بها الأرباب لله تخضع
وأول فرض في شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى إذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبد باب مولاه يقرع
كان لرب العرش حين صلاته ... نجيا فيا طوبى له حين يخشع

قالت عائشة رضي الله عنها: "كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه"»[1].

قال أبو طالب المكي: "حديث[2] أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقصى الأرضين خوفا منه، لأنه يتأهب للدخول على الملك، / فإذا كبر 34 ظ حجب عنه إبليس وضرب بينه وبين سرادق[3] لا ينظر إليه، وواجهه الجبار جل جلاله بوجهه، فإذا قال: الله أكبر، اطلع الملك في قلبه فإذا ليس فيه أكبر من الله، فيقول الملك: صدقت الله في قلبك كما تقول، قال: فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فينكشف له بذلك النور ملكوت السماوات والأرض فيكتب له حشو ذلك النور حسنات".

«فيا أيها الطامع[4] في ثواب الجنان، الخاطب من ربه الحور الحسان، حافظ على صلواتك وحفها بالنوافل، تنل في غدك أعلى المراتب والمنازل، فقد قال عليه الصلاة والسلام "ما من مسلم سجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة"[5]. وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا: "إن العبد إذا قام يصلي أتي بذنوبه فوضعت على رأسه أو على عاتقه، فكلما ركع أو سجد تساقطت حتى لا يبقى منها شيء إن شاء الله تعالى[6]""»[7].

(1) المجالس السنية، ص 12-13.
(2) في د: حدثت، وهو الأنسب.
(3) في ب: سراديق، وهو خطأ. والسرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار، والسرادق ما أحاط بالبناء. الصحاح مادة [سردق] 1494/4. لسان العرب مادة [سردق] 157/10.
(4) في ج: الطالب، وهو خطأ. لأنه لا يقال الطالب في، ولكن الطالب بكذا ... انظر الصحاح مادة [طلب] 172/1. لسان العرب مادة [طلب] 559/1.
(5) رواه أحمد في المسند 276/5 رقم 22728. ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه رقم 488. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في كثرة السجود، رقم 1423. والنسائي في كتاب التطبيق، باب ثواب من سجد لله عز وجل سجدة رقم 1091. عن ثوبان واللفظ لأحمد.
(6) رواه ابن حبان في كتاب الصلاة، باب فضل الصلوات الخمس، ذكر تساقط الخطايا عن المصلي بركوعه وسجوده 117/3 رقم 1731.
(7) المجالس السنية ص 13.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار"[1]هـ.

فالصلاة من أجل ما يتحف الله به عباده ويهديه إليهم، ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما أوتي عبد في الدنيا خيرا من أن يوذن له في ركعتين يصليهما"[2]. ففيهما يحصل له الخلوة معه، والانفراد به، والمجالسة له، والانقطاع إليه، وفيهما ترفع الحجب عن قلوبهم والأستار، وتنجلي فيهما حقائق الأسرار، وتشرق فيهما شوارق الأنوار، وفيهما تكون المناجاة والمصافاة، وهي صلة بين العبد وربه؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام: "الصلاة نور"، وقال: "لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه مادام في صلاته، وإن الله لينصب إلى أحدكم وجهه مادام مقبلا عليه"هـ. وفي الحديث: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[3].

وقيل: كانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وتقول: ما أريد ثوابا، ولكن ليسر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول للأنبياء انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة.

وروى أبو نعيم بإسناده عن [رياح][4] قال: "كان عندنا رجل يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أقعد من رجليه، فكان يصلي جالسا ألف ركعة، وإذا صلى العصر احتبى فاستقبل القبلة، ويقول: عجبت للخليقة (كيف أنست بسواك، بل عجبت للخليقة)[5] كيف استأثرت[6] قلوبها بذكر[7] سواك"[8]هـ/. 35 و

(1) – رواه أحمد في المسند 443/2 رقم 9711 ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم 81، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب سجود القرآن رقم 1052.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة الباهلي، 151/8 رقم 7656.

(3) رواه أحمد في المسند 421/1 رقم 9442. ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم 482، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب في الدعاء في الركوع والسجود، رقم 875، والنسائي في كتاب التطبيق، باب أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل رقم 1089. والحديث عن أبي هريرة.

(4) في جميع النسخ رباح، والصواب رياح بن عمرو القيسي كما وقفت عليه في الحلية.

(5) الجملة ما بين قوسين ساقطة من ج.

(6) في ج: استنارت، وهو الذي وقفت عليه في الحلية.

(7) في ج، بزيادة: من قبل سواك.

(8) الحلية لأبي نعيم 195/6.

تنبيه:

«في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[1]. وروى مثله من حديث بريدة[2] وثوبان[3] وأنس[4] وغيرهم. وخرج محمد بن نصر المروزي من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تترك الصلاة متعمدا، فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة[5]"[6].

وفي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم: "رأس الأمر الإسلام، ورأس الإسلام وعموده الصلاة"[7]. فجعل الصلاة كعمود الفسطاط[8] الذي لا يقوم ولا يثبت إلا به، ولو سقط العمود لسقط الفسطاط، ولم يثبت بدونه.

وقال عمر: "لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة"[9]، وقال سعد وعلي بن أبي طالب: "من تركها فقد كفر"[10]، وقال عبد الله بن شقيق[11]: "كان أصحاب رسول

(1) رواه أحمد في المسند 370/3 رقم 1504/2. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم 82. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم 1078. والترمذي في كتاب الإيمان، باب ترك الصلاة رقم: 8262.

(2) رواه أحمد في المسند 346/5 رقم 23325. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم 1079. والترمذي في كتاب الإيمان، باب ترك الصلاة رقم 2769.

(3) ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، 379/1، وقال: رواه هبة الله الطبري بإسناد صحيح.

(4) رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة رقم 1080، والمنذري 382/1.

(5) في ج: الأمة وهو خطأ.

(6) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب 379/1، قال: رواه الطبراني، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة بإسنادين لا بأس بهما.

(7) رواه أحمد في المسند 231/5 رقم 22366. والترمذي في كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة، رقم 2762.

(8) الفسطاط، قيل هو السرادق من الأبنية، وقيل هو ضرب من الأبنية دون السرادق. تاج العروس مادة (ف.س.ط) 543/19. لسان العرب مادة فسط 371/7.

(9) طبقات ابن سعد 268/3، ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب الإيمان والرؤيا، الباب السادس 218/7 رقم 10.

(10) مصنف ابن أبي شيبة: 47/11.

(11) عبد الله بن شقيق العقيلي البصري، أبو عبد الرحمن، ويقال أبو محمد البصري، روى عن عمر وعثمان وعلي وأبي ذر وأبي هريرة وعائشة وعنه قتادة، وابن سيرين ... توفي في ولاية الحجاج في العراق. وقيل: مات بعد المائة وقيل 108هـ. ترجم له: ابن سعد في طبقاته 90/7-91 رقم 3004. والبخاري في التاريخ الكبير 24/5 رقم 6415. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 81/5 رقم 376. والمزي في تهذيب الكمال 162/4 رقم 3321 وابن حجر في تهذيب التهذيب 336/4-337 رقم 3471.

الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الأعمال شيئا تركه كفر غير الصلاة"[1]، وقال أيوب السختياني[2]: "ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه"[3]، وعن ابن عباس قال: "عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام؛ شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان، من ترك منهن واحدة فهو بها[4] كافر حلال الدم"[5]»[6].

قوله: **وإيتاء الزكاة**؛ أي إعطاؤها من يستحقها، وفرضت في السنة الثانية، وقد مر الكلام عليها مستوفى، و[7] في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من فرق بين ثلاث، فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة، من قال: أطيع الله ولا أطيع الرسول، والله تعالى يقول: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾[8] ومن قال: أقيم الصلاة ولا آتي الزكاة، والله تعالى يقول: ﴿**أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾[9]، ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه، والله تعالى يقول: ﴿**أن اشكرني ولوالديك**﴾"[10]. وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم ياخذ بلهزمتيه – بكسر اللام والزاي بينهما هاء ساكنة، يعني شدقيه– يقول أنا

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، في كتاب الإيمان، الباب 6، رقم 95. والترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم 2631. والمنذري في الترغيب والترهيب 379/1.

(2) أيوب بن أبي تميمة كيسان الإمام أبو بكر وقيل أبو عثمان السختياني، سمع عمرو بن سلمة الجرمي، وأبا العالية الرياحي وسعيد بن جبير .. وعنه الحمادان والسفيانان ... توفي سنة 131هـ. ترجم له ابن سعد في الطبقات 183/7-187 رقم 3193، والبخاري في التاريخ الكبير 380/1 رقم 1307، وابن ابي حاتم في الجرح والتعديل 255/2 رقم 915، والذهبي في سير أعلام النبلاء 15/6-26 رقم 7، وفي تذكرة الحفاظ 98/1 رقم 117، وابن حجر في تهذيب التهذيب 413/1 رقم 647.

(3) أورده المنذري في الترغيب والترهيب 386/1.

(4) "بها" ساقطة من ج.

(5) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 148 وقال: خرجه اللالكائي ...

(6) الكلام الذي بين قوسين وقفت عليه عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم بنفس الترتيب ص 145-148.

(7) الواو ساقطة من ب، د.

(8) النساء/58، وتمام الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تاويلا﴾.

(9) النور/54 وتمام الآية ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾.

(10) لقمان/13، وتمام الآية: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله في عامين، ان اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾.

مالك، أنا كنزك، ثم تلا ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون**﴾[1] الآية"[2]. وفي الحديث: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يوتي حظها إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنباه ووجهه وظهره، وكلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار"[3]هـ. وقد / ورد فيها أخبار وآثار كثيرة. 35 ظ

قوله: **وحج البيت**، الفتح لغة أهل الحجاز، والكسر لغة نجد مصدران، وقيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم.

وفي رواية لمسلم[4] بتقديم الصوم عليه. وقدم الشهادتين لأنها ملاك الأمر كله وأصله. وثنى بالصلاة لما في الكتاب العزيز؛ قال تعالى: ﴿**الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة**﴾[5]، ولأنها "عماد الدين"[6] بمنزلة الرأس من الجسد، ولشدة الحاجة إليها لتكررها في اليوم والليلة خمسا. وثلث بالزكاة لأنها قرينة الصلاة في الغالب، ولأنها فطرة الإسلام، ولاعتناء الشارع بها أكثر، ولشمولها المكلف وغيره. ثم الحج للتغليظات الواردة في تركه، قال تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**﴾[7]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من لم

(1) في ب بزيادة: "بما آتاهم الله" وفي ج: "بما آتاهم الله من فضله".
آل عمران/180، وتمام الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم، الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، ولله ميراث السموات والأرض، والله بما تعملون خبير﴾.

(2) رواه الإمام مالك في الموطإ، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الكنز، رقم 22. وأحمد في المسند 356/2 رقم 8646. والبخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران، باب ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون ...﴾. رقم 4565. وكتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم 1403.

(3) رواه أحمد في المسند 277/2 رقم 7706، و383 رقم 8965. ومسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم 987. والحديث ورد عن أبي هريرة.

(4) في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، وهي أول رواية أوردها في الباب، قال بعد الحديث: "فقال رجل: الحج وصيام رمضان ؟ قال: لا، صيام رمضان والحج، هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم".

(5) البقرة/2. وتمام الآية: ﴿الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون﴾.

(6) سبق تخريجه في ص: 183.

(7) آل عمران/97، وتمام الآية: ﴿فيه آيات بينات، مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

تحبسه حاجة ولم يحج، فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا"[1]. فالصوم يقع آخرا ضرورة، وعلى الرواية التي ذكرنا من تقديم الصوم على الحج لتقدم زمن وجوبه، لأنه فرض في السنة الثانية، والحج في السنة السادسة، وقيل في التاسعة، ولتكرره في كل عام.

وأفهم ظاهر الحديث أن المكلف لا يكون مسلما عند ترك شيء من الأربعة الآخرة[2]، لكن صرفه عن ظاهره انعقاد الإجماع على عدم تكفير من ترك شيئا منها، وما ورد في الأحاديث والآثار المتقدمة من التصريح بكفر تارك بعضها كقوله عليه السلام: "من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر"[3] محمول على الزجر الشديد والوعيد أو على ما إذا كان مستحلا. قال خليل: "والجاحد كافر"[4].

«وقد ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشعب، فاسم الشجرة يشمل ذلك كله، ولو زال شيء من شعبها وفروعها لم يزل عنها اسم الشجرة، وإنما يقال هي شجرة ناقصة أو غيرها أتم منها. وقد ضرب الله مثل الإيمان بذلك في قوله تعالى: ﴿**ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها**﴾[5]، والمراد بالكلمة كلمة التوحيد، وبأصلها التوحيد الثابت في القلوب، وأكلها هو الأعمال الصالحة الناشئة عنه. وضرب النبي صلى الله وسلم، مثل المؤمن والمسلم بالنخلة[6]، ولو زال شيء من فروع النخلة أو

(1) سبق تخريجه في ص: 184.

(2) في ج: الأخيرة.

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط 211/4 رقم 3372. وأورده المنذري في الترغيب والترهيب 382/1. والحديث عن أنس وبزيادة "جهارا" في آخره.

(4) المختصر ص: 24.

(5) إبراهيم/26–27 وتمام الآيتين ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾.

(6) وهو قوله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ..." والذي نفس محمد بيده، إن مثل المؤمن لكمثل النخلة، أكلت طيبا ووضعت طيبا، ووقعت فلم تكسر ولم تفسد ..." مسند أحمد 199/2، رقم 6872. كما نجد تشبيه المسلم بالنخلة في أحاديث أخرى وفي سياقات عدة كقوله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب بركة النخلة رقم 5448 عن ابن عمر: "من الشجر شجرة تكون مثل المسلم وهي النخلة"، وقوله في باب أكل الجمار، رقم 5444، عن ابن عمر: "إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم ... هي النخلة" ...

من ثمرها، لم يزل بذلك عنها اسم النخلة بالكلية، وإن كانت ناقصة الفروع أو التمر »[1].

.ثم اعلم أن الحج لغة هو القصد، / وشرعا تقدم تعريفه لابن عرفة، وهو من الشرائع القديمة. 36 و

«روي أن آدم عليه الصلاة والسلام لما حج قال له جبريل: إن الملائكة كانوا يطوفون بالبيت قبلك بسبعة آلاف عام، وقال صاحب التعجيز: أول من حج آدم عليه السلام، وأنه حج أربعين سنة من الهند ماشيا، وقيل ما من نبي إلا حجه، وقال أبو اسحاق: لم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم إلا وقد حج البيت، وادعى بعض من ألف في المناسك أنه لم يجب إلا على هذه الأمة.

واختلفوا متى فرض؛ فقيل قبل الهجرة حكاه في النهاية، والمشهور أنه بعدها. وعليه قيل[2] فرض في السنة الخامسة، وقيل في السادسة، وقيل في السابعة، وقيل في الثامنة، وقيل في التاسعة.

فـــائـــدة:

في السنة العاشرة من الهجرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام، ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها، وقد حج قبل النبوءة وبعدها حجات لا يعرف عددها، واعتبر بعد أن هاجر أربعا.

ولا يجب الحج بأصل الشرع إلا مرة واحدة»[3]، خليل: "فرض الحج وسنت العمرة مرة"[4]، وقد يجب الحج أكثر من مرة لعارض كنذر وقضاء مفسد.

«عن سعيد بن إبراهيم النخعي، ومجاهد وطاووس: "لو علمت رجلا غنيا[5] وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه". وقد فعله بعض السلف في

(1) ما بين قوسين وقفت عليه عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 151-152.
(2) في ب: بزيادة أنه.
(3) ما بين قوسين وقفت عليه عند الفشني في المجالس السنية: ص 13.
(4) المختصر: ص 72.
(5) ساقطة من ج.

جار له موسر مات فلم يصل عليه. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول[1]: من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا. وكان يفسر به قوله تعالى: ﴿**رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا**﴾[2]، وكان يقول: هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد.

وقد جاء في فضل الحج والعمرة أخبار كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر إلى يوم القيامة"[3]، ومنها: "إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة"[4]، ومنها قوله: "أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له"[5]، وهو أول يوم في الدنيا، ومنها قوله: "إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة، وإنه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق"[6]، وقال مجاهد: "إن الحجاج إذا قدموا مكة لحقتها الملائكة، فسلموا على ركبان الإبل، وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا"، وفي الخبر: / "أن الله قد[7] وعد هذا البيت أن يحجه كل 36 ظ سنة ستمائة ألف، فإن نقصوا كملهم الله من الملائكة"[8]، و"إن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة، فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعون خلفها حتى تدخل

(1) ساقطة من أ.

(2) المومنون/100–101: وتمام الآيتين: " حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا، إنها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون".

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة، 155/6، رقم 5317.

(4) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: "لم أجد له أصلا" 240/1.

(5) رواه الخطيب البغدادي في المتفق والمفترق 433/1 رقم 219 والديلمي في الفردوس 359/1-360 رقم 1452. وأورده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ونسبه للخطيب والديلمي من حديث ابن عمر بسند ضعيف، 241/1.

(6) لم أقف على لفظه بالضبط، وأغلب الظن أنه رواه بمعناه. والذي وقفت عليه في صحيح ابن خزيمة كتاب المناسك، باب ذكر الدليل على أن الحجر إنما سودته خطايا ابن آدم المشركين دون خطايا المسلمين رقم 2734، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم "الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وإنما سودته خطايا المشركين، يبعث يوم القيامة مثل أحد يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنياس وفي باب ذكر صفة الحجر يوم القيامة رقم 2735 عن ابن عباس كذلك: "ليبعثن الله هذا الركن يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق".

(7) ساقطة من ج.

(8) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: "لم أجد له أصلا" 242/1.

الجنة فيدخلون معها"، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"[1] ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "عمرة في رمضان تعدل حجة[2]"[3]هـ.

وما ذكره الفشني هنا من وجوب العمرة هو تابع فيه للمشهور عن الشافعي وأحمد وغيرهما من أهل الأثر، وهو مذهب البخاري. قال: "باب في وجوب العمرة"، والمشهور عن المالكية أنها تطوع، وهو قول الحنفية[4]. واحتجوا بحديث الحجاج بن أرطأة عن محمد بن المكندر[5] عن جابر: "أتى أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العمرة أواجبة هي ؟ فقال: لا، وأن تعتمر خير لك" خرجه الترمذي[6]،

(1) رواه مالك في الموطإ، كتاب الحج، باب جامع في العمرة، رقم 65. وأحمد في المسند 246/2 رقم 7347. والبخاري في كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، رقم 1773. ومسلم في كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، رقم 1349. وابن ماجة في كتاب المناسك، باب فضل الحج والعمرة، رقم 2888. والترمذي في كتاب الحج، باب ذكر فضل العمرة، رقم: 439. والنسائي في كتاب المناسك، باب فضل الحج المبرور، رقم 2459، وباب فضل العمرة رقم 2466. والحديث عن أبي هريرة.

(2) رواه مالك في الموطإ، كتاب الحج، باب جامع ما جاء في العمرة رقم 66. والبخاري في كتاب العمرة. باب عمرة في رمضان رقم 1782. ومسلم في كتاب الحج، باب فضل العمرة في رمضان، رقم 1256. وأبو داود في كتاب المناسك، باب العمرة رقم 1988-1989. والترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في عمرة رمضان، رقم: 940.
والحديث ورد عن ابن عباس وعن أم معقل وعن أبي بكر بن عبد الرحمن.

(3) ما بين قوسين وقفت عليه عند الفشني في المجالس السنية ص 14.

(4) قال النووي في المجموع شرح المهذب 7/7 : "قد ذكرنا أن الصحيح في مذهبنا أنها فرض، وبه قال عمر وابن عباس وابن عمر وجابر وطاوس وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصري وابن سيرين والشعبي ومسروق وأبو بردة ابن أبي موسى الحضرمي وعبد الله ابن شداد والثوري وأحمد وإسحاق وابن عبيد وداود. وقال مالك وأبو حنيفة وأبو ثور: هي سنة ليست واجبة وحكاه ابن المنذر وغيره عن النخعي".

(5) في ب: المنكدر وهو الصواب.

(6) في كتاب الحج، باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا، رقم 932. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
قال النووي في المجموع 7/5-6 "قال البيهقي: كذا رواه الحجاج بن أرطأة مرفوعا والمحفوظ إنما هو عن جابر موقوف عليه غير مرفوع، قال: وروي عن جابر مرفوعا بخلاف ذلك، قال: وكلاهما ضعيف، ثم رواه البيهقي أيضا من غير جهة الحجاج، قال: وهذا وهم، إنما يعرف هذا المتن=

والحجاج[1] ضعيف[2]. وقد روى ابن لهيعة عن عطاء عن جابر مرفوعا: "الحج والعمرة فريضتان"[3] أخرجه ابن عدي وابن لهيعة ضعيف. ولا يثبت في هذا الباب عن جابر شيء. واحتج الأولون بما عند ابن خزيمة في حديث سؤال جبريل: "وأن تحج وتعتمر"[4] وقوله تعالى: ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾[5] أقيموهما.

= بالحجاج بن أرطأة عن محمد بن المنكدر عن جابر ... وأما قول الترمذي أن هذا حديث حسن صحيح فغير مقبول ولا يغتر بكلام الترمذي في هذا، فقد اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف ... لأن الحجاج ضعيف ومدلس باتفاق الحفاظ".

(1) في ج: بزيادة حديث، يعني: "وحديث الحجاج ...".

(2) ومما احتجوا به كذلك "حديث طلحة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحج جهاد، والعمرة تطوع" رواه ابن ماجة. ولأنه نسك غير مؤقت فلم يكن واجبا كالطواف المجرد" ذكره عبد الله بن قدامة في المغني 223/3. والحديث رواه ابن ماجة، كتاب المناسك، باب العمرة، رقم: 9892.

(3) وقفت عليه عند الحاكم في المستدرك 471/1، كتاب المناسك، عن زيد بن ثابت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت". وفي الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي كذلك عن زيد 147/2 رقم 2754.
قال النووي في المجموع 7/6-7 "ذكر البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث الحجاج بن أرطأة وضعفه ثم قال: وروى ابن لهيعة عن عطاء عن جابر مرفوعا خلافه، قال: "الحج والعمرة فريضتان واجبتان" قال البيهقي: وهذا ضعيف أيضا لا يصح، وابن لهيعة ضعيف فيما انفرد به وفيما شارك فيه. واسم ابن لهيعة عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، ويقال العاهي المصري أبو عبد الرحمن قاضي مصر.

(4) صحيح ابن خزيمة، جماع أبواب ذكر العمرة وشرائعها، باب البيان أن العمرة فرض، رقم 3065. عن يحيى بن يعمر فذكر حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال جبريل إياه عن الإسلام فقال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وأن تقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتحج وتعتمر، وتغتسل من الجنابة وأن تتم الوضوء وتصوم رمضان" قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال: نعم، قال: صدقت".
في المجموع 7/4-5 "استدل البيهقي لوجوب العمرة بهذا الحديث وقال عقبه: رواه مسلم في الصحيح ولم يسق متنه، قال النووي: وليس هذا اللفظ على هذا الوجه في صحيح مسلم، ولا للعمرة والغسل من الجنابة والوضوء في هذا الحديث ذكر، لكن الاسناد به للبيهقي موجود في صحيح مسلم، وروى الدارقطني هذا اللفظ الذي رواه البيهقي بحروفه ثم قال: هذا إسناد صحيح ثابت، واحتج البيهقي أيضا بما رواه بإسناده عن أبي رزين العقيلي الصحابي أنه قال: يا رسول الله إني شيخ كبير لا أستطيع الحج والعمرة ولا الظعن. قال: حج عن أبيك واعتمر، قال البيهقي: قال مسلم بن الحجاج: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا أعلم في إيجاب حديث العمرة أجود من حديث أبي رزين هذا، ولا أصح منه، قال النووي: وحديث أبي رزين هذا صحيح رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم بأسانيد صحيحة". وهذه الزيادة في الحديث التي عند ابن خزيمة والبيهقي والدارقطني، هي التي سبق ذكرها عند ابن حبان حيث نقل عن أبي حاتم أنها مما تفرد به سليمان التيمي.

(5) البقرة/195، جزء آية. =

"وزعم الطحاوي[1] أن معنى قول ابن عمر: العمرة واجبة أي كفاية". قال ابن حجر: "وهذا بعيد"[2].

"وقال ابن عباس وعطاء وأحمد: لا تجب على أهل مكة وتجب على غيرهم"، قاله ابن حجر[3].

قلت: والمعروف في المذهب أنها سنة مؤكدة، ومعنى الآية وجوب الإتمام على كل من شرع فيها أو في الحج، قال مالك: "والعمرة سنة واجبة كالوتر لا ينبغي تركها، قال: وهي مرة واحدة في العمر"[4]هـ.

قال الفشني: «حكي عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة، فلما كان في آخر حجة خجها، قال وهو بعرفات: اللهم إنك تعلم أني وقفت في موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة، فواحدة عن فرضي، والثانية عن أبي، والثالثة عن أمي، وأشهدك يا رب أني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفي هذا ولم تقبل منه، فلما دفع[5]

= قال ابن كثير 407/1 في تفسيرها "أمر تعالى بإتمام الحج والعمرة، وظاهر السياق إكمال أفعالهما بعد الشروع فيهما ولهذا قال بعده: فإن أحصرتم، أي صددتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامها. ولهذا اتفق العلماء على الشروع في الحج والعمرة ملزم سواء قيل بوجوب العمرة أو باستحبابها كما هما قولان للعلماء".

(1) أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي المصري الطحاوي، الحنفي، سمع من عبد الغني بن رفاعة، وهارون بن سعيد الأيلي ... وحدث عنه يوسف بن القاسم الميانجي وأبو القاسم الطبراني. توفي سنة 321 هـ. من مصنفاته: اختلاف العلماء، ومعاني الآثار .. ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان 71/1-72 رقم 25. والذهبي في تذكرة الحفاظ 21/3-22 رقم 797. وفي سير أعلام النبلاء 27/15-33 رقم 15. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 272/3-273. والسيوطي في حسن المحاضرة 302/1 رقم 49. وابن العماد في شذرات الذهب 288/2.

(2) فتح الباري 432/4.

(3) نفس المصدر 432/4.

(4) موطأ مالك، كتاب الحج، باب جامع ما جاء في العمرة 347/1. مع اختلاف في لفظه.
وعموما فالمسألة خلافية يصعب الحسم فيها، ولكل من الفريقين أدلته، وإن كانت أغلب الأحاديث التي استدلوا بها ضعيفة، واستنباطاتهم من الأحاديث الصحيحة مختلفة، ومداركهم متفاوتة في تفسير الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر للحج والعمرة معا، ومن ثم فالأحسن أنه لا ينبغي تركها كما نص على ذلك الإمام مالك، وأن يجمع بينهما فيحصل على ثوابهما، ويتجنب ما يمكن أن يحصل جراء تركها إن كان القول بالوجوب هو الصحيح.

(5) في ج: رجع.

من عرفات نودي، يا ابن المنكدر: أتتكرم على من خلق الكرم والجود، وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن يقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام[1].

قوله: وصوم رمضان، جاء في رواية تقديمه على الحج وهي رواية الأكثر، ووجهه أن الصوم في كل عام، / ووجه[2] ما هنا ما فيه من تنشيط النفس وإرضائها بما فيه من 37 و المشقة، وبذل المال. والأصل في وجوبه قبل الإجماع قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[3] أي من الأمم الماضية.

قيل: ما من أمة إلا أوجب الله عليهم رمضان إلا أنهم ضلوا عنه، وأخبار كهذا[4] الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس".

وفرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة، ووجوبه معلوم من الدين بالضرورة، فمن جحد وجوبه فهو كافر.

قال الفشني: «قيل: الصوم عموم وخصوص، وخصوص الخصوص. فالعموم كف البطن والفرج عند قصد الشهوة، وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وخصوص الخصوص صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية.

وقد جاء في فضل رمضان أخبار كثيرة شهيرة، قال صلى الله عليه وسلم: "لو يعلم الناس ما في رمضان من اليمن والبركة لتمنوا أن يكون حولا كاملا"، وقال صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"[5]

(1) المجالس السنية ص 14.

(2) في ب: وجهه.

(3) البقرة/182.

(4) في ب: هكذا.

(5) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان، رقم 38. وفي كتاب الصوم. باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية، رقم 1901، وفي كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، رقم 2014. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح رقم 760. وأبو داود في كتاب رمضان، باب في قيام شهر رمضان، رقم 1372. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام شهر رمضان، رقم 1326. والترمذي في كتاب الصوم، باب فضل شهر رمضان رقم: 683. والنسائي في كتاب الصيام، باب ثواب من قام رمضان وصامه رقم 2083. والحديث ورد عن أبي هريرة.

وفي رواية: "وما تأخر"[1]، وقال: "من قام رمضان"[2] إلخ. وفسروا قيامه بصلاة التراويح، وقال صلى الله عليه وسلم: "للصائم فرحتان، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه"[3]، وقال: "الصائم لا ترد دعوته"[4].

وقال بعضهم في هذا المعنى:

وربك لو أبصرت قوما تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم أحسن الله فعلهم وبوأهم من حسن فعلهم الخلدا

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"[5]. وهي في رمضان في العشر الأواخر منه، وعن ابن مسعود الغفاري، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد يصوم يوما في رمضان إلا زوج

(1) رواه أحمد في المسند، 232/2 رقم 7170, و386/2 رقم 8989.
(2) رواه مالك في الموطإ، كتاب الصلاة في رمضان، باب الترغيب في الصلاة في رمضان، رقم 2. وأحمد في المسند 281/2 رقم 7774. والدارمي في كتاب الصوم، باب في فضل قيام شهر رمضان رقم 1817. والبخاري في كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم 37. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح رقم 759. وأبو داود في كتاب رمضان، باب في قيام شهر رمضان رقم 1371. والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب ثواب من قام رمضان إيمانا واحتسابا، رقم 1511 عن أبي هريرة.
(3) رواه الدارمي في كتاب الصوم، باب في فضل الصائم، رقم 1810. وأحمد في المسند 232/2 رقم 7174. والبخاري في كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم رقم 1904. وفي كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ رقم 7492. ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم 1151. وابن ماجة في كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصيام رقم 1638. والنسائي في كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم 2091. عن أبي هريرة.
(4) رواه أحمد في المسند 305/2، رقم 8030 و445/2 رقم 9741. وابن ماجة في كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته رقم: 1752. والترمذي في كتاب الدعوات، أحاديث شتى، باب في العفو والعافية رقم 3609. والحديث عن أبي هريرة، ولفظه: "ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ...". ولعل المصنف أورده بمعناه.
(5) رواه أحمد في المسند 347/2 رقم 8559. والبخاري في كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان، رقم 35. وفي كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية، رقم 1901. وفي كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، رقم 2014. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، رقم 760 . وأبو داود في كتاب رمضان، باب في قيام شهر رمضان، رقم 1372, والترمذي في كتاب الصوم، باب فضل شهر رمضان رقم 683. والنسائي في كتاب الصيام، باب ثواب من قام رمضان وصامه إيمانا واحتسابا، رقم 2082، وفي كتاب الإيمان وشرائعه، باب قيام ليلة القدر، رقم 4654. والحديث ورد عن أبي هريرة.

زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله: ﴿**حور مقصورات في الخيام**﴾[1]، على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، ويعطى سبعين لونا من الطيب ليس منهن لونا على ريح الآخر، لكل امرأة منهن سبعون ألف سرير من ياقوتة حمراء مرشحة[2] بالدرر، على كل سرير سبعون فراشا، على كل فراش أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة / لحاجتها، وسبعون 37 ظ
ألف وصيف، مع كل وصيف صحفة[3] من ذهب فيها لون من طعام تجد لآخر لقمة منها لذة لم تجدها لأولها، ويعطى زوجها مثل ذلك، على سرير من ياقوت أحمر، عليه سواران[4] من ذهب موشح بياقوت أحمر، بكل يوم صامه من شهر رمضان، سوى ما عمل من الحسنات"[5]. رواه الترمذي الحكيم.

وقال ابن[6] وكيع في تفسير قوله تعالى: ﴿**كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾[7] أنها أيام الصوم[8] تركوا فيها الأكل والشرب.

وفي صحيح النسائي: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين"[9]، وروى الزهري"[10] أن تسبيحة واحدة في شهر رمضان، أفضل من ألف تسبيحة في غيره"[11].

---

(1) الرحمن/71.
(2) في ج: موشحة.
(3) في ب: صحيفة. وهو خطأ.
(4) في ج: سريرين، وفي د: سرارن.
(5) رواه الطبراني في المعجم الكبير 389/22 رقم 967. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات 189/2، كتاب الصيام، باب تزين الجنة لصوام رمضان.
(6) في ج: أبو. وعند الفشني: وكيع.
(7) الحاقة/23.
(8) وقفت عليه عند السيوطي في الدر المنثور 262/6 عن عبد الله بن رفيع.
(9) رواه النسائي في كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان رقم 1985. ورواه البخاري كذلك في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده رقم 3277. ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان رقم 1079.
(10) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني الإمام، حدث عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك ... وعنه عقيل ويونس وصالح بن كيسان ومالك. توفي سنة 124 وقيل 123، وقيل 125هـ. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 222/1 رقم 693. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 71/8 رقم 318. وابن خلكان في وفيات الأعيان 177/4 رقم 563. والذهبي في تذكرة الحفاظ 83/1 رقم 97، وفي سير أعلام النبلاء 326/5-350 رقم 160، وابن حجر في تهذيب التهذيب 420/7 رقم 6548.
(11) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب 61 رقم 3483.

نكتة عظيمة :

عن ثابت رضي الله عنه أنه قال: كان أبي من القوامين لله في سواد الليل، قال: رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لا تشبه النساء، فقلت لها: من أنت، فقالت: حوراء أمة الله، فقلت: لها، زوجيني نفسك، فقالت: اخطبني من عند ربك وأمهرني، فقلت: وما مهرك ؟ فقالت: طول التهجد. وأنشدوا:

يا طالب الحوراء في خدرها ... وطالب[1] ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها
[وجانب الناس][2] وارفضهم ... وخالق[3] الوحدة في وكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشي بين أترابها ... وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي ... تراه في دنياك من مهرها[4]

خاتمة :

جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا أراد الله بعبده خيرا أن يهديه، يشرح صدره للإسلام، وإذا أراد به شرا سلك في قلبه الريبة". وقال تعالى: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا**﴾[5].

وقد اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على [أن][6] المومن الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار، لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقادا جازما خاليا من الشك، ونطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده / ورسوله. 38 و

(1) عند الفشني: طالبا.
(2) في ج: وجاهد النفس، وهو خطأ.
(3) عند الفشني: التزم.
(4) في ب، ج: قهرها.
(5) الأنعام/126، وتمام الآية: ﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون﴾.
(6) ساقطة من الأصل أ.

حكي عن عبد الواحد بن زياد[1] قال: مررت في بعض الجبال بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين والرجلين، ضربه الفالج، يصرع في كل وقت، والزنابير تنهش من لحمه، والدود يتناثر من أجزائه وهو يقول: الحمد لله الذي عافيتني مما أبليت به كثيرا من خلقك، قال: فتقدمت إليه فقلت له: يا أخي وأي شيء عافاك الله منه، والله ما أجد جميع البلايا إلا مختلطة بك، قال: فرفع رأسه إلي، وقال: يا بطال إليك عني، فإنه عافاني إذ أطلق لساني يوحده، وقلبا يعرفه، وفي كل لحظة يذكره، وأنشدوا:

حمـــــدت الله[2] إذ هـــداني إلى الإسلام والدين الحنيف[3]»[4].

وذكر أبو العباس بن[5] العريف[6] في كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة، قال فيه: كان بالمغرب -عمره الله بالإسلام- رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره، أصله من صقلية، وموطنه بغداد، وجاوز سنة السبعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه، وذلك منه عن قصد واختيار، وعم جسده الجذام، ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة، قال الذي حدثني: رأيته يصلي على الماء، ثم لقيت[7] بعده محمدا الأستجي فإذا هو أبرص، فقلت له: يا سيدي كأن الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه، قال: فقال لي، اسكت لا تقل كذلك، إنا لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيئا[8] أشرف ولا أقرب إليه من البلاء، فسألناه إياه،

(1) في ج: زيد، وهو ما وقفت عليه عند الفشني.
(2) في ج، بزيادة: رب. وعند الفشني: ربي.
(3) في ج: الحنيفي وهو ما وقفت عليه عند الفشني.
(4) المجالس السنية- ص: 14-16.
(5) ساقطة من ج.
(6) أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي الأندلسي الصوفي الزاهد المعروف بابن العريف، من كبار الأولياء، روى عن أبي خالد يزيد مولى المعتصم وأبي بكر عمر بن أحمد بن رزق، وأجازه ابن بشكوال واستجازه، وسمع الحديث من أبي علي الصدفي. له كتاب المجالس، وله نظم حسن، ترجم له: ابن بشكوال في الصلة 81/1 رقم 176. وابن الأبار في معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص 18-22 رقم 14. وابن خلكان في وفيات الأعيان 168/1-169 رقم 68. والصفدي في الوافي بالوفيات 133/8-135 رقم 3554. وابن العماد في شذرات الذهب 112/4.
(7) في ج: رأيت.
(8) ساقطة من ج

وكيف بك لو رأيت سيد الزهاد، وقطب العباد، وإمام الأولياء والأوتاد في غار بأرض طرطوس وجبالها لحمه يتناثر، وجسده يسيل قيحا وصديدا، وقد أحاط به الذباب والنمل، فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة، واسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة الليل حتى يطلع الفجر.

الحديث الرابع

«عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق والمصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويومر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله / وعمله، وشقي أو سعيد، فو الذي لا إله 38 ظ
غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون[1] بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" رواه البخاري ومسلم»[2].

افتتح الفشني هذا الحديث الكريم بقوله: «الحمد لله رب العالمين الذي أتقن المصنوعات، وفطر الموجودات، وأمات الأحياء والأموات . إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب الأرض والسماوات، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد السادات ومعدن السعادات، صاحب الآيات والمعجزات الشفيع فيمن يصلي عليه يوم الحسرات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أهل الفضل والكرامات»[3].

---

(1) في ج: يبقى.

(2) رواه أحمد في المسند 382/1 رقم 3624 و 414/1. رقم: 3934 و430/1 رقم 4091. والبخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة رقم 3209، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته رقم 3332، وفي كتاب القدر. الباب 1، رقم 6594، وفي كتاب التوحيد، باب "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين" رقم 7454. ورواه مسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابه ورزقه ... رقم 2643. وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، رقم 4708. وابن ماجة في المقدمة، باب في القدر، رقم 76. والترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء ان الأعمال بالخواتيم، رقم 2144.

(3) المجالس السنية، ص 16.

ثم اعلم أن هذا الحديث متفق على صحته وتلقته الأمة بالقبول، فرواه مسلم في كتاب القدر من طريق محمد بن عبد الله بن نمير[1] عن أبيه[2] عن الأعمش[3] عن زيد ابن وهب[4] عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله: الحديث. والبخاري أيضا في بدء الخلق من طريق حفص بن عاصم عن أبيه عن الأعمش[5]، وأخرجه أيضا في التوحيد مختصرا من رواية أنس عنه صلى الله عليه وسلم[6]. قال: "وكل الله بالرحم ملكا، فيقول: رب نطفة" الحديث.

---

(1) محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني الخارقي الكوفي الحافظ، أبو عبد الرحمن، سمع أباه، والمطلب بن زياد، وسفيان بن عيينة ... وعنه الستة وبقي بن مخلد ... توفي 234. ترجم له ابن سعد في الطبقات 377/6 رقم 2805، والبخاري في التاريخ الكبير 145/1 رقم 431. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 307/7 رقم 1664. والذهبي في تذكرة الحفاظ 21/2 رقم 446، وفي سير أعلام النبلاء 455/11-458 رقم 111. وابن حجر في تهذيب التهذيب 265/7 رقم 6298.

(2) عبد الله بن نمير الحافظ أبو هشام. حدث عن هشام بن عروة والأعمش ... وعنه أحمد وابن معين وابن المديني. توفي سنة 199هـ. ترجم له ابن سعد في الطبقات 364/6 رقم 2726. والبخاري في التاريخ الكبير 115/5 رقم 6770. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 186/5 رقم 869. والذهبي في تذكرة الحفاظ 239/1 رقم 311، وفي سير أعلام النبلاء 244/9 رقم 70. وابن حجر في تهذيب التهذيب 516/4 رقم 3767.

(3) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش. روى عن قيس بن أبي حازم وإسماعيل بن رجاء، وزيد بن وهب، وعنه الحكم بن عتيبة وابن المبارك وابن نمير. توفي سنة 147 وقيل 148 وقيل 145. روى له الجماعة. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 51/4 رقم 4780. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 146/4-147 رقم 630. والمزي في تهذيب الكمال 300/3-304 رقم 2555. والذهبي في سير أعلام النبلاء 226/6-248 رقم 110 وفي تذكرة الحفاظ 116/1 رقم 149. وابن حجر في تهذيب التهذيب 506/3-509 رقم 2690.

(4) زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي، معدود في كبار التابعين، سمع عمر وعثمان وعلي ... وعنه حصين وعبد العزيز بن رفيع والأعمش، توفي قريبا من سنة 84هـ وقيل سنة 96هـ. ترجم له:ابن سعد في الطبقات 160/6 رقم 1985، وابن عبد البر في الاستيعاب 559/2 رقم 861. وابن الأثير في أسد الغابة 377/2 رقم 1879. والذهبي في تذكرة الحفاظ 53/1 رقم 58. وابن حجر في الإصابة 534/2 رقم 3008. وفي تهذيب التهذيب 239/3 رقم 2233.

(5) الحديث رواه البخاري في بدء الخلق من طريق الحسن بن الربيع عن أبي الأحوص عن الأعمش، وفي أحاديث الأنبياء عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش، وفي القدر عن أبي الوليد هشام بن عبد الملك عن شعبة عن سليمان عن الأعمش، وفي التوحيد عن آدم عن شعبة عن الأعمش. ولم أقف على طريق حفص بن عاصم عن أبيه، ولعله خلط بينه وبين عمر بن حفص.

(6) حديث أنس كذلك لم أقف عليه في كتاب التوحيد وإنما ذكره في كتاب القدر، الباب 1 رقم 6595. وفي كتاب الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة رقم 318، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم 3333.

ولنبدأ بالكلام على راويه، وهو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سح[1] بن فارس بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث[2] بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة[3] ابن إلياس بن مضر، وأمه أم عبد[4] بنت عبد ود هذلية. أسلم رضي الله عنه قديما، وكان سبب إسلامه "أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر، فقال: يا غلام، هل عندك من لبن فتسقينا ؟ فقلت: إني مؤتمن لست بساقيكما، فقال: هل عندك من جدعة لم ينزل[5] عليها الفحل ؟ قال: نعم، فاتيه بشاة شوص[6]، فعقلها أبو بكر ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا، فامتلأ باللبن، فحلب وشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع اقلص، فقلص، فأسلم / ثم قال: يا رسول الله علمني من هذا القول 39 و
الطيب، فقال: إنك غلام معلم، قال: وأخذت من فيه سبعين سورة ما يبارعني فيها أحد"[7]. وهاجر الهجرتين، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها. وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم والوسادة والنعل[8] والطهور في السفر[9]، وكان يشبه في هديه وسمته رسول الله صلى الله عليه

---

(1) في ج: يسح. والذي وقفت عليه في كتب التراجم: بن شمخ بن فار.
(2) في ب: الحارث، وهو الذي وقفت عليه في كتب التراجم.
(3) في الاستيعاب: ابن هذيل بن خزيمة بن مدركة. وفي أسد الغابة" ابن هذيل بن مدركة.
(4) في ج: معبد. وهو خطأ.
(5) في ج، د: ينز. وهو ما وقفت عليه في كتب الحديث.
(6) يقال رجل شوص إذا كان يضرب جفن عينه إلى السواد، الصحاح مادة شوص، 1044/3، ولسان العرب، مادة شوص 50/7.
(7) قصة إسلامه رواها الإمام أحمد في المسند 379/1 رقم 3598 و3599، من غير قوله "ما ينازعني فيها أحد"، ووقفت على قوله: "وأخذت من في رسول الله إلى قوله أحد" كحديث مستقل عند الإمام أحمد 453/1 رقم 4330، وروى القصة كذلك ابن حبان في كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ذكر عبد الله بن مسعود الهذلي 100/9 رقم 7021 من غير قوله "وأخذت من في ..." ورواها أبو نعيم في الحلية 125/1. ولم أقف على لفظ: يبارعني.
(8) في ج: والنعلين.
(9) روى البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبد الله بن مسعود، رقم 3761، عن علقمة: "دخلت الشام فصليت ركعتين، فقلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فرأيت شيخا مقبلا، فلما دنا، قلت: أرجو أن يكون استجاب الله، قال: من أين أنت، قلت: من أهل الكوفة، قال: أفلم يكن فيها صاحب النعلين والوساد والمطهرة، أو لم يكن فيكم الذي أجير من الشيطان، أو لم يكن فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره".

وسلم[1]، وشهد له بالجنة، وكان خفيف اللحم، قصيرا جدا، شديد الأدمة، وكان من أجود الناس ثوبا، وأطيب الناس ريحا، وكان دقيق الساقين "أخذ يجني سواكا من الأراك، فجعلت الريح تكفاه[2] فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون ؟ فقالوا يا رسول الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده، لهما في الميزان أثقل من أحد"[3]. وفي رواية: "أنه صعد شجرة فانكشف ساقه فضحك بعض القوم، فقال عليه الصلاة والسلام: لساق عبد الله أثقل في الميزان من أحد"[4].

وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه[5]، فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم، ويمشي معه وأمامه بالعصا، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، ويلبسه نعليه إذا قام، فإذا جلس أدخلهما في ذراعه.

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أرى إلا ابن مسعود من أهل)[6] بيته"[7]. وعن علقمة قال: "جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة، فقال: جئت يا أمير المومنين من الكوفة وتركت فيها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه، فغضب عمر وانتفخ فقال: من هو ويحك، قال: عبد الله بن مسعود، فمازال يطفى ويبرد عنه الغضب حتى عاد إلى حالته التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلم أحدا بقي من الناس هو أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر[8] عند أبي بكر الليلة كذلك

(1) وروى البخاري كذلك، رقم 3762، عن عبد الرحمن بن يزيد: "سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي صلى الله عليه وسلم حتى نأخذ عنه، فقال: ما أعرف أقرب سمتا وهديا ودلا بالنبي صلى الله عليه وسلم من ابن أم عبد.

(2) في ج: تكفؤه، وهو ما وقفت عليه في كتب الحديث.

(3) رواه أحمد في المسند 1/420-421 رقم 3991. وابن حبان في كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، ذكر تمثيل المصطفى طاعات ابن مسعود 9/103 رقم: 7029، وأبو نعيم في الحلية 1/127.

(4) رواه أحمد في المسند 1/114. رقم 920، إلا أنه قال: "لرجل".

(5) في صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود، رقم 2461، عن أبي الأحوص قال: "شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود، فقال أحدهما لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله، فقال: إن قلت ذاك، إن كان ليؤذن له إذا حجبنا، ويشهد إذا غبنا".

(6) في ج، د: ولا أرى ابن مسعود إلا من أهل بيته.

(7) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب عبد الله بن مسعود رقم: 3673، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود رقم: 2460.

(8) في د: يسهر. وفي مسند أحمد: يسمر.

في الأمر من أمور المسلمين، وأنه سمر[1] عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع قراءته، فلما كدنا نعرفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد، قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: سل تعطه. قال عمر: قلت والله / لأغدون عليه ولأبشرنه، فقال: فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا 39 ظ
بكر قد سبقني إليه وبشره، ولا والله ما سابقته[2] إلى خير إلا سبقني إليه"[3].

وكان قليل الصوم كثير الصلاة، فقيل له في ذلك، فقال: لأني إذا صمت ضعفت عن الصلاة، والصلاة عندي أولى.

وعن الشعبي قال: "ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركبا في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود، فأمر عمر رجلا يناديهم: من أين القوم ؟ فأجابه عبد الله: من الفج[4] العميق، فقال: أين تريدون ؟ فقال عبد الله: البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم عالما، فأمر رجلا فناداهم، أي القرآن أعظم ؟ فأجابهم عبد الله: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾[5]، حتى ختم الآية، فناداهم: أي القرآن أحكم، فقال ابن مسعود: ﴿**إن الله يامر بالعدل والإحسان**﴾[6] الآية، فقال عمر: فناداهم، أي القرآن أجمع ؟ فقال ابن مسعود: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾[7]، فقال عمر: فناداهم أي القرآن أخوف ؟ فقال ابن مسعود: ﴿**ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءا يجز به**﴾[8] الآية، فقال عمر فناداهم، أي القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**﴾[9] الآية، فقال عمر فناداهم، أفيكم ابن مسعود ؟ فقالوا: اللهم نعم".

---

(1) في د: سهر. وفي مسند أحمد: سمر.
(2) في ب، ج: سبقته. وفي المسند. سابقته.
(3) رواه أحمد في المسند 1/25-26 رقم 175. وأبو نعيم في الحلية 1/124.
(4) في ب: البحر.
(5) البقرة/353.
(6) النحل/90. وتمام الآية: ﴿إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون﴾.
(7) الزلزلة/8-9.
(8) النساء/122 وتمام الآية: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾.
(9) الزمر/50. وتمام الآية: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم﴾.
في ب، بزيادة: "لا تقنطوا من رحمة الله".

وعن مسروق قال: قال عبد الله: "والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم[1] نزلت، ولو أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطية لأتيته"[2]. وعن مسروق أنه قال: انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ستة، عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وأبي الدرداء وزيد بن ثابت. وجعل[3] الشعبي أبا موسى الأشعري بدل أبي الدرداء، ثم انتهى علم هؤلاء الستة إلى رجلين، علي وعبد الله.

وعن عمرو بن ميمون قال: "اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته فيها يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر من جبهته ثم قال: إن شاء الله إما فوق ذلك، وإما قريبا من ذلك، وإما دون ذلك". وكان يقول: "وددت أني إذا مت لم أبعث". وخرج ذات يوم فاتبعه أناس فقال لهم: "ألكم حاجة ؟ قالوا: لا ولكن أردنا أن نمشي خلفك، قال: فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع". / وعن أبي 40 و
الأحوص أنه قال: "دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة[4] غلمان كأنهم الدنانير حسنا، فجعلنا نتعجب من حسنهم، فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم، قلنا: أي والله، بمثل هذا يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت له قد عشش فيه خطاف وباض، فقال : والذي نفسي بيده لأن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم، أحب إلي من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه"[5].

وعن الحسن أنه قال: "قال عبد الله بن مسعود، ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أي حال أراهم بسراء أم بضراء، وما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها". وجاءه رجل فقال له: "أوصني يا أبا عبد الرحمن، فقال: ليسعك بيتك، واكفف لسانك وابك على خطيئتك"[6].

---

(1) في ج: فيما.
(2) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود، رقم 2463.
(3) في ج: زاد.
(4) في ج: ثلاث. وهو خطأ.
(5) الحلية لأبي نعيم: 133/1.
(6) الحلية لأبي نعيم: 135/1.

ولي على قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر[1]، وصدرا من خلافة عثمان بن عفان، ثم سار إلى المدينة وتمرض بها، ودخل عليه عثمان بن عفان في مرض موته فقال له: "ما تشتكي ؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب، قال: الطبيب أمرضني، قال: ما تركت لأولادك، قال: إني لا أخشى عليهم الفقر بعد أن علمتهم سورة الواقعة يقرؤونها كل ليلة".

ومات بالمدينة على الأصح، وقيل مات بالكوفة سنة اثنين وثلاثين عن بضع وستين سنة، وكفن في حلة بمائتي درهم، وصلى عليه عثمان[2]، وقيل: عمار بن ياسر، وقيل الزبير وهو الأشهر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما، وصلى عليه ليلا، ودفن بإيصائه بذلك، ولم يعلم به عثمان فعاتبه على ذلك[3].

قوله: **وهو الصادق**، أي في جميع مما يقوله قبل النبوءة، والصدق الخبر المطابق للواقع.

وقوله: **المصدوق**، أي بالنسبة إلى الله أو إلى الناس، أو بالنسبة إلى ما قاله غيره.

«قال الطيبي: يحتمل أن تكون الجملة حالية، ويحتمل أن تكون اعتراضية، وهو أولى لتعم الأحوال كلها، [وتوذن][4] بأن ذلك من دأبه وعادته.

والصادق معناه المخبر بالقول الحق، والمصدوق معناه الذي يصدق في القول. يقال: صدقته الحديث إذا أخبرته به خبرا اجازما، وحامله الصادق فيما يخبر به، والمصدوق فيما يوحى به إليه.

وقال الكرماني: "لما كان مضمون الخبر أمرا مخالفا لما عليه الأطباء أشار بذلك إلى بطلان ما ادعوه، ويحتمل أنه قال ذلك تلذذا وتبركا وافتخارا[5]"[6]» بتحديثه[7] صلى الله عليه وسلم.

---

(1) ساقطة من أ.

(2) قال ابن سعد: "وهو أثبت عندنا". الطبقات الكبرى 118/3.

(3) انظر ترجمته عند: ابن سعد في طبقاته 111/3-119 رقم 42. وابن عبد البر في الاستيعاب 987/3-994 رقم 1659. وابن الأثير في أسد الغابة 381/3-387 رقم 3182. وابن حجر في الإصابة 198/4-201 رقم 4970.

(4) ساقطة من أ، وأثبتتها من د، لأنها في ب، وج، فيها ركاكة.
في ب: وبأن توذن ذلك، وفي ج: وأن توذن ذلك.

(5) شرح البخاري: 72/23.

(6) الكلام ما بين المزدوجتين وقفت عليه عند ابن حجر في الفتح 312/13-313.

(7) في ج، بحديثه.

قوله: **إن أحدكم**، زعم أبو البقاء[1] أنه بفتح الهمزة لا غير، لأنه معمول حدثنا، ولو كسر لكان منقطعا[2]، وحزم النووي أنه بالكسر على الحكاية وجوز الفتح[3]، وجزم ابن الجوزي[4] أن الرواية / بالكسر فقط. وقال القاضي شمس الدين الجويني 40 ظ
أن الرواية جاءت بالفتح والكسر. وأحدكم بمعنى واحدكم، قلبت الواو المفتوحة همزة على غير قياس، والمراد بنو آدم، وخصوا بالذكر لشرفهم، قال تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾[5].

قوله: **يجمع** بضم فسكون ففتح مبني للمجهول من الجمع، وهو ضم ما تنافر وافترق.

والخلق بمعنى المخلوق، أي تجمع جثة أحدكم أو ما به قوام أحدكم، وهو المبني بعد انتشاره في جميع بدن المرأة ومكثه أربعين.

فقوله، **خلقه**، أي مادة خلقه؛ فعن ابن مسعود "أن النطفة إذا وقعت في الرحم، فإذا أراد الله أن يخلق منها بشرا طارت في جسد المرأة تحت كل ظفر وشعر، ثم تمكث أربعين يوما، ثم تنزل دما في الرحم، فذلك[6] جمعها"[7]. وقال القرطبي: "إذا

(1) أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري الأزجي الضرير الحنبلي النحوي الفرضي، صاحب التصانيف. أخذ عن أبي محمد بن الخشاب وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي. توفي سنة 616هـ. من مصنفاته: تفسير القرآن، إعراب القرآن، إعراب الحديث. ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان 3/100-102 رقم 349. والذهبي في سير أعلام النبلاء 22/91-93 رقم 64. وابن كثير في البداية والنهاية 13/85. والسيوطي في بغية الوعاة 2/38-40 رقم 1375. وابن العماد في شذرات الذهب 5/67-69.

(2) ذكره أبو البقاء في إعراب المسند، قال لأنه مفعول حدثنا. انظر فتح الباري 13/314.

(3) الذي وقفت عليه عند النووي في شرح مسلم 16/156 أنه بكسر الهمزة على حكاية لفظه: صلى الله عليه وسلم. ونقل ابن حجر عن النووي أنه جوز الفتح 13/314.

(4) الحافظ المفسر، جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله القرشي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، صاحب التصانيف. توفي سنة 597، من مصنفاته: مشكل الصحاح، وزاد المسير، وتذكرة الأريب ... ترجم له: ابن خلكان في وفيات الأعيان 3/140 رقم 370. والذهبي في تذكرة الحفاظ 4/92 رقم 433، وفي سير أعلام النبلاء 21/365-385 رقم 192. وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة 1/339-433 رقم 205. وابن كثير في البداية والنهاية 13/28. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 6/157. والسيوطي في طبقات المفسرين ص 17، رقم 50.

(5) التين/4.

(6) في ب، ج: فبذلك.

(7) نقله ابن حجر في الفتح، قال: "وهذا التفسير ذكره الخطابي". 13/135.

دفعت القوة الشهوانية النطفة في الرحم تقع متفرقة[1] فيها، فيجمعها الله سبحانه إلى محل الولد من الرحم في هذه المدة. ثم نقل تفسير ابن مسعود"[2]. واختاره الطيبي قائلا: "إن الصحابي أعلم بتفسير ما سمع"[3]. لكن وقع في حديث مالك بن الحويرث مرفوعا ما يخالفه، ولفظه: "إذا أراد الله تعالى خلق عبد فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه في كل عرق وعضو منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله عز وجل، ثم أحضر كل عرق له دون آدم، في أي صورة ما شاء ركبه، وفي لفظ ثم تلا الآية)[4]"[5].

ولا مخالفة، وحاصله أن فيه زيادة تدل على أن الشبه يحصل، ويقضى به في اليوم السابع.

قوله: **في بطن أمه**، أي رحمها من إطلاق الكل على الجزء، والرحم جلدة مستديرة معلقة بعرق، فمها[6] إلى أسفل تنقبض ولا تنحل إلا عند شهوة الجماع. ذكر ابن القيم[7]: "أن داخل الرحم خشن[8] قابل للمني طبعا، كطلب الأرض العطشة للماء، فلذلك تمسك المني وتنضم عليه"[9].

قال علي رضي الله عنه: "إن للرحم أفواها وأبوابا، فإذا دخل المني الرحم من باب واحد خلق الله منه ولدا. وإن دخل من بابين خلق الله منه ولدين، وإن دخل

---

(1) في ب، د: مفترقة.

(2) المفهم، 6/649-650. مع اختلاف في بعض لفظه.

(3) انظر فتح الباري، 13/315.

(4) وهي قوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ الانفطار/8.

(5) رواه الطبراني في المعجم الكبير 19/290 رقم 644. والديلمي في مسند الفردوس 1/248 رقم 958.

(6) في ب: فيها.

(7) الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزرعي ثم الدمشقي، الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية. من شيوخه ابن تيمية، والمجد التونسي ... توفي 751هـ. من مصنفاته: شرح منازل السائرين، زاد المعاد، القضاء والقدر. ترجم له: الصفدي في الوافي بالوفيات 2/270-272 رقم 692. وابن حجر في الدرر الكامنة 3/243 رقم 3700. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 10/195. والسيوطي في بغية الوعاة 1/62-63 رقم 111 ... والشوكاني في البدر الطالع 2/143-146 رقم 423. وابن العماد في شذرات الذهب 6/168-170.

(8) في ب: حشو.

(9) انظر فتح الباري 13/316.

من ثلاثة أبواب فثلاثة، فيكون عدد الأجنة في الرحم بعد دخول المني من أفواه الرحم".هـ.

قوله: **أربعين يوما**، هكذا في رواية ابن مسعود، لم يختلف عنه في ذكر الأربعين، وكذا في كثير من الأحاديث، وغالبها حديث أنس من غير تحديد: "وكل الله بالرحم ملكا فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: يا رب أذكر أم أنثى[1]. الحديث. وثالثها حديث حذيفة بن أسيد[2] عند مسلم وغيره / اختلفت ألفاظ نقلته. فعند بعضهم أن النطفة تقع في الرحم أربعين 41 و
ثم يتسور عليها الملك، وعند بعضهم إذا مر للنطفة ثنتان وأربعون ليلة، وفي رواية ثلاث وأربعون، وخمس وأربعون، وبضع وأربعون[3]، وبعضهم يشك فيقول: اثنان وأربعون أو ثلاث وأربعون، وبعضهم يجزم. وجمع بينهما القاضي عياض بأنه ليس في رواية ابن مسعود أن ذلك يقع عند انتهاء الأربعين الأولى وابتداء الثانية[4] فقط، وأن ذلك باختلاف الأجنة[5].

قال ابن حجر:"وهو جيد لو كانت تخاريج الأحاديث مختلفة، لكنها متحدة في أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد، فدل على أنه لم يضبط القدر الزائد على أربعين. والخطب في ذلك سهل، قال: وكل ذلك لا يدفع الزيادة التي في حديث مالك بن الحويرث في إحضار الشبه في اليوم السابع، وأن فيه يبتدئ الجمع بعد الانتشار[6]"[7]هـ.

---

(1) رواه أحمد في المسند 116/3 رقم 12181 والبخاري في كتاب القدر، الباب 1، رقم 6595، وكتاب الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة رقم 318، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم 3333، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، رقم 2646.

(2) حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأغوس أبو سريحة الغفاري، ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان. روى عنه أبو الطفيل والشعبي ... توفي سنة 42. ترجم له: ابن سعد في الطبقات الكبرى 101/6 رقم 1858، وابن عبد البر في الاستيعاب 335/1 رقم 493، وابن الأثير في أسد الغابة 1108/1 رقم 704.

(3) وقد ساق مسلم الحديث بمختلف ألفاظه في كتاب القدر، رقم 2644-2645 ،باستثناء لفظ: ثلاث، لم أقف عليه، مع أن ابن حجر ذكر في الفتح 315/13، أنه ورد عند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن أبي الطفيل "إذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون"، قال: "وفي نسخة: اثنان وأربعون ليلة".

(4) في ج: الثالثة، وهو خطأ.

(5) انظر إكمال المعلم 124/8-125 ولم يذكر المصنف لفظ القاضي عياض، إنما ذكر لفظ ابن حجر في الفتح حيث حكاه بمعناه عن القاضي.

(6) في ب: الارتشاق. وهو خطأ.

(7) فتح الباري: 316/13.

قلت: وحاصله أنه تجمع النطفة في محل الولد من الرحم بعد تفرقها، أو تجمع فيه بعد تفرقها في جميع بدن المرأة، ومبدأ هذا الجمع في اليوم السابع، وانتهاؤه في الأربعين أو بعدها بيومين أو ثلاث أو خمس.

وأما ما رواه الإمام أحمد "أن النطفة تكون في الرحم أربعين يوما على حالها لا تتغير"[1] ففي سنده ضعف وانقطاع، ولو ثبت لحمل على أن المعنى لا تتغير إلا بعد الأربعين، ثم تصير علقة تامة بتمام الأربعين الثانية، والعلقة الدم الجامد العبيط، ثم تصير العلقة كلها مضغة بتمام الأربعين الثالث.

قوله: **نطفة**، النطفة المني، وجمعها نطف، أصلها الماء الصافي القليل، سمي المني به لقلته، وقيل لنطافته أي سيلانه، من قولهم ماء ناطف أي سائل، وأصل ذلك أن ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة في الجماع، وأراد الله أن يخلق منه جنينا هيأ أسباب ذلك، لأن في رحم المرأة قوتين: قوة انبساط عند ورود ماء الرجل حتى ينتشر في جسدها، وقوة انقباض بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوسا، ومع كون المني مبتلا بطبعه، وفي مني الرجل قوة الفعل، وفي مني المرأة قوة الانفعال، فعند الامتزاج يصير ماء الرجل كالإنفحة[2] للبن، وقيل في كل منهما فعل وانفعال، لكن الأول في الرجل أكثر، والمرأة بالعكس، وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وإنما يكون من دم الحيض، وترده أحاديث الباب، وحديث: "إن الله تعالى يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل، وشحمه ولحمه من مني / المرأة"، وما قيل من أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام وأخذ 41 ظ
الميثاق من ذريته، جعل الماء في أصلاب الرجال وبعضه في أرحام الأمهات فإذا اجتمع الماءان صار[3] ولدا، وهو صريح في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**﴾[4] الآية.

---

(1) المسند 374/1، رقم 3553. عن عبد الله.

(2) الإنفحة بكسر الهمزة وفتح الفاء مخففة، كرش الحمل أو الجدي ما لم يأكل فإذا أكل فهو كرش. وكذلك المنفحة بكسر الميم. الصحاح مادة [نفح]، 413/1.

(3) في ج: ماءان بدون تعريف في ب، د: صارا.

(4) الحجرات/13، وتمام الآية: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾.

قوله: **ثم يكون علقة مثل ذلك**، أي يصير دما غليظا، وسمي علقة لارتباطه ببعضه أو لرطوبته، لأنه يعلق بما يمر عليه، والتاء فيه للوحدة.

وفي رواية لمسلم[1]: ثم يكون علقة في ذلك مثل ذلك، والإشارة الأولى للمكان في ذلك المحل الذي كانت فيه النطفة، والثانية للزمان.

وكذا ثم يكون مضغة في ذلك[2] مثل ذلك.

قوله: **ثم يكون مضغة**، أي بعد الأربعين الثانية يصير[3] قطعة لحم قدر ما يمضغ، مثل ذلك؛ أي الأربعين، وفيها يشق السمع والبصر والفم، ويصور في داخل جوفها الحوايا والأمعاء، قال الله تعالى: ﴿**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء**﴾[4] فمن مخلقة، أي تامة الخلقة[5]، وغير مخلقة أي غير تامة بل ناقصة الخلق. وقال مجاهد: "مصورة وغير مصورة يعني السقط"[6].

قوله: **ثم يرسل الله الملك**، يعني الملك الموكل بالرحم كما مر في حديث أنس، ومعنى الإرسال إليه أنه يومر بذلك[7] كما جزم به عياض[8] وغيره، وقد وقع في رواية يحيى بن أبي زائدة "أنه إذا استقرت النطفة في الرحم أخذها الملك بكفه فقال: أي رب ذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ ما الأجل؟ ما الأثر؟ بأي أرض يموت؟ فيقال: انطلق إلى أم الكتاب، فإنك تجد قصة هذه النطفة، فينطلق فيجد قصتها[9] في

---

(1) في كتاب القدر: رقم 2643، عن عبد الله بن مسعود.

(2) في ج، بزيادة: "في" بعد "ذلك".

(3) في ب: فيصير.

(4) آل عمران/6، وتمام الآية: ﴿هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء، لا إله إلا هو، العزيز الحكيم﴾.

(5) في ج: الخليقة.

(6) تفسير مجاهد، 419/2. ذكرها عند تفسير قوله تعالى من سورة الحج/5: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾ الآية.

(7) قال ابن حجر: 317/13 : "وهو الذي ينبغي أن يعول عليه".

(8) قال القاضي عياض في إكمال المعلم 128/8 : "وما ذكره في الحديث من إرسال الملك له، فمراده – والله أعلم بمراده– يوجهه للتصرف في هذه الأحوال وامتثال هذه الأفعال، وإلا فقد ذكر في حديث أنس أنه موكل بالرحم ... وهو ظاهر حديث ابن مسعود".

(9) في ج: قطعتها.

أم الكتاب فتاكل رزقها وتطأ أثرها فإذا جاء أجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها"[1].

وفي إيجاده على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور إلى طور مع قدرته تعالى على إيجاده لآدم كسائر المخلوقات في طرفة عين فوائد:

الأولى: أنه لو خلق دفعة واحدة لشق على الأم لكونها لم تكن معتادة لذلك، وربما لم تطقه، فجعل أولا نطفة لتعتاد بها مدة، ثم علقة مدة وهكذا إلى الولادة[2]؛ قاله الخطابي.

الثانية: إظهار قدرته تعالى، وتعليمه لعباده التأني في أمورهم.

الثالثة: إعلام الإنسان بأن حصول الكمال المعنوي له تدريجي نظير حصول الكمال الظاهر له.

قوله: **فينفخ فيه الروح** التي بها يحيى الإنسان، والنفخ إخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ، وقد اختلف في الروح على أقوال كثيرة تزيد / على الألف، 42 و
والمعتمد أنها جسم لطيف سار في البدن (مشتبك به اشتباك)[3] الماء بالورد، وعروق الشجر، ولا يلتفت لقول من قال إنها الدم لأن من الحيوانات ما لا دم له، ولا لقول من قال إنها النفس الداخل والخارج لأن من الحيوانات من[4] لا يتنفس إلا عند الموت كالسمك.

وظاهر الحديث أن الملك ينفخ الروح في المضغة وليس بمراد، إنما ينفخ فيها بعد تشكل ابن آدم، وصورته كما قال تعالى: ﴿**فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا اخرا**﴾[5]. أو بنفخ الروح فيه، وقد مرت الإشارة لهذا آنفا.

---

(1) وقفت على رواية يحيى بن زائدة في الفتح 317/13 إلا أنه أوردها مختصرة. وقال عقبها: "فينبغي أن يفسر الإرسال المذكور بذلك".

(2) وقفت على هذا المعنى عند ابن حجر 325/13، ولم ينسبه لأحد.

(3) في ج: مشبك به اشتباك.

(4) في د: ما. وهو الصواب، لأن من تقال للعاقل.

(5) المومنون/14. وتمام الآية: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

وقال الفشني: «قال جمع من المتكلمين: الروح عرض وهو الحياة التي يصير البدن بوجودها حيا، وهي باقية لا تفنى عند أهل السنة هـ.

فائدة: وقال ابن عباس رضي الله عنهما، الأشياء التي لا تفنى سبعة، ونظمت في بيتين وهما:

سبع من المخلوق غير فانية ... العرش والكرسي ثم الهاوية
وقلم[1] واللوح والأرواح ... وجنة في عرضها[2] نرتاح

فائدة: أفتى ابن يونس وغيره بأنه لا يحل للمرأة أن تستعمل دواء يمنع الحمل[3]، ذكره في العجالة[4].

قوله: **ويومر بأربع كلمات**، يعني بعد أن يسأل عنها، فيقول: يا رب، ما الرزق؟ ما الأجل؟ أشقي أم سعيد؟ فيؤمر بما يؤمر به من ذلك كما دلت عليه الأحاديث. وفي رواية "فيقال له اكتب"[5] إلى آخره. والمراد بكتب الرزق تقديره قليلا أو كثيرا، وحراما أو حلالا، وبالأجل كونه قصيرا أو طويلا، وبالعمل كونه صالحا أو فاسدا، وشقي باعتبار الخاتمة، أو سعيد باعتبارها، فالمراد بالسعيد من يموت على الإيمان، وبالشقي من يموت على الكفر والعياذ بالله.

وفي رواية فيقول: "اكتب رزقه وأثره وخلقه وأجله وشقي أو سعيد"[6]، وفي أخرى فيقول: "أي رب مصيبته، فيقول كذا وكذا"[7] وفي أخرى "فرغ الله لكل عبد

(1) في ج: القلم بالتعريف.
(2) في ج، د: ظلها.
(3) في ب، د: الحبل.
(4) نقله الفشني في المجالس السنية: ص 16.
في ج: العاجلة، وهو خطأ.
(5) أورد البخاري هذه الرواية في كتاب بدء الخلق رقم 3209. وابن ماجة في المقدمة باب في القدر، رقم 76.
(6) وهي رواية عبد الله بن ربيعة عن ابن مسعود. انظر فتح الباري 318/13.
(7) وهي رواية خصيف عن أبي الزبير عن جابر. كما ذكر في الفتح 318/13-319، ووقفت عليها كذلك في كتاب السنة لأبي بكر ابن أبي عاصم 174/1 رقم 186. من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد.

من خمس، من عمله وأجله ورزقه وأثره ومضجعه"[1]، وحاصلها ثمان: الرزق والأجل والعمل وشقي أو سعيد والأثر والخلق والمضجع والمصيبة.

قوله: **ثم ينفخ فيه الروح**، دل حديث ابن مسعود من جميع طرقه على أن الجنين يتقلب في مائة وعشرين يوما في ثلاثة أطوار، كل طور منها في أربعين، ثم بعد تكملتها ينفخ فيه الروح، وقد ذكر الله تبارك / وتعالى هذه الأطوار الثلاثة من غير 42 ظ تقييد بمدة في كتابه العزيز في سور عدة، ودلت آية سورة الحج[2] على أن التخليق يكون للمضغة، وبين الحديث أن ذلك يكون فيها إذا تكاملت الأربعين، وهي المدة التي إذا انتهت إليها سميت مضغة. ووقع في حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم ما يخالف هذا، ففيه : "إذا مر بالنطفة اثنتان[3] وأربعون ليلة (وفي نسخة ثلاث وأربعون ليلة)[4]، بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله، فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك[5]، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده"[6] .

قال القاضي عياض: "حمل هذا الحديث على ظاهره لا يصح، لأن التصوير بأثر[7] النطفة وأول العلقة في أول[8] الأربعين الثانية غير موجود ولا معهود، وإنما يقع التصوير أجزاء في الأربعين الثالثة، كما قال تعالى: ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما**﴾[9] الآية. فهذه الآية تفسير ما جاء

(1) وردت هذه الرواية عند أحمد في المسند، 197/5 رقم 22065، من حديث أبي الدرداء.
(2) سبق ذكر قوله تعالى في الموضوع من سورة المومنين ومن سورة الحج مع تفسير مجاهد لقوله تعالى: "مخلقة وغير مخلقة".
(3) في ب، ج، د: ثنتان.
(4) ما بين قوسين ساقط من ج.
(5) في صحيح مسلم بزيادة: "ثم يقول يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك".
(6) زاد مسلم في آخره: "فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص".
رواه مسلم في كتاب القدر: باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... رقم 2645.
(7) في ج: بأمر، وهو خطأ.
(8) ساقطة من ج.
(9) المومنون/14. وتمام الآية: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

في هذا الحديث من اختلاف ألفاظه، ويكون معنى صورها وخلق سمعها إلى آخره. أي كتب ذلك، وما قضى به ربنا تبارك وتعالى من الذكورة والأنوثة وكون الأعضاء سوية وغير ذلك. ألا تراه كيف قال: "فيقضي ربك ما يشاء" ويكتب الملك، فإنه يدل على أنه لم يوجد، وإنما كتب.

وقوله في الآخر: فيكتبان، وتطوى الصحف[1]، ثم يكون للملك فيه تصرف آخر، هو وقت نفخ الروح فيه حين تكمل له أربعة أشهر، كما اتفق عليه العلماء أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر" [2]هـ.

وبسطه ابن الصلاح في فتاويه فقال ما ملخصه: "أعرض البخاري عن حديث حذيفة بن أسيد إما لكونه من رواية أبي الطفيل عنه، وإما لكونه لم يره ملتئما مع حديث ابن مسعود، وحديث ابن مسعود لا يشك في صحته، وأما مسلم فأخرجهما معا، فاحتجنا إلى وجه الجمع بينهما بأن نحمل إرسال الملك على التعدد، فمرة في ابتداء الأربعين الثانية، (وفي أخرى في انتهاء الأربعين الثالثة لنفخ الروح.

وأما قوله في حديث حذيفة في ابتداء الأربعين الثانية)[3]: فصورها، فإن ظاهر حديث ابن مسعود أن التصوير إنما يقع بعد أن يصير مضغة، فيحمل الأول على أن المراد يصورها لفظا وكتبا لا فعلا؛ أي يذكر كيفية تصورها، ويكتبه بدليل أن جعلها ذكرا / أو أنثى إنما يكون عند المضغة"[4]. 43 و

قال ابن حجر: «وقد[5] نوزع[6] في أن التصوير حقيقة إنما يكون في الأربعين الثالثة بأنه شوهد في كثير من الأجنة التصوير في الأربعين الثانية، وتمييز الذكر من الأنثى، فعلى هذا فيحتمل أن يقال: أول ما يبتدئ به الملك تصوير ذلك لفظا وكتبا،

(1) في د: الصحيفة.
(2) إكمال المعلم: 8/127–128 و124، مع اختلاف في بعض لفظه.
(3) ما بين قوسين ساقط من ج.
(4) فتاوى ومسائل ابن الصلاح، ص 165-167، ووقفت على هذا التلخيص بلفظه عند ابن حجر 13/320.
(5) ساقطة من د.
(6) في الفتح: توزع.

ثم يشرع فيه فعلا عند استكمال العلقة، ففي بعض الأجنة يتقدم ذلك، وفي بعضها يتأخر، ولكن يبقى في حديث حذيفة أنه ذكر العظم واللحم وذلك لا يكون إلا بعد أربعين العلقة، فيقوى ما قاله عياض ومن تبعه.

ثم قال: والراجح أن التصوير إنما يقع في الأربعين الثالثة، ثم أيد ذلك بحديث أنس المتقدم، ذكر فيه النطفة ثم العلقة ثم المضغة، ثم قال: فإذا أراد أن يقضي خلقها قال: أي رب أذكر أم أنثى.

قال: ومال بعض الشراح المتأخرين إلى الأخذ بما دل عليه حديث حذيفة قائلا: ليس في حديث ابن مسعود ما يدفعه، واستند لقول بعض الأطباء أن المني إذا حصل في الرحم حصلت له زبدة ورغوة في ستة أيام أو سبعة، ثم يستمد من الرحم ويبتدئ فيه[1] الخطوط بعد ثلاثة أيام أو نحوها، ثم في الخامس عشر يسري الدم إلى الجميع، فيصير علقة، ثم تتمم[2] الأعضاء وتمتد رطوبة النخاع، وينفصل الرأي عن المنكبين والأطراف عن الأصابع تمييزا يظهر في بعض ويخفى في بعض، وينتهي ذلك إلى ثلاثين يوما في الأقل، وخمسة وأربعين يوما في الأكثر.

ويجعل قوله:"**ويومر بأربع كلمات**"[3]، عطفا على قوله يجمع، وما بينهما من قوله: ثم يكون علقة، اعتراض، وثم لترتيب الأخبار لا المخبر به[4]، أو هو من تصرف الرواة.

قال ابن حجر: والحمل على ظاهر الرواية أولى، وغالب ما نقل عن هؤلاء دعاوي لا دلالة عليها»[5]هـ.

قلت: وما تأول عليه الحديث بعيد، بل يمنعه قوله: مثل ذلك، وهذا[6] الذي مال إليه بعض الشراح هو ما ذكره المقري في قواعده أن الولد يتحرك لمثل ما يتخلق له،

---

(1) في د: به.
(2) في ب، د: تتم. وفي الفتح: تتميز.
(3) عند ابن حجر في الفتح أن قوله "فيكتب" معطوف على قوله "يجمع".
(4) في الفتح "المخبرية".
(5) فتح الباري: 13/320–321.
(6) في ب: هو.

ويوضع لمثلي ما يتحرك فيه، وهو يتخلق في العادة تارة لشهر، فيتحرك لشهرين، ويوضع لستة، وتارة لشهر وخمسة أيام، فيتحرك لشهرين وثلث، ويوضع لسبعة، وتارة لشهر ونصف فيتحرك لثلاثة، ويوضع لتسعة، فلذلك لا يعيش ابن ثمانية، ولا ينقص الحمل عن ستة أشهر[1]هـ. وأصله للقرافي، وما ذكر من التخلق لشهر ونصف له أصل في الجملة لحديث حذيفة، ويحمل على الغالب في كون التخلق بعد الأربعين، لأن غالب الوضع لتسعة أشهر، والوضع لما[2]دونها نادر، / فيكون 43 ظ التخلق لما دون الأربعين نادرا أيضا، فلذا لم يذكر في الحديث، وإن كان الراجح تأويل حديث حذيفة هذا على كتب التخليق وصفته لا على فعله، وقد قيل بالتخلق أيضا فيما قبل ذلك، وأما ما ذكره من التحرك المقتضي لنفخ الروح بعد شهر فخلاف المنصوص.

قال عياض: "اختلفت ألفاظ هذا الحديث في مواضع، ولم تختلف في أن نفخ الروح فيه بعد مائة وعشرين يوما، وذلك تمام أربعة أشهر، ودخوله في الخامس، وهذا موجود بالمشاهدة[3] وعليه يعول فيما يحتاج إليه في الأحكام من الاستلحاق عند التنازع، وفي وجوب النفقة على حمل المطلقة بحركة الجنين. وقد قيل إنه الحكمة في كون عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا، وهو الدخول في الخامس لتحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة، إذ لو كان حمل لظهر. قال: وزيادة حذيفة مشعرة بأن الملك لا ياتي لرأس الأربعين بل بعدها"[4]، فيكون مجموع ذلك أربعة أشهر وعشرا، وهو مصرح به في حديث ابن عباس: "إذا وقعت النطفة في الرحم مكثت أربعة أشهر وعشرا ثم نفخ فيه الروح"[5].

قال ابن حجر: «وما أشار له من عدة الوفاة، مثله عن ابن المسيب: سئل عن عدة الوفاة، فقيل له: ما بال العشر بعد الأربعة أشهر ؟ فقال: ينفخ فيها[6] الروح.

---

(7) ساقطة من ب، د.

(2) في ب: مما.

(3) في ج: في المشاهدة.

(4) إكمال المعلم: 8/123–124.

(5) لم أقف عليه، وذكره ابن حجر في الفتح 13 /322.

(6) في، ب: فيه.

وعند[1] ابن أبي حاتم: إذا تمت النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكا فينفخ فيها الروح. من ذلك قوله تعالى: ﴿**ثم أنشأناه خلقا آخر**﴾[2] وسنده منقطع، ولا ينافي التقييد بالعشر الزائدة، ومعنى إسناد النفخ للملك أنه يفعله بأمر الله تعالى، فيخلق الله تعالى الروح عنده لا به، لأن النفخ إنما هو ريح يخرج من النافخ يتصل بالمنفوخ فيه»[3]. وقال قبل هذا: «عن الفاضل بن المهذب الحموي الطبيب: اتفق الأطباء على أن خلق الجنين في الرحم يكون في نحو الأربعين، وفيها يتميز أعضاء الذكر دون الأنثى لحرارة مزاجه واعتدال المني الذي يتكون منه ونضجه، فيكون أقبل للتشكل، ثم يكون علقة مثل ذلك، ويتحرك لمثل المدة التي تخلق لها.

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر، قالوا: وإذا اشتمل الرحم على المني ولم يقذفه استدار على نفسه إلى تمام ستة أيام، فينتقط فيه ثلاث نقط موضع القلب والدماغ والكبد، واختلفوا في أيهما أسبق، والأكثر أنها نقطة القلب، ثم يظهر فيما بين تلك النقط خطوط خمسة إلى تمام ثلاثة أيام، ثم تنفذ الدموية فيه إلى تمام خمسة عشر يوما فتتميز الأعضاء الثلاثة، ثم تمتد / رطوبة 44 و
النخاع إلى تمام اثني عشر يوما، ثم ينفصل الرأس عن المنكبين، والأطراف عن الضلوع، والبطن عن الجنبين في تسعة أيام، ثم يتم هذا التمييز بحيث يظهر للحس في أربعة أيام فتكمل أربعين يوما، فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما"، وفيه تفصيل ما أجمل، ولا ينافي ذلك قوله: "ثم يكون علقة مثل ذلك"؛ فإن العلقة وإن كانت قطعة دم لكنها في هذه الأربعين الثانية تنتقل عن صورة المني، (ويظهر التخطيط فيها ظهورا خفيا على التدريج، ثم يتصلب في أربعين يوما يتزايد ذلك التخليق شيئا فشيئا، حتى يصير مضغة مخلقة)[4]، ويظهر للحس ظهور الاخفاء فيه، وعند تمام الأربعين الثالثة، والظعن[5] في الرابعة ينفخ فيه الروح كما وقع في هذا الحديث الصحيح، وهو مما لا سبيل إلى معرفته إلا

(1) في ج: وعن.
(2) المومنون/14: جزء آية.
(3) فتح الباري: 322/13.
(4) ما بين قوسين ساقط من ج.
(5) ظعن أي سار، والظعن سير البادية لنجعة أو حضور ماء أو طلب مربع أو تحول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد، والظعنة السفرة القصيرة. انظر الصحاح للجوهري 2159/6، ولسان العرب لابن منظور 271/13 مادة [ظعن]. وهي هنا بمعنى الانتقال من مرحلة إلى أخرى.

بالوحي حتى قال كثير من فضلاء الأطباء وحذاق الفلاسفة: إنما يعرف ذلك بالتوهم والظن[1] البعيد»[2] هـ.

وهذا القول أقرب مما مال إليه بعض الشراح لموافقته على أن النفخ بعد أربعة أشهر، وعدم منافاته لحديث ابن مسعود. وحاصلها ثلاثة:

أحدها أن التخليق في المني، ومن أول الأمر. الثاني أنه عند الأربعين (أو ما يقاربها)[3] وهو علقة، الثالث: أنه في الأربعين الثالثة، وعندما يصير مضغة، وهو الصحيح الموافق لظاهر القرآن والحديث الصحيح.

وأما نفخ الروح بعد أربعة أشهر فلم يخالف فيه إلا بعض الأطباء ومن تبعهم من الفقهاء، ولا دليل لهم في ذلك إلا التوهم والظن البعيد، كما قال الحذاق منهم، وإن فرض سقط حي قبل الأربعة أشهر كان من الشاذ، فلا يعارض ما وقع عليه الاتفاق على ما حكاه غير واحد والله أعلم.

واختلف في أول ما يشكل من أعضاء الجنين، فقيل: قلبه، لأنه الأساس، وهو معدن الحركة الغريزية. وقيل: الدماغ لأنه مجمع الحواس، ومنه تنبعث، وقيل: الكبد لأن فيه النمو والاغتذاء الذي هو قوام البدن. ورجحه بعضهم لأنه[4] مقتضى النظام الطبيعي، لأن النمو هو المطلوب أولا، ولا حاجة له إلى[5] حس ولا حركة، لأنه بمنزلة النبات وإنما يكون له قوة الحس والإرادة عند تعلق النفس به، فيقدم الكبد ثم القلب ثم الدماغ.

واختلف أيضا في السمع والبصر، فقيل: يخلقان له في البطن وهو ظاهر الحديث، وقيل: بعد وضعه لقوله تعالى: ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا**﴾[6]، والتحقيق أن الحاستين والقوة السامعة والباصرة في البطن والإدراك بالفعل بعد الخروج لتوقفه على زوال الحجاب / والله أعلم. 44 ظ

(1) في ج: والظعن، وهو خطأ.
(2) فتح الباري، 13/316-317.
(3) في ج: وما يقابلها.
(4) في ب: بأنه.
(5) في ب، ج، د: بزيادة: حينئذ، بعد "له". و"إلى": ساقطة من ب.
(6) النحل/78، وتمام الآية: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾.

تنبيهان:

الأول: قال في المعلم[1]: "هذا الترتيب[2] العجيب وإن خفيت علينا حكمته، فقد لاحت لنا حقيقته، وهو أنه كذلك سبق في علمه، وثبت في قضائه وحكمه، وإلا فمن الممكن أن يوجد الإنسان وأصناف الحيوانات بل جميع المخلوقات في أسرع من لحظة[3]، وأيسر من النطق بلفظه؛ كيف لا وقد سمع السامعون (إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول كن فيكون)[4]هـ. وقد مر لنا عن الخطابي توجيهه والحكمة فيه.

الثاني: ذكر هذه الأطوار الثلاثة، النطفة والعلقة والمضغة، في مواضع متعددة من القرآن، وفي مواضع أخر ذكر زيادة عليها، فقال[5] في سورة المومنين: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[6]. فهذه سبع[7] تارات ذكرها الله في هذه الآية لخلق ابن آدم قبل نفخ الروح فيه، وكان ابن عباس يقول: خلق آدم من سبع ثم يتلو هذه الآية.

فائدة:

سئل ابن عباس عن العزل فقرأ هذه الآية، ثم قال: فهل يخلق أحد حتى تجري فيه هذه الصفة، وفي رواية منه[8]: فهل تموت نفس حتى تمر على هذا الخلق. وروي عن رفاعة بن رافع قال: جلس إلى عمر علي والزبير وسعد في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكروا العزل فقالوا: لا بأس به، فقال رجل منهم

---

(1) لم أقف على هذا الكلام عند المازري في المعلم وإنما هو للقرطبي في المفهم 6/656-657.

(2) في ج، د: الحديث.

(3) في ب: لحظته.

(4) في ب، د: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن، فيكون﴾ وهو قوله تعالى من سورة يس/81، وقد أورد في هامش ب قوله "إنما أمرنا ...".
وفي المفهم: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ النحل/40.

(5) في ج، د: بزيادة قد، يعني: فقد قال.

(6) المومنون/12-13-14.

(7) في ج: سبعة، وهو خطأ.

(8) في ب: عنه.

إنهم يزعمون أنها الموءودة الصغرى، فقال علي[1]: لا تكون موءودة حتى تمر على التارات السبع، تكون سلالة من طين، ثم تكون نطفة، ثم تكون علقة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظاما، ثم تكون لحما، ثم تكون خلقا آخر، فقال عمر: صدقت أبقاك الله تعالى هـ.

و[2]المذهب جوازه بإذن الزوجة إن كانت حرة، أو سيدها إن كانت أمة[3].

قال الفشني: «جاء مرفوعا: "إذا مات الجسد دفن من حيث أخذ ذلك التراب". وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة، أو[4] بها حاجة"[5]، وقيل في معناه:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعتـــه إليهـا حاجـة فيـطير

(1) في ب، د: بزيادة "لى". بعد "فقال". و"على" ساقطة من ب.

(2) في ب: هو بدل الواو.

(3) في موطإ مالك، في كتاب الطلاق، باب ما جاء في العزل: قال مالك: "لا يعزل الرجل المرأة الحرة إلا بإذنها، ولا بأس أن يعزل عن أمته بغير إذنها، ومن كانت تحته أمة قوم فلا يعزل إلا بإذنهم". وفي فتح الباري 386/10، كتاب النكاح باب العزل: "اتفقت المذاهب على أن الحرة لا يعزل عنها إلا بإذنها وأن الأمة يعزل عنها بغير إذنها، واختلفوا في المزوجة، فعند مالك يحتاج إلى إذن سيدها، وهو قول أبي حنيفة والراجح عن محمد. وقال أبو يوسف وأحمد: الإذن لها، وهي رواية عن أحمد، وعنه بإذنها، وعنه يباح العزل مطلقا، وعنه المنع مطلقا". ذكره ابن حجر عند شرح حديث أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبيا، فكنا نعزل، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أو إنكم لتفعلون" قالها ثلاثا، "ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة".
وجزم البعض بحرمة العزل مطلقا كابن حزم، استنادا إلى حديث جذامة بنت وهب: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العزل فقال: "ذلك الوأد الخفي"، قال ابن حجر في الفتح 386/10، "وهذا معارض بحديثين، أحدهما أخرجه الترمذي والنسائي ... عن جابر قال: "كانت لنا جواري وكنا نعزل، فقالت اليهود: إن تلك الموءودة الصغرى، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: كذبت اليهود، لو أراد الله خلقه لم تستطع رده". والحديث الثاني: في النسائي من وجه آخر ... عن أبي هريرة، وهذه طرق يقوي بعضها ببعض، وجمع بينها وبين حديث جذامة بحمل حديث جذامة على التنزيه، وهذه طريقة البيهقي، ومنهم من ضعف حديث جذامة بأنه معارض بما هو أكثر طرقا منه، وكيف يصرح بتكذيب اليهود في ذلك ثم يثبته، وهذا دفع للأحاديث الصحيحة بالتوهم، والحديث صحيح لا ريب فيه والجمع ممكن".

(4) في ب، ج، د: بزيادة "قال"، يعني: أو قال بها ...

(5) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها، رقم: 4512، عن أبي عزة. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

وروى الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه / فقال: لمن هذا قيل: لرجل من الحبشة، فقال: لا 45 و إله إلا الله، سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها"[1].

نكتة:

يقال إن ملك الموت عليه السلام دخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يطيل نظره، ويحد بصره إلى رجل من ندمائه، ثم خرج فقال ذلك النديم: يا نبي الله، من كان ذلك الرجل ؟ فقال: ملك الموت، فقال: يا نبي الله رأيته يطيل النظر إلي، وأخاف أن[2] يريد قبض روحي فخلصني من يده، قال : وكيف أخلصك؟ قال: فتامر الريح أن تحملني إلى بلاد الهند، فلعله أن يضل عني، ولا يجدني، فأمر سليمان عليه السلام الريح أن تحمله في الساعة إلى أقصى بلاد الهند في الوقت وفي الحال. وعاد ملك الموت ودخل على سليمان عليهما السلام، فقال له سليمان: لأي سبب كنت تطيل النظر إلى ذلك الرجل ؟ فقال: كنت أتعجب منه لأني أمرت بقبض روحه بأرض الهند، وهو بعيد عنها، إلى أن اتفق وحملته الريح إلى هناك كما قدر الباري تبارك وتعالى.

تنبيه:

يا هذا، انظر إلى قدرة مولاك كيف أنشأك ورباك. مكتوب في التوراة زيا ابن آدم جعلت لك قرارا في بطن أمك، وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا يؤذيك حر الطعام، وجعلت لك متكئا عن يمينك ومتكئا عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فالكبد، وأما الذي عن (يسارك فالطحال)[3] ، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك، فهل يقدر على ذلك أحد غيري ؟ فلما أن تمت مدتك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك، فأخرجك على ريشة

(1) نوادر الأصول: ص 71.
(2) في ب، ج، أنه.
(3) في ب: شمالك فالطيحال.

من جناحه[1] ، لا لك سن يقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى بها، فأنبعت لك عرقين دقيقين[2] في صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا في الشتاء، باردا في الصيف، وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع، ولا (يرقدان حتى ترقد)[3]، فلما قوى ظهرك واشتد أزرك، بارزتني بالمعاصي، واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد علي وتسترت ممن يراك وبارزتني بالمعاصي[4] في خلواتك، ولم تستحي مني، ومع هذا إن دعوتني أجبتك، وإن سألتني أعطيتك، وإن تبت إلي قبلتك))[5] هـ.

قوله: **فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم** ظاهره أنه مرفوع، وهو ظاهر أكثر الروايات، وجزم به الطبري[6] ، ووقع في رواية زيد بن وهب أنه مدرج من كلام ابن مسعود، والتحرير أن المدرج هو القسم وحده دون ما بعده من المقسم عليه، لرفعه في رواية[7] فتيقنه عبد الله فأقسم عليه[8] .

قوله: **ليعمل**، أي امتثال الأوامر / وترك النواهي. 45 ظ

حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع: قال النووي: "هذا تمثيل لشدة قرب ما بين موته ووصوله إلى تلك الدار، أي لم يبق بينه وبين أن يصلها إلا كما بينه وبين موضع من الأرض ذراع"[9] .

وقوله: **فيسبق عليه الكتاب**، أي حكمه وقضاؤه الذي كتب له في بطن أمه، واللوح المحفوظ، مستندا إلى سابق علمه القديم فيه.

(1) في ج: جناحيه.
(2) ساقطة من د.
(3) في ج: ينامان حتى تنام.
(4) ساقطة من ج.
(5) المجالس السنية: ص 17.
(6) انظر فتح الباري: 323/13.
(7) هي رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب الجهني، عن عبد الله وفيها: "والذي نفس عبد الله بيده ...".
(8) قال ابن حجر في الفتح 323/13 "تحمل رواية سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب على أن عبد الله بن مسعود لتحقق الخبر في نفسه أقسم عليه، ويكون الإدراج في القسم لا في المقسم عليه، وهذا غاية التحقيق في هذا الموضع، ويؤيد الرفع أيضا أنه مما لا مجال للرأي فيه فيكون له حكم الرفع".
(9) شرح صحيح مسلم: 158/16.

فيعمل بعمل أهل النار: أي[1] بالمعاصي والمخالفات فيدخلها. قال المصنف: "وليس هذا بغالب في الناس، وإنما هو نادر"[2].

وقوله: **وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** بحكم القضاء السابق الجاري عليه: "وهذا[3] الانتقال من الشر إلى الخير كثير، وأما[4] من الخير إلى الشر فهو في غاية الندور، وهو من باب "إن رحمتي سبقت غضبي"[5]، ثم الشيء المنتقل إليه هو أعم من كونه شر كفر أو شر مخالفة". قاله المصنف[6].

قال عياض: "وهذا يرجع إلى الخواتم، وأن كل واحد يموت على ما سبق له[7]، وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر، إلا ما يعفو الله سبحانه عنه من الذنوب"[8].

وفي بعض روايات هذا الحديث: وإنما الأعمال بالخواتم[9]، فمن سبقت له السعادة صرف الله قلبه عن الشر إلى الخير بحكم الكتاب، ومن سبقت له الشقاوة –والعياذ بالله– صرف الله قلبه إليها. وفي الصحيح: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"[10] الحديث، وقلوب العباد بين خالقها ومالكها كما قال عليه الصلاة والسلام:

---

(1) في ب: له: وهو خطأ.

(2) شرح صحيح مسلم: 158/16.

(3) في ج: هو، والصواب الذي في الأصل.

(4) في ج: وما.

(5) رواه أحمد في المسند 258/2 رقم 7491 والبخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾، رقم 3194. وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ رقم 7404، وباب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ رقم 7422، وباب ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ رقم 7553، و7554. ومسلم في كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم 2751. وابن ماجة في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة رقم 4295. والحديث ورد عن أبي هريرة.

(6) شرح صحيح مسلم 158/16. بمعناه.

(7) ساقطة من ج.

(8) إكمال المعلم: 128/8.

(9) وقفت على قوله صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالخواتيم" في حديث سهل بن سعد: "إن العبد ليعمل عمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم". رواه البخاري في كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، رقم 6607. وفي كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، رقم 6493.

(10) رواه أحمد في المسند 82/1 رقم 621 والبخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر، رقم 7552، وفي كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾، رقم=

"قلوب الخلق بين أصبعين (من أصابع الرحمن)[1] يقلبها كيف يشاء[2]"[3]. فالمومن من بدأ عمله بالسعادة وختم له بها، والمخذول عكسه، ومثله من بدأ عمله بالخير وختم له بالشر. قال الأبي: «وأثر: "يموت المرء على ما عاش عليه" إن ثبت أنه حديث فليس بمعارض لهذا، إذ لا بعد في تخلف ذلك في بعض الناس بسبب ما دل عليه هذا الحديث، وما ذكر في غاية الندور»[4] هـ.

قال الفشني: «وهذا حديث جامع لجميع أحوال الشخص إذ فيه بيان حال البدء[5] وهي خلقه، والمعاد وهي السعادة والشقاوة، وما بينهما وهو الأجل، وما يتصرف فيه وهو الرزق، وفيه دلالة على أن التوبة هادمة لما سلف، وأن جميع الأمور بقضاء الله وقدره»[6]هـ.

وفيه أيضا دلالة على عدم القطع بدخول الجنة أو النار، وإن عمل سائر أنواع البر، أو عمل سائر أنواع الفسق، و[7] أن الشخص لا يتكل على عمله ولا يعجب به، لأنه لا يدري ما الخاتمة، وينبغي لكل أحد / أن يسأل الله تعالى حسن الخاتمة. 46 و

قيل: لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشي عليه ثم أفاق، فقال: أتاني الساعة ملكان فقالا لي: قم نحاكمك بين يدي العزيز الحكيم[8]، ففزعت منهما، فإذا بملك ثالث قد نزل من السماء، فقال: خليا عنه فإنه كتب في بطن أمه سعيد هـ.

= 4945– 4946 – 4947. ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي رقم 2647. وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر، رقم 4694. وابن ماجة في المقدمة، باب في القدر، رقم 78. والترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة، رقم 2144. والحديث ورد عن علي.

(1) ما بين قوسين ساقط من ج.

(2) في ج: يشاء.

(3) رواه أحمد في المسند 112/3، رقم 12131. والترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء في أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم 2147 عن أنس بلفظ: "إن القلوب بين أصبعين ...".

(4) إكمال إكمال المعلم: 77/7.

(5) في د: المبدأ. وهو الذي عند الفشني.

(6) المجالس السنية ص 17-18.

(7) في ج: بزيادة على بعد الواو.

(8) في د: العليم.

فالكل عبيده سبحانه وملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وإذا كان الثواب فضلا والعقاب عدلا، جاز أن ينقطع، وجاز أن يعاقب المطيع، ويثيب العاصي لأن الملك لله سبحانه، لا يسأل عما يفعل ولا يعترض عليه فيه، ومن هنا زلت أقدام المبتدعة هـ.

وفي الحديث: أن الأعمال حسنها وسيئها أمارات وليست بموجبات، وأن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء، وجرى به القدر في الابتداء، وأن الاعتبار بالخاتمة[1].

قال ابن أبي جمرة [2] : "وهذه هي التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال، لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم"[3]. وفيه عدة أحكام ومن الله اسأل حسن الختام. وفي الصحيحين: "أن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة"[4] .

زاد البخاري[5] في رواية له: "إنما الأعمال بالخواتم"[6] .

وقوله: **فيما يبدو للناس**[7] : «إشارة إلى أن باطن الأمر، يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد، لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل

---

(1) في ج، في الخاتمة.

(2) عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد المالكي من علماء الحديث، أخذ عن أبي الحسن الزيات وعنه ابن الحاج صاحب المدخل، توفي 695هـ. من مصنفاته: جمع النهاية، بهجة النفوس. ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية 346/13، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية 199 رقم 674. والزركلي في الأعلام 89/4.

(3) انظر فتح الباري 325/13.

(4) رواه البخاري في كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم رقم 6607. وفي كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، رقم 6493. وفي كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، رقم: 8982. ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي رقم 112. وفي كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم 112. وأحمد في المسند 332/5 رقم 23201. والحديث ورد عن سهل بن سعد الساعدي.

(5) في ج: بزيادة الواو قبل "في".

(6) وهي الرواية التي أوردها في كتاب القدر، إلا أنه قال: "بالخواتيم" وفي كتاب الرقاق: "بخواتيمها".

(7) في ج: بزيادة، فيه.

سببي[1] لا يطلع عليه، أو من جهة اعتقاد سببي[2] ونحو ذلك. فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في أجر عمله، فتوجب له حسن الخاتمة. قال عبد العزيز بن أبي رواد[3] : حضرت رجلا عند الموت يلقن لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، قال: فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول: اتقوا الذنوب، فإنها هي التي أوقعته.

وبالجملة فإن الخواتم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق. وقد قيل إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتم، يقولون: بماذا يختم[4] لنا ؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ما[5] سبق لنا.

وبكى بعض الصحابة عند موته / فسئل عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله 46 ظ
صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله قبض خلقه قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النارس، ولا[6] أدري في أي القبضتين كنت[7]. وقال بعض السلف: ما أبكى العيون ما أبكاها الكتاب السابق. وقال سفيان لبعض الصالحين: هل أبكاك قط علم الله فيك ؟ فقال له ذلك الرجل: تركتني لا أفرح أبدا. وكان سفيان يشتد [قلقه من السوابق][8] والخواتم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أم الكتاب

(1) في ب: سيء. وفي ج: شيء.
(2) في ب: سيء. وفي ج: شيء.
(3) واسمه ميمون، وقيل أيمن، وقيل أيمن بن بدر المكي بن أبي صفرة. شيخ الحرم، روى عن نافع وعكرمة وسالم بن عبد الله، وعنه ابنه عبد المجيد وابن مهدي وابن المبارك ... توفي سنة 159هـ، وقيل قريبا من سنة 55. ترجم له ابن سعد في الطبقات الكبرى 39/6 رقم 1625، والبخاري في التاريخ الكبير 303/5-304 رقم 7632. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 394/5 رقم 1830. والمزي في تهذيب الكمال 516/4-517 رقم 4035. والذهبي في سير أعلام النبلاء 184/7-187 رقم 64. وابن حجر في تهذيب التهذيب 239/5-240 رقم 4220.
(4) في ج: تختم.
(5) في ج: ماذا.
(6) في ب: فما.
(7) رواه أحمد عن أبي نضرة. 176/4 رقم 17736 و176-177 رقم 17737.
(8) في د: خوفه، والسوابق ساقطة.

شقيا، ويبكي ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت. وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضا على لحيته، ويقول: يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك. قال حاتم الأصم[1]: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطاء[2] فهو مغتر فلا يامن من الشقاء، الأول خطر يوم الميثاق، حين قال" "هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي"[3]، فلا يعلم من أي الفريقين كان. والثاني: حين خلق في ظلمات ثلاث فنودي الملك بالسعادة أو الشقاوة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء. والثالث: ذكر هول المطلع، ولا يدري أيبشر برضى الله أو[4] بسخطه. والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتا، ولا يدري أي الطريقين يسلك به، وقال سهل التستري: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر.

ومن هنا كان الصحابة ومن بعدهم من السلف يخافون على أنفسهم النفاق، ويشتد خوفهم وجزعهم منه، فالمومن يخاف على نفسه النفاق الأصغر، ويخاف أن يغلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر، كما تقدم أن دسائس السوء الخفية توجب سوء الخاتمة.

---

(1) حاتم بن عنوان، ويقال حاتم بن يوسف، ويقال حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم، أبو عبد الرحمن، روى عن شقيق البلخي وصحبه، وسعيد ابن عبد الله الماهياني. روى عنه عبد الله بن سهل الرازي وأحمد بن خضرويه البلخي وأبو تراب النخشبي، توفي سنة 237هـ. ترجم له السلمي في طبقات الصوفية ص 86-90 رقم 11. والبغدادي في تاريخ بغداد 8/241-245 رقم 4345 والقشيري في الرسالة القشيرية ص 393-394 رقم 6. وابن خلكان في وفيات الأعيان 2/26-29 رقم 148. والذهبي في سير أعلام النبلاء 11/484-487 رقم 128.

(2) في ب، ج: أخطار.

(3) ورد في هذا المعنى بالإضافة إلى الحديث السابق حديثان آخران وقفت عليهما عند الإمام أحمد الأول عن معاذ "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا هذه الآية (أصحاب اليمين) (وأصحاب الشمال) فقبض بيديه قبضتين، فقال: هذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي. 5/239، رقم 22427. والثاني عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم. فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي 6/441، رقم 28036.

(4) في ب: أم.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر[1] أن يقول في دعائه: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، فقيل له يا نبي الله آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا، فقال: "نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف شاء". خرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس[2]. وخرج الإمام أحمد من حديث أم سلمة، أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكثر في دعائه أن يقول: "اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، فقلت: يا رسول الله، أو أن القلوب تتقلب، قال: "نعم (ما من خلق الله تعالى من بني آدم من بشر)[3] إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله عز / وجل أقامه، وإن شاء أزاغه. فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا 47 و بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب". قالت: قلت يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي، قال: "بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، و(أجرني من مضلات الفتن)[4] ما أحييتني"[5]. وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن قلوب بني آدم كلها[6] بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، كقلب واحد، يصرفه حيث شاء، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك"[7]»[8]هـ.

وقد ذكر الفشني هنا مهمة، وقسم فيها المكلفين إلى أربعة أقسام، فقال: «القسم الأول: قوم خلقهم الله تعالى لخدمته ومحبته، وهم الأنبياء والأولياء والمومنون

(1) في ج: كثيرا وهو خطأ.
(2) رواه أحمد في المسند 112/3، رقم 12131. والترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء في أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم 2147.
(3) في ج: ما من بشر من خلق الله تعالى من بني آدم.
(4) في ج: أخرجني من ظلمة الفتن.
(5) رواه أحمد في المسند 302/2، رقم 27111.
(6) ساقطة من ج.
(7) رواه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم 2654. وأحمد في المسند 168/2، رقم 6569.
(8) ما بين قوسين، يعني من قوله: "إشارة إلى أن باطن الأمر" إلى قوله هنا: "طاعتك" وقفت عليه بتمامه عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم. ص 172-175.

والصالحون. القسم الثاني: قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته، وهم الذين عاشوا كفارا، ثم ختم لهم بالإيمان، أو فرطوا مدة حياتهم، وانهمكوا في العصيان، ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة، فماتوا على حال التوبة والإحسان كسحرة فرعون. القسم الثالث: قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته، ولا لجنته، وهم الكفار الذين يموتون على الكفر، حرموا في الدنيا نعيم الإيمان، وفي الآخرة يخلدون في العذاب والهوان. القسم الرابع: قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته، وهم الذين كانوا عاملين بطاعة[1] الله، ثم مكر بهم فطردوا عن باب الله وماتوا على الكفر، نسأل الله السلامة بمنه وكرمه.

واعلم أن أشد ما يهيج خوف الذنوب[2]، خوف السابقة والخاتمة، فإن العبد لا يدري هل سبق له في علم الله السعادة أو الشقاوة، والخاتمة تجري على ما جرت عليه[3] السابقة، فمن سبقت له في علم السعادة ختم له بخاتمة الإيمان، ومن سبق له في علم الله الشقاوة، ختم له بخاتمة الكفر والخذلان. وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب البدع، وأصحاب الآفات الباطنة، والظلمة[4] المجاهرين بالمعاصي، فمن كان في ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنة.

ذكر أن فتى من أصحاب الفضيل بن عياض مات، فرآه الفضيل في المنام فسأله عن حاله، فأخبره أنه مكر به، ومات يهوديا، فقال له: لم ذلك ؟ قال: إني[5] كنت / 47 ظ أظن أني أفضل من أصحابك، فكنت أتكبر عليهم، وكانت بي علة باطنة، فوصف لي شرب الخمر، فكنت أشرب قدحا في كل سنة. وقال سهل بن عبد الله: "خوف الصديقين سوء الخاتمة عند كل خطوة وكل حركة". وكان سفيان الثوري كثير البكاء والجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله عليك بالرجا فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: "أو على ذنوبي أبكي، لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأمثال الجبال من الخطايا". ومرض بعض العارفين فقال لبعض إخوانه: اقعد عند رأسي حتى أموت،

(1) في ج: لطاعة.
(2) في هامش د: القلوب. صححه عن نسخة أخرى وهو الذي عند الفشني.
(3) في ب: به.
(4) في ج: الظلم، وهو خطأ.
(5) في ج: لأني.

فإن مت على الإسلام فاشتر اللوز والسكر وفرقه على صبيان البلد، وقل هذا عرس فلان، وإن لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتي، فقعد عند رأسه حتى مات على الإسلام، فاشترى اللوز والسكر، وفرقه على صبيان البلد. هذا كان خائفا فسلم، ومن لم يخف سلب الإيمان فهو على[1] خطر.

كان حبيب العجمي[2] يقول: "من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة، ثم يبكي ويقول: من لي بأن يختم لي بلا إله إلا الله". وقال الحسن البصري رحمه الله: دخل بعض الفقراء إلى بلاد الروم، فرأى جارية فافتتن بها، فخطبها، فأبوا أن يزوجوه حتى يتنصر، فأجابهم إلى ذلك، فأحضروا له[3] القسيسين وتنصر، فخرجت الجارية وبصقت في وجهه، وقالت له: ويحك تترك دين الحق لشهوة، فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الأبد، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[4]هـ.

قلت: "ذكر الغزالي أن تسعين صديقا انحطت من درجة الصديقية إلى درجة الزندقة لاتخاذ النساء وحبائلهن.

والحديث على هذا من رواية الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود كما في الأم. وذكر الخطيب البغدادي بإسناد صحيح إلى عمرو بن عبيد رأس المعتزلة، أنه لما سمع الحديث قال: لو سمعته من الأعمش كذبته، ولو سمعته من زيد لما صدقته، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته، ولو سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لطرحته، ولو سمعته من رب العزة لقلت ما على هذا أخذنا مواثيقنا، وهذا كفر لاشك فيه"[5]هـ.

---

(1) ساقطة من ج.

(2) حبيب بن محمد العجمي، وعند ابن الملقن: ابن عيسى بن محمد، أبو مد وقيل: أبو مسلم الفارسي أصلا ثم البصري سكنا، أحد الزهاد المشهورين. روى عن الحسن وابن سيرين وعنه سليمان التيمي وحماد بن سلمة. توفي سنة 119، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: "ما علمت فيه جرحا، وإنما ذكرته هنا لئلا يلحق بالزهاد الذين يهمون في الحديث". ترجم له المزي في تهذيب الكمال 50/2، رقم 1082. والذهبي في ميزان الاعتدال 457/1، رقم 1721. وابن الملقن في طبقات الأولياء ص: 182–186 رقم 34. وابن حجر في تهذيب التهذيب 164/2-165 رقم 1156.

(3) ساقطة من د.

(4) المجالس السنية: ص 18.

(5) إكمال إكمال المعلم: 77/7.

تـذيـيـل:

قال ابن المبارك: "الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية"[1]. وسئل الجنيد عن الخوف، فقال: "توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس"[2]. وعن السري: "إني لأنظر إلى أنفي كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود / لما أخاف من العقوبة". وعن عائشة رضي الله عنها: "قلت: يا رسول الله ﴿**الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة**﴾[3] الرجل الذي يسرق"[4] ويزني ويشرب الخمر ؟ قال: لا، ولكن الرجل يصوم ويصلي ويخاف أن لا يقبل منه"[5]. قيل: "ليس الخائف بالذي يبكي ويمسح عينيه، إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه"[6]، و("من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف الله تعالى هرب إليه"[7])[8] قال تعالى في مدح ملائكته: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يومرون**﴾[9]. 48 و

قال الفشني: «ولنختم بقصة برصيصا العابد، ففيها أعظم عبرة، حكي أنه كان له ستون ألفا من التلامذة، وكانوا يمشون في الهواء من بركاته، فمات كافرا، نعوذ بالله تعالى من ذلك. وكان يعبد الله حتى تعجبت الملائكة من عبادته، فقال الله تعالى لهم: لماذا تتعجبون منه ؟ إني أعلم ما لا تعلمون، في علمي أنه يكفر ويدخل النار أبد الآبدين. فسمع إبليس ذلك وعلم أن هلاكه على يده[10]، فجاء إلى صومعته على شبه عابد قد لبس المسح، فناداه، فقال له برصيصا: من أنت وما تريد ؟ فقال: أنا عابد أكون عونا لك على عبادة الله تعالى. فقال له برصيصا: من أراد عبادة الله

(1) الرسالة القشيرية: ص 128.
(2) الرسالة القشيرية: ص127.
(3) المومنون/61. وتمام الآية: ﴿والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلى ربهم راجعون﴾.
(4) في ج: هم الذين.
(5) رواه وابن ماجة في كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، رقم: 3273. والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة المومنين، رقم 3186.
(6) الرسالة القشيرية: ص 126.
(7) نفس المصدر، ص 126، عن أبي القاسم الحكيم.
(8) ما بين قوسين ساقط من ج.
(9) النحل/50.
(10) في ج: يديه.

فإن الله تعالى يكفيه صاحبا، فقام إبليس عليه اللعنة يعبد الله ثلاثة أيام ولم ينم، ولم يأكل، ولم يشرب، فقال برصيصا: أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب، وأنت لا تاكل ولا تشرب، لأني عبدت الله تعالى مائتين وعشرين سنة فلا أقدر على ترك الأكل والشرب، فما حيلتي حتى أصير مثلك ؟ قال: اذهب فاعص الله تعالى ثم تب، فإنه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة، قال: كيف أعصيه، بعد أن عبدته كذا وكذا سنة ؟! قال إبليس عليه لعنة الله وغضبه: الإنسان إذا أذنب يحتاج إلى المعذرة والمغفرة، قال: أي ذنب تشير علي ؟ قال: الزنى، قال: لا أفعل، قال: تقتل مومنا، قال: لا أفعل، قال تشرب مسكرا فإنه أهون وخصمك الله وحده، قال: أين أجده؟ قال: اذهب إلى قرية كذا، فذهب فرأى امرأة جميلة، فاشترى منها الخمر، فشرب وسكر وزنى بها، فدخل عليه زوجها فقتله، ثم إن إبليس تمثل في صورة إنسان وسعى به إلى السلطان فأخذه وجلده، للخمر ثلاثين[1] جلدة، وللزنى مائة جلدة، وأمر بصلبه لأجل الدم، فلما صلب جاء إليه إبليس في تلك الصورة، فقال: كيف ترى حالك؟ قال: من أطاع قرين السوء فحاله هكذا، فقال إبليس: مكثت في بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك، فلو أردت أنزلتك[2]، قال: أرد[3] وأعطيك ما تريد، قال: اسجد لي سجدة، / قال: كيف أسجد على الخشب؟ ! قال: اسجد لي بالإيماء، 48 ظ
فأومأ برأسه ساجدا، نعوذ بالله من ذلك، فلما كفر، قال الشيطان عليه لعنة الله: إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين. اللهم اجعل الإيمان لنا سراجا، ولا تجعله لنا استدراجا، آمين. والحمد لله رب العالمين»[4] هـ.

تـــتـمـيـم:

وحكى ابن جزي في كتابه ذم الهوى[5]: أنه كان رجل مسلم يهوى امرأة نصرانية، فمرض مرض الموت فقال في نفسه: أنا أعشق هذه، ولم أجتمع بها في الدنيا، وإن مت على الإسلام لم أجتمع بها في الآخرة فتنصر، ومات على

(1) عند الفشني: ثمانين، وهو الصواب.
(2) في ج: لأنزلتك.
(3) في ج: أريد، وهو الذي عند الفشني.
(4) المجالس السنية ص 18-19.
(5) كتاب ذم الهوى ليس لابن جزي كما وقع في جميع النسخ، ولكن لابن الجوزي.

النصرانية، وكانت المرأة مريضة، فقالت: إن فلانا كان يهواني ولم يجتمع بي في الدنيا، وأخشى إن مت على دين النصرانية ألا أجتمع به في الآخرة، فأسلمت وماتت في مرضها ذلك"[1]هـ.

فـــوائـــد:

الأولى: قال عروة رضي الله عنه إن آدم أدخل الجنة يوم الجمعة، بعد العصر، والله ما غربت الشمس حتى أخرج[2] منها.

الثانية: اختلف في تقديم خلق الروح على الجسد [وتأخيرها عنه على قولين مشهورين: الأول: تقديم خلق الروح على الجسد][3]، وبه جزم ابن حزم، وادعى فيه الإجماع واستدل له بحديث إسناده ضعيف جدا، وهو "إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد[4] بألفي عام، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. والثاني: ذهب إليه جماعة، واستدلوا بقوله في هذا الحديث: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما" إلى أن قال: "ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح". وأجيب بالفرق بين نفخ الروح وخلقه[5].

الثالثة: مقر الروح في حال الحياة القلب على ما جزم به الغزالي[6]، قال السيوطي[7]: وقد ظفرت له بحديث يشهد له، أخرجه ابن عساكر في تاريخه.

---

(1) ص 408-409، بمعناه ملخصا.

(2) في ب، ج: خرج.

(3) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل أ.

(4) في ب: الخلق.

(5) ذكر العجلوني في كشف الخفاء 1/112-113 أن الراجح تقديم خلق الأرواح على الأجساد، وجاء بدليل ابن حزم وغيره، ثم قال: "قال ابن حجر المكي في فتاواه الحديثية: ما روي عن ابن عباس "أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة" لا أصل له، وأيضا خبر "خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام" ضعيف جدا فلا يعول عليه، قال: نعم صح أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وذلك شامل للأرزاق".

(6) إحياء علوم الدين 3/3 و112/4.

(7) أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الأصل الطولوني الشافعي. من شيوخه الجلال المحلي، والزين العقبي والشرف المناوي، توفي: 911هـ. من مصنفاته الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المزهر في اللغة، الجامع الصغير، حسن المحاضرة ... ترجم له: السخاوي في الضوء اللامع=

وانظر ما قاله الغزالي فإنه لا يأتي على قول جمهور المتكلمين من أنها جسم لطيف شفاف حي لذاته، سار في البدن كماء الورد، وأما مقرها[1] فاستظهر بعض المتكلمين أنها بقرب القلب، ومقرها بعد الوفاة مختلف فيه، فأرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة، لقوله تعالى: ﴿**أولئك المقربون في جنات النعيم**﴾[2] وأرواح السعداء من المومنين قيل: إنها في أفنية القبور، ابن العربي. وهو أصح ما ذهب إليه. قال ابن عبد البر: وهي مع ذلك مأذون لها في التصرف[3] ، تأوي إلى محلها في عليين أو في سجين.

الرابعة: اختلف الأشاعرة والماتريدية في الشقاوة والسعادة، فقال الأشاعرة: هما أزليتان، أي مقدرتان في الأزل، لا يتغيران ولا / يتبدلان، فالسعادة الموت على 49 و
الإيمان، والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الأزلي بهما. فالشقي من علم الله في الأزل موته على الكفر وإن تقدم منه إيمان، [والسعيد من علم الله موته على الإيمان وإن تقدم منه كفر][4] ، وعلى هذا فلا يتصور في السعيد أن يشقى، ولا في الشقي أن يسعد. وقال الماتريدية: السعيد هو المسلم، والشقي هو الكافر، والسعادة الإسلام، والشقاوة الكفر، وعليه فيتصور في السعيد بأن يومن بعد الكفر، وأن السعادة والشقاوة غير أزليتين، ويتغيران ويتبدلان، ويتفرع على ذلك مسألة الاستثناء في الإيمان، هل يجوز للمومن أن يقول أنا مومن إن شاء الله نظرا للمآل[5]، وهو مجهول، وعليه الأشاعرة، والماتريدية لا يجوز، نظرا للحال، ووافقهم على ذلك الإمام مالك، والإمامان أبو حنيفة وأحمد، قالوا: لأن الإيمان يجب فيه الجزم ولا جزم مع التعليق[6] .

= 4/65-70 رقم 203. والغزي في الكواكب السائرة 1/227-232 رقم 461. وابن العماد في شذرات الذهب 8/51-55. والشوكاني في البدر الطالع 1/328-335 رقم 228.

(1) في د، بزيادة: عند النوم.

(2) الواقعة/13–14.

(3) في ب، بزيادة الواو.

(4) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل أ ومن ج.

(5) في أ، ب: للحال.

(6) ذكر ابن تيمية في كتاب الإيمان ص 255 : " أن الاستثناء في الإيمان بقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله؛ الناس فيه على ثلاثة أقوال، منهم من يوجبه ومنهم من يحرمه، ومن يجوز الأمر باعتبارين، وهذا أصح الأقوال". ثم قال في ص 261 : "وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحاب الثوري وابن عيينة وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن=

الخامسة: روى الضحاك عن ابن عباس، أن آدم عليه السلام خلق من طين، فأقام أربعين سنة، ثم صار حمأ مسنونا، فأقام أربعين سنة ثم صار صلصالا، أي طينا يابسا تسمع له صلصلة، أي صوت إذا نقر، فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح. إلاهي محص ذنوبنا بظهور آثار اسمك الغفار[1]، وامح من ديوان الأشقياء شقاءنا، واكتبه عندك في ديوان الأخيار، يا عزيز، يا قهار.

=علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة، فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم، لكن ليس في هؤلاء من قال أنا أستثني لأجل الموافاة". وقال الإمام علي بن أبي العز الدمشقي في شرح العقيدة الطحاوية 498/2 : "وأما من يجوز الاستثناء وتركه فهم أسعد بالدليل من الفريقين، وخير الأمور أوسطها، فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مومن من المومنين الذين وصفهم الله في قوله ﴿انما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية، وقوله ﴿إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ الآية، فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقا للأمر بمشيئة الله، لا شكا في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى". وهو الصواب والله أعلم. وقد ورد عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول:"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" فقيل له: "يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علين" قال: "نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء". رواه الترمذي وأحمد.

(1) في ج: القهار.

الحديث الخامس

«عن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[1].

قال الفشني في افتتاح هذا الحديث: «الحمد لله الذي اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون بها النفوس مطمئنة، وهي لقائلها من النار جنة، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أفضل من رفع الفرض والسنة، وشرع المعروف وسنه، وقطع في طاعات[2] الله عمره وسنه[3] ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أماتوا البدع وأحيوا السنة»[4] هـ.

ثم اعلم أن هذا / الحديث قاعدة جليلة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه 49 ظ
عليه الصلاة والسلام.

وروي في الصحيحين[5] من حديث القاسم بن محمد عن عمته عائشة رضي الله عنها، وألفاظ الحديث مختلفة، ومعناها متقارب.

(1) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، رقم 2697، بلفظ "من أحدث ..." ورواه في الترجمة في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، وفي كتاب البيوع باب النجش بلفظ "من عمل عملا ...". ورواه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم 1718، وأورد الروايتين معا. وأبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة رقم 4606 ، فأورد رواية: "من أحدث" ورواية: "من صنع أمرا على غير أمرنا فهو رد". وابن ماجة في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 14 بلفظ: من أحدث. وأورد الإمام أحمد جميع هذه الروايات، رواه في المسند 146/6، رقم: 14652. 37/6 رقم 24954. 1806، رقم 25986. 240/6 رقم 26561. 256/6، رقم 26721. 270/6، رقم 26860.

(2) في ب، ج، د: طاعة. وعند الفشني: وصرف في طاعة.

(3) في ج: قدم 'وقطع في طاعة ..." على قوله "وشرع المعروف ...".

(4) المجالس السنية: ص 19.

(5) في ج: الصحيح.

وفي بعض ألفاظه: "من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد". وقد خرجه البخاري في كتاب الصلح ومسلم في كتاب الأقضية.

وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: "إنما الأعمال بالنيات" ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل [لا يراد به][1] وجه الله فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عامل لا يكون عمله على أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء. و[سيأتي حديث][2] العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين[3] ، عضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة[4] ضلالة[5] "[6] .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: "أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها"[7]. وقال المصنف في شرح مسلم : "هذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به لذلك"[8] هـ منه.

«وقال غيره[9] : هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع، لأن الدليل يتركب من مقدمتين والمطلوب بالدليل إما إثبات الحكم أو نفيه. وهذا الحديث

(1) في ج: لا يورد فيه.
(2) في ب: "هذا" بدل "سيأتي". و"حديث": ساقطة من ج.
(3) في ج: بزيادة: من بعدي.
(4) في ب: محدث. وهو خطأ لم أقف عليه في رواية.
(5) في ب، ج: بزيادة: "وكل ضلالة في النار".
(6) رواه أحمد في المسند 126/4 رقم 17274. والدارمي في المقدمة، باب اتباع السنة رقم 96. وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم 4607. وابن ماجة في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، رقم 42. والترمذي في كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم: 2685. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
(7) رواه أحمد في المسند 310/3 رقم 14386 و320/3 رقم 14484. والدارمي في المقدمة، باب اتباع السنة، رقم 212. ومسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم 867. وابن ماجة في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم 45. والنسائي في كتاب العيدين، باب كيف الخطبة، رقم 1487. عن جابر بن عبد الله.
(8) شرح صحيح مسلم: 15/12.
(9) في ب: هو.

مقدمة كبرى في إثبات كل حكم شرعي ونفيه، لأن منطوقه مقدمة كلية في كل دليل ناف لحكم مثل أن يقال في الوضوء بماء نجس: هذا ليس من أمر الشرع، وكل[1] ما كان كذلك فهو مردود، فهذا العمل مردود، فالمقدمة الثانية ثابتة بهذا الحديث، وإنما يقع النزاع في الأولى. ومفهومه أن من عمل عملا عليه أمر الشرع فهو صحيح، مثل أن يقال في الوضوء بالنية: هذا عليه أمر الشرع، وكل ما كان عليه أمر الشرع فهو صحيح. فالمقدمة الثانية ثابتة بهذا الحديث، والأولى فيها النزاع؛ فلو اتفق أن يوجد حديث يكون مقدمة أولى في إثبات كل حكم شرعي ونفيه استقل الحديث أن يجمع أدلة الشرع، لكن هذا الثاني لا يوجد فبان أن حديث الباب نصف أدلة / الشرع والله أعلم» هـ. من فتح الباري[2] . 50 و

وفي قول النووي: واستعماله في إبطال المنكرات إشارة إلى أن المردود من البدع والمحكوم ببطلانه منها هو ما ليس له أصل في الشرع بحال. هـ.

«وقبل الشروع فيه نتكلم على شيء من فضائل عائشة رضي الله عنها، تبركا بها، فنقول: هي الصديقية[3] بنت الصديق رضي الله عنه، وهي أم المؤمنين في الاحترام والتعظيم، لا في السفر والخلوة والنظر وما أشبهها، وكذا يقال في سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم، ويقال لها أم عبد الله كناها النبي صلى الله عليه وسلم لما سألته أن يكنيها بابن أختها أسماء، عبد الله بن الزبير، والأصح أنها لم تلد قط، وقيل ألقت سقطا ولم يثبت، وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطبها من أبي بكر قال له: يا رسول الله: إنها صغيرة لا تصلح لك، ولكن أنا أرسلها لك، فإن كانت تصلح فإنها السعادة الكاملة، فقال: إن جبريل أتاني بصورتها على ورقة من الجنة، وقال: إن الله زوجك بهذه، قال: ثم ذهب أبو بكر إلى منزله، وملأ طبقا من تمر وغطاه، وقال: يا عائشة اذهبي بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقولي: يا رسول الله: هذا الذي ذكرته لأبي بكر، إن كان يصلح فمبارك عليك. وكان سن عائشة إذ ذاك ست سنين، قال: فمضت عائشة بالطبق، وهي تظن أن أبا بكر يكني عن التمر،

(1) في الفتح: قال الطرقي.
(2) 5 /642.
(3) عند الفشني: الصديقة.

قالت عائشة: فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغت الرسالة، فقال: قبلنا يا[1] عائشة، وجذب طرف ثوبي[2]، قالت فنظرت إليه مغضبة، ودخلت على أبي بكر فأخبرته بما وقع، فقال: يا بنية، لا تظنين[3] برسول الله صلى الله عليه وسلم ظن سوء، إن الله تعالى قد زوجك به من فوق سبع سماواته، وزوجتك إياه في الأرض. قالت عائشة رضي الله عنها: فما فرحت بشيء أشد (من فرحي)[4] بقول أبي بكر: قد زوجتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها، فكانت أحب الناس عنده.

وفضائلها كثيرة، منها: أن الوحي لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم في فراش امرأة من نسائه غيرها من صواحبتها، وهي أفضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم، روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث / ومائتي حديث وعشرة 50 ظ
أحاديث»[5] هـ.

والصديقية رضي الله عنها هي بنت سيدنا أبي بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، وأمها أم رومان بنت عمير بن عامر من بني دهمان بن الحارث[6] بن غنم بن ملك بن كنانة، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاثة أعوام. روى ابن أبي عاصم عن عائشة قالت: "لما ماتت خديجة قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص، امرأة عثمان بن مظعون: (أي رسول الله ألا تتزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا، قال):[7] فمن البكر؟ قالت[8]: بنت أحب خلق الله

(1) ساقطة من د.
(2) في ج: ثوبها.
(3) في ج: تظني.
(4) في ج: بفرحي.
(5) من قوله: "وقبل الشروع ..." إلى قوله "أحاديث" من المجالس السنية ص 19.
(6) في د: الحرث.
(7) ما بين معقوفتين ساقط من ج.
(8) ساقطة من ج.

إليك، عائشة، قال: فمن الثيب ؟ قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك واتبعتك، قال: فاذهبي[1]، فاذكريهما علي، فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، فوجدت أم رومان، فقالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة، قالت: وما ذلك[2] ؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة، قالت: وددت، انتظري[3] أبا بكر، فجاء أبو بكر، فذكرت له ذلك، فقال: وهل تصلح له، وهي بنت أخيه ؟ فرجعت للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: قولي له: أنت أخي في الإسلام، وابنتك تحل لي، فأنكحه إياها، وهي يومئذ بنت ست سنين"[4] .

وقال أبو عمر: "كانت تذكر لجبير بن مطعم"[5]، وأن أبا بكر قال: كنت أعطيتها مطعما لابنه، فدعني حتى أسألها منهم، فسألها، وبنى بها بالمدينة وهي ابنة تسع.

وفي الصحيح عن الأسود عنها قالت: "تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا بنت ست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع، وقبض وأنا بنت ثمان عشرة"[6]هـ.

وقال ابن شهاب: "تزوجها صلى الله عليه وسلم[7]، وبنى بها في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة"[8] وكانت تستحب أن يدخل نساؤها في شوال[9].

قال أبو عاصم: "وإنما كره الناس الدخول بالنساء في شوال، لطاعون وقع فيه في الزمان الأول"[10].

قال الحافظ الدمياطي: "وتزوجها عليه السلام على متاع بيت قيمته خمسون درهما".

---

(1) في د: اذهبي.
(2) في ب، ج، د: ذاك.
(3) في د، ج: انتظر.
(4) انظر أسد الغابة 186/7-187 والإصابة 232/8.
(5) الاستيعاب 1881/4.
(6) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، رقم 1422.
(7) في ج: بزيادة في شوال.
(8) الاستيعاب 1881/4.
(9) ذكره أبو عمر في الاستيعاب 1882/4.
(10) طبقات ابن سعد 48/8.

ويروى أنه لما بنى عليه السلام مسجده ومساكنه، قال أبو بكر: يا رسول الله، ما يمنعك أن تبني بأهلك ؟ قال: "الصداق". فأعطاه أبو بكر ثنتي عشرة أوقية ونشا، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم[1]، وروى القاسم عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: / "فضلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعشر[2]؛ لم 51 و ينكح بكرا غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء، وجاءه جبريل [بصورتي][3] من السماء في جريدة، وقال: تزوجها فإنها امرأتك، وكنت أغتسل أنا وهو صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك لأحد من نسائه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي، ولم يكن ذلك لغيري، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري، ومات في ليلتي[4]، ولم يشهد وفاته أحد مع ملائكة الله غيري"[5]. قلت وفي الصحيحين عنها: "أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أزواجه أرسلن فاطمة رضي الله عنها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني يسئلنك العدل في بنت أبي قحافة، قال: أي بنية، ألست تحبين ما أحب ؟ قلت: بلى، قال: فأحبي هذه. قالت فاطمة[6]: والله لا أكلمه فيها أبدا"[7].

وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يوما: "يا عائشة: هذا جبريل يقرئك السلام" فقالت: "وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى"[8]. قال البخاري: تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد: 8/50.

(2) في ج، د: بعشرة.

(3) في الأصل: أ: بصورة. وهو خطأ والصواب هو الذي أثبتته من بقية النسخ.

(4) في ج: بيتي.

(5) الطبقات الكبرى لابن سعد 8/50-51.

(6) ساقطة من د.

(7) رواه البخاري في كتاب الهبة وفضلها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض رقم 2581. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رقم 2441. والحديث من رواية عائشة.

(8) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رقم 3768. وفي كتاب الأدب، باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفا رقم 6201. ومسلم في كتاب فضائل =

وقال لأم سلمة: "لا تؤذني[1] في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها"[2]، وأنه صلى الله عليه وسلم قال: "فضل عائشة على النساء كفضل الترید على سائر الطعام"[3].

وفيه أيضا أن عمارا خطب وقال: "إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة"[4]، "وأنها اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر"[5].

وجاء أنها قالت: "يا رسول الله من أزواجك في الجنة" ؟ قال: "أنت منهن"[6].

وكانت رضي الله عنها فاضلة[7] كاملة عاملة[8]، قال مسروق: "رأيت المشيخة من أكابر الصحابة يسئلونها عن الفرائض"[9]. وقال عطاء[10]: "أفقه الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة"[11]. وقال أبو الزناد : "ما رأيت أحدا أدرى بالشعر من

=الصحابة، باب في فضل عائشة، رقم 2447، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الرجل يقول: فلان يقرئك السلام، رقم 5232. والترمذي في كتاب المناقب، من فضل عائشة رقم 3908. وفي كتاب الاستئذان، باب في تبليغ السلام، رقم: 2072. والحديث من رواية عائشة.

(1) في ج: تؤذيني.

(2) رواه أحمد في المسند، 293/6 رقم 27047. البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رقم 3775. وفي كتاب الهبة وفضلها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، رقم 2581. والترمذي في كتاب المناقب، من فضل عائشة، رقم 3905.

(3) رواه أحمد في المسند 156/3، رقم 12625. والدارمي في كتاب الأطعمة، باب في فضل الترید، رقم 2113. البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة، رقم 3770. وفي كتاب الأطعمة، باب الترید، رقم 5419. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، رقم 2446. وابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب فضل الترید على الطعام، رقم 3281. والترمذي في كتاب المناقب، من فضل عائشة، رقم: 3193. والحديث ورد عن أنس.

(4) رواه أحمد في المسند، 265/4، رقم 18521. والبخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة، رقم 3772، وفي كتاب الفتن. باب 18. رقم 7100-7101.

(5) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة، رقم 3771.

(6) الطبقات الكبرى لابن سعد 52/8.

(7) "فاضلة" ساقطة من د.

(8) في ب، ج: عالمة.

(9) الاستيعاب 1883/4.

(10) في ج بزيادة: عائشة.

(11) الاستيعاب 1883/4.

عائشة"[1]. وقيل لعروة: "ما أرواك يا عبد الله" قال: "وما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء[2] إلا أنشأت فيه شعرا، وما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا طب ولا شعر منها"[3]، فمن شعرها حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم:

كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر / 51 ظ
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر.

وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه: "ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا (عندها فيه)[4] علما"[5].

وقال الزهري: "لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل"[6] هـ.

وفي الفردوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة"[7] ولم يذكر له إسنادا. وقال عروة: "رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفا وإنها لترفع جانب درعها"[8]. وعن أم ذرة[9] قالت: "بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مائة ألف فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست، قالت يا جارية، هلمي بفطري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه، فقالت: لا تعنفيني

(1) نفس المصدر 1883/4.
(2) في ج بزيادة: قط.
(3) الاستيعاب 1883/4.
(4) في ج: فيه عندنا.
(5) الإصابة: 233/8.
(6) الاستيعاب 1883/4. الإصابة 233/8.
(7) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، 165/2 رقم 2828. قال الملا علي قاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ص 117، رقم 440 "في الفردوس من حديث أنس: "خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة" ولم يذكر له إسنادا. قلت: لكن معناه صحيح. فإن عندها من شطر الدين اسنادا يقتضي اعتمادا".
(8) الطبقات الكبرى لابن سعد 53/8.
(9) مولاة عائشة، مدنية، روت عن عائشة وأم سلمة، وعنها ابن المكندر، وأبو اليمان الرحال، وعائشة بنت سعد، ترجم لها ابن سعد في الطبقات الكبرى، 353/8 رقم 4683، والمزي في تهذيب الكمال 594/8 رقم 8570، وابن حجر في الإصابة 234/8. وفي تهذيب التهذيب 519/10 رقم 9021.

لو كنت ذكرتني[1] لفعلت"[2] . وعن مصعب بن سعد قال: "فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3] . وفضائلها كثيرة.

توفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة مضت من شهر رمضان، عام ثمان وخمسين[4]، وهي بنت ست وستين سنة، ودفنت بالبقيع ليلا بعد الوتر وصلى عليها أبو هريرة.

وكان مروان اعتمر تلك السنة، فاستخلف أبا هريرة، وأنزلها في قبرها عبد الله بن الزبير وأخوه عروة والقاسم بن محمد وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر خمسة رجال هـ. ملخصا من كتب عدة[5] والله سبحانه أعلم.

ولنرجع إلى شرح الحديث فنقول: قوله، **من أحدث**؛ أي أتى بأمر جديد من قبل نفسه لا مستند له في الشرع.

وقوله: **في أمرنا هذا**، أي[6] (ديننا، وعبر به عن الدين تنبيها على أن أمر الدين هو أمرنا الذي نشتغل به، ونلزم العمل به، وعلى جلالته ورفعته، نظير قوله تعالى: ﴿**ذلك الكتاب**﴾[7] .

وقوله: **ما ليس منه**؛ أي شيئا لا سند له ظاهر أو خفي من كتاب وسنة.

وقوله: فهو رد؛ أي الذي أحدثه مردود، قال المصنف: "قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه فهو باطل غير معتد به. وهذا الحديث كما تقدم قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، / فإنه 52 و

(1) في ج: أدركتني، وفي د: أذكرتني.
(2) انظر طبقات ابن سعد 53/8 والحلية لأبي نعيم 47/2 والإصابة لابن حجر 234/8.
(3) طبقات ابن سعد: 35/8.
(4) وقيل سنة سبع وخمسين.
(5) انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد 8/46-64 رقم 4128. والاستيعاب 4/1881-1885 رقم 4029. وأسد الغابة 7/186-189 رقم 7093. والإصابة 8/231-235 رقم 11461.
(6) في ج بزيادة: في.
(7) البقرة/1، وتمام الآية: "ألم، ذلك الكتاب لا ريب، فيه هدى للمتقين".

صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة وهو أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه[1] بالرواية الأولى يقول أنا ما أحدثت شيئا، فنحتج[2] عليه بالرواية الثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها"[3] هـ.

وقال الأبي" «معنى قوله صلى الله عليه وسلم: **ما ليس منه**، ما ليس من أمره، وهو ما لم يسنه، ولم يشهد الشرع باعتباره فيتناول[4] المنهيات والبدع التي لم يشهد الشرع باعتبارها، وأما التي شهد الشرع باعتبار أصلها فهي جائزة، وهي من أمره كالبدع المستحسنة، وكالاجتماع على قيام رمضان، وكالتصبيح اليوم والتحصير[5] والتأهب، فإن الشرع شهد باعتبار جنس مصلحتها، فإن الآذان شرع (لمصلحة الإعلام بدخول الوقت، والإقامة شرعت للإعلام بالدخول في الصلاة، والتصبيح والتأهب والتحصير[6])[7] من ذلك النوع لما في الثلاثة من مصلحة الإعلام بقرب حضور الصلاة، ولما في التأهب من الإعلام بأنه يوم الجمعة لمن لا شعور عنده بذلك، ويشهد لذلك زيادة عثمان رضي الله عنه آذانا بالزوال يوم الجمعة على ما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم، وزمن الخليفتين بعده، وإنما زاده لمصلحة المبالغة في الإعلام حين كثر الناس. ويحتج بالحديث من يقول أن النهي يدل على فساد المنهي عنه، بأن المنهيات المحرمات[8] ليست من أمره فهي[9] رد؛ أي فاسدة، ويجيب الآخر بأن الحديث خبر واحد فلا يحتج به في المسألة[10].

(1) في ج: إليه: وهو خطأ.
(2) في ج: فتحتج.
(3) شرح صحيح مسلم: 12/14–15.
(4) في د: فتناول.
(5) في ج، د: التحضير. وهو الذي وقفت عليه عند الأبي.
(6) في د: التحضير.
(7) ما بين قوسين ساقط من ج.
(8) في ج: المحرمة.
(9) في ج: فهذا.
(10) قال النووي في شرح مسلم 12/15 "وهذا جواب فاسد"... وقال السبكي في جمع الجوامع ص 66-67 : "خبر الواحد لا يفيد العلم إلا بقرينة، وقال الأكثر لا مطلقا، وأحمد يفيد مطلقا ... يجب العمل به في الفتوى والشهادة إجماعا، وكذا سائر الأمور الدينية. قيل سمعا وقيل عقلا، وقالت =

قلت: ينبني على ذلك الخلاف في مسائل أصول الفقه، هل[1] يكفي فيها الظن أو لا بد من القطع[2]، وفي ذلك قولان: الأقرب أن ما يرجع من مسائله إلى القواعد الكلية ككون الإجماع حجة وغير ذلك من قواعده الكلية فهي قطعية، فلا يتمسك فيها بالآحاد، وما يرجع منها إلى جزئيات القواعد فهي ظنية، والأقرب في أن النهي يدل على الفساد أو لا يدل أنه من قواعده الكلية.

عياض: "وفائدة الخلاف أن من يراه يدل على الفساد وهو مذهب معظم الفقهاء يقول إن المنهي عنه إذا وقع فيقع لذات المنهي، ومن يراه لا يدل وهو مذهب أكثر المتكلمين، يقول إنما يدل على المنع من[3] الفعل، وأما الفساد والفسخ فلدليل آخر. ومعنى فهو رد عندهم غير موافق للسنة[4]، وصاحبه غير مأجور"[5]»[6]هـ.

فالحديث دال بمنطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمره / فهو مردود، (ويدل 52 ظ
بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود)[7]، فأعمال العاملين كلها تكون تحت أحكام الشريعة، وهي حاكمة عليها بأمرها ونهيها[8]، فمن كان عمله جاريا تحتها موافقا لها فهو مقبول، ومن كان خارجا عنها فهو مردود. والأعمال قسمان: عبادات ومعاملات، فأما العبادات فما كان منها خارجا عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله، وعامله يدخل تحت قوله تعالى: ﴿أم لهم

=الظاهرية لا يجب مطلقا والكرخي في الحدود، وقوم في ابتداء النصب، وقوم فيما عمل الأكثر بخلافه، والمالكية فيما عمل أهل المدينة، والحنفية فيما تعم به البلوى أو خالفه رواية، أو عارض القياس، وثالثها في معارض القياس إن عرفت العلة بنص راجح عن الخبر ووجدت قطعا في الفرع لم يقبل أو ظنا، فالوقف وإلا قبل، والجبائي لابد من اثنين أو اعتضاد، وعبد الجبار لابد من أربعة في الزنى".

(1) في ج بزيادة: لا، وهو خطأ.
(2) في ج: الظن، وهو خطأ.
(3) في ج: "الواو": بدل "من"، وهو خطأ.
(4) في ج: لسنته.
(5) إكمال المعلم 5/576.
(6) إكمال إكمال المعلم، 5/21-22.
(7) ما بين قوسين ساقط من ج.
(8) في أ: أن نفيها.

شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾[1]، فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله فعمله باطل مردود عليه، وهو شبيه بحال الذين[2] كانت صلاتهم عند البيت مكاء[3] وتصدية، وهذا كمن تقرب إلى الله تعالى بسماع الملاهي أو بالرقص، أو بكشف الرأس في غير الإحرام، وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله ورسوله التقرب بها بالكلية، وليس ما كان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقا. وأما المعاملات فالعقود والفسوخ ولها صور كثيرة.

ثم اعلم أن العلماء قسموا البدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة، وذلك باعتبار مدلولها لغة، وهو إحداث ما لم يكن في العصر الأول، وأما في الاصطلاح فلا تكون إلا محرمة أو مكروهة؛ لأن فيها إحداث أمر في الدين يظن أنه منه، وليس به[4]، فالأول كالمكوس، والثاني كالزيادة (على الصاع في الفطرة)[5] أو على عدد التسبيح إثر الصلوات، إذ أصول الشريعة تأبى ذلك تحريما وإكراها. أما ما[6] استند لشرع يقتضي الوجوب كتدوين القرآن والشرائع حيث خيف عليها الضياع لوجوب تبليغها علينا لمن بعدنا[7] فواجب. أو الندب كالتراويح فمندوب. فإن لم يستند لشيء مما ذكر فمباح، كاتخاذ المناخل، وبعض الملابس كالطيلسان، وقال الأسيوطي: "لبسه سنة"، وألف فيه الأحاديث الحسان في لبس الطيلسان[8]، وكالأكل بالمعالق[9] : "حضر أبو يوسف مائدة الرشيد فدعا

(1) الشورى/19: وتمام الآية: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لم من الدين ما لم يأذن به الله، ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم، وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾.

(2) في ج: من.

(3) المكاء مخفف الصفير، وقد مكا يمكو مكوا ومكاء، صفر، قال تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾. انظر الصحاح للجوهري 2495/6، مادة [مكا].

(4) في ج: منه.

(5) في ج: في الصاع على الفطرة، وهو خطأ.

(6) في ج: من.

(7) في ج: يأتي.

(8) الطيلسان بفتح اللام، واحد الطيالسه، والهاء في الجمع للعجمة، لأنه فارسي معرب، والعامة تقول الطيلسان بكسر اللام، فلو رخمت هذا في النداء لم يجز، لأنه ليس في كلامهم فيعل بكسر العين إلا معتلا نحو سيدوميت. والطيلسان الأسود: انظر الصحاح للجوهري 944/3 وتاج العروس للزبيدي 202/16 مادة [طلس].

(9) في ب، ج: المعاليق. =

بالمعالق[1]، فقال: يا أمير المومنين قد جاء عن جدك ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾[2]، جعلنا لهم أصابع ياكلون بها، فردها". قاله في الكشاف[3].

ولابن غازي[4] رحمه الله في تقسيم البدع:

كن تابعا ووافقن من اتبع ... وقسمن لخمسة هذا[5] البدع
واجبة كمثل كتب العلم ... ونقط مصحف لأجل الفهم / 53 و
ومستحبة كمثل الكانس ... والجسر[6] والمحراب والمدارس[7]
ثم مباحة[8] كمثل المنخل[9] ... وذات كره كخوان المأكل
ثم حرام كاغتسال بالفتات[10] ... وكاسيات عاريات مائلات

فالحديث على هذا كما قال المصنف من العام المخصوص، وقد قال عليه السلام: "من سن سنة حسنة"[11] الخ.

=والمعالق؛ العلاب الصغار واحدها معلق، والمعاليق كل ما علق، والملاعق جمع ملعقة وهي ما لعق به. فالصواب إذن أن يقال المعالق أو الملاعق. انظر الصحاح للجوهري 1531/4 مادة [علق]، 150/4 مادة [لعق]، ولسان العرب لابن منظور 265/10 مادة [علق] 330/10 مادة [لعق].

(1) في ب، ج: بالمعاليق.

(2) الإسراء/70، وتمام الآية: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾.

(3) للزمخشري: 680/2.

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي، ثم الفاسي، توفي 919 هـ، من مصنفاته: تكميل التقييد وتحليل التعقيد على المدونة، إرشاد اللبيب إلى مقاصد الحبيب، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. ترجم له ابن القاضي في لقط الفرائد: 830/2، والتنبكتي في نيل الابتهاج 581، والقرافي في توشيح الديباج، وفي طبقات المالكية لمجهول، ص 456، والكتاني في سلوة الأنفاس 73/2-77، وابن زيدان في إتحاف أعلام الناس 2/4 رقم 11.

(5) في ج: هذي.

(6) في ج: الحبس.

(7) في ج: المداريس.

(8) في ج: إباحة.

(9) في ج: النخل.

(10) في أ، ب، بالتفات.

(11) رواه أحمد في المسند 357/4 رقم 19369. والدارمي في المقدمة، باب من سن سنة حسنة، رقم 529. ومسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة رقم 1017. وفي كتاب الزكاة، باب الحث على=

قال الأبي: "يدخل في البدع المستحسنة"[1] كما تقدمت الإشارة إليها. وقد بسط القول فيها الإمام الزقاق[2] وذكر لها أمثلة إلى أن قال في آخرها:

وفي نفير الصوم والبوق نقل ... تردد تأمل الذي عمل
به من العلام[3] والفنار ... والشبه زن وقسه بالمعيار[4]

وقال قبله:

تنبيه اعلم في الدعا تردد ... اثر الصلاة باجتماع يوجد
وقيل إن لها أضيف منعا ... وحسنه إن لم يضف قد سمعا[5]
وهل دعا الآذان ليلا والندا ... لها بغير لفظه وما بدا
من قوله أصبح ولله حمد ... مستحسنات لأنعم ذا فاعتمد
لشاهد الشرع بأن الجنسا ... معتبر فطب بذاك نفسا[6]

قال الإمام المنجور[7] في شرحه: «قال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي[8]: بدعة التزام الدعاء عقب الصلوات دائما على الهيئة الاجتماعية بلغت ببعض أصحابها

= الصدقة، رقم 69. وابن ماجة في المقدمة، باب من سن سنة حسنة رقم 203. والنسائي في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة رقم 2394 عن جرير بن عبد الله.

(1) إكمال إكمال المعلم 215.

(2) علي بن القاسم بن محمد التجيبي الفاسي المعروف بالزقاق، أبو الحسن، صاحب اللامية المشهورة بالزقاقية، والمنهج المنتخب إلى أصول المذهب. توفي 912هـ. ترجم له: التنبكتي في نيل الابتهاج 343، وابن القاضي في جذوة الاقتباس 476/2، وفي درة الحجال 252/3 رقم 1289، وترجمته كذلك في طبقات المالكية ص 456، وترجم له الكتاني في سلوة الأنفاس 84/2.

(3) في ج، د: العلم.

(4) شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، ص: 709 و713.

(5) نفس المصدر – ص: 693.

(6) نفس المصدر ص: 702.

(7) أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور المكناسي النجار، الفاسي الدار والقرار، أخذ عن ابن هارون وعبد الواحد الونشريسي والزقاق وعن اليسيتيني وهو عمدته. وعنه أبو العباس ابن القاضي وغيره، توفي سنة 995هـ. من مؤلفاته: شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، وفهرستان، وحاشية كبرى وصغرى على السنوسي في العقائد ... ترجم له ابن القاضي في درة الحجال 156/1-163 رقم 186. والكتاني في سلوة الأنفاس، 60/3-62، والكتاني في فهرس الفهارس 566/2-567 رقم 323، وابن زيدان في إتحاف أعلام الناس 319/1-322.

(8) أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. الإمام المالكي. توفي 790هـ، وفي لقط الفرائد ووفيات الونشريسي أنه توفي: 798هـ. من مصنفاته: الموافقات،=

إلى أن كان الترك لها موجبا للقتل عنده. حكى القاضي أبو الخطاب بن الخليل حكاية عن أبي عبد الله بن مجاهد العابد، أن رجلا من عظماء الدولة وأهل الوجاهة فيها، كان موصوفا بشدة السطوة وبسط اليد، كان نزل بجوار ابن مجاهد وصلى خلفه في مسجده الذي كان يؤم[1] فيه، وكان لا يدعو في أخريات الصلوات تصميما في ذلك على المذهب، يعني مذهب مالك لأنه مكروه في مذهبه[2] ، وكان ابن مجاهد محافظا عليه، فكره ذلك الرجل منه ترك الدعاء، فأمره أن يدعو فأبى وبقي على عادته في تركه في أعقاب الصلوات، / فلما كان في بعض الليالي صلى 53 ظ
ذلك الرجل العتمة[3] في المسجد، فلما انقضت الصلاة وخرج ذلك الرجل إلى داره قال لمن حضره من أهل المسجد: قد قلت لهذا الرجل يدعو بعد الصلوات فأبى[4] ، فإذا كان في غدوة غد ضربت رقبته بهذا السيف، وأشار إلى سيف في يده، فخافوا على ابن مجاهد العابد من قوله لما علموا، فرجعت الجماعة بجملتها إلى ابن مجاهد، فخرج إليهم فقال: ما شأنكم ؟ فقالوا: والله لقد خفنا عليك من هذا الرجل، وقد اشتد الآن غضبه عليك في تركك الدعاء، فقال لهم: لا أخرج عن عادتي، فأخبروه بالقصة، فقال وهو مبتسم: انصرفوا ولا تخافوا فهو الذي تضرب عنقه غدوة غد بذلك السيف بحول الله، ودخل إلى داره وانصرفت الجماعة ذعرا من قول ذلك

= والاعتصام. ترجم له: الونشريسي في الوفيات 703/2، والتنبكتي في كفاية المحتاج: 14. وفي نيل الابتهاج: 84، وابن القاضي في لقط الفرائد 703/2. وترجمته كذلك في طبقات المالكية لمجهول: 428. وترجم له: محمد مخلوف في شجرة النور الزكية: 231, رقم 828.

(1) في ج: يصلي.

(2) قال خليل في المختصر ص 30 : "وكرها بفرض كدعاء قبل قراءة، وبعد فاتحة وأثناءها، وأثناء سورة وركوع، وقبل تشهد وبعد سلام إمام وتشهد أول". ونقل العلامة عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة عن الإمام ابن لب في الرد على من كره الدعاء عقب الصلاة "ص 9": "غاية ما يستند إليه منكر الدعاء أدبار الصلوات: أن التزامه على ذلك الوجه، لم يكن من عمل السلف، وعلى تقدير صحة هذا النقل فالترك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك، إلا جواز الترك وانتفاء الحرج فيه، وأما تحريم أو لصوق كراهية بالمتروك فلا، ولاسيما فيما له أصل جملي متقرر من الشرع كالدعاء"، وهو الصواب، والله أعلم، وليس أدل على ذلك أنه لم يقل أحد بكراهة الدعاء في السجود، مع أنه داخل في الصلاة، سواء بالأدعية الواردة في السنة أو بغيرها وبأي لفظ شاء الإنسان، وصلاته مجزئة صحيحة، فالأولى أن لا يمنع بعدها، وقد خرج من الصلاة.

(3) ساقطة من ج.

(4) في ب، د بزيادة: ذلك.

الرجل، فلما كان مع الصبح من الغد وصل إلى دار الرجل قوم من صنفه مع عبيد المخزن، وحملوه حمل المغضوب عليه، وتبعه قوم من أهل المسجد ومن علم حال البارحة حتى وصلوا به إلى دار الإمارة بباب جوهر من اشبيلية، وهناك أمر بضرب رقبته، فضربت بسيفه ذلك تحقيقا للإجابة وإثباتا للكرامة»[1]هـ.

وقال الفشني: «قيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: لا تجالس أهل الهوى فيحدثوا في قلبك ما لم يكن. وقال سهل بن عبد الله: "من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن". وقال الدقاق: "من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة، ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعا يذكر عنده[2] باطلا فيوقع في قلبه شبهة".

وفي الحديث: "من أحب سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة"[3]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾[4] أن الحكمة هنا السنة[5]. وحكي عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال: "كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء، فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر"[6]، فلم أتجرد فرأيت[7] تلك الليلة في المنام قائلا يقول لي: أبشر يا أحمد فإن الله قد غفر لك باستعمال السنة، فقلت: من أنت ؟ فقال: جبريل، وقد جعلك الله إماما يقتدى بك". ويحكى أيضا عن بعضهم أنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم[8].فقلت: يا رسول الله، عسى أن تشفع

(1) شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، ص 701-702.
(2) في ب: عنه.
(3) الذي وقفت عليه: "من أحيا سنتي ..." عن أنس، رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم 2687.
(4) البقرة/128، وتمامها ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.
(5) انظر تفسير ابن كثير 324/1، ونقله عن الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وأبي مالك وغيرهم.
(6) رواه أحمد في المسند 361/3، رقم 14706 والترمذي في كتاب الأدب، باب ما جاء في دخول الحمام، رقم 2810، والنسائي في كتاب الغسل والتيمم، باب الرخصة في دخول الحمام رقم 338. والحديث من رواية جابر بن عبد الله.
(7) في ج: فلقيت.
(8) في د بزيادة: في المنام.

لي، فقال لي: قد شفعت لك، قلت[1] : متى ؟ قال: من اليوم الذي أحييت فيه / سنتي، وقد كانت أميتت. 54 و

قال ابن عبد السلام رضي الله عنه: "ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، فتحيى البدعة وتموت السنة".

وفي الحديث: "من مشى إلى صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام"[2].

فيجب على من من الله عليه بالاتباع[3] أن يجتنب سبيل ذوي الابتداع، وأن يقف على الكتاب والسنة والإجماع»[4].

تـتـمـة:

قال أبو العباس الإبياني[5] من علماء الأندلس : "ثلاث لو كتبن على الظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة، اتبع ولا تبتدع، اتضع ولا ترتفع، من ورع لا يتسع".

وروى الديلمي عن ابن مسعود: "عمل قليل في سنة، خير من عمل كثير في بدعة"[6]. وروى ابن ماجة عن حذيفة مرفوعا: "لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة، ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا، ولا صرفا ولا عدلا، يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين"[7].

---

(1) في ج: د، فقلت.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير 96/20 رقم 188. وأبو نعيم في الحلية 97/6.

(3) في د: في الاتباع.

(4) المجالس السنية: ص 20.

(5) أبو العباس عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن اسحاق التونسي المعروف بالإبياني، كذا يقال بكسر الهمزة وتشديد الباء، وقيل صوابه تخفيفها، تفقه بيحيى بن عمر وأحمد بن أبي سليمان، وروى عنه الأصيلي وسعيد بن ميمون وابن أبي زيد. توفي سنة 352، وقيل 361. ترجم له القاضي عياض في ترتيب المدارك 10/6-18. وابن فرحون في الديباج 425/1-427. ومحمد مخلوف في شجرة النور ص 85 رقم 173.

(6) الفردوس: 41/3 رقم 4098.

(7) رواه ابن ماجة في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم 49.

وروى الطبراني عن عبد الله بن بشر[1]: "من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام"[2].

وقال أبو عثمان الحيري[3]: "من صح إيمانه يهدي الله قلبه لاتباع السنة". وقال سهل بن عبد الله: "من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن"هـ.

قال الفشني: «خاتمة: حكى المالقي في شرحه، أن هارون الرشيد وجه إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، فاستعظمه ليرخص له في نكاح الجارية التي تركها أخوه موسى الهادي[4]، وكان استحلفه أنه متى أفضت الخلافة إليه لا يقربها، فحلف له هارون بأيمان كثيرة، منها المشي إلى بيت الله الحرام حافيا على قدمه، والقصة مشهورة عند أهل التاريخ. فلما مات الهادي[5] طلب هارون رخصة في نكاحها، فلم يسعفه الشافعي، فتوعده وهدده، فانصرف عنه وقد غامره بعض رعب، فمازال يصلي حتى غلب عليه النوم في مصلاه، فرأى كأنه قائم بين يدي الله تعالى، فنودي: يا محمد تثبت على دين محمد، وإياك إياك أن تحيد فتضل وتضل، ألست بإمام القوم، لا وجل عليك منه، إقرأ: ﴿**انا جعلنا في اعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون**﴾[6]. قال فاستيقظت وأنا أقرأها، فلما كان وقت صلاة الصبح صليت الفريضة ثم وجدت في نفسي كسلا، فقيل لي: هارون توجه عنك فلا تخف مادمت سنيا، واقرأ في نفسك إذا مشيت دعاء الطائف، فإنك لا ترى منه إلا خيرا، فانتبهت ووجدت أقول: "اللهم إني أشكو إليك / ضعف قوتي وقلة 54 ظ
حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى صديق يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن لك علي غضب فما أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي

(1) في ب: بشير.
(2) وقفت عليه عند الطبراني في الأوسط من رواية عائشة. 693/7 رقم 6768.
(3) في ج: الجيدي، وهو خطأ.
(4) في ج: البادي، وهو خطأ. عند الفشني كذلك الهادي.
(5) في ج: البادي.
(6) يس/7.

سخطك، لك الحمد حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"[1]، قال: فما أكملت قراءته حتى سمعت قرع الباب فخرجت[2]، فوجدت الربيع ابن وزيره، فقال: يا سيدي، الخليفة يامرك بالوصول إليه، فمشيت معه، فلما وصلت بقربه، قام[3] إلى فرحب بي وتبسم وقال لي[4]: نعم المسلم أنت، ونعم الإمام مثلك، لا تاخذه[5] في الله لومة لائم، اعلم يا فقيه أني عوتبت الليلة في حقك، فانصرف راشدا، فأنت الملحوظ والمحفوظ. وأمر له بعشرة آلاف دينار وفرقها بين يديه وانصرف رضي الله عنه، وهذا كله ببركة التمسك بسنة سيد المرسلين أماتنا الله عليها»[6] آمين.

تـنـبـيـه:

من البدع المحرمة، النظر في النجوم والعمل بها. قيل إنه لما أراد سيدنا علي لقاء الخوارج، قال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار، فقال له علي كرم الله وجهه: ولم ؟ قال: إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء، وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها، ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت، فقال علي كرم الله: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج به بآيات من التنزيل، فمن صدقك في هذا القول لا آمن عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ندا أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، ثم قال له: نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا[7] عنها. ثم أقبل على الناس وقال: يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، والله إن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها، لأدخلنك في السجن ما بقيت وبقيت، ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها، فلقي القوم وقتلهم، وهي واقعة النهروان. / 55 و

(1) هذا هو دعاء الطائف، ذكره ابن هشام في السيرة النبوية 2/232-234. ورواه الطبراني في المعجم الكبير 25/346.

(2) ساقطة من ج.

(3) في ب: قال، وهو خطأ.

(4) ساقطة من ج.

(5) في ج: تأخذك.

(6) المجالس السنية: ص 20-21.

(7) في ج: نهيتنا.

الحديث السادس

«عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما متشابهات[1] لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك[2] حمى، و[3]حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". رواه البخاري ومسلم»[4].

افتتح الفشني هذا الحديث بقوله: «الحمد لله الملك المتعال المنزه عن الشركاء والأمثال، الذي بين لعباده الحرام من[5] الحلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تصلح القلب واللسان[6] من فساد الأفعال، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الذي طهره الله ظاهرا وباطنا، ووصفه فوق ما يقال، فهو النبي المصطفى، والحبيب المجتبى، والهادي من الضلال، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بالغدو والآصال»[7]هـ.

---

(1) في د: مشتبهات.

(2) ساقطة من ج.

(3) في د: ألا وإن حمى ...

(4) رواه أحمد في المسند 267/4 رقم 18537. و269/4 رقم 18558 و270/4 رقم 18564 و271/4 رقم 18574 و275/4 رقم 18608. والدارمي في السنن في كتاب البيوع، باب في الحلال بين والحرام بين رقم 2573. والبخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم 52. وفي كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين رقم 2051. ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم 1599. وأبو داود في كتاب البيوع، في اجتناب الشبهات رقم 3329 و3330. وابن ماجة في كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات رقم 3984.والترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في ترك الشبهات رقم 1209. والنسائي في كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب رقم 4148. والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب البيوع، باب كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أو ثمن المحرم 334/5. باب طلب الحلال واجتناب الشبهات 264/5.

(5) في ب: الواو بدل من.

(6) في ج، د: اللسان والقلب.

(7) المجالس السنية. ص 21.

ثم اعلم أن هذا حديث جليل، «عظم العلماء شأنه وعدوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام، كما نقل عن أبي داود، وفيه البيتان المشهوران وهما:

عمدة الدين عندنا كلمات مسندات من قول خير البرية
اتق[1] الشبهات وازهد ودع ما ليس بيعنيك واعملن بنية[2]

والمعروف عن[3] أبي داود: "عد[4] ما نهيتكم عنه فاجتنبوه" الحديث، بدل "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"[5] المذكور ثانيا في البيتين، وجعله بعضهم ثالث ثلاثة، وأسقط هذا الثاني. وأشار ابن العربي إلى أنه يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه[6] »[7].

وخرجه البخاري في الإيمان وفي البيوع، كلاهما بلفظ "الحلال بين" بدون "إن"، وكذا الترمذي، وثبتت "إن" عند مسلم وأبي داود.

ولنقدم التعريف بالصحابي الجليل راوي الحديث: «وهو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن كعب[8]، بن الحارث[9] بن الخزرج الأنصاري. كان رضي الله عنه / كريما جوادا شاعرا. يروى أن أعشى همدان تعرض ليزيد بن معاوية 55 ظ فحرمه، فمر بالنعمان بن بشير وهو على حمص، فقال: ما عندي شيء، ولكن معي عشرون ألفا من أهل[10] اليمن، فإن شئت سألتهم لك، قال: قد شئت، فصعد

(1) في فتح الباري: اترك.
(2) هذان البيتان للحافظ أبي الحسن طاهر بن مفوز المعافري الأندلسي (ت 484هـ). كما ذكر ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ص 63.
(3) في ج: عند.
(4) في أ، ج: عند، وهو خطأ، وأثبتت الصواب من ب، د.
(5) الحديثان من الأحاديث الأربعين. سيأتي تخريجهما في محلهما من الشرح.
(6) قال ابن العربي في عارضة الأحوذي 160/5 "تكلم الناس على هذا الحديث، فمنهم من جعله ثلث الإسلام، ومنهم من جعله ربعه، وأكثروا في التقسيمات وأكثرها محكيات تحتمل الزيادة والنقص على الجملة، فإن المعاني مشتركة، فلو قال قائل إنه نصف الإسلام لوجد لذلك وجها من الكلام، حتى لو غالى مغال فقال: إنه جملة الدين لما عدم وجها ان يعد في التبيين، ولكن هذه المعاني داخلة مدخله لتعاطيها في المتكلفين، وينبغي أن يؤتى كل شيء في بابه، ويقدر في نصابه".
(7) فتح الباري: 176/1.
(8) في الإصابة: ابن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري.
(9) في ج: حارث، وفي د: الحرث. والذي وقفت عليه عند ابن عبد البر: الحارث.
(10) ساقطة من ج.

النعمان المنبر واجتمع إليه أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر أعشى همدان فقال: إن أخاكم أعشى همدان قد أصابته حاجة، ونزلت به جائحة، وقد عمد إليكم فما ترون ؟ قالوا: دينار دينار على كل أحد، فقال: لا ولكن بين اثنين دينار، فقالوا: رضينا، فقال: إن شئتم عجلتها له من بيت المال من عطاياكم وقاصصتكم إذا خرجت عطاياكم، قالوا: نعم، فأعطاه النعمان عشرة آلاف دينار من عطاياهم، فقبضها أعشى همدان وأنشأ يقول:

ولم أر للحاجات عند التماسها[1] كنعمان نعمان[2] الندا ابن بشير
(إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ككاذبة الأقوام حبل[3] غرور)[4]
متى أكفر النعمان لم أك شاكرا ولا خير في من لم يكن بشكور[5]

ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة، وهو أول مولود ولد للأنصار بعدها، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، ولي الكوفة وحمص لمعاوية وولده يزيد، وخرج منها (بعد موت يزيد)[6] هاربا لما دعا لابن الزبير وخالفوه، فاتبعه خالد الكلاعي فقتله غيلة سنة أربع أو خمس أو ست وستين سنة، وله أربع وستون سنة» هـ من الاستيعاب[7].

قوله: الحلال، اختلف العلماء في حد الحلال ما هو، فقال الشافعي ومالك: ما لم يرد بتحريمه دليل، وقال أبو حنيفة: ما دل الدليل على حله، وثمرة الخلاف تظهر

---

1) في الاستيعاب: انكماشها. وفي هامشه من نسخة أخرى: التماسها.
(2) ساقطة من الاستيعاب، وفي أسد الغابة: أعني ذا الندى ابن بشير.
(3) في ج: حمل، وهو خطأ.
(4) الذي وقفت عليه في الاستيعاب وكذا في أسد الغابة:
إذا أوفى بالمقال ولم يكن كمدل إلى الأقوام حبل غرور
وفي هامشه من نسخة أخرى: ككاذبة الأقوام ...
(5) في د: بزيادة: انتهى من الاستيعاب.
وقد وقفت على هذه القصة عند الأصفهاني في الأغاني 716, عند ذكر أخبار النعمان بن بشير ونسبه، كما ذكر الأبيات إلا أنه قال في البيت الأخير:
متى أكفر النعمان لا ألف شاكرا وما خير من لا يقتدى بشكور
(6) ما بين قوسين ساقط من ج.
(7) الاستيعاب 4/1496-1500 رقم 2614. وانظر ترجمته كذلك في الطبقات الكبرى لابن سعد 6/122 رقم 1930، وفي أسد الغابة 5/310-312 رقم 5237، وفي الإصابة 6/346-347 رقم 8749.

فيما سكت عنه، فعند مالك والشافعي: هو من الحلال، لأنه الأشبه بيسر الدين، ويدل له قوله تعالى: ﴿**قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما**﴾[1] الآية. وعند أبي حنيفة: هو من الحرام، فتعريفه للحلال أخص من تعريف الإمامين.

قوله: بين، أي ظاهر واضح في عينه ووصفه، يعرفه كل أحد فلا[2] اشتباه فيه ولا خفاء في حله، وهو ما انتفى عنه وصف الحرمة.

قوله: **وإن الحرام بين**؛ أي واضح، وهو ما لم تنتف عن ذاته صفة محرمة له، وهو ما منع منه[3] شرعا اتفاقا، / إما لصفة في ذاته ظاهرة كتحريم بعض الحيوان دون بعض، 56 و وذكاة المجوس، وإما لخلل في تحصيله، كالمغصوب وبيع الغرر والربا.

قوله: **وبينهما أمور**، جمع أمر؛ أي شؤون وأحوال **مشتبهات** بوزن مفتعلات، جمع مشتبه، أي اشتبه أمرها لتعارض الأدلة فيها "أي تشتبه على بعض الناس دون بعض، لا أنها مشتبهات في نفسها على كل الناس لا بيان لها، بل العلماء يعرفونها، كما يدل عليه ما بعده" [قاله الخطابي][4].

وفي رواية مشبهات[5]، بوزن معظمات، أي شبه الأمر فيها، ويروى متشابهات[6] كلفظ الآية[7].

لا يعلمها؛ أي لا يعلم حكمها من تحليل أو[8] تحريم كثير من الناس.

---

(1) الأنعام/146: وتمام الآية: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه، إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس، أو فسقا أهل لغير الله به، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾.

(2) في ج: بلا.

(3) في ج: حله.

(4) ما بين معقوفتين ساقط من أ، ب، ج. وقد أثبتته من د. ووقفت على قول الخطابي في معالم السنن 3/56-57.

(5) وهي رواية البخاري في كتاب الإيمان. وأبي داود في كتاب البيوع.

(6) هي رواية الدارمي في كتاب البيوع.

(7) وهو قوله تعالى في سورة آل عمران/7: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه، آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ الآية.

(8) في ب: الواو بدل أو.

ورواه الترمذي: "وبين ذلك أمور [مشتبهات][1]، لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام".

ومفهوم كثير من الناس أن منهم من يعرفها، قال تعالى: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**﴾[2] قال مجاهد: "لكل شيء أمروا به أو نهوا عنه"[3]. وقال تعالى: ﴿**يبين الله لكم أن تضلوا، والله بكل شيء عليم**﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿**وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم**﴾[6] الخ.

ووكل الله سبحانه وتعالى ما أشكل من التنزيل إلى الرسول، كما قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر**﴾[7] الآية، وما قبض عليه السلام حتى أكمل له ولأمته الدين. قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾[8] الآية، وقال عليه الصلاة والسلام: "تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"[9]. وقال العباس: "ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترك السبيل نهجا واضحا، وأحل الله الحلال، وحرم الحرام"[10].

وبالجملة فما ترك الله ورسوله حلالا إلا مبينا، ولا حراما إلا مبينا، لكن بعضه كان أظهر بيانا من بعض. فما ظهر بيانه لم يبق فيه شك، وما كان بيانه دون ذلك فمنه ما

---

(1) في أ، ج: مشبهات، والصواب الذي أثبتته من ب، د. وتحققت منه عند الترمذي.

(2) النحل/89 : وتمام الآية: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء، ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.

(3) تفسير الطبري 108/14. وتفسير ابن كثير: 218/4.

(4) النساء /175. جزء آية.

(5) الأنعام/120، وتمام الآية: ﴿وما لكم ألا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه، وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم، إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾.

(6) التوبة/116: وتمام الآية: ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، إن الله بكل شيء عليم﴾.

(7) النحل 4/4، وتمام الآية: ﴿بالبينات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾.

(8) المائدة/4. جزء آية.

(9) رواه أحمد في المسند 126/4 رقم: 17276. وابن ماجة في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، رقم: 34. والحديث من رواية العرباض بن سارية

(10) رواه ابن سعد في الطبقات 204/2.

اشتهر بين حملة الشريعة خاصة، فأجمع العلماء على حله أو حرمته، وقد يخفى على بعض من ليس منهم. و[منه ما][1] لم يشتهر بين حملة الشريعة أيضا، فاختلفوا في تحريمه وتحليله، ولهذا اختلف العلماء في المراد بالمشبهات ما هي على أقوال:

«أحدها: أنها[2] ما تعارضت فيه[3] الأدلة.

الثاني[4]: ما اختلفت فيه[5] الأئمة.

الثالث: أنها المكروه، لأنه يجتذبه جانبا[6] الفعل والترك.

الرابع: أنها المباح، قيل: ولا يمكن قائله أن يريد به مستوى[7] الطرفين بل خلاف الأولى، والظاهر إمكانه.

وقد نقل / ابن المنير في مناقب شيخه[8] أنه كان يقول: "المكروه عقبة بين العبد 56 ظ
وبين الحرام، والمباح عقبة بينه وبين المكروه، فمن استكثر من أحدهما تطرق للآخر".

وفي الحديث: "اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال"[9]، والمعنى أن الحلال حيث يخشى أن يؤدي إلى مكروه أو ممنوع ينبغي تركه كالإكثار مثلا من الطيبات، فإنه محوج[10] إلى كثرة الاكتساب المؤدي إلى التساهل (أو البطر)[11]، والإكثار من

(1) في أ: منهم من، وهو خطأ، وأثبتت الصواب من بقية النسخ.
(2) ساقطة من د.
(3) في ب: فيها.
(4) في ب، ج، د، بزيادة: أنها.
(5) في ب: فيها.
(6) في ب: جانب.
(7) في الفتح. متساوي، وكلاهما صواب. يقال تساوت الأمور واستوت، واستوى الشيئان وتساويا تماثلا، لسان العرب 410/14 مادة [سوى].
(8) في الفتح: شيخه القباري.
(9) زيادة في حديث الباب من رواية ابن حبان والطبراني، ولفظ هذه الزيادة: "اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال، من فعل ذلك استبرأ لعرضه ولدينه ومن ارتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه، وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله في الأرض محارمه". رواه ابن حبان في كتاب الحظر والإباحة، ذكر الأمر بمجانبة الشبهات سترة بين المرء وبين الوقوع في الحرام المحض رقم 5543 (437/7). والطبراني في الأوسط 461/9، رقم: 8998.
(10) في ج: محرم، وهو خطأ.
(11) في ج: والنظر. وهو خطأ.

المكروه يكسب[1] جرءة على ارتكاب[2] المحرم لاشتراكهما في مطلق النهي، ولأن القلب يظلم بفقدان نور الورع، فيقع في الحرام ولو لم يقصده[3].

قوله: **فمن اتقى الشبهات**، من التقوى، وهي لغة: قلة الكلام والحاجز بين شيئين. واصطلاحا: قال القشيري: "الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته، يقال: اتقى فلان بترسه، والتقوى: اتقاء الشرك، ثم اتقاء المعاصي، ثم اتقاء الشبهات، ثم يدع بعده الفضلات"[4].

وقال سهل: "من أراد أن يصحح له التقوى فليترك الذنوب كلها". قال الفارسي: "سمعت ابن عطاء يقول: للتقوى ظاهر وباطن، فظاهره محافظة الحدود، وباطنه النية والإخلاص"[5]. وقال البلالي: "هي فعل كل مأمور[6] وترك كل محظور لله تعالى فقط، أو توقيا من عذابه أو لثوابه، فتصح لأن باعثها الإيمان بالوعد والوعيد، وإن تورع عن كل شبهة وفضول، حلال في سمعه وبصره وبطنه وفرجه ويده ورجله وملابسه هـ.

ومن اتقى الله أحبه، وكان معه، فهي جماع كل خير.

قوله[7]: **الشبهات**، جمع شبهة، قال الفشني: "هي[8] ما يخيل للناظر أنه حجة وليس كذلك"[9]هـ.

وهذا المعنى لا تصح إرادته هنا، بل المراد المشتبه[10]، وهو من وضع الظاهر موضع الضمير تفخيما لشأن اجتنابها.

---

(1) ساقطة من أو أثبتتها من ب، ج. وفي د: يكتسب.
(2) في د: اكتساب.
(3) فتح الباري 174/1. مختصرا مع اختلاف بسيط في بعض لفظه.
(4) الرسالة القشيرية. ص 105.
(5) وقفت على قول ابن عطاء في الرسالة القشيرية. ص 106.
(6) في ب: بزيادة: به.
(7) في ج: بزيادة الواو قبل: قوله.
(8) في ب، ج: هو، وهو الذي وجدته عند الفشني.
(9) المجالس السنية، ص: 12.
(10) في ج: المتشبه، وهو خطأ.

قوله[1]: **فقد استبرأ**، أي بالغ في البراءة، على حد قوله تعالى: ﴿**فمن كان غنيا فليستعفف**﴾[2] أو للتأكيد. وقال الفشني: "أي طلب البراءة لدينه، أي من ذم الشرع وعرضه بكسر العين، أي صانه عن كلام الناس فيه، والمراد به النفس إذ هي محل المدح والذم"[3]هـ.

(فأشار في الحديث بالأول إلى ما يتعلق بالحق، وبالثاني إلى ما يتعلق بالخلق)[4]. وفي النهاية العرض موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو سلفه أو أهله.

وفي القاموس: "العرض، النفس، وجانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقص ويثلب[5]، وسواء كان في نفسه أو سلفه أو من[6] يلزمه أمره، أو موضع المدح / والذم منه، أو ما يفتخر به من حسب وشرف، وقد يراد به الآباء والأجداد، 57 و والخليقة المحمودة"[7]هـ.

فبراءة العرض إذا[8] لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى كل حرام، فيكون مدعاة إلى وقوعهم في الإثم، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موقف التهم"[9]. وعن علي رضي الله عنه: "إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تسمعه عذرا. وفي الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال: "إذا أحدث أحدكم في الصلاة فلياخذ بأنفه ثم لينصرف"[10]. وذلك لئلا يقال فيه: أحدث. وجاء

(1) في ج: بزيادة الواو، قبل قوله.
(2) النساء/6، جزء آية.
(3) المجالس السنية ص: 12.
(4) ما بين قوسين ساقط من ب.
(5) في ب، ج، د: يعاب. في ج: أو بدل الواو.
(6) ساقطة من ب.
(7) القاموس، فصل العين، باب الضاد ص 832-833.
(8) في ج: إذ.
(9) لم أقف عليه، ووقفت على حديث ابن عمر: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجعل نفسه موضع التهمة". أورده الألباني في السلسلة الضعيفة 297/3، رقم 1155. وقال: "ضعيف جدا، رواه أبو عبد الله الفلاكي في الفوائد".
(10) وقفت عليه في كتاب علل الترمذي لأب طالب القاضي ص 99، رقم 170، عن عائشة، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، تفريع أبواب الجمعة باب استذان المحدث الإمام، رقم 1114. وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ماجاء فيمن أحدث في الصلاة كيف يتصرف رقم 1222.

في الأثر: "من وقف وقفة تهمة[1]، فلا يلومن من أساء الظن به". وقال صلى الله عليه وسلم لرجلين مرا به[2]، ومعه زوجته صفية: "أسرعا في المشي على رسلكما، إنها صفية" خوفا عليهما أن يهلكا، فقالا: سبحان الله، فقال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وقد خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا"[3]هـ.

قال ابن حجر: "واختلف في حكم المشبهات، فقيل: التحريم، قال: وهو مردود، وقيل: الكراهة، وقيل الوقف"[4].

قلت: وهو على الخلاف في المراد بها، وياتي على القول بأنها المباح[5] ولا يطلب تركها إلا ورعا.

وفي الفشني: "اختلف العلماء في معنى الشبهات[6] المذكورة في الحديث، فمنهم من قال: إنها الحرام عملا بقوله: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"، ومنهم من قال إنها الحلال عملا بقوله: "كالراعي يرعى حول الحميس الخ، فإنه دال على أن ذلك حلال وأن تركه ورع وهو الصواب"[7]هـ. وقد علمت مما قدمناه أن فيها عدة أقوال، لا قولان كما قال، ومن جملتها أيضا ما جاء عن الإمام أحمد وأنها منزلة بين الحلال والحرام[8]، والقول الأول الذي ذكره الفشني مردود كما تقدم عند ابن حجر.

---

(1) في د: سوء.

(2) في ب: عليه.

(3) رواه أحمد في المسند 337/6 رقم 27400 والبخاري في كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء، رقم 7171. وفي كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم 2038. وفي كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم 3281. وفي كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، رقم 6219. ورواه مسلم في كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول: هذه فلانة. يدفع ظن السوء به، رقم 2175، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الظن، رقم 4994، وفي كتاب الصوم، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته رقم 2470. وابن ماجة في كتاب الصيام، باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد، رقم 1779.

(4) فتح الباري، 173/1.

(5) في د: أن بدل الواو.

(6) في ب، د: المشبهات، وعند الفشني: الشبهة.

(7) المجالس السنية – ص: 21.

(8) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 199، قال: "وقد فسر الإمام أحمد الشبهة بأنها منزلة بين الحلال والحرام، يعني الحلال المحض والحرام المحض، وقال: من اتقاها، فقد استبرأ لدينه، وفسرها تارة باختلاط الحلال والحرام".

تنبيه[1] :

جاء أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لما رأى تمرة ملقاة، قال: "لولا أخشى أنها صدقة لأكلتها"[2]، وقيل لإبراهيم بن أدهم: ألا تشرب من ماء زمزم، قال[3]: "لو كان لي دلو لشربت"[4]، وهو إشارة إلى أن الدلو من مال السلطان فهو من المشتبه، وقال ابن المبارك: "(لأن أرد)[5] درهما من شبهة، خير من أتصدق بمائة ومائة ألف، ومائة ألف". وقدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين، فقال: "لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن / تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين"، فقالت 57 ظ
امرأته عاتكة: "أنا جيدة الوزن، فأنا أزن لك"، قال: "لا" فقالت: "لم" فقال: "لأني[6] أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا، وأدخل أصابعه في صدغيه، وتمسحين[7] به في عنقك فأصيب فضلا عن المسلمين". وعن الفضل أنه كانت له شاة فأكلت شيئا يسيرا من علف لبعض الأمراء، فلم يشرب من لبنها من بعد ذلك. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس"[8]، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "ما تمت التقوى للمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام"[9]. وقال النووي[10]: "إنما سموا المتقين

---

(1) ساقطة من أ، ب، ج. أثبتتها من د.

(2) رواه أحمد في المسند 132/3 رقم 12368. والبخاري في كتاب البيوع، باب ما يتنزه من الشبهات، رقم 2055. وفي كتاب اللقطة، باب إذا وجد تمرة في الطريق، رقم 2431. ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، رقم 1071. وأبو داود في كتاب الزكاة، باب الصدقة على بني هاشم: رقم 1652.

(3) في ب، ج: فقال.

(4) الرسالة القشيرية: ص 112.

(5) في ج: لأرد.

(6) في ج: إني.

(7) في ج: تمحين.

(8) رواه البخاري في التاريخ الكبير، 158/5 رقم 489. وابن ماجة في كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم: 4215. وروي عن عطية السعدي.

(9) وقفت عليه عند أبي نعيم في الحلية 212/1 وعند ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 209 مع اختلاف في بعض لفظه.

(10) في جميع النسخ: النووي، ولم أقف عليه من قوله، ووجدت عند ابن رجب ص 209 الثوري بدل النووي. ووقفت عليه في الحلية: 284/7 من قول سفيان بن عيينة.

لأنهم اتقوا ما لا يتقي"، وقال سفيان بن عيينة: "لا يصيب عبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه"[1]هـ.

وفي الحديث دلالة على أن طلب البراءة للعرض ممدوح كطلب البراءة للدين، ولهذا ورد "إن ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة"[2].

قوله: **ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام**: أي سقط فيه، يحتمل معنيين: أحدهما: أن يقع في الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام، والثاني: أن يعتاد[3] التساهل في الأمور ويتمادى عليها فيرتكب شبهة، ثم أخرى أغلظ منها وهلم جرا حتى يقع في الحرام، كما يقال: المعاصي بريد الكفر، لأن النفس إذا وقعت في المخالفة تدرجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها، قال تعالى: ﴿**ويقتلون**[4] **الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾[5] فتدرجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء. وفي الحديث: "لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، (ويسرق الحبل فتقطع يده[6] "[7]؛ أي يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة فتقطع يده، هذا ما أشار إليه الفشني[8].

قال هشام: كنت أمشي خلف العلاء، فجعل يتوقى من[9] الطين فدفعه إنسان فوقعت رجله في الطين فخاضه، فلما وصل إلى الباب قال: رأيت[10] يا هشام، قلت: نعم، قال: كذلك المرء يتوقى الذنوب فإذا أوقع فيها خاضها.

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية 288/7. وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 209.

(2) رواه الحاكم في المستدرك عن جابر، كتاب البيوع 50/2، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب ما جاء في إعطاء الشعراء 242/10.

(3) في ج: يوقر، وهو خطأ لم أجد له محلا هنا.

(4) في جميع النسخ "وقتلهم" وهو خطأ. والصواب الذي أثبته.

(5) آل عمران/211. جزء آية.

(6) ما بين قوسين ساقط من ب.

(7) رواه أحمد في المسند 253/2 رقم 7430. ومسلم في كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، رقم 1687. وابن ماجة في كتاب الحدود، باب حد السارق، رقم 2583. والنسائي في كتاب قطع السارق، باب تعظيم السرقة، رقم: 4528.

(8) المجالس السنية: ص 21-22.

(9) ساقطة من ج.

(10) في ج: أرأيت.

قوله: **كراع حول الحمى**، «الحمى[1] في الأصل مصدر، ومراده اسم المفعول أي المحمي، وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة، وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لرعي مواشيهم أماكن مخصبة يتوعدون من رعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة فمثل[2] لهم صلى الله عليه وسلم بما هو مشهور عندهم، فالخائف من العقوبة المراقب لرضى الملك يبعد من ذلك الحمى، / خشية أن تقع مواشيه فيه، فبعده أسلم له، ولهذا اشتد حذره، وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد[3] الفاذة[4] فتقع فيه بغير اختياره، أو يمحل[5] المكان الذي هوفيه، 58 و ويكون الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه، والله تعالى هو الملك حقا، وحماه محارمه»[6].

وقوله: **يوشك**؛ أي يقرب أن **يقع فيه**، وفي رواية: أن **يرتع فيه**[7]، أي تاكل ماشيته منه.

ووجه التشبيه أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى إلى وقوعه في الحمى، استحق العقاب، [فكذلك من أكثر من الشبهات حتى وقع في الحرام، فإنه يستحق العقاب][8] بسبب ذلك. فالرب جل جلاله حمى محارمه؛ كالجرائم على النفس والمال والعرض ومطلق المحارم، فهو مثل ضربه صلى الله عليه وسلم لمن وقع في المشبهات[9] ، وأنه يقرب وقوعه في الحرام المحض، وجعل من يرعى حول الحمى

---

(1) ساقطة من ج.

(2) في ج: فتمثل. وهو خطأ.

(3) في ج: ترد.

(4) الفاذة والفذة، الشاذة، الفذ الفرد، انظر الصحاح 568/2 ولسان العرب 502/3 مادة [فذد].

(5) في ب: يحل، وهو خطأ.
يمحل يبس، والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلإ. وأمحل القوم أجدبوا. الصحاح 1817/5. لسان العرب 616/11-620 مادة [محل].

(6) وقفت على الكلام الذي بين قوسين عند ابن حجر في الفتح 174/1-175.

(7) وهي رواية مسلم والنسائي وابن ماجة.
– في ب، د: يرتاع. في ج: ارتاع، و"أن" ساقطة.
– رتعت الماشية أكلت ما شاءت، هو يرتع أي أنه في شيء كثير لا يمنع منه فهو مخصب. وصوابه من غير ألف. انظر الصحاح 1216/3. تاج العروس 59/21 مادة [رتع].

(8) الجملة ما بين معقوفتين ساقطة من أ، أثبتتها من بقية النسخ.

(9) في ب، ج، د: الشبهات.

وقريبا منه جديرا بأن يدخل الحمى ويرتاع فيه، فكذلك من تعدى الحلال ووقع في الشبهات فإنه قد قارب الحرام غاية المقاربة، فما أخلقه بأن يخالط الحرام المحض ويقع فيه. وفيه إشارة إلى أنه ينبغي التباعد عن المحرمات، وأن يجعل الإنسان بينه وبينها[1] حاجزا كما مر.

وفي الحديث حجة لمن يقول بسد الذرائع[2] إلى المحرمات وتحريم الوسائل إليها، كبيوع الآجال، والخلوة بالأجنبية، والنهي عن النافلة بعد فجر وفرض عصر، والقبلة للصائم، ونحو[3] ذلك.

قوله: **ألا** بفتح الهمزة، وتخفيف اللام، حرف استفتاح.

وإن: بالكسر[4] لا غير، كقوله تعالى: ﴿**ألا إنهم هم المفسدون**﴾[5]، وهي دالة على تحقيق ما بعدها كما قاله الزمخشري[6].

قوله[7] : **لكل ملك حمى**؛ أي يحميه لرعي ماشيته، ويمنع غيره منه، فمن دخل عاقبه من حماه، ومن احتاط لنفسه لا يقاربه خشية الوقوع فيه. وقد كان كليب إذا مر بمرعى وأعجبه حماه، وعلامة ذلك أن يأخذ جروا فيقطع أذنه وذنبه ويتركه في ذلك المكان ينبح، فإذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى، وقد وقع بين العرب في الجاهلية بسبب ذلك حروب عظام وملاحم جسام.

وقوله: **ألا وإن حمى الله محارمه**؛ أي المعاصي التي حرمها.

---

(1) في ج: بينها وبينه.

(2) في معجم أصول الفقه لخالد رمضان حسن، ص 146 "الذرائع جمع ذريعة، وهي الوسيلة والطريق إلى الشيء، سواء أكان هذا الشيء مفسدة أو مصلحة، قولا أو فعلا. ولكن غلب إطلاق اسم الذرائع على الوسائل المفضية إلى المفاسد، فإذا قيل: "هذا من باب سد الذرائع، فمعنى ذلك أنه من باب منع الوسائل المؤدية إلى المفاسد".

(3) في ج: غير.

(4) في ب: بالكسرة.

(5) في ج: بزيادة "ولكن لا يشعرون". وهو تمام الآية. البقرة/11.

(6) الكشاف: 26/1.

(7) في ج: بزيادة الواو قبل "قبله".

قال الفشني: "وهذا ضرب مثل محسوس لتكون النفس متفطنة فتتأدب معه تعالى كما تتأدب مع الأكابر، إذ كل ملك له حمى يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله، ومن دخله عاقبه، فالرب جل وعلا حمى محارمه التي حرمها، فاحذر يا أخي أن تقع في محارم الله / فيعاقبك"[1] هـ. 58 ظ

قوله[2] : **ألا**[3] **وإن في الجسد مضغة**، أي قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم، وهي وإن صغرت في الجرم والصورة عظمت قدرا ورتبة، ومن ثم إذا صلحت بالإيمان والمعارف صلح الجسد كله بصالح الأعمال وخالص الأقوال والأحوال، وإذا فسدت بالكفر وعدم الإيمان فسد الجسد كله بالفجور والعصيان.

قوله: **ألا وهي القلب**، كررت ألا دلالة على فخامة[4] شأن ما دخلت عليه، وعظم قدره، وهو معلق بالنياط، فهو أخص من الفؤاد، وقيل: هما مترادفان، ويعبر عنه بالصدر وبالثياب، قال تعالى: ﴿**وثيابك فطهر**﴾[5] ، ويطلق على العقل.

قال في القاموس : "والقلب الفؤاد"[6] أو أخص منه، والعقل[7] ومحض كل شيء"[8]هـ.

قال العلماء: البدن مملكة النفس ومدينته، والقلب وسط المملكة، والأعضاء كالخدام[9]، والقوى الباطنة كصناع المدينة، والعقل المشفق الناصح، والشهوة طالب أرزاق الخدام[10]، والغضب صاحب الشر كله، وهو عبد نكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل، ودأبه أبدا منازعة الوزير الناصح، والقوة المخيلة في مقدم الدماغ كالخازن، والقوة المفكرة في وسط الدماغ، والقوة الحافظة

(1) المجالس السنية: ص 22.
(2) في ج: بزيادة الواو، قبل "قوله".
(3) الواو ساقطة من أ، ب، وأثبتتها من ج، د.
(4) في ب: مخالفة، وهو خطأ.
(5) المدثر/4.
(6) في ج: الواو بدل "أو".
(7) الواو ساقطة من ج.
(8) فصل القاف، باب الباء، ص 163.
(9) في ج: كالخادم.
(10) في ج: الحرام. وهو خطأ.

واللسان كالترجمان، والحواس الخمس جواسيس، وقد وكل كل واحد منهم بصنع من الاصناع[1]، فوكل العين بعالم الأكوان، و[2] السمع بعالم الأصوات، وكذلك سائرها، فإنها أصحاب أحجاب، ثم قيل هي كالجعبة توصل للنفس[3] ما تدركه بالقلب، وقيل إن السمع والبصر[4] والشم كالطاقات[5] تنظر منها النفس، فالقلب هو الملك، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت، هذا هو الغالب. وإن الجوارح تبع للقلب، وقد يتأثر القلب بأعمالها للارتباط الذي بين الظاهر والباطن؛ كما قيل:

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر[6]

فهو وإن كان صغير الجرم فهو عظيم[7] الجرم، فإذا أراد الله بعبد خيرا صان قلبه من الأغيار، وحرسه بدوام الأنوار . قال في الحكم : "مطالع الأنوار القلوب والأسرار"[8].

يقول الله سبحانه فيما يحكيه عنه صلى الله عليه وسلم: "لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن" فانظر هذا الأمر الأكبر الذي أعطيه هذا القلب. / 59 و

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

وقال الفشني: "اعلم أن (القلب عضو)[9] باطن في الجسد عليه مدار الإنسان، وبه العقل، وهو أشرف أعضائه لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه، كما قيل:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

(1) في أ: الامتاع، وهو خطأ. صححته من بقية النسخ.
(2) في ج: بزيادة و"كل" بعد الواو.
(3) في ج: إلى النفس.
(4) في ج: الفؤاد.
(5) في أ: والطاقات، والصواب ما أثبتته من بقية النسخ.
(6) في ج: سهم.
(7) في ج: أعظم.
(8) الحكم: ص 131.
(9) في ج: قلب، ساقطة، وعضو بالتعريف.

وإنما كان صلاح البدن وفساده تابعا لصلاح القلب وفساده، لأنه مبدأ الحركة[1] البدنية، والإرادات النفسانية، فإذا صدرت[2] عنه إرادة صالحة بسلامة[3] من الأمراض الباطنة كالحسد والشح والغل والكبر، أو فاسدة لعدم سلامته مما ذكر، تحرك البدن بتلك الحركة، فهو كالملك والجسد وأعضاؤه كالرعية، ولاشك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده. وأيضا فهو كالعين والجسد كالمزرعة، إن عذب ماء العين عذب الزرع، أو[4] ملح ملح. وأيضا فهو كالأرض وحركات الجسد كالنبات ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا**﴾[5]هـ.

ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من رعيته: كيف حال أميركم ؟ فقال له: "يا أمير المؤمنين، إذا طابت العين عذبت الأنهار".

وقال الغزالي في الإحياء: "القلب مثل قبة لها أبواب تنصب إليها الأحوال من كل باب، ومثل هدف يرمى إليه بالسهام، ومثل مرآة منصوبة يجتاز عليها الأشخاص فتتراءى فيها صورة بعد صورة، ومثل حوض تنصب إليه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة"[6]هـ.

قال أحمد بن حضرويه: القلوب أوعية، فإن امتلأت من الحق أظهرت[7] زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا[8] امتلأت من الباطن ظهرت زيادة ظلماتها على الجوارح.

يا طبيب القلوب قلبي مريض والهـوى قاتلي وذنبي عظيم

(1) في د: الحركات.
(2) في أ، ب، د: صلحت. وفي ج: صحت، وعند الفشني: صدرت، وهو الصواب المناسب فأثبتته منه.
(3) عند الفشني: لسلامته.
(4) في ب ج: وإن.
(5) الأعراف/57. وتمام الآية: "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون".
(6) 25/3.
(7) في د: ظهرت.
(8) في ب، ج: وإن.

قال الفشني: «تنبيه[1]: قد شق عن قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة سوداء، وقيل هذا حظ الشيطان[2]، ثم طهر فطاب قلبه فصار فردا[3]. قيل: صلاح القلب في خمسة أشياء، قراءة القرآن بالتدبر[4]، وخلاء البطن[5]، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين، وأكل الحلال وهو رأسها. وقد قيل: إذا صمت فأفطر على / طعام من تفطر[6]، فإن الرجل لياكل الأكلة فيشتعل قلبه كالسم 59 ظ
فلا ينتفع به أبدا. وقال بعضهم وأحسن وأجاد: الطعام بذر الأفعال[7]، إن دخل حلالا خرج حلالا، وإن دخل حراما خرج حراما، وإن دخل شبهة خرج شبهة. وحكي عن بعضهم أنه قال: استقيت جنديا فسقاني سقوة[8]، فصارت قسوتها في قلبي أربعين صباحا. وأنشدوا:

دواء قلبك خمس[9] عند قسوته ... فدم[10] عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخبر[11]»[12]هـ.

---

(1) ساقطة من ب.
(2) في د: بزيادة منك.
(3) في ج: أفرادا.
– في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، رقم 162، عن أنس "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره".
(4) في ج: بالتدبير.
(5) في أ، ب، ج: الباطن والصواب ما أثبتته من د.
(6) في ج: تنظر.
(7) في ب، ج، د: للأفعال.
(8) في د: بزيادة شربة.
(9) في ج: خمسة.
(10) في ج: فدع.
(11) في أ، ب، ج: الغير.
(12) المجالس السنية: ص 22.

[قلت فيما زاده بعضهم مذيلا للأبيات:

والصمت والعزلة العليا وعمدتها أكل الحلال فكن بالحل ذا بصر][1]

تتمة:

يجب على المرء تصفية قوته على قدر اجتهاده لأنه قوام الدين، ووسيلة لطاعة رب العالمين.

فآكل الحل يطيع ربه أحب أم كره نعم القربه
وآكل الحرام يعصي خالقه وآكل الحرام يعصي خالقه

فمن لم يطب مكسبه لم يحصل له في الآخرة إربه، قال ابن عبدوس[2]: اعلم أن عماد الدين وقوامه طيب المطعم فمن طاب مكسبه طاب عمله، ومن لا خيف أن لا تقبل صلاته وصومه وحجه وجهاده، ولا شيء من عمله، لأن الله تعالى يقول: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾[3]، وقد[4] أخبرني سحنون[5] عن ابن القاسم[6] عن عبد الله

(1) ما بين معقوفتين مثبت في هامش النسخة أ. وفي بقية النسخ مثبت في المتن.

(2) محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير، من كبار أصحاب سحنون وأئمة وقته، حافظ لمذهب مالك والرواة من أصحابه، توفي 260هـ، وقيل 261هـ، من مصنفاته: التفاسير والمجموعة على مذهب مالك وأصحابه، كتاب الورع. ترجم له: الشيرازي في طبقات الفقهاء ص 148. والقاضي عياض في ترتيب المدارك 4/222-228. وابن فرحون في الديباج 2/174-175.

(3) المائدة/29، وتمام الآية: ﴿واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك، قال: إنما يتقبل الله من المتقين﴾.

(4) في ج: قال.

(5) عبد السلام بن سعيد التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني. أبو سعيد، الملقب بسحنون، سمع من ابن القاسم وأشهب وابن وهب، وأدرك مالكا ومنعه الفقر من الوصول إليه. توفي سنة 240هـ. من مصنفاته: المدونة في الفقه المالكي. ترجم له: القاضي عياض في ترتيب المدارك 4/45-88. وابن خلكان في وفيات الأعيان 3/180-182 رقم 382. والذهبي في سير أعلام النبلاء 12/63-69 رقم 15. وابن فرحون في الديباج 2/310. وفي طبقات المالكية لمجهول ص 72. وابن عجيبة في أزهار البستان ص 16.

(6) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بالولاء، الفقيه المالكي المصري، جمع بين الزهد والعلم، تفقه بالإمام مالك ونظرائه، وصحب مالكا 20 سنة، وروى عنه وعن الليث وابن الماجشون، وعنه سحنون وأصبغ وعيسى بن دينار. وهو صاحب المدونة وعنه أخذها سحنون. توفي 191هـ. ترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء ص 141. والقاضي عياض في ترتيب المدارك 3/244-261. وابن خلكان في وفيات الأعيان 3/129-130 رقم 362. والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/261 رقم 346. وابن فرحون في الديباج 1/465-468. وابن حجر في تهذيب التهذيب 5/159-160 رقم 4092. والسيوطي في حسن المحاضرة 1/261-262 رقم 37.

ابن عبد العزيز الزاهد[1] يرفع الحديث إلى عائشة قالت: "يا رسول الله من المؤمن ؟ قال: الذي إذا[2] أصبح سأل من أين قرصته، وإذا أمسى سأل من أين قرصته. قالت: يا رسول الله لو علم الناس ذلك لتكلفوه، قال: قد علموا ذلك ولكنهم[3] غشموا المعيشة[4] غشما". قال الشيخ أبو محمد: "يقول تعسفوا تعسفا". ونظر عمر إلى المصلين فقال: "الدين الورع في دين الله، والكف عن محارم الله، والعمل بحلال الله وحرامه"، وقال عليه الصلاة والسلام: "من أمسى وانيا في[5] طلب الحلال أصبح مغفورا له"، وفي حديث الترمذي من رواية الصديق رضي الله عنه: "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به"[6]، وقال أبو عمر: "طريق الورع أن لا يكون في الشيء المقتنى مغمز ولا مطمع"، وذلك في وقتنا هذا أمر أعرض الناس عنه.

قال الفاكهاني[7] : "يتعين الاجتهاد / في القوت وتحصيله من جهة تسكن إليها نفسه إن تعذر عليه معرفة أصله، وهو الغالب في وقتنا هذا، بل لا ينبغي له اليوم أن 60 و

(1) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي العمري الزاهد المدني، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وعن أبيه وغيره، وعنه سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير وابن عيينة وابن المبارك. توفي 184هـ. ترجم له: البخاري في التاريخ الكبير 45/5 رقم 6491. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 103/5-104 رقم 477. والمزي في تهذيب الكمال 196/4 رقم 3383. وابن حجر في تهذيب التهذيب 381/4-382 رقم 3535. وابن العماد في شذرات الذهب 306/1.

(2) ساقطة من ج.

(3) في ج بزيادة: قد.

(4) في ج: الشريعة.

(5) في ج: من.

(6) الذي وقفت عليه عند الترمذي، في كتاب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة عن كعب بن عجرة، رقم 614 : "إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به". ولم أقف فيه على حديث أبي بكر. وأورده المناوي في فيض القدير 17/5-18 والعجلوني في كشف الخفاء 121/2 رقم 1973 من رواية البيهقي وأبي نعيم عن أبي بكر وضعف المناوي سنده وذكر العجلي أن المشهور على الألسنة "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به".

(7) في الفتوحات الإلهية لأحمد بن عجيبة ص 119 : ابن الفاكهاني. وهو ما سيذكره المؤلف نقلا عن ابن عجيبة فيما يلي من الشرح . وهو نفسه الشهير بالفاكهاني، ويعرف كذلك بالفاكهي والفكهاني. تاج الدين عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الاسكندري، العلامة النحوي. تفقه لمالك. سمع من عتيق العمري وابن طرخان وأخذ عن ابن المنير وغيره. توفي سنة 731. وأرخ السيوطي وفاته في البغية 731هـ. وفي حسن المحاضرة 734هـ. من مصنفاته: شرح العمدة، شرح =

يسأل عن أصل شيء، فإن الأصول قد فسدت، واستحكم فسادها، بل يأخذ الشيء على ظاهر الشرع أولى له من[1] أن يسأل عنه، والذي عندي في هذا الزمان أن من أخذ قدر الضرورة لنفسه وعياله من غير سرف ولا زيادة على ما يحتاج إليه، لم يكن حراما ولا شبه[2].

وقد قال القاسم بن محمد: لو كانت الدنيا حراما، لما كان بد من العيش، ألا ترى أنه يحل أكل الميتة ومال الغير للمضطر على تفصيل"هـ.

وقال في شرح المباحث الأصلية[3] في قوله:

والقوم لم يدخروا طعاما ... بل تركوا الحلالا والحراما
إلا يسيرا[4] قدر ما تيسرا ... إذ الحلال المحض قد تعذرا

«يعني بالحلال المحض الخالص الذي لا شوب فيه، ولا شائبة اختلاف، فأما ما يجري على اختلاف العلماء والراجح والمرجوح فهو موجود. قال العلماء: وإذا فقد رأسا أقيم من عشرة أشياء، تجارة بصدق، وإجارة بنصح، وأعشاب الأرض غير المملوكة، وهدية من أخ صالح، وصيد البر من حيث يباح، وصيد البحر، ومهور النساء، وقسمة المغنم، والميراث على أصل مجهول، والسؤال عند الحاجة.

=الأربعين النووية، الإشارة في النحو. ترجم له: ابن فرحون في الديباج المذهب 2/80-82. وابن حجر في الدرر الكامنة 2/105 رقم 3051. والسيوطي في بغية الوعاة 2/221 رقم 1844. وفي حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة 1/395-396 رقم 74. وابن العماد في شذرات الذهب 6/96-97.

(1) ساقطة من ج.

(2) قال الغزالي في الإحياء 2/121 : إذا اختلط الحلال والحرام، كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس على من يشتري السؤال، إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام. فإن لم يكن كذلك فالتفتيش من الورع وليس بواجب، وكذلك فعل الصحابة رضي الله عنهم". وهو الذي عليه العمل في وقتنا كذلك، خاصة وأن معظم التعاملات المالية تخالطها الربا ولو من بعيد، لكن مع ذلك ينبغي الاحتياط وأن لا يتخذ هذا ذريعة لارتكاب المحرم، والتعاملات المباشرة بالربا وبيع المحرمات، وأخذ الأموال أو التعامل مع من تعلم علم يقين أن كل أصوله المالية فاسدة، كمن يتاجر بالمخدرات أو الخمور أو غيرها.

(3) المباحث الأصلية لابن البنا السرقسطي، وشرحها هذا المسمى بالفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، الصوفي الزاهد. وقد سبقت ترجمته في قسم التقديم.

(4) في ج: يسير، وهو خطأ.

وكثيرا ما يجري على ألسنة[1] المتدينين أن الحلال ضالة مفقودة، وهو أمر يجعلونه عكازا للاسترسال وأخذ كل ما والاهم[2]، بل الحلال موجود، ولو لم يكن موجودا في كل زمان لما كلفنا بطلبه، ولانقطع أولياء الله سبحانه، لأنه قوتهم وذلك باطل. وقد كان شيخنا أبو عبد الله القوري[3] يقول في ذلك قولا بليغا: من بيده شيء لا يعرف فيه دخلا بالأصالة، ولا معاملة قبيحة مقصودة، فمن أين يحرم ماله، وما غلب على الناس من الجهل ورقة الديانة لا يحرم ما بأيديهم لأن الإنسان لا يخاطب إلا بما في علمه لا بما في علم الله تعالى. وقد أهمل الناس في هذه الأزمنة باب الحلال والحرام لاسيما في البلاد المشرقية هـ. وقد أشار ابن الفاكهاني إلى أنه[4] ينبغي عدم التعرض (للبحث في هذه الأزمنة والوقوف مع ظاهر الأحوال، لأن البحث لا يجب حيث لا علامة، وأكثر العلماء على أن الحلال[5] ما جهل أصله، / والحمد لله الذي 60 ظ
جعل في الأمر سعة)[6] هـ. وسيأتي لهذا المعنى مزيد بيان إن شاء الله.

وفي الفشني: «اعلم أن هذا الحديث أصل في الورع أيضا، وهو ترك المشتبه والعدول إلى غيره، وقال الحسن البصري: "أدركنا قوما كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال، خشية الوقوع في الحرام"، و"ثبت عن الصديق رضي الله تعالى عنه أنه أكل ما فيه شبهة غير عالم بها، فلما علمها أدخل يده في فيه فتقيأها"[7]. وقال أبو درغام: "التقوى أن يتقي[8] الله العبد بترك بعض الحلال مخافة أن يكون حراما". وقال زيد بن ثابت: لا شيء أسهل من الورع، إذا رابك شيء فدعه، وهذا سهل على من سهله الله عليه، صعب على كثير من الناس، أثقل من الجبال.

---

(1) في ب: لسان.
(2) في ج: ولا هم، وهو خطأ.
(3) الذي وقفت عليه في شرح المباحث أن هذا قول شيخه البوزيدي، وهو شيخه في علم الباطن كما ذكر في فهرسته غير ما مرة، ولم أقف فيها على شيخ له اسمه القوري.
(4) في ج: بزيادة لا. وهو خطأ.
(5) ما بين قوسين ساقط من ج.
(6) شرح المباحث الأصلية ص 118-119.
(7) الحلية 311.
(8) في ب: يتق.

ومن محاسن الحديث أيضا الحث على فعل الحلال، واجتناب الحرام والإمساك عن الشبهات والاحتياط للدين والعرض، وعدم تعاطي الأمور الموجبة لسوء الظن، والوقوع في المحظور، ومنها تعظيم القلب والسعي فيما يصلحه، وأن الحواس مع العقل كالحجاب مع الملك، وكالرعية[1] له، وأن العقوبة من جنس الجناية، وفيه ضرب الأمثال للمعاني الشرعية وأن الأعمال القلبية أفضل من البدنية، وأنها لا تصلح إلا بالقلب»[2] رهـ.

تـتـمـيـم:

في الحلية لأبي نعيم: «أن أبا بكر رضي الله عنه كان يسأل عن طعامه، فجاء يوما وهو جائع، فقال لغلامه هل عندك شيء ؟ فقال: نعم: قطعة لحم، فقال: اشوها وهاتها، فلما أكلها، قال له الغلام: مالك ما سألت عنها على عادتك، فقال: كنت جائعا، فمن أين هي ؟ قال: مررت على قوم من الجاهلية قد عملوا عرسا فأعطوني هذه القطعة، فقام أبو بكر ولم يزل يتقيأ حتى أخرجها وهي مصبغة بالدم، فقيل[3] له: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما مقدار هذه؟ فقال: والله لو لم تخرج إلا بروحي لأخرجتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل لحم نشأ عن سحت فالنار أولى به"[4]»[5] هـ.

وقيل: من علم ما يدخل جوفه كان صديقا. وقال القشيري في رسالته: «قال إبراهيم بن أدهم: "الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك"، وقال صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: "كن ورعا تكن أعبد الناس"[6]، وقال اسحاق / بن خلف: 61 و "الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة [أشد منه في الذهب والفضة، لأنك تبذلهما في طلب الرياسة]"[7]. وقال أبو هريرة: "جلساء الله

(1) في ب: كالراعية.
(2) المجالس السنية: ص 22-23.
(3) في ج: فقال.
(4) سبق تخريجه ص: 328.
(5) الحلية: 13/1.
(6) رواه ابن ماجة في السنن، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم 4217.
(7) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل أ، ومن ج، وأثبتته من ب و من د.

غدا[1] أهل الورع والزهد"، ودخل الحسن البصري رضي الله عنه مكة فرأى غلاما من أولاد علي رضي الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة وهو يغط الناس، فوقف عليه الحسن وقال: [ما][2] ملاك الدين ؟ قال: الورع، (فقال: ما آفة)[3] الدين ؟ قال: الطمع، فتعجب الحسن منه. وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال ذرة من الصوم والصلاة، وأوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام: لا يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع»[4]هـ.

وقال ابن عمر: لرد دانق من حرام أفضل من مائة ألف تنفق في سبيل الله. وعن بعض السلف قال: "ترك دانق مما يكره الله أحب إلي من خمسمائة حجة. «وجاءت أخت بشر الحافي[5] إلى أحمد بن حنبل فقالت: "إنا نغزل على[6] سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع الشعاع علينا، أيجوز لنا الغزل في شعاعها"، فقال[7]: "من أنت عافاك الله" ؟ قالت: "أخت بشر الحافي". فبكى أحمد بن حنبل، وقال: "من بيتكم خرج[8] الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها". وقال علي العطار: "مررت في البصرة في بعض الشوارع، وإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون، فقلت: أما تستحيون من المشايخ ؟ فقال صبي من بينهم: هؤلاء المشايخ قل ورعهم، فقلت هيبتهم"»هـ.

قال الفشني: «خاتمة في قوله تعالى:﴿ **ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق**﴾[9] لآية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "عاتبنا الله بهذه الآية بعد

---

(1) في ج: عند.
(2) في أ: يا، وهو خطأ، صححته من بقية النسخ.
(3) في ج: قال: ما آفات.
(4) الرسالة القشيرية ص 110 و112.
(5) ذكر السلمي في طبقات الصوفية ص 411 رقم 50-51، أنه كان لبشر الحافي أختين: مضغة وزبدة. ونقل عن أحمد بن حنبل قوله "من أحب أن يعرف بعده عن سبل الورعين فليدخل على أختي بشر الحافي، ويسمع من مسائلهما ويبصر طريقتهما".
وفي وفيات الأعيان لابن خلكان 274/1 رقم 114 كان لبشر ثلاث أخوات، وهن مضغة ومخة وزبدة، وكن زاهدات عابدات ورعات.
(6) في ج: عن وهو خطأ.
(7) في د: قال: وفي ب، ج: بزيادة: لها.
(8) في ج: أخرج.
(9) الحديد/51. وتمام الآية: ﴿ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾.

إسلامنا بسبع سنين"[1]. وروي أن بعض الناس أصابتهم قسوة في قلوبهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية. وقال بعض أهل المعاني: هذا الكلام يشبه الاستبطاء، ومعناه؛ أما حان وقت الخشوع، أما آن أوان الرجوع، أما حق على أهل التفريط إسبال الدموع، أما هذا وقت التذلل والخضوع. وفي ذكر الإيمان في أول الآية تعريف بالمنة، والإشارة إلى استبطاء ثمرة هذا الإيمان، وثمرته أن تخشع قلوبكم وأن تبكوا على ما سلف من ذنوبكم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله أواني، ألا وهي القلوب[2]، وأقربها إلى الله / ما رق وصفا وصلب"[3]، قال أبو عبد الله 61 ظ
الترمذي: "الرقة خشية الله تعالى، والصفاء للأحوال في الله، والصلابة في دين الله". ويقال: "شبه القلوب بالآنية، فقلب الكافر إناء مقلوب مكسور لا يدخله شيء من الخير، وقلب المنافق إناء مكسور ما ألقي من أعلاه نزل من أسفله، وقلب المؤمن إناء صحيح معتدل[4] يلقى فيه الخير فيصل". ويقال: "قسوة القلب تكون لانحرافه[5] عن مراقبة الرب". وقيل: "إنما تصدر القسوة من متابعة دواعي الشهوة، فإن الشهوة والصفوة لا يجتمعان". وأول ما يقع في القلب غفلة، فإن أيقظه الله وإلا صارت خطرة، فإن ردها الله وإلا صارت فكرة، فإن صرفها الله وإلا صارت عزمة، فإن حماه الله وإلا وقعت المعصية، فإن أنقذه الله بالتوبة وإلا صارت قسوة، فإن نهاه الله وإلا صارت طبعا ورينا، قال تعالى: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[6]. قال إبراهيم بن أدهم: قلب المؤمن نقي كالمرآة فلا ياتيه الشيطان بشيء

(1) رواه مسلم في كتاب التفسير، باب في قوله "ألم يان" رقم 3027 وأورده ابن كثير في تفسيره 558/6. لكن الذي وقفت عليه بأربع سنين.

(2) في ج: القلب.

(3) وقفت عليه عند أبي نعيم في الحلية 97/6، عن أبي أمامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله في الأرض آنية، وأحب آنية الله إليه ما رق منها وصفا، وآنية الله في الأرض قلوب العباد الصالحين". وفي الفردوس للديلمي 182/1 رقم 681 عن عبد الله بن عمر بلفظ "إن لله عز وجل في الأرض آنية، وهي القلوب، فأحبها إلى الله ما رق وصفا وصلب. فأما الرقة فعلى الاخوان، وأما الصفاء فمن الذنوب، وأما الصلابة فأن يتكلم بالحق لا يخاف في الله لومة لائم".

(4) في ج: معقول.

(5) في ج: بانحرافه.

(6) المطففين/14.
وفي الحديث عن أبي هريرة: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله". رواه=

إلا أبصره، فإن أذنب ذنبا واحدا ألقى في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب محيت، فإن عاد إلى المعصية ولم يتب تتابعت النكتة حتى يسود القلب، فما أقل ما تنفع فيه الموعظة. وقال الحسن: "الذنب على الذنب يظلم[1] القلب حتى يسود". قال الترمذي: "حياة القلوب الإيمان، وموتها الكفر، وصحتها الطاعة، ومرضها الإصرار على المعصية، ويقظتها الذكر، ونومها الغفلة". وفي الخبر: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسى قلوبكم"[2]»[3]. ولسيدنا الوالد رحمه الله ونفعنا به، متعلقا إلى مقلب القلوب في إصلاح[4] قلبه، أصلح الله قلوبنا جميعا بمنه وفضله:

رب هذا القلب مني قد قسا ... فاجبرن حالي وإن فعلي أسا
رب لا أطمع في غيرك أن ... يصلح الحال وإن قال عسى
أنت أنت المرتجى في كل ما ... يعتري العبد[5] صباحا ومسا

ثم قال الفشني: "يا إخواننا البدار، البدار، فالعمر طيار، شعر[6]:

إنما هذه الحياة[7] متاع ... (والسفيه الجهول)[8] من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

كان بعض السلف الصالح[9] يوقد المصباح، ولا يزال يبكي إلى الصباح، كلما رأى النار، ذكر النار. وكان بعضهم يوقد النار ويقرب منها يده[10] كلما أحس بالحرارة يقول: يا ويلك لم فعلت كذا وكذا"[11]هـ.

= أحمد في المسند 297/2 رقم 7939. وابن ماجة في الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم 4244. والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة ويل للمطففين رقم 3345، وقال "حديث حسن صحيح".

(1) في ج: بزيادة: على.

(2) رواه مالك في الموطإ، كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله، رقم 8. عن مالك أنه بلغه أن عيسى بن مريم كان يقوله.

(3) المجالس السنية: ص 23.

(4) في ج: صلاح.

(5) في ج: القلب.

(6) ساقطة من الأصل أ، وأثبتتها من بقية النسخ.

(7) عند الفشني: الدنيا.

(8) عند الفشني: فالغرور الغرور ...

(9) ساقطة من ج.

(10) في ج: يده منها.

(11) المجالس السنية: ص 23.

وفي الحديث الكريم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن إذا أذنب كانت[1] نكتة سوداء في قلبه، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله عز وجل في كتابه ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[2]، وعن الأعمش قال: "كنا عند مجاهد، فقال: القلب هكذا، وبسط كفه، فإذا أذنب العبد ذنبا قال هكذا، فعقد واحدا منهم، فإذا أذنب قال هكذا، وعقد اثنين، ثم ثلاثا ثم رد الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس يطبع الله على قلبه. قال مجاهد: فأيكم يرى (أنه لم يطبع)[3] على قلبه"[4].

وقال يحيى بن معاذ: "سقم الجسد بالأوجاع، وسقم القلب بالذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، فكذلك القلب لا يجد[5] حلاوة العبادة مع الذنوب"، وقال خالد الربعي: كان لقمان عبدا حبشيا، فدفع مولاه إليه[6] شاة، وقال[7] : اذبحها وائتني بأطيب مضغتين[8] منها، فأتاه باللسان (والقلب)[9] ، ثم دفع إليه لشاة أخرى وقال[10] : اذبحها وائتني بأخبث مضغتين[11] منها، فأتاه باللسان والقلب، فسأله عن ذلك فقال: ما شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

وقال زهير:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم[12]

(1) في ج: نكتت.
(2) سبق تخريجه في هامش صفحة: 319-320 واللفظ في هذا الموضع لابن ماجة.
(3) في ج: ان يطبع الله.
(4) الحلية 271/8.
(5) في د: لا يجد القلب.
(6) في د: إليه مولاه.
(7) في د: فقال.
(8) في ج: مضغة.
(9) ساقطة من ج.
(10) في ج: بزيادة: له.
(11) في ج: المضغتين.
(12) شعر زهير بن أبي سلمى ص 29.

فلا ينفع عند الله تعالى إلا القلب السليم، قال تعالى: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾[1]. فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله تعالى وما يحبه الله، وخشية الله وخشية ما يباعده منه. وفي مسند أحمد عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يستقيم (إيمان عبد حتى)[2] يستقيم قلبه"[3]. والمراد باستقامة الإيمان استقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة / القلب. 62 ظ

قال الحسن لرجل: داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم، فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته، ومحبته وخشيته، ومهابته ورجاه[4]، والتوكل عليه.

(1) الشعراء/88-89.
(2) ما بين قوسين ساقط من ب.
(3) 197/3، رقم 13079.
(4) في ج: رجاؤه.

الحديث السابع

«عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي[1] صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا[2]: لمن يا رسول الله، قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة[3] المسلمين وعامتهم". رواه مسلم»[4].

افتتح الفشني هذا الحديث الكريم بقوله: «الحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه، وعنده بذلك كتاب كتبه. كتب على نفسه الرحمة، وأسبغ على خلقه النعمة، وأشهد أن لا إله إلا الله، (وحده لا شريك له، إلاه)[5] لا يخيب من توجه إليه وأمه، وأشهد أن[6] محمدا عبده ورسوله، نبي الرحمة، وسراج الظلمة الذي نصح الأمة، صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعهم فانكشف عنه الغمة»[7] رهـ.

قال الحافظ أبو نعيم: "هذا الحديث له شأن، ذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أربع[8] الدين"[9]، وأنه أحد الأحاديث التي يدور عليها الإسلام كما ذكرنا، وهو بليغ الكلام، بل قيل إنه من جوامع الكلم.

---

(1) في ج: رسول.
(2) في ج: قلت.
(3) في ب: أئمة.
(4) رواه أحمد في المسند 351/1 رقم 3281 عن ابن عباس. 297/2 رقم 7941 عن أبي هريرة. 102/4 رقم 17064 عن تميم. والدارمي في السنن، كتاب الرقاق، باب الدين النصيحة، رقم 2796 عن ابن عمر. ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم 55. وأبو داود في كتاب الأدب، باب في النصيحة رقم 4944. والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة رقم 1932 عن أبي هريرة. والنسائي في كتاب البيعة، باب النصيحة للإمام رقم 3913-3914-3915-3916 عن تميم وعن أبي هريرة.
(5) ما بين قوسين ساقط من ج. مع زيادة: الذي.
(6) في ج: بزيادة سيدنا.
(7) المجالس السنية: ص 23.
(8) في د: أرباع.
(9) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ص 216.

وخرجه الترمذي من طريق أبي هريرة، وروي أيضا هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر وثوبان[1] وابن عباس، وغيرهم[2]، ولم يخرجه البخاري لأنه ليس على شرطه لأن روايه[3] تميم.

وأشهر طرقه[4] عن سهل بن أبي صالح[5]، قال ابن حصين: وهو لا يحتج به، ونسبه بعضهم لسوء الحفظ.

ولنقدم الكلام على راويه وهو كما قال في الاستيعاب: "تميم بن أوس بن خارجة بن سواد[6] بن خزيمة[7] بن دراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن لمازة بن لخم بن عدي، ينسب إلى جده الدار بن هانئ، وهو بطن من لخم، يكنى أبا رقية، بابنة له تسمى رقية، لم يولد له غيرها. كان نصرانيا وأسلم سنة تسع من الهجرة،

(1) حديث ثوبان رواه الطبراني في الأوسط.
(2) ارجع إلى تخريج الحديث في ص 323
(3) في ج: رواية.
(4) في ج: وأسهل طريقه، وهو خطأ.
(5) في ج: ابن صالح. وفي جميع النسخ سهل، والصواب سهيل بن أبي صالح كما وقفت عليه في صحيح مسلم وفي كتب التراجم.
وهو سهيل بن أبي صالح واسمه ذكوان السمان، أبو يزيد المدني، روى عن أبيه وسعيد بن المسيب والحارث بن مخلد الأنصاري وعطاء بن يزيد الليثي والنعمان بن عياش وعنه ربيعة والأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري وشعبة ومالك وابن جريح والسفيانان، قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن عدي: هو عندي ثبت لا بأس به مقبول الأخبار. وقال ابن سعد: كان سهيل ثقة كثير الحديث.
قال الحاكم: في باب من عيب على مسلم إخراج حديثه سهيل أحد أركان الحديث، وقد أكثر مسلم الرواية عنه في الأصول والشواهد إلا أن غالبها في الشواهد، وقد روى عنه مالك وهو الحكم في شيوخ أهل المدينة الناقد لهم، ثم قيل في حديثه بالعراق إنه نسي الكثير منه وساء حفظه في آخر عمره. روى له الجماعة والبخاري مقرونا بغيره. توفي في ولاية جعفر، وأرخه ابن قانع سنة 38. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 104/4 رقم 5014. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 246/4-247 رقم 1063. والمري في تهذيب الكمال 332/3-333 رقم 2614. والذهبي في سير أعلام النبلاء 458/5-462 رقم 205. وفي ميزان الاعتدال 243/2-244. وابن حجر في تهذيب التهذيب 549/3-551 رقم 2750.
(6) في ج: سوداء.
في الاستيعاب: سود وفي هامشه من نسخة أخرى سواد، قال المحقق وهو تحريف.
(7) في الاستيعاب: جذيمة. وفي هامشه من نسخة: خزيمة. قال المحقق: وهو تحريف كذلك.

وكان يسكن المدينة، ثم انتقل منها إلى الشام بعد قتل عثمان[1]. كان كثير التهجد يختم القرآن في ركعة، فنام ليلة لم يتهجد فيها، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع بليلة.

مر ليلة بقوله تعالى: ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾[2]، فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

وفي هذا المعنى يقول سيدنا الوالد رحمه الله ونفعنا به:

عسى مالكي يدني بحرف من الذكر ويعلى به قدري ويمحى به وزري / 63 و
ويدخلني في الصالحين ومن له يد عنده بيضاء في موقف الحشر

وعن صفوان بن سليم أنه قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء، فمر بهذه الآية: ﴿**وهم فيها كالحون**﴾[3] فما خرج منها حتى نداء[4] الصبح. واشترى حلة بألف كان يقوم فيها الليل. وعن محمد بن أبي بكر عن أبيه قال: زارتنا عمرة فباتت عندنا فقمت من الليل فلم أرفع صوتي بالقراءة، فقالت: يا أخي، مالك لم ترفع صوتك بالقراءة فما كان يوقظنا إلا صوت[5] معاذ القاري وتميم الداري. وقد قال عمر لبعض من قدم: اذهب وانزل على خير أهل المدينة، فنزل على تميم، قال: بينما[6] نحن نتحدث إذ خرجت نار حرة، فجاء عمر إلى تميم، فقال: يا تميم اخرج، فصغر نفسه ثم قام، فجاسها حتى أدخلها الباب الذي خرجت منه، ثم افتتح في إثرها حتى خرج فلم تضره. وهو أول من قضى في المسجد بإذن عمر. وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال إذ وجده هو وأصحابه، فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه.

(1) الاستيعاب 1/193-194.
(2) الجاثية/20. وتمام الآية: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم، ساء ما يحكمون﴾.
(3) المومنون/105، وتمام الآية: ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾.
(4) في ج: نادى.
(5) في ب: صوات.
(6) في ب، د: فبينما.

ويدخل في ذلك رواية الأكابر عن الأصاغر[1]، فقد قالت فاطمة بنت قيس، سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه ينادي[2] الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال : "ليلزم كل إنسان[3] موضعه، فقال : هل تدرون لم جمعتكم، قالوا[4] : الله ورسوله أعلم، (قال: إني)[5] والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة، ولكن جمعتكم لأن تميم الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال، حدثني أنه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام[6]، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، فأرفأوا[7] إلى جزيرة -أي قاربوها- حين تغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة -بضم الراء جمع قارب بكسرها، سفينة صغيرة يقال لها سنبوك- فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت، قالت: أنا الجساسة، سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت[8] لنا رجلا فزعنا منها أن تكون شيطانة، قال: / فانطلقنا سراعا حتى دخلنا 63 ظ
الدير، فإذا فيه أعظم إنسان ما رأيناه قط، وأشده وثاقا، يده مجموعة إلى عنقه [ما بين ركبتيه إلى عنقه][9] بالحديد، فقلنا: ويلك، من أنت ؟ قال: قد قدرتم على خبري، من أنتم ؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فلعب بنا البحر

(1) قال ابن الصلاح في علوم الحديث ص 182 "ذلك يقع على أضرب: منها أن يكون الراوي أكبر سنا وأقدم طبقة، ومنها أن يكون الراوي أكبر قدرا من المروي عنه بأن يكون حافظا عالما، والمروي عنه شيخا راويا فحسب، ومنها أن يكون الراوي أكبر من الوجهين جميعا".

(2) ساقطة من ج.

(3) في ج: الناس.

(4) في د: قالوا.

(5) في د: فقال، "وإني" ساقطة من ج.

(6) في ب: خدام. والصواب جذام كما في صحيح مسلم وغيره.

(7) في جميع النسخ: فارثا روى، ولم أقف لها على معنى، والصواب أرفأوا، وقفت عليه في صحيح مسلم.

(8) في ج: سميت، وهو خطأ.

(9) ما بين معقوفتين ساقط من أ. أثبتته من بقية النسخ.

شهرا، فدخلنا الجزيرة، فلقينا دابة أهلب، فقالت: أنا[1] الجساسة، اعمدوا إلى هذا الدير، فأقبلنا إليه[2] سراعا، فقال: أخبروني عن نخل بيسان هل تثمر؟ قلنا: نعم، قال: أما إنها يوشك ألا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، هل فيها ماء ؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين [زغر][3] هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا: نعم، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من ماءها، قال: أخبروني عن نبي الأميين[4] ما فعل ؟ قلنا: خرج من مكة، ونزل بيثرب، قال: أقاتله العرب ؟ قلنا: نعم، قال: فكيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم[5] عني أنا[6] المسيح الدجال، وأني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، هما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها، وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة –يعني المدينة– ألا هل حدثتكم، قالوا: نعم"[7].

مات بفلسطين، سنة أربعين[8] هـ.

قوله: **الدين**؛ أي دين الإسلام، وتقدم في الخطبة أنه يطلق على معان، وهو على حذف مضاف، أي قوام الدين وعماده.

(1) في ج: لنا.
(2) في ج: إليك.
(3) في أ: غر، وفي ج: مر. والصواب زغر كما في بقية النسخ وهو الذي عند مسلم.
(4) في د: الأمين.
(5) في ج: أخبركم.
(6) ساقطة من ج.
(7) حديث فاطمة بنت قيس رواه أحمد في المسند 6/373-374 رقم 27640. ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة رقم 2942. وابن ماجة في كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، رقم 4074. وأبو داود في كتاب الملاحم، باب في خبر الجساسة، رقم 4326. والترمذي في كتاب الفتن، باب 66 رقم 2260.
(8) انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد 7/286 رقم 3723. وفي الاستيعاب 1/193-194 رقم 235. وأسد الغابة 1/428-429 رقم 515. والإصابة 1/487-489. وذكر في تهذيب التهذيب أنه وجد على قبره أنه مات سنة 40 1-539 رقم 843.

و[1] قوله: **النصيحة**، هو من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، أو نصح الرجل ثوبه إذا خاطه بالمنصحة، وهي[2] الإبرة.

شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح، ولم شعته بلم الخياط خلل الثوب ولصق بعضه ببعض، ومنه التوبة النصوح، كأن الذنب يخرق الدين والتوبة تخيطه.

قال الخطابي: "هي كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح"[3].

وقال ابن الصلاح: "هي كلمة جامعة تتضمن رفع قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا"[4].

وقال محمد بن نصر: "قال بعض أهل العلم، جماع تفسير النصيحة، هو عناية القلب للمنصوح له من كان"[5] هـ.

وجعلها الدين مبالغة، كقولهم: الحج عرفة، ويصح حمل الكلام على ظاهره، لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين.

وقال الفشني: "لقائل أن يقول: الدين محصور فيها، فإن من جملتها طاعة الله ورسوله، والإيمان والعمل بما قالاه من كتاب وسنة، وليس وراء ذلك إلا الدين كما سلف في حديث جبريل"[6] هـ.

قوله: **قلنا لمن يا رسول الله**، فيه إشارة إلى أن للعالم ألا يكمل فهم ما يلقيه للسامع، حتى يسأله، لتشوق نفسه إليه، فيكون أوقع في النفس كما قيل: المساق بعد الطلب ألذ من المساق بلا تعب.

قوله: **لله**، أي بوصفه، بما هو له أهل.

---

(1) الواو ساقطة من ج.
(2) في ب: وهو.
(3) معالم السنن 125/4.
(4) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الاسقاط والسقط ص 223.
(5) نقله ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 220 عن محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة.
(6) المجالس السنية: ص 23.

قال أبو العباس البوني[1] : لا يقال إن الله تعالى منزه عن النقائص، وهو بمثابة من يقول: الملك ليس بجزار، وإنما يقال: هو[2] المنزه عن كل كمال لغيره.

وقال ابن العربي ما معناه: الحق تعالى منزه عن التنزيه، فكيف يشار إليه بالتشبيه، جل الله أن يعرفه على الحقيقة عارف، أو يصفه واصف. فيجب التذلل والخضوع له ظاهرا وباطنا، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة منه بترك معاصيه، والجهاد في رد العاصين إليه، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، ومودة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، والإخلاص في جميع الأمور والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها، وحقيقة هذه الأوصاف راجعة إلى العبد في نصحه [3] نفسه، والله تعالى غني عن نصح الناصحين.

روى الإمام أحمد من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل، أحب ما تعبد به عبدي إلي النصح لي"[4] . وعن علي: "قال الحواريون لعيسى، يا روح الله، من الناصح لله، قال: الذي يقدم حق الله على حق الخلق"[5]"[6] .

قوله: **ولكتابه**؛ أي تعلمه وتعليمه وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه والعمل بما فيه، ودب تحريف المبطلين عنه والتسليم للمتشابه.

وقوله: **ولرسوله**؛ أي[7] بتصديقه في الرسالة وتعظيمه ونصره حيا وميتا، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والاقتداء به في أقواله وأفعاله ومحبته، ومحبة آله وأتباعه. / 64 ظ

ولأئمة المسلمين: أي أمرائهم بإعانتهم على ما حملوا[8] القيام به وتنبيههم عند الغفلة، وسد خطاهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم،

(1) أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني. تقي الدين القرشي، توفي 622. من مصنفاته: قوت الأرواح ومفتاح الأفراح، المشهد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. ترجم له. إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين 1/90-91. والنبهاني في جامع كرامات الأولياء 1/508

(2) في ج: هذا.

(3) في ج: نصح.

(4) المسند 5/294 رقم 22544.

(5) في ب: الحق.

(6) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 219 عن عبد العزيز بن رفيع.

(7) ساقطة من ج.

(8) في ب بزيادة: على.

ومن أعظم نصيحتهم ردهم عن الظلم بأحسن وجه، ولين قول . ومن أئمة المسلمين؛ أئمة الاجتهاد والعلماء، والنصح لهم بقبول ما رووه وبث علومهم، ونشر مناقبهم، وتحسين الظن بهم.

قوله: **وعامتهم**؛ أي بالشفقة عليهم وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه.

«قال ابن علية في قول أبي بكر المزني: "ما فاق أبو بكر رضي الله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بصوم ولا صلاة، ولكن شيء كان في قلبه". قال: "الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة لخلقه". وقال الفضيل: "ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصيام والصلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور والنصح للأمة"»[1].

قال الفشني: «نكتة: قال الأسنوي رحمه الله في بعض مؤلفاته في الحديث، إذا أراد الله تعالى بالعبد[2] خيرا ساق إليه من يذكره إذا غفل، وإذا أراد به شرا، ساق إليه جليس سوء ينهاه عن الأخذ بالموعظة. ولما تولى هارون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما، فدخل عليه بهلول المجنون، فقال: يا أمير المؤمنين احذر جلساء السوء، واعتمد جليسا صالحا يذكرك ما تأتي به من صوم وصلاة وقراءة وحج، إن الرجل كان يلقي الكلمة عند ذي سلطان فيعمل بها فيملأ الأرض فسادا، وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا فيهوى بها في النار سبعين خريفا"[3]، ولا تكن يا أمير المؤمنين كمن قال الله تعالى في حقه: ﴿**وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم، ولبيس المهاد**﴾[4]، فقال: "زدني، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قد[5] أقادك الناس، وجعل أمرك فيهم مطاعا، وكلمتك فيهم

(1) جامع العلوم والحكم ص 225.

(2) في ج: بعبده.

(3) رواه مالك في الموطإ، كتاب الكلام. باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام، رقم 6. وأحمد في المسند 236/2 رقم 7214. والبخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان رقم 6478. والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء من تكلم بالكلمة ليضحك الناس، رقم 2321. والحديث من رواية أبي هريرة.

(4) البقرة/204.

(5) ساقطة من ج.

نافذة وأمرك فيهم ماضيا، وما ذلك إلا لتحملهم على الإتيان بما أمر الله ربنا جل جلاله به، والانتهاء عما نهى الله تعالى عنه، وتعطي من هذا المال الأرملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل، يا أمير المؤمنين أخبرني فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / أنه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين 65 و
في صعيد واحد، أحضر الملوك وغيرهم من ولاة أمور الناس فيقول[1] لهم: لم أمكنكم من بلادي وأطع لكم عبادي، لجمع الأموال وحشر الرجال، بل لتجمعوهم[2] على طاعتي، وتنفذوا فيهم أمري ونهيي، وتعزوا أوليائي وتذلوا أعدائي، وتنصروا المظلومين من الظالمين. يا هارون كيف يكون جوابك عما تسأل عنه من أمور العباد في ذلك الموقف إذا حضرت ويداك مغلولتان إلى عنقك، وجهنم بين يديك والزبانية محيطة بك، تنظر ما يومر بك[3]، قال: فبكى هارون بكاء شديدا، فقال له بعض الحاضرين[4]: كدرت على أمير المؤمنين بجلسة[5]، فقال لهم هارون: قاتلكم الله، إن المغرور من غررتموه، والسعيد من بعدتم عنه، ثم خرج من عنده»[6]هـ.

يروى أن هارون لما حضرته الوفاة انتقى[7] أكفانه بيده، فكان ينظر إليها ويقول: "ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه". وفي ابن أبي الدنيا: كان عمر عبد العزيز رضي الله عنه يقول: "من صحبني فليصحبني بخمس خصال، الأولى: أن يدلني على العدل إليه[8]، والثانية: أن يكون لي عونا على الخير، والثالثة: يقضي حاجة من

(1) في د: ويقول.
(2) في ج: لتجمعهم، وهو خطأ.
(3) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "ما من أمير عشرة، إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا، حتى يفك عنه العدل، أو يوبقه الجور". رواه البيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة في كتاب الصلاة، باب كراهية الولاية جملة، 129/3. وحديث "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه" رواه البيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة كذلك في كتاب آداب القاضي، باب كراهية الإمارة 95/10.
(4) في ج بزيادة: مجلسه.
(5) في ب، د: مجلسه.
(6) المجالس السنية: ص 24.
(7) في ج: ألقى.
(8) في ب بزيادة: "أهتدي" قبل: "إليه"، وفي ج: إلا ما اهتدي إليه، وفي د: إلى ما أهتدي به.

لا يستطيع إبلاغها إلي[1]، والرابعة: لا يغتب[2] عندي أحدا[3]، والخامسة: أن يؤدي الأمانة التي يحملها مني إلى الناس، وإلا فهو (في حرج من)[4] صحبتي"هـ.

وفي ذلك يقول سيدنا الوالد رحمه الله ونفعنا به:

دل على العدل وعون الخير[5] فكن، وأبلغ حاجة للغير
والغيبة اتركها إذا انطلقتا[6] واديا أمانة حملتا

يروى أنه لما حضرته الوفاة بكى بكاء شديدا فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، لقد أحيى الله بك سننا، وأظهر بك عدلا، فبكى ثم قال: أليس أوقف بين يدي الله تعالى وأسأل عن أمر هذا الخلق، والله[7] لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها إلا أن يلقنها[8] الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعناه، وفاضت عيناه، ثم مات رحمه الله.

وتمرغ المأمون على الرماد وقال: اللهم يا من لا يزال ملكه، ارحم من زال ملكه. وبكى معاوية وقال: اللهم يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة، واغفر الزلة.

تتمة:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثا، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، وأن تناصحوا من ولاه الله أموركم[9]"[10]. وفي المسند عن جبير

(1) ساقطة من ب، ج.
(2) في ج: يغتاب.
(3) في د: أحدا عندي.
(4) في ج: خارج عن.
(5) في ج: دل على الخير وعون البر.
(6) في ج: نطقتا.
(7) في ب: إنه.
(8) في ج: يلقى.
(9) في ج: أمركم. وهو الذي وقفت عليه في رواية مالك.
(10) رواه مسلم في كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم 1715، لكن من غير قوله "أن تناصحوا". ووقفت على هذه الزيادة عند مالك في كتاب الكلام، باب ما جاء في إضاعة المال، رقم 20. وعند أحمد في المسند 327/2 رقم 8316.

بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بالخيف من منى "ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين"[1].

ومن أراد نصح أحد لاسيما الملك فليمهد[2] له بساطا قبل النصح، ويرى أنه دون المنصوح، فقد اتفق أن رجلا وعظ المامون وأغلظ عليه، فقال له: خير منك وعظ من هو أجور مني، فإن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام لما أرسلهما الله تعالى إلى فرعون قال: (فقولا له قولا لينا)[3].

وقال الشافعي: من وعظ أخاه سرا، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه[4] علانية فقد فضحه وشانه.

وقال الفضيل: "المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير"[5]، وسئل[6] ابن عباس عن أمر السلطان بالمعروف، ونهيه عن المنكر فقال: "إن كنت فاعلا ولابد، ففيما بينك وبينه"[7].

قال الفشني: «فائدة: شاردة في قوله تعالى: ﴿**قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**﴾[8] قال ابن عطاء: تكلمت النملة بكلام جمعت فيه عشرة أجناس[9] من الكلام فنادت ونبهت، وسمت، وأمرت، ونصحت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وأعذرت. فأما الندا فيا، وأما التنبيه فقولها:أيها، وأما التسمية فقولها: النمل، وأما أمرت فقولها: ادخلوا، وأما نصحت فقولها: مساكنكم، وأما حذرت فقولها: لا يحطمنكم،

(1) المسند 80/4 رقم 16859. ورواه الدارمي في المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء رقم 233 و234. وابن ماجة في كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، رقم 3056.
(2) في ج: فليتمهد، وهو خطأ.
(3) طه/43، وتمام الآية: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾.
(4) ج: وعظ.
(5) جامع العلوم والحكم ص 225.
(6) في ج: قال.
(7) جامع العلوم والحكم ص 225.
(8) النمل/18، وأول الآية ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت ...﴾.
(9) في ب: أشياء.

وأما خصت[1] قولها: سليمان، وأما عمت فقولها: وجنوده، وأما أشارت فقولها: وهم، وأما أعذرت فقولها: لا يشعرون.

قال ابن عطاء: قضت[2] النملة خمسة حقوق، فحقا لله، وحقا لسليمان، وحقا لها، وحقا للنمل، وحقا لكم. فأما الحق الذي لله تعالى: ﴿**فإنها كانت استرعت على النمل فأفزعتهم، وأما الحق الذي لسليمان فإنها نبهت على حق النمل، وأما الحق الذي لها**﴾[3] فإنها أسقطت حق الله تعالى عنها[4] بنصيحتها له، وأما الحق الذي للنمل فقولها: ادخلوا مساكنكم، وهي النصيحة، وأما الحق الذي لكم فأدت بفعلها حقا / قضته، وحقا لله أدته. 66 و

قال ابن عطاء: وذلك أنه ما ضحك سليمان إلا مرتين، المرة التي ظفر بها الضحاك[5] فيها، والمرة التي أشرف فيها على وادي النمل لما سمع النملة تقول: "ادخلوا مساكنكم" الآية.

فيا إخواننا كم في القرآن العظيم من آية تدل على النصيحة، وقد كان عليه السلام يوصي أصحابه وينصحهم بوصايا نفعتهم ونفعت من بعدهم، فمن وصاياه ما ورد عن أنس قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: "أسبغ الوضوء يزد في عمرك، وسلم على من لقيت تكثر حسناتك، وإذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك، وارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة".

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "أحكم السفينة فإن البحر عميق[6]، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كئود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير". ووصاياه ونصائحه صلى الله عليه وسلم لا تحصى.

---

(1) في د: خصصت.
(2) في ج: قضيت.
(3) ما بين قوسين ساقط من ج.
(4) ساقطة من ج.
(5) في ج: بالضحاك. وهو الذي عند الفشني.
(6) في ج: غميق.

خـــاتـــمـــة:

ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض إخوانه، أوصيك بستة أشياء، إن أردت أن تقع في أحد وتذمه، فذم نفسك فإنك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها، وإن أردت أن تعادي أحدا فعادي البطن، فليس لك عدو أعدى منه، وإن أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله تعالى، فليس أحدا أكثر منة عليك منه، وألطف بك منه، وإن أردت أن تترك شيئا فاترك الدنيا، فإنك[1] إن تركتها فإنك محمود، وإلا تركتك وأنت مذموم، وإن أردت أن تستعد لشيء[2] فاستعد للموت فإنك إن لم تستعد له حل بك الخسران والندامة، وإن أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فلست تنالها إلا بأن تطلبها»[3]هـ.

تـــتـــمـــيـــم:

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى أنه قال: يا موسى، خمس كلمات ختمت بهن التوراة، فإن عملت بهن نفعك علم التوراة، وإن لم تعمل بهن لم ينفعك علم التوراة، أولهن: يا موسى كن واثقا بالرزق المضمون لك ما لم تر خزائني نفذت، الثانية: يا موسى لا تخف من سلطان الأرض ما لم تر سلطاني زائلا، الثالثة: يا موسى لا تجسس على عيب أحد ما لم تخل من العيوب، الرابعة: يا موسى لا تدعي محاربة الشيطان / مادام روحك في جسدك، 66 ظ
الخامسة: يا موسى لا تامنن عقابي، ولو ترى نفسك في الجنة هـ.

إلاهي أدخلنا دائرة الألطاف، وآمنا من كل ما تخاف، إلاهي جملنا بالأوصاف الزكية، وزينا بالأفعال المرضية، إلاهي قربنا من أعتابك، وامنحنا لذيذ شرابك، ولا تطردنا عن بابك، يا ودود يا حليم يا سميع يا عليم.

---

(1) في ج: فأنت.
(2) ساقطة من ج.
(3) المجالس السنية: ص 24-25.

الحديث الثامن

«عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى (يشهدوا أن)[1] لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويوتوا الزكاة، فإذا[2] فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى" رواه البخاري ومسلم»[3].

صدر الفشني هذا الحديث الكريم بقوله: «الحمد لله الذي لا يعبد بحق في الوجود إلا إياه، الكريم الذي من توكل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن سأله أعطاه ما يتمناه، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولا ضد لله، ولا شريك لله (ولا ولد لله)[4] ولا والد لله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد خلقه، وخاتم أنبيائه المخصوص بالمقام المحمود الذي لم يقم فيه سواه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته صلاة وسلاما دائمين إلى يوم نلقاه. آمين»[5] هـ.

وهذا الحديث العظيم خرجاه في الصحيحين من رواية واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله ابن عمر عن أبيه عن جده عن عبد الله[6].

وقد روي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة، ورواه الإمام أحمد من حديث معاذ[7].

---

(1) في ب: يقولوا.

(2) في ب: فإن.

(3) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم"، رقم 25. ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم 22.

(4) ساقطة من ب.

(5) المجالس السنية – ص: 25.

(6) قال ابن حجر في الفتح 107/1 : "هو من رواية الأبناء عن الآباء، وهو كثير، لكن رواية الشخص عن أبيه عن جده أقل، وواقد هنا روى عن أبيه عن جد أبيه".

(7) رواه أحمد في المسند 314/2 رقم 8148. 377/2 رقم 8891 عن أبي هريرة. 300/3 رقم 14258 عن جابر. 8/4 رقم 16260 عن أوس بن أبي أوس. 246/5 رقم 22473 عن معاذ بن جبل. والدارمي في كتاب =

وقوله: **أمرت**، هو بضم الهمزة مبني للمفعول، وحذف الفاعل للتعظيم. وقوله: أن أقاتل الناس؛ أي بأن أقاتلهم، أي بمقاتلتهم، وحذف الجار في مثل هذا نادر[1]، نحو:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم

والمراد بالناس المشركون من بني آدم غير أهل الكتاب، فهو من العام الذي أريد به الخاص / كقوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس**﴾[2] إلخ. إذ الناس يطلق على الجن 67 و والإنس، ولم يثبت قتال الجن، وسقط قتال أهل الكتاب بقبولهم للجزية. ويحتمل أن يراد بالناس كل من امتنع من التوحيد. وسقوط قتال أهل الكتاب بأداء الجزية كان متأخرا عن هذا الحديث، والإذن للنبي صلى الله عليه وسلم في القتال إنما كان بعد الهجرة[3]، وحين بعث إنما أمر بالإنذار من غير قتال. ثم بعد الهجرة أذن له فيه

=السير، باب في القتال على قول لا إله إلا الله رقم 2490 عن أوس بن أبي أوس. والبخاري في كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة رقم 392 عن أنس. وفي كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم 1399 عن أبي هريرة. وفي كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 7284 عن أبي هريرة. ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله رقم 20 عن أبي هريرة. ورقم 22 عن جابر، ورقم 23 عن مالك. وأبو داود في كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون رقم 2640 عن أبي هريرة، ورقم 2641 عن أنس. وفي كتاب الزكاة، الباب 1 رقم 1556 عن أبي هريرة. وابن ماجة في كتاب الفتن باب الكف عمن قال لا إله إلا الله رقم 3927 عن أبي هريرة، و3928 عن جابر، و3929 عن أوس بن أبي أوس. والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب سورة الغاشية رقم 3352 عن جابر. والنسائي في كتاب الزكاة، باب مانع الزكاة رقم 2291 عن أبي هريرة.

(1) قال ابن حجر في الفتح 108/1 "وحذف الجار من أن كثير".

(2) في ج، بزيادة: "على ما آتاهم".
النساء/53، وتمام الآية: "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما".

(3) قال ابن هشام في السيرة النبوية 288/2-290 "قبل بيعة العقبة لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرب، ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، فلما اشتد بهم العذاب أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والانتصار ممن ظلمهم، فكانت أول آية نزلت في إذنه له في الحرب ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الآية. قال ابن اسحاق: فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها". وقال ابن كثير في تفسيره 649/4 : "فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه، وصارت لهم دار إسلام شرع الله جهاد الأعداء، فكانت هذه الآية أول ما نزل".

إذا ابتدأه الكفار به[1]، ثم أحل له ابتداء في غير الأشهر الحرم، ثم مطلقا من غير شرط.

قال ابن عباس: لم يقتل نبي أمر بالقتال، وإنما قتل من الأنبياء من لم يؤمر به. **والناس** قد يطلق على الإنسان الواحد، وعلى المؤمنين خاصة، وعلى أهل مكة، وعلى بني إسرائيل.

(وقوله: **حتى**، هو غاية للقتال، أو للأمر به[2].

وقوله: **يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله**، هكذا في رواية بإثبات الجملتين، وفي رواية بالاقتصار على إله إلا الله، وفي أخرى حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويكون قد استغنى بإحداهما عن الأخرى لارتباطهما كما يقال (قرأت)[3] ﴿**ألم ذلك الكتاب**﴾[4] والمراد جميع السورة.

"ولا يشترط في صحة الإيمان التلفظ بالشهادتين والنطق بهما مع العجز ولا مع القدرة، إلا إذا تركه تكبرا، كما لا يشترط في صحته أيضا النطق بالنفي والإثبات، فإذا قال: الله واحد، ومحمد رسوله كفى، كما لا يشترط أيضا الإتيان باسم الجلالة ولا بلفظ محمد كما إذا قال: الرحمن واحد، وأحمد رسوله". قاله[5] الأبي[6] .

وفي المختصر: "وصح قبلها وقد أجمع على الإسلام"[7] .

تـنـبـيـه:

هذا الحديث يضعف القول بوجوب معرفة الله تعالى بالبراهين القطعية، وإلا لم يكن مومنا، إذ هو غير مذهب السلف وأئمة الهدى الذين أقام الله تعالى بهم الدين، وحرس بهم حوزة الإسلام والمسلمين[8] .

(1) ساقطة من ب.
(2) ما بين قوسين ساقط من ب.
(3) ساقطة من ب، أثبتتها من بقية النسخ.
(4) البقرة/1: جزء آية.
(5) في ج: قال: وهو خطأ.
(6) إكمال إكمال المعلم: 117/1. مع اختلاف في بعض لفظه.
(7) مختصر خليل: ص 17.
(8) قال النووي في شرح صحيح مسلم 187/1 : "فيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف، أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقادا جازما لا تردد فيه، كفاه ذلك، وهو=

قوله: **ويقيموا الصلاة**؛ أي ياتوا بها بشروطها وأركانها وفرائضها وسننها[1]، والمراد المداومة على الإتيان بها بشروطها، من قامت السوق إذا نفقت.

وقوله: **ويوتوا الزكاة**؛ يعني المفروضة، أي يعطوها لمستحقيها[2] أو للإمام، ولم يذكر الصوم والحج لأنهما[3] لا يقاتل على تركهما[4].

قال في الرسالة[5]: "ومن ترك الحج فالله حسبه". هـ ولكونهما لم يفرضا. / 67 ظ

قوله: **فإذا فعلوا ذلك** إلخ. أي أتوا به قولا كان أو فعلا منعوا مني سفك دمائهم وأخذ أموالهم، فلا تهدر دماؤهم[6]، ولا تستباح أموالهم بعد عصمتهم بالإسلام بسبب من الأسباب.

قوله: **إلا بحق الإسلام**؛ أي فلا يعصم حينئذ دمهم ولا مالهم.

= مؤمن من الموحدين ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافا لمن أوجب ذلك وجعله شرطا في كونه من أهل القبلة، وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به، وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين، وهو خطأ ظاهر فإن المراد التصديق الجازم، وقد حصل، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به صلى الله عليه وسلم ولم يشترط المعرفة بالدليل، فقد تظاهرت بهذا أحاديث في الصحيحين يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي".

(1) في ج: "أو" بدل الواو.

(2) في ب، ج: لمستحقها.

(3) في ج: لأنه.

(4) في ج: تركها.

(5) الرسالة: لابن أبي زيد القيراوني، وهو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي، إمام المالكية في وقته، وجامع مذهب مالك وشارح أقواله. توفي 386هـ. وأرخ ابن تغري بردي وفاته سنة 389هـ. من مصنفاته: النوادر والزيادات على المدونة، وتهذيب العتبية، والاقتداء بأهل المدينة وغيرها. ترجم له عياض في ترتيب المدارك 6/215-222، والذهبي في سير أعلام النبلاء 17/10-13 رقم 4، وابن فرحون في الديباج 1/427-430؛ وابن قنفذ في شرف الطالب 1/277 وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 4/202 وفي طبقات المالكية لمجهول ص 178، وابن عجيبة في أزهار البستان ص 29.

(6) في د: أموالهم.

وجاء في تفسير الحق في حديث آخر: "بأنه زنى بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، وقتل للنفس التي حرم الله"[1]، وظاهره أن الزاني والقاتل[2] تباح أموالهما، وليس بمراد، فكأنه[3] غلب الكافر[4] عليهما.

ومن حق الإسلام أيضا فعل الواجبات، فمن تركها جاز قتاله كالبغاة والصائل ومانع الزكاة.

قال أبو بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ومنع المضطر"[5].

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس 143/4 رقم 3245 وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 26-25/1 وقال: "فيه عمرو بن هاشم البيروتي والأكثر على توثيقه".

(2) في د: القاتل والزاني.

(3) في ج بزيادة: وإن.

(4) في ج: الكفر.

(5) ورد قول أبي بكر في حديث أبي هريرة، انظر تخريجه في ص 458، وكلامه رضي الله عنه كان موجها لعمر رضي الله عنه حين قال له كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل ...". قال ابن حجر في الفتح 107/1 : "وقد استبعد قوم صحة الحديث بأنه لو كان عند ابن عمر لما ترك أباه ينازع في قتال مانعي الزكاة، ولو كانوا يعرفونه لما كان أبو بكر يقر عمر على الاستدلال به، وينتقل عن الاستدلال بهذا النص إلى القياس، إذ قال: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، لأن قرينتها في كتاب الله، والجواب أنه لا يلزم من كون الحديث المذكور عند ابن عمر أن يكون استحضره في تلك الحالة، ولو كان مستحضرا له، فقد يحتمل أن لا يكون حضر المناظرة المذكورة، ولا يمتنع أن يكون ذكره لهما بعد، ولم يستدل أبو بكر في قتال مانعي الزكاة بالقياس فقط، بل أخذه من قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه "إلا بحق الإسلام"، قال أبو بكر: الزكاة حق الإسلام ... وفي القصة دليل على أن السنة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة ويطلع عليها آحادهم، ولهذا لا يلتفت إلى الآراء ولو قويت مع وجود سنة تخالفهما". وقال النووي في شرح صحيح مسلم 181/1 : "اجتمع في هذه القضية الاحتجاج من عمر رضي الله عنه بالعموم، ومن أبي بكر رضي الله عنه بالقياس، ودل ذلك على أن العموم يخص بالقياس، وأن جميع ما تضمنه الخطاب الوارد في الحكم الواحد من شرط واستثناء مراعى فيه ومعتبر صحته به، فلما استقر عند عمر صحة رأي أبي بكر رضي الله عنهما وبأن له صوابه تابعه على قتال القوم".
وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 233-235 "في قوله: "لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" فيه إشارة إلى أن قتال تارك الصلاة أمر مجمع عليه، لأنه جعله أصلا مقيسا عليه، وليس هو مذكورا في الحديث الذي احتج به عمر وإنما أخذ من قوله: "إلا بحقها" فكذلك الزكاة لأنها من حقها ... وأما قتل الممتنع من أداء الزكاة ففيه قولان لمن قال: يقتل الممتنع من فعل الصلاة، أحدهما يقتل أيضا، وهو المشهور عن أحمد، ويستدل له بحديث ابن عمر هذا، والثاني: لا يقتل وهو قول =

قوله[1] : **وحسابهم على الله**، أي أمر سرائرهم إلى الله، وأما نحن فإنما نحكم بالظاهر، فنعاملهم بمقتضى ظواهرهم أقوالهم وأفعالهم.

وفي حديث أبي سعيد الخدري: "ما أمرت أن أشق على قلوب الناس"[2]. أو المعنى هذا القتال، وهذه العصمة إنما هما باعتبار أحكام الدنيا المتعلقة بنا، وأما أمور الآخرة من الجنة والنار والثواب والعقاب، فمفوض إلى الله تعالى[3]. وما أشعرت

= مالك والشافعي وأحمد في رواية. وأما الصوم فقال مالك وأحمد في رواية عنه: يقتل بتركه. وقال الشافعي وأحمد في رواية: لا يقتل بذلك، ويستدل له بحديث ابن عمر وغيره مما في معناه، فإنه ليس في شيء منها ذكر الصوم. وأما الحج فعن أحمد في القتل بتركه روايتان، وحمل بعض أصحابنا رواية قتله على من أخره عازما على تركه بالكلية، أو أخره وغلب على ظنه الموت في عامه، وأما إن أخره معتقدا أنه على التراخي كما يقوله كثير من العلماء فلا قتل بذلك.
وذهب ابن حجر في الفتح 108/1 : "إلى أن الاستدلال بهذا الحديث على قتل تارك الصلاة فيه نظر، للفرق بين صيغة أقاتل وأقتل، وقد أطنب ابن دقيق العيد في شرح العمدة في الإنكار على من استدل بهذا الحديث على ذلك، وقال: لا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل، لأن المقاتلة مفاعلة تستلزم وقوع القتال من الجانبين، ولا كذلك القتل، وحكى البيهقي عن الشافعي أنه قال: ليس القتال من القتل بسبيل، وقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله".

(1) في ج بزيادة: الواو قبل "قوله".

(2) رواه احمد في المسند 4/3 رقم 11021 والبخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم 4351. ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم رقم 1064، ولفظ الحديث كما وقفت عليه "إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس أشق بطونهم". ولعل المصنف رواه بمعناه.

(3) يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في بعض رواية هذا الحديث كما في رواية مسلم عن جابر: ثم قرأ: ﴿فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر، إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم﴾. الغاشية/12–62.
قال ابن حجر في الفتح 108/1-109 : "مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد فكيف ترك مؤدي الجزية والمعاهد، الجواب من أوجه: أحدهما دعوى النسخ، بأن يكون الإذن بأخذ الجزية والمعاهدة مؤخرا عن هذه الأحاديث بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى: ﴿واقتلوا المشركين﴾، ثانيها أن يكون من العام الذي خص منه البعض، ثالثها أن يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المراد بالناس المشركين كما وقع في رواية النسائي، رابعها أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة التعبير عن إعلاء كلمة الله إذعان المخالفين، فيحصل في بعض بالقتل وفي بعض بالجزية، وفي بعض بالمعاهدة، خامسها أن يكون المراد بالقتال هو أو ما يقوم مقامه من جزية أو غيرها، سادسها أن يقال: الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام، وسبب السبب سبب، فكأنه قال: حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم إلى الإسلام وهذا أحسن".

به لفظة "على" من الإيجاب غير مراد، لأنه لا يجب على الله تعالى شيء، فإما أن يكون المراد فحسابهم إلى الله أو لله، أو أنه يجب أن يقع لا أنه تعالى يجب عليه خلافا للمعتزلة.

قال الفشني: «فصل في الكلام على لا إله إلا الله وبعض فضائلها: اعلم[1] أن الله سبحانه أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾[2]، وذم مشركي العرب بقوله: ﴿**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**﴾[3]، وقال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب: "قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة" فقال: "لولا أن تعيرني[4] قريش لأقررت بها عينك"[5]. فلا إله إلا الله كلمة التقوى كما فسرها صلى الله عليه وسلم. وفي حديث عثمان رضي الله عنه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إني لأعلم كلمة (لا يقولها)[6] عبد حقا من قلبه إلا حرمه الله على النارس. فقال عمر رضي الله عنه، "أنا أحدثك / ما هي، هي كلمة الإخلاص التي ألزمها محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه"[7]. 68 و
قال سهل التستري رحمه الله: "ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى[8] وجه الله عز وجل، والجنة ثواب الأعمال". وقيل إن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر، وتنبت[9] في قلبه نور التوحيد، وإذا قالها المومن ولو في كل يوم ألف مرة، فبكل مرة تنفي عنه شيئا لم تنفه عنه المرة الأولى، وهي أفضل الذكر، كما

(1) في د بزيادة: الواو بعد "اعلم"، وهو خطأ.
(2) محمد/20، وتمام الآية: "فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات، والله يعلم متقلبكم ومثواكم".
(3) الصافات/35.
(4) في ج: يعيرني.
(5) رواه أحمد في المسند 434/2 رقم 9608 ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، رقم 25، والترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة القصص رقم 3199. والحديث من رواية أبي هريرة.
(6) في ج: ما قالها.
(7) رواه أحمد في المسند 63/1 ، رقم 447. وزاد فيه: "وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب عند الموت، شهادة أن لا إله إلا الله".
(8) في ج: في.
(9) في ج، د: تثبت.

قال[1] عليه السلام، وهي عمدة الناسكين والسالكين، وعدة السائرين، وتحفة السابقين، ومفتاح الجنة والعلوم والمعارف»[2]هـ.

جاء[3] عن الحسن البصري أنه قال: رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له: كيف أنت وكيف هي حالك ؟ فقال لي: قلب عليل ولا قوة لي، وبدن سقيم ولا صحة[4] لي، وقبر موحش ولا أنيس لي، وطريق بعيد ولا زاد لي، وصراط رقيق ولا جواز لي، ونار حامية ولا بدن لي، وجنة عالية ولا نصيب لي، ورب عادل ولا حجة لي، فأقبلت عليه وقلت: (لم لا)[5] تسلم، فقال: يا شيخ، المفتاح بيد الفتاح، والقفل هنا، وأشار إلى صدره، وغشي عليه، فقلت إلاهي وسيدي، إن كان سبق لهذا المجوسي حسنة فعجل بها، فأفاق من غشيته، ثم أقبل علي فقال: يا شيخ إن الفتاح أرسل بالمفتاح مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات رحمه الله تعالى هـ.

وقال الفشني: «جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "يفتح الله تعالى[6] أبواب الجنة وينادي مناد تحت العرش: أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم، لمن أنت؟ فتنادي[7] الجنة وكل ما فيها: نحن لأهل لا إله إلا الله، ولا نطلب إلا أهل لا إله إلا الله ولا يدخل علينا إلا أهل لا إله إلا الله، ونحن محرمون على من لم يقل لا إله إلا الله، وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب: لا يدخلني إلا من أنكر لا إله إلا الله، ولا أطلب[8] إلا من كذب بلا إله إلا الله، وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله، ولا أمتلئ إلا بمن جحد لا إله إلا الله، وليس (غيظي ولا زفيري)[9] إلا على من أنكر لا إله إلا الله، ثم قال: فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول: أنا لأهل لا إله إلا

(1) في ج، د: قاله.
(2) المجالس السنية: ص 26.
(3) ساقطة من ج.
(4) في ج: حجة، وهو خطأ.
(5) في ج: ألا.
(6) ساقطة من د.
(7) في ج: وتنادي.
(8) في ج: نطلب.
(9) في ج: حفيظي ورفيقي.

الله، وناظرة لمن قال لا إله إلا الله، ومحبة لمن قال لا إله إلا الله، والجنة مباحة لمن قال لا إله الله، والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله، والرحمة والمغفرة / غير محجوبتين[1] عن أهل لا إله إلا الله»[2]هـ. 68 ظ

وفي مسند البزار عن عياض الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لا إله إلا الله كلمة كريمة على الله، لها عند الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقا أدخله الله بها الجنة"[3]هـ.

«و[4]قال بعضهم: الحكمة في قوله تعالى: ﴿**إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت**﴾[5] أن يوم القيامة يتجلى نور كلمة لا إله إلا الله، فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر، لأن أنوار تلك أنوار مجازية، ونور لا إله إلا الله نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى، والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة.

وجاء في الآثار "أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله من الثواب بقدر كل كافر وكافرة". قيل: والسبب أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قد رد على كل كافر وكافرة فلا جرم يستحق الثواب بعددهم.

وسئل بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿**وبير معطلة وقصر مشيد**﴾[6] فقال: البئر المعطلة قلب الكافر، معطل من قول لا إله إلا الله، والقصر المشيد قلب المؤمن، معمور بشهادة لا إله إلا الله.

وقيل في قوله تعالى: ﴿**اتقوا الله وقولوا قولا سديدا**﴾[7] يعني قولوا[8] لا إله إلا الله.

---

(1) في ب: محجوبتان وهو خطأ.

(5) المجالس السنية: ص 26.

(3) ذكره كذلك ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 236، ورواه الديلمي في الفردوس 8/5، رقم 7281.

(4) الواو ساقطة من ب، ج.

(5) التكوير/1-2.

(6) الحج/43، غوتمام الآية" ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد﴾.

(7) الأحزاب/70، وتمامها: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾.

(8) في ج: قوله.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الطرق ويقول: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".[1]

وقال سفيان بن عيينة: "ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا"[2].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "إن لذاذات[3] قول لا إله إلا الله في الآخرة، كلذة شرب الماء البارد في الدنيا".

وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾[4] أنه لا إله إلا الله[5].

وقيل: إن كل كلمة يصعد الملك بها، إلا قول لا إله إلا الله فإنه يصعد بنفسه، دليله قوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾[6] أي قول لا إله إلا الله، ﴿**والعمل الصالح يرفعه**﴾، أي الملك يرفعه إلى الله تعالى. حكاه الرازي[7]، وحكى أيضا أنه إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله، لأن صلاتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة، وصدقاتهم يشوبها الحرام، ولا إخلاص في شيء منها إلا[8] كلمة لا إله إلا الله فهي ذكر الله، والمومن لا يذكرها إلا عن صميم قلبه[9].

وفي الخبر: "يقول الله تعالى: لا إله إلا الله حصني، / فمن دخل حصني أمن من 69 و
عذابي"[10] حكى الإمام الرازي رحمه الله أن رجلا كان واقفا بعرفات فكان في يده

(1) رواه أحمد في المسند، 492/3 رقم 16119، عن ربيعة بن عباد الديلي، ولفظه كما وقفت عليه: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

(2) الحلية لأبي نعيم، 272/7.

(3) "إن" ساقطة من ج. في ب: لذات، وفي د: لذاذة وكذلك عند الفشني.

(4) لقمان/91: وتمام الآية: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهره وباطنة، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾.

(5) وقفت عليه في تفسير سفيان الثوري ص 238، عن مجاهد.

(6) فاطر/10، وتمام الآية: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا، إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور﴾.

(7) من أسرار التنزيل للرازي. ص: 53.

(8) في ج: أما.

(9) من أسرار التنزيل. ص: 55.

(10) رواه الديلمي في الفردوس 251/5 رقم 8101.

سبعة أحجار، فقال: يا أيتها الأحجار اشهدوا أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت، وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم، جاء حجر من تلك الأحجار السبعة وألقت نفسها على ذلك الباب، فاجتمعت ملائكة الرحمن[1] على رفعها فما قدروا، ثم سيق إلى الباب الثاني فكان من الأمر كذلك، وهكذا الأبواب السبعة، فسيق به إلى العرش فقال سبحانه: عبدي أشهدت الأحجار فلا تضيع[2] حقك، وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي، ادخل الجنة، فلما قرب من أبواب الجنان فإذا أبوابها مغلقة، فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل.

وروى القرطبي بسنده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة، ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا، ثم فك لحييه[3] فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول كلمة الإخلاص، يعني لا إله إلا الله"[4].

وفي الحديث: "من كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة"[5]، وفيه أيضا: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**[6]﴾[7]. والأحاديث في فضلها كثيرة شهيرة»[8] هـ.

---

(1) في ب، ج، د: العذاب. وهو الذي عند الفشني.

(2) في ج بزيادة: لك.

(3) في الأصل أ: لجينه، وفي ج: لحيته، وهو خطأ والصواب لحييه أثبتته من ب ود.

(4) شعب الإيمان: 9/2. رقم 544/6.1015 رقم 9235. والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة 64/1 و333/2 والحديث من رواية أبي هريرة.

(5) رواه أحمد في المسند 233/5، رقم 22384. وأبو داود في كتاب الجنائز، باب في التلقين رقم 3116. والحديث من رواية معاذ بن جبل.

(6) فاطر/343، وتمام الآية ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾.

(7) رواه والبيهقي في شعب الإيمان 111/1 رقم 100. والحديث من وراية ابن عمر.

(8) الكلام ما بين معقوفتين من قوله زوقال بعضهم: الحكمة في قوله تعالى: إذا الشمس" إلى قوله هنا "شهيرة" وقفت عليه عند الفشني في المجالس السنية، ص 26-27.

ومن ذلك ما قاله الرازي في أسرار التنزيل: "أن لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات، وأعضاء العبد سبعة، وأبواب النار سبعة، فكل كلمة تغلق عن كل[1] عضو بابا"هـ.

والمراد بالأعضاء الوجه والبطن واليدان والفرج والرجلان.

وقال السمرقندي في الأربعين: "ويقال[2] : من قال لا إله إلا الله هدمت له أربعة آلاف سيئة، كل كلمة تكفر ألف سيئة".

وذكر الفاكهاني "أن ملازم ذكرها عند دخول المنزل تنفي[3] الفقر". وقال بعض العلماء: "إذا قال القائل لا إله إلا الله اهتز لها العرش".

وفي الحديث عنه عليه السلام: "لكل شيء مصقلة، ومصقلة القلب الذكر، وأفضل الذكر لا إله إلا الله" / لجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر. وجاء في الأثر: "أن العبد 69 ظ
إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة". وروي "أن من قال لا إله إلا الله خرج من فيه طائر أخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت، يصعد إلى السماء فيسمع له دوي تحت العرش كدوي النحل، فيقال له: اسكن، فيقول: لا أسكن حتى يغفر لصاحبي، فيغفر لقائلها، ثم يجعل بعد ذلك للطائر سبعون لسانا تستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر يكون قائده ودليله إلى الجنة". وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى، فإذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز العمود فيقول الله جل وجلاله للعمود: اسكن، فيقول العمود[4] : أي[5] رب كيف أسكن ولم تغفر لقائلها، فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن أيها العمود فإني قد غفرت له، فيسكن (عند ذلك العمود)[6] "[7] .

(1) ساقطة من ج.
(2) في ج: بزيادة "أن".
(3) في ج: ينفي.
(4) ساقطة من ب، ج.
(5) ساقطة من ب.
(6) في ب، ج، د: العمود عند ذلك.
(7) رواه الديلمي في الفردوس: 188/1، رقم 706، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب كتاب الذكر، الترغيب في قول لا إله إلا الله. ونسبه للبزار وقال: وهو غريب، والحديث من رواية أبي هريرة.

وذكر أبو محمد عبد الله اليافعي[1] في كتابه الارشاد: عن الشيخ أبي عبد الله القرطبي أنه قال: سمعت في بعض الآثار من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار، فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد أعمالا ادخرتها لنفسي و(عملت بها)[2] لأهلي، وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يقال أنه يكاشف في بعض الأوقات بالجنة والنار، وكان في قلبي منه شيء، فاتفق أنه استدعانا بعض الإخوان إلى منزله، فنحن نتناول من الطعام والشاب معنا، فصاح صيحة منكرة، وهو يقول: يا عم[3] هذه أمي في النار، وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه من[4] أمر عظيم، فلما رأيت ما به، قلت في نفسي: اليوم أجرب، فقلت في نفسي اللهم إني هللت السبعين ألفا، وقد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار، فما استتم هذا الخاطر، إلا وتبسم الشاب وسر وقال: يا عم ها هي أي أمي قد أخرجت من النار، فحصل لي فائدتان، صدق الآثار، وعلمي بصدق الشاب المذكور[5] هـ.

وقال الفشني: «روى البيهقي عن بكر بن عبد الله المزني أن ملكا من الملوك كان متمردا على ربه عز وجل، فغزاه قومه، فأخذوه سلبا، فقالوا: بأي قتلة نقتله، فأجمعوا أمرهم على أن يتخذوا قمقما من نحاس عظيم ويجعلوه فيه، ويحشوا النار تحته، ولا يقتلوه ليذيقوه طعم العذاب، ففعلوا ذلك فجعلوا يحشون[6] النار / 70 و تحته وهو يدعو آلهته واحدا واحدا، يا فلان ألم أكن عبدك وأصلي لك، وأمسح

(1) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي، عفيف الدين، أبو محمد، وأبو عبد الرحمن، وأبو السعادات، الشافعي، من شيوخه: نجم الدين الطبري. توفي سنة 768 هـ. وذكر السبكي وفاته سنة 767، وذكر أنه اجتمع به في منى سنة 747هـ. ومن مصنفاته الإرشاد، وروض الرياحين في حكايات الصالحين، ومرهم العلل المعضلة في أصول الدين وغيرها. واليافعي نسبة إلى يافع باليباء والفاء والعين المهملة، قبيلة من قبائل اليمن. ترجم له السبكي في طبقات الشافعية الكبرى 33/10 رقم 1354، وابن حجر في الدرر الكامنة 151/2-152 رقم 2121، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 74/11-75، وابن العماد في شذرات الذهب، 210/6-212، والشوكاني في البدر الطالع 378/1، رقم 255.

(2) ما بين قوسين ساقط من ب.

(3) في ج: عمي: وهو خطأ.

(4) ساقطة من ج.

(5) في ج بزيادة: معا.

(6) في ج: يحشوا.

وجهك وأفعل بك كذا[1]، فأنقذني مما أنا فيه، فلما رآهم لا يغنون عنه شيئا، رفع رأسه إلى السماء فقال: لا إله إلا الله، وابتهل إلى الله، وهو يقول: لا إله إلا الله (ويكررها)[2] فصب الله [شتاء][3] من السماء فأطفأ[4] تلك النار، فجاءت ريح فحملت القمقم فجعل يدور بين السماء والأرض، وهو يقول: لا إله إلا الله فقذفه الله تعالى إلى قوم لا يعرفون الله وهو يقول: لا إله إلا الله، فأخرجوه، فقالوا ويحك مالك، فقال[5]: أنا فلان كان من أمري كذا، وكان من أمري، فآمنوا كلهم بالله وقالوا بأجمعهم لا إله إلا الله»[6]هـ.

حكاية غريبة:

جاء عن عبد الواحد أنه قال: كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة فخرجنا إلى الجزيرة، فرأينا شخصا يعبد صنما، فقلنا له: تعبد [هذا الصنم][7] وفينا من يصنع مثله، فقال أنتم ما تعبدون، فقلنا نعبد إلاها في السماء عرشه وفي الأرض بطشه، وفي البحر سبيله، قال: من أعلمكم به، قلنا أرسل إلينا رسولا، قال ما فعل الرسول، قلنا قبضه الملك إليه، قال فهل ترك عندكم من علامة، قلنا نعم، كتاب الملك، قال هل عندكم من شيء، فشرعنا نقرأ عليه سورة الرحمن، فمازال يبكي حتى ختمت[8]، ثم قال: ما ينبغي أن يعصى صاحب هذا[9] الكلام، ثم عرضنا عليه الإسلام فأسلم، وحملناه معنا في السفينة، فلما جن الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا للنوم فقال لنا: هذا الإله الذي دللتموني عليه ينام، قلنا: بل هو حي قيوم

---

(1) في ج: بزيادة: وكذا.
(2) ما بين قوسين ساقط من ب.
(3) في أ، ج: شعتا، وهو خطأ، وأثبتت الصواب من ب، د.
(4) في ج: فطفأت. طفئت النار تطفأ طفوءا وانطفأت، وأطفأتها أنا، وأطفأها هو. الصحاح 1/60-61 لسان العرب 1/114-115 مادة [طفأ].
(5) ساقطة من ج.
(6) المجالس السنية ص 27.
(7) في ج: صنما.
(8) في ج: ختمنا، وبزيادة: السورة.
(9) ساقطة من ج.

(لا ينام)[1]، قال: بيس العبيد[2] أنتم تنامون ومولاكم لا ينام، فلما وصلنا البر وأردنا الانصراف، جمعنا له شيئا من الدراهم، فقال: ما هذا، فقلنا: تستعين به على نفسك، فقال: دللتموني على سبيل ما أراكم سلكتموها، أنا كنت أعبد غيره فلم يضيعني، أفيضيعني الآن بعدما عرفته، فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل [لي][3] إنه في النزع فجئت إليه، فقلت له[4] : هل لك حاجة، فقال : قضى حوائجي الذي أخرجني من الجزيرة، ونمت عنده فرأيت جارية في روضة خضراء وهي تقول: عجلوا به، فقد طال شوقي إليه، فاستيقظت وقد مات رضي الله عنه، فدفنته (ونمت تلك الليلة فرأيته في المنام)[5] وعلى رأسه تاج وبين يديه الحور العين، وهو يقرأ ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب**﴾[6] الآية.

حكاية عجيبة:

روى محمد بن آدم قال: رأيت بمكة أسقفا يطوف / بالبيت فقلت له: ما الذي 70 ظ
نزعك من دين آباءك، قال: تبدلت خيرا منه، فقلت: وكيف ذلك، قال: ركبت البحر، فلما توسطناه انكسر[7] المركب، فلم تزل الموج تدافعني حتى رمتني على جزيرة من جزائر البحر، فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد، وفيها نهر عذب، فحمدت الله على ذلك وقلت: آكل من هذا الثمر، وأشرب من هذا النهر حتى يقضي الله بأمره، فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحوش، فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها، فلما كان[8] جوف الليل، وإذا بدابة طلعت[9] على وجه الماء تسبح الله وتقول لا إله إلا الله

(1) في ج: لا تاخذه سنة ولا نوم.
(2) في ج: العباد.
(3) في الأصل أ– له، وهو خطأ، وأثبتت الصواب من بقية النسخ.
(4) ساقطة من ج.
(5) في ج: وأتيه تلك الليلة في المنام.
(6) الرعد/25، وتمام الآية: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار﴾.
(7) في ج: انكسرت.
(8) في ج: بزيادة، من.
(9) ساقطة من ب، ج.

العزيز الجبار، محمد رسول الله النبي المختار، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار، عمر الفاروق فاتح الأمصار، عثمان[1] القتيل في الدار، علي سيف[2] الله على الكفار، فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار، ومأواه النار، وبيس القرار، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر، فلما طلع الفجر، قالت: لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد، محمد رسول الله الهادي الرشيد، وأبو بكر السديد[3]، عمر بن الخطاب صور من الحديد[4]، عثمان الفاضل الشهيد، علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد (فعلى مبغضهم لعنة الرب الشديد)[5]، ثم أقبلت إلى البر فإذا رأسها رأس نعامة، ووجهها وجه إنسان، وقوائمها قوائم بعير، وذنبها ذنب سمكة، فخشيت على نفسي الهلكة، فهربت، فنطقت بلسان فصيح، فقالت: يا هذا قف وإلا تهلك، فوقفت فقالت: ما دينك، فقلت: دين النصرانية، فقالت: ويلك، ارجع إلى دين الحنيفية، فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلما، فقلت: وكيف الإسلام، قالت: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقلتها، فقالت: ثم أتم إسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم، فقلت من أتاكم بذلك، قالت: قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمعوه يقول: "إذا كان يوم القيامة، تاتي الجنة فتنادي بلسان فصيح، إلا هي قد وعدتني أن تشيد أركاني فيقول الجليل جل جلاله، قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وزينتك بالحسن والحسين" ثم قالت الدابة: أتريد أن تقعد هنا أم الرجوع إلى أهلك، فقلت: الرجوع إلى أهلي، فقالت: اصبر حتى تمر بك مركب، فبينما نحن كذلك، وإذا بمركب أقبلت تجري، فأومأت إليها فدفعوا إلي زورقا فركبت فيه، ثم جئت إليهم، فوجدت المركب فيها اثني عشر رجلا كلهم نصارى، فقالوا: ما الذي جاء / بك إلى هنا[6]، فقصصت عليهم قصتي، فتعجبوا 71 و

(1) في د: بزيادة "ابن عفان".
(2) في ج: سبيل.
(3) في ج: الشديد.
(4) في ب، ج، د: حديد.
(5) ما بين قوسين ساقط من ج.
(6) في ج: بزيادة، ها، يعني هاهنا.

عن آخرهم، وأسلموا كلهم ببركة الله جل جلاله وبركة[1] رسوله صلى الله عليه وسلم.

اللهم إنك فتحت أقفال قلوب أهل الاختصاص وطهرتهم من الشرك، وخلصتهم من قيد الأقفاص[2]، فخلص سرائرنا[3] من التعلق بملاحظة سواك وأفننا عن شهود نفوسنا[4]، حتى لا نشهد إلا علاك، يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين.

(1) في د: ببركة.
(2) في ج: الانفصاص، وهو خطأ.
(3) في د: سائرنا.
(4) في ب: أنفسنا.

الحديث التاسع

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك (الذين من)[1] قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم" رواه البخاري ومسلم)[2].

توج[3] الفشني هذا الحديث بقوله: الحمد لله الذي جعل لنا إليه[4] طريقا وسبيلا، وأقام لنا على معرفته برهانا واضحا ودليلا، وبعث إلينا[5] محمدا بن عبد الله معلما ورسولا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه[6] بكرة وأصيلا هـ.

وقد خرجه بهذا اللفظ مسلم وحده من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة كلاهما عن أبي هريرة. وخرجاه من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دعوني ما تركتم إنما[7] أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على[8] أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم[9] بأمر فاتوا منه ما استطعتم"، وخرجه مسلم من طريقين آخرين عن أبي

---

(1) في د: من كان.

(2) رواه أحمد في المسند 247/2 رقم 7361. والبخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 7288. ومسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، رقم 1337. وفي كتاب الفضائل. باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه رقم 1337. وابن ماجة في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 1 و2. والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب وجوب الحج، رقم 2456.

(3) في ب: توجه وهو خطأ.

(4) في أ، ب، د: إلينا، ولكن الصواب أثبتته من ج "لنا إليه" وهو الذي عند الفشني كذلك.

(5) في ج: الله.

(6) ساقطة من د.

(7) في ج: فإنما.

(8) في ب: عن.

(9) في ج: بزيادة بشيء.

هريرة بمعناه[1]، وفي رواية له، ذكر سبب هذا الحديث من رواية محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل[2] عام يا رسول الله، فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله: لو قلت نعم، لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتم فإنما أهلك[3] من كان[4] قبلكم بسؤالهم واختلافهم على[5] أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فاتوا ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"[6].

قوله: **عن أبي هريرة**، هو عبد الرحمن بن صخر «(قال النووي في مواضع من كتبه "اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر)[7] على الأصح من ثلاثين قولا"[8]. وقال القطب الحلبي[9]: اجتمع من اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولا»[10]. وقال / ابن حجر: "مجموع ما قيل في اسمه (واسم أبيه)[11] نحو عشرين قولا"[12]. 71 ظ

---

(1) خرجه مسلم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، ومن طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة، عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة.

(2) في ج: كل.

(3) في د: هلك.

(4) في ب: قال: وهو خطأ، وهي ساقطة من ج.

(5) في ب: عن.

(6) هذه الرواية عند مسلم في كتاب الحج وهي التي أوردها النسائي كذلك، ارجع إلى تخريج الحديث في ص 353.

(7) ما بين قوسين ساقط من ج.

(8) ذكره في شرح صحيح مسلم 179/1، وفي المجموع شرح المهذب 266/1.

(9) أبو علي قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي الحنفي، حافظ للحديث. سمع من العز الحراني وغازي الحلاوي، أجاز للسبكي، توفي سنة 735هـ. من مصنفاته: شرح السيرة للحافظ عبد الغني، والاهتمام بتلخيص الإلمام في الحديث، شرح صحيح البخاري لم يتمه، الأربعون في الحديث ... ترجم له الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ 7/5-8 وابن كثير في بالداية والنهاية 171/4-172. والسيوطي في حسن المحاضرة 308/1 رقم 84 وفي ذيل تذكر الحفاظ 232/5. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 225/9. والزركلي في الأعلام 53/4.

(10) الإصابة لابن حجر: 351/7.

(11) ما بين قوسين ساقط من ج.

(12) فتح الباري 75/1. الإصابة: 351/7.

واشتهر بكنيته حتى كأنه ليس له اسم غيرها. قال: "كنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: أبو هريرة". أخرجه الحاكم وابن خزيمة وابن اسحاق[1].

وفي الترمذي عن أبي رافع "قلت لأبي هريرة لم كنيت بأبي هريرة، قال: كنت أرعى غنما على أهلي، وكانت لي هرة صغيرة لا تفارقني، فكنت أضعها في الليل في شجرة، وإذا كان النهار ذهبت بها معي، فكنوني أبا هريرة"[2] أسلم سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فسار إليها حتى قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعنه قال: "لما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق:

يا ليلة من طولها وعنائهـا على أنها من دارة الكفر نجت

قال: وأبق مني غلام في الطريق، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته، فبينما أنا عنده إذ طلع الغلام، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة هذا غلامك، فقلت: هو حر لوجه الله تعالى، فأعتقته"[3]. وعن أبي كثير قال: حدثني أبو هريرة قال: "ما خلق الله مومنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني، قلت: ومن أعلمك بهذا يا أبا هريرة، قال: إن أمي كانت مشركة وأنا كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى علي، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره، فأتيته وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام وكانت تأبى علي، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اهد أم أبي هريرة، فخرجت أغدو[4] أبشرها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتيت الباب إذ هو مجاف وسمعت خضخضة الماء، وسمعت شخشخة رجل، فقالت: يا أبا

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، في كتاب معرفة الصحابة 506/3. ووقفت على رواية ابن اسحاق عند ابن الأثير في أسد الغابة 314/6. وابن حجر في الإصابة 349/7.

(2) رواه الترمذي في كتاب المناقب، مناقب أبي هريرة رقم 3866، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(3) رواه أحمد في المسند 286/2 رقم 7832. والبخاري في كتاب العتق، باب إذا قال رجل لعبده، هو لله، رقم 2531، وفي كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن الدوسي رقم 4393.

(4) في ج: أدعو، وهو خطأ.

هريرة كما أنت، (ثم فتحت)[1] الباب وقد لبست درعها، وعجلت عن[2] خمارها، [فقالت][3]: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت[4] من الحزن، فقلت يا رسول الله: أبشر، فقد استجاب الله دعاءك، وقد هدى أم أبي هريرة، وقلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني وأمي إلى عباده المومنين، ويحببهم إلينا، فقال إذ ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم حبب عبادك هؤلاء إلى عبادك المومنين، فما خلق الله من مومن يسمع بي / ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني"[5]هـ. 72 و

ثم لازم النبي صلى الله عليه وسلم وواظبه رغبة في العلم، راضيا بشبع بطنه، فكانت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدور معه حيث دار، ويحضر[6] ما[7] لا يحضر غيره، ثم اتفق أن حصلت[8] له بركة النبي صلى الله عليه وسلم في الذي أعطاه، وضمه إلى صدره فكان يحفظ ما سمعه ولا ينساه.

حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره من الصحابة، وذلك خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا، في الصحيحين منها ستمائة وتسعة أحاديث. وروى عنه[9] أكثر من ثمانمائة[10] رجل.

استعمله عمر على البحرين ثم عزله، ثم أراد رده فأبى، فقال له: "طلب العمل من كان خيرا منك"، قال: "ذلك يوسف نبي الله بن نبي الله، وأنا أبو هريرة بن

(1) في ج، د، ففتحت.
(2) في ج: من.
(3) ساقطة من أ.
(4) في ج: أبكيت.
(5) رواه أحمد في المسند 2/319-320، رقم 8242. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رقم 2491.
(6) في ج: يحضره.
(7) في ب: الألف بدون ميم، وهو خطأ، وفي ج: ساقطة.
(8) في ج: حضرت.
(9) في ج: أنه، وهو خطأ.
(10) في د: ثلاثمائة.

أميمة، وأخشى ثلاثا، أن أقوم بغير علم، وأن يشتم عرضي، وأن ينزع مالي"[1].
وروى ابن سعد عنه قال: "كنت عاملا لعمر بالبحرين فقدمت عليه فقال: عدو الله والإسلام سرقت مال الله، قلت: لا ولكن عدو من عاداهما، خيل لي تناسلت، وسهام لي اجتمعت، فأخذ مني اثني عشر ألفا ثم أرسل إلي بعد ذلك ألا تعمل، قلت: لا، قال: أليس قد عمل يوسف، قلت: يوسف نبي بن نبي، وإني أخشى من عملكم ثلاثا، قال: أو لا تقول خمسا، قلت: أخاف أن تشتموا عرضي وتأخذوا مالي، وتضربوا ظهري، وأخاف أن أقول بغير فهم، وأقضي بغير علم"[2].

واستعمله معاوية على المدينة ثم عزله.

وكان من علماء الصحابة وفضلائها، ناشرا للعلم، شديد التواضع والعبادة، عارفا بنعم الله شاكرا لها، مجتهدا في العبادة، كان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل ثلاثا، يصلي هذا ثم يوقظ هذا وكان يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة، يقول: أسبح بقدر ذنبي.

وكان يقول: "نشأت يتيما وهاجرت مسيكنا، وكنت أجيرا لسبرة بنت غزوان بطعام بطني، فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحذوا إذا ركبوا، فزوجنيها ربي، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما، وصير أبا هريرة إماما"[3].

قال: وكانت إذا أتت[4] على مكان سهل نزلت فقالت: لا أريم حتى تجعل[5] لي عصيدة، فها أنا ذا أتيت على نحو من مكانها، قلت: لا أريم حتى تجعل لي عصيدة.

ولم يزل ساكنا في المدينة وبها توفي سنة تسع[6] وخمسين، ولما حضرته الوفاة بكى، فسئل، فقال: من قلة الزاد، وشدة المفازة،

(1) الإصابة: 360/7.
(2) طبقات ابن سعد 250/4.
(3) نفس المصدر السابق 243/4.
(4) في ج: أتيت.
(5) في ب: يجعل.
(6) في ج، د: بزيادة أو سبع.
قيل في وفاته أنها كانت سنة 59 وقيل 58 وقيل 57.

وعقبة كئود الهابط منها إلى الجنة أو[1] النار. عاش ثمانية وسبعين سنة[2].

قوله: **ما نهيتكم /عنه**[3]، النهي في اللغة المنع، أي ما منعتكم منه فاجتنبوه كله، ولا 72 ظ
تفعلوا شيئا منه حتما في الحرام، وندبا في المكروه ما لم يوجد ما يبيحه، كأكل الميتة للمضطر، وشرب الخمر لإصاغة لفقد التكليف حينئذ.

قوله: **وما أمرتكم به، فافعلوا منه ما استطعتم**، أي ما أطقتم وجوبا في الواجب، وندبا في المندوب.

قال بعض من تكلم على هذا الحديث: هذا من قواعد الإسلام المهمة، ومما[4] أوتيه عليه الصلاة والسلام من جوامع الكلم، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، فإذا عجز عن غسل بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن على تفصيل في المذهب، وإذا وجد بعض ما يستر عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن وأشباه ذلك[5].

قال: «وهذا الحديث يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر، لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه، والأمر قيد بحسب الاستطاعة، وروي عن الإمام أحمد ويشبهه قول بعضهم: "أعمال البر يعملها البر والفاجر، وأما المعاصي فلا يتركها إلا صديق". (وروى[6] عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "اتق المحارم تكن أعبد

---

(1) في ج: بزيادة إلى.

(2) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد 4/242-254 رقم 520 والاستيعاب 4/1768-1772 رقم 3208 وأسد الغابة 6/313-316 رقم 6326. والإصابة 7/348-362 رقم 10680.

(3) قال ابن حجر في فتح الباري 15/189 : "وقع في أول رواية الزهري ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، فاقتصر عليها النووي في الأربعين، وعزا الحديث للبخاري ومسلم، فتشاغل بعض شراح الأربعين بمناسبة تقديم النهي على ما عداه، ولم يعلم أن ذلك من تصرف الرواة، وأن اللفظ الذي أورده البخاري هنا أرجح من حيث الصناعة الحديثية لأنهما اتفقا على إخراج طريق أبي الزناد دون طريق الزهري".

(4) في ج: وما.

(5) وقفت على هذا الكلام عند النووي في شرح صحيح مسلم 9/86، ونقله عنه ابن حجر في الفتح 15/190.

(6) ساقطة من ج.

الناس"[1]. وقالت عائشة: "من سره أن يسبق التائب[2] المجتهد فليكف عن الذنوب"، وروي عنها مرفوعا. وقال الحسن: "ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه"»[3]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تحصوا"[4]؛ يعني لن تقدروا على الاستقامة كلها. وقال عليه السلام: "أيها الناس إنكم لن تطيقوا ولن تفعلوا كما أمرتكم ولكن سددوا وأبشروا" رواه أحمد وأبو داود[5]. قال الله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾[6] وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**اتقوا**[7] **الله حق تقاته**﴾[8] وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر تبارك وتعالى إلا بالمستطاع لقوله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾[9]. و[10]قال تعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[11]. وقال بعضهم: المبالغة في التقوى تكون بأمرين: استصحاب التقوى إلى الوفاة، واستيفاء جميع الطاعات، وحفظ جميع الحدود والحرمات، فتعرضت آية عمران للمبالغة في استغراق العمر كله إلى الوفاة بالتقوى[12]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾، وتعرضت آية التغابن إلى الأمر الآخر.

---

(1) رواه أحمد في المسند 310/2 رقم 8081. والترمذي في كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، رقم 2312، وقال: هذا حديث غريب. أحمد في المسند 310/2 رقم 8081.

(2) عند ابن رجب الدائب.

(3) من قوله: "وهذا الحديث" إلى قول الحسن، وقفت عليه عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ص 252-253.

(4) رواه مالك في الموطإ، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء رقم 36، وهو من بلاغات مالك. وأحمد في المسند 277/5 رقم 22737 و282/5 رقم 22800. وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء رقم 277 عن ثوبان، و278 عبد الله بن عمرو.

(5) رواه أحمد في المسند 212/4 رقم 18011، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الرجل يخطب على قوس، رقم 1096 والحديث من رواية الحكم بن حزن الكلفي.

(6) التغابن/16، وتمام الآية: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

(7) في د: فاتقوا، وهو خطأ.

(8) آل عمران/102، وتمام الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

(9) البقرة/285، جزء آية.

(10) الواو ساقطة من ب، د.

(11) الحج/76، جزء آية.

(12) ساقطة من ب.

قال عمر بن عبد العزيز: "ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى أداء / ما افترض الله وترك ما حرم الله، فإن كان مع ذلك 73 و
عمل فهو خير إلى خير"[1]هـ.

قال الفشني: «لطيفة: يرحم الله البوصيري[2] حيث قال:

"صاح لا تاس[3] إن ضعفت عن الطا عة واستأثرت بها الأقوياء
إن لله رحمة وأحق الناس منه بالرحمة الضعفاء
فابق في العرج عند متقلب الذو ذففي العود تسبق العرجاء
لا تقل حاسدا لغيرك هذا أثمرت نخله ونخلي عفاء
وات بالمستطاع من عمل البر فقد يسقط الثمار الإتاء[4]"[5]

قال بعض شراحها: إنه جرد من نفسه شخصا نهاه وأمره فقال: لا تحزن إن ضعفت قواك عن كثرة الطاعة التي هي أعمال الخير، فقد فاز بكثرتها ذو[6] القوة فإنه تعالى ذو رحمة واسعة تعم القوي والضعيف والدني والشريف، لكن أحق بالرحمة الضعفاء لانكسار خواطرهم بتخلفهم عن مرادهم بواسطة العجز الناشئ عن الضعف، فقد يحصل لهم من فضل الرحمة ما لا يحصل للأقوياء، لقوله تعالى: "أنا عند المنكسرة قلوبهم" فلهذا أمر ببقائه في العرج الذين هم الضعفاء، لأنهم أقوى نية وأصلح سريرة، وأبعد عن الرياء.

---

(1) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص 254.

(2) محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري الدلاصيري، شرف الدين أبو عبد الله. توفي 696 أو 697 وأرخه السيوطي وابن العماد في سنة 695هـ. وله قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم منها البردة. ترجم له: الصفدي في الوافي بالوفيات 105/3 رقم 1045. وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات 362/3-369 رقم 456. والسيوطي في حسن المحاضرة 492/1 رقم 67. وابن العماد في شذرات الذهب 432/5.

(3) في أ: بزيادة الواو، وهي غير موجودة في جميع النسج ولا في ديوان البوصيري.

(4) في د: لأتاء.

(5) ديوان البوصيري: ص 26-27.

(6) في ب، د: ذووا.

قال ابن الفارض[1] قمع الله له من يعارض:

وسرر زمنا وانهض كسيرا فحظك بطالة ما أخرت عزما لصحة[2]

فربما بسبب ذلك سبقوا الأقوياء إلى النعيم المقيم وإلى مقام كريم، كما أن الشاة العرجاء من الذوذ المتخلفة[3] منه[4] إذا رجع الذوذ (إلى ربه تصير أمامهم فتسبقهم إلى الوصول، وتفوز قبل بقية الذوذ)[5] بالمطلوب والمأمول، ثم نهاه عن مقاربة الحسد بأن يقول هذا القوي حصلت [له][6] بواسطة قوته الأعمال، وبلغ منها الآمال، وما حصل له فاتني بسبب ضعفي، فإن الضعيف قد لا[7] يحصل له بسبب ضعفه ما لا يحصل للقوي الناظر إلى قوى نفسه، كما أنه يحصل من صغار النخل ثمرة لا تحصل من كبارها، "إن الله لا ينظر لصوركم بل ينظر إلى قلوبكم"[8] فتأمل هذا البديع[9]هـ.

قوله: **فإنما أهلك الذين**[10] **قبلكم كثرة مسائلهم**، أي التي لغير ضرورة، ففي / 73 ظ البخاري عن ابن عباس قال: "كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء، فيقول الرجل من أبي، ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي، فأنزل الله

(1) شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري، أبو حفص وأبو القاسم. روى عن القاسم بن عساكر، حدث عنه المنذري. توفي 632هـ. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان 3/454-456 رقم: 500. والذهبي في سير أعلام النبلاء 22/368-369 رقم 232. وابن كثير في البداية والنهاية 143/13. وابن حجر في لسان الميزان 4/317-319 رقم 902. وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة 6/255-258. وابن العماد في شذرات الذهب 5/149-153.

(2) ديوان ابن الفارض، ص 34.

(3) في د: المختلفة.

(4) في ب: عنه.

(5) ما بين قوسين ساقط من ج.

(6) ساقطة من أ، ب.

(7) ساقطة من ج.

(8) رواه أحمد في المسند 2/285 رقم 7814. ومسلم في البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم رقم: 2564. وابن ماجة في كتاب الزهد، باب القناعة، رقم 4218.

(9) المجالس السنية: ص 28.

(10) في ج: بزيادة من.

تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء**[1]﴾[2]الخ. وفي الصحيحين أيضا عن أنس قال: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من أبي[3]، فقال: فلان، فنزلت الآية ﴿**لا تسألوا عن أشياء**﴾[4].

وفيهما أيضا عن قتادة عن أنس قال: "سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجفوه في المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألوني[5] اليوم عن شيء إلا بينته، فقام رجل كان إذا لاحى[6] الرجال يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله (من أبي)[7] ، قال: أبوك حذافة، ثم أنشأ عمر يقول: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، نعوذ بالله من الفتن"[8] .

وفي الصحيح عن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجله"[9] .

فهذه الأحاديث تدل على النهي عن السؤال عما لا يحتاج إليه، "وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[10]. ولما سئل صلى الله

---

(1) في ب، ج، بزيادة "إن تبد لكم تسؤكم".
المائدة/103، وتمامها: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها، والله غفور حليم".

(2) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة باب "لا تسألوا عن أشياء ..." رقم 4622.

(3) في ج: أنا، وهو خطأ.

(4) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب "لا تسألوا عن أشياء" رقك 4621، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم 2359.

(5) في ج: تسألني.

(6) في ج: لا غى، وهو خطأ.

(7) ما بين قوسين ساقط من ج.

(8) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، رقم 7089. ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه رقم 2359. وأحمد في المسند 177/3 رقم 12851.

(9) رواه أحمد في المسند 179/1 رقم 1545 والبخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، رقم 7289، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم رقم 2358، وابو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم 4610.

(10) في صحيح البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال: رقم 6473 عن المغيرة: "كان ينهى -صلى الله عليه وسلم- عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال"، ورواه كذلك في كتاب الزكاة=

عليه وسلم على اللعان كره المسائل وعابها، حتى ابتلي السائل عنه قبل وقوعه في أهله[1] هـ.

وقوله: **واختلافهم على أنبيائهم**، هو بالرفع[2] عطف على قوله كثرة، لا بالجر، عطف على [مدخول][3] كثيرة[4]؛ أي وأهلكهم اختلافهم[5]، فهو[6] أبلغ في ذم الاختلاف، لأن الهلاك نشأ عن الاختلاف، وهو لا يتقيد بالكثرة، قاله النووي.

والحديث دال على كراهة المسائل وذمها، وقبح الاختلاف والمجادلة، قال:

وإياك إياك المراء فإنه إلى الشر دعاء وللشر جالب

"قال الهيثم بن جميل، قلت لمالك، يا أبا عبد الله الرجل يكون عالما بالسنن يجادل عنها، قال: لا ولكن يخبر بالسنة فإن قبل منه وإلا سكت.

وقال إسحاق بن عيسى: كان مالك يقول، المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل.

= باب قوله "لا يسألون الناس إلحفا" رقم 1477. وفي كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم 5975. وفي كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال رقم 7292. ورواه كذلك أحمد في المسند 247/4، رقم 18328. ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل، رقم 593.

(1) في صحيح مسلم في كتاب اللعان، رقم 1493، "عن سعيد بن جبير أنه سأل عنه ابن عمر فحدثه أن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان قال: يا رسول الله، أرأيت أن لو وجد أحدنا امرأته على فاحشة، كيف يصنع، إن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت على مثل ذلك، قال: فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبه، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال: إن الذي سألتك عنه قد ابتليت به، فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات في سورة النور "والذين يرمون أزواجهم" فتلاهن عليه ووعظه وذكر ...". ورواه أحمد في المسند 19/2 رقم 4693.

(2) في ج: بالجر وهو خطأ.

(3) ساقطة من أ، ب، ج، وأثبتتها من د.

(4) قال ابن حجر في الفتح: 189/15: "وأما قول النووي في أربعينه "واختلافهم" برفع الفاء لا بكسرها، فإنه باعتبار الرواية التي ذكرها وهي التي من طريق الزهري".

(5) في د: بزيادة على أنبيائهم.

(6) في ج: فهذا.

وقال ابن وهب[1]: سمعت مالكا يقول، المراء في العلم يقسي القلوب ويورث [الضغن][2]"[3].

ثم ينبغي أن تعلم أن سؤال الجاهل عن فرائض الدين كالوضوء، والصلاة والصوم ونحوها واجب، وعليه يحمل قوله عليه الصلاة والسلام: / "طلب العلم فريضة 74 و على كل مسلم"[4]، وقال تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[5].

وقال ابن عباس: إني أعطيت لسانا سؤلا، وقلبا عقولا، وإن سؤال المتفقهة فرض كفاية، قال تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين**﴾[6]، وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا فليبلغ الشاهد[7] الغائب"[8]، وقال عليه السلام لوفد عبد القيس "احفظوهن واخبروا بهن من وراءكم"[9].

وأما السؤال عن شيء لم يوجبه الله عليه ولا على غيره، ولا دعت حاجة إليه، فينهى عنه وهو محمل الحديث كما أشرنا إليه، وقد كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون أيضا السؤال عن الحوادث قبل وقوعها ولا يجيبون عنها.

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء الفقيه المالكي. صحب مالكا عشرين سنة وروى عنه وعن الليث والسفيانين وابن جريج، وروى عنه سحنون وعبد الحكم وأبو مصعب الزهري. توفي 197 هـ. صنف الموطإ الطبير والصغير وله كتاب الأهوال والجامع الكبير. ترجم له: البخاري في التاريخ الكبير 5/117-118 رقم 6780. وابن سعد في الطبقات الكبرى 7/359 رقم 4078، وعياض في ترتيب المدارك 35/228-243. وابن خلكان في وفيات الأعيان 3/36-37 رقم 324. والذهبي في تذكرة الحفاظ 1/222-223 رقم 283. وابن فرحون في الديباج 1/412-417.

(2) في أ، ب: الظغن، في ج: الطعن، وهو خطأ، والصواب الضغن وأثبتته من د.

(3) جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص 248.

(4) رواه ابن ماجة في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم: رقم 224، وقال: صحيح. ورواه الطبراني في المعجم الصغير 1/16 و29.

(5) الأنبياء/7، وتمامها: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾.

(6) التوبة/321: وتمام الآية: ﴿وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

(7) في ج: بزيادة منكم.

(8) سبق تخريجه في ص 119.

(9) سبق تخريجه في ص 172.

«وقال عمرو بن مرة: "خرج عمر على الناس فقال: أحرج عليكم أن تسألونا عما لم يكن، وإن لنا فيما كان شغلا[1]. (وعن ابن عمر)[2]: "لا تسألوا عما لم يكن (فإني سمعت عمر لعن السائل عما لم يكن)[3]"[4] وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن الشيء يقول "كان هذا"، فإن قالوا: "لا" قال: "دعوه حتى يكون[5]"[6].

وقال الشعبي: "سئل عمار عن مسألة فقال: هل كان هذا بعد، قالوا: لا، فقال: فدعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمناه لكم"[7].

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها"[8]»[9] إلى غير ذلك من الآثار الواردة فيه، وبالجملة فكثرة السؤال من غير داعية[10] إليه مذموم. قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿**وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾[11]الآية، لو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم[12] شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، قال الله تعالى: ﴿**فذبحوها وما كادوا يفعلون**﴾[13] أي من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها. ولنذكر قصتها حسبما نقله الفشني وغيره، «وذلك أنه كان في بني اسرائيل رجل غني، وله ابن عم فقير لا

(1) رواه الدارمي في المقدمة، باب كراهية الفتيا، رقم 126.
(2) ما بين قوسين ساقط من ج، وفي د: وعن ابن عباس.
(3) ما بين قوسين ساقط من د.
(4) رواه الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا، رقم 123.
(5) في ج: يكن.
(6) رواه الدارمي، المقدمة، باب كراهية الفتيا، رقم 124.
(7) رواه الدارمي في المقدمة، باب كراهة الفتيا، رقم 125.
(8) رواه الدارمي عن وهب بن عمرو الجمحي في المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، رقم 118.
(9) وقفت على هذه الآثار عند ابن رجب وبنفس الترتيب، ص 245-246.
(10) في ج: د: أدعية.
(11) البقرة/66، وتمام الآية: ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزوًا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾.
(12) في ج. ولكن.
(13) البقرة/70، وتمامها: ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث، مسلمة لاشية فيها، قالوا الآن جيت بالحق، فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾.

وارث له سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائهم[1]، ثم أصبح يطلب ثأره، وجاء بناس إلى موسى عليه السلام، قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل، فقال لهم: ﴿**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزوًا**﴾ أي تستهزئ بنا، نحن نسألك / عن أمر القتيل، وتامرنا بذبح البقرة، فقال موسى: 74 ظ
﴿**أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**﴾، أي من المستهزئين من المومنين، وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال، فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله، استوصفوه، وكان تحته حكمة عظيمة، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل، وله عجلة أتى بها إلى غيضة[2]، وقال: اللهم إني استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة[3] عوانا[4]، وكانت تهرب من كل من رآها، فلما كبر الإبن كان بارا بوالدته، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث، يصلي ثلثا، وينام ثلثا، ويجلس عند رأس أمه ثلثا، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه، وياكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثه[5]، فقالت له أمه يوما: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله تعالى في غيضة[6] كذا، انطلق فادع إلاه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك، وعلامتها[7] إذا نظرت إليها[8] يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها، فأتى الغيضة[9] فرءاها ترعاها

(1) في ج: بفناهم.
(2) في ب، ج: غيظة، وهو خطأ.
والغيضة الأجمة، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر، والجمع غياض وأغياض، الصحاح 1097/3. لسان العرب 202/7 مادة [غيض].
(3) في ب، ج: غيظة.
(4) في ج: عونا، وهو خطأ.
والعوان النصف في سنها من كل شيء، وبقرة عوان لا فارض مسنة ولا بكر صغيرة بين ذلك. الصحاح 2168/6، لسان العرب 299/13 مادة [عون].
(5) في ج: أمه ثلثها. وفي د: ثلثا.
(6) في ب، ج: غيظة.
(7) في ج: بزيادة أنك.
(8) في ج: إليك. يعني إذا نظرت إليك، وهو خطأ.
(9) في ب، ج: الغيظة.

فصاح بها[1] وقال: اعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت البقرة بإذن الله، وقالت: أيها الفتى البار بوالدته، اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال[2] الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: بإله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله، وينطلق معك لفعل لبرك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة، قال بكم أبيعها، قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته وليخبر الفتى كيف بره بأمه، وكان الله به خبيرا، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة، قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي، فقال الملك خذ ستة دنانير ولا تستأمر[3] والدتك، فقال الفتى، لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضى / أمي[4]، فردها إلى أمه 75 و فأخبرها بالثمن فقالت له: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني، فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك، فقال: استأمرت أمك، فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها من ستة دنانير على أن أستأمرها، فقال الملك: أنا أعطيك اثني عشر دينارا، فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك، فقالت: إن الذي ياتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك، فإن أتاك فقل له: أتأمرني أن نبيع هذه البقرة أم لا نفعل، فقال الملك: اذهب إلى أمك فقل لها أمسكي هذه البقرة، فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير، فامسكوها، وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها، فمازالوا يستوصفون حتى وصفت لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة، فذلك قوله تعالى: ﴿**ادع لنا ربك**﴾[5] الآيات، فطلبوها فلم يجدوها بكمال صفتها إلا مع الفتى

(1) في ج: عليها.
(2) في د: قال.
(3) في ج: تشاور.
(4) في د: والدتي.
(5) في ب: بزيادة: "بين لنا ما هي".
البقرة/67، جزء آية، وبقية الآيات في وصفها، 67, 68, 69, 70.

فاشتروها بملء مسكها ذهبا، فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام القتيل حيا بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما، وقال قتلني فلان ثم سقط، ومات مكانه، فحرم قاتله الميراث.

وفي الخبر: "ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة"، قال الله تعالى: ﴿**كذلك يحيي الله الموتى**﴾[1] كما أحيي عائل، ﴿**ويريكم آياته لعلكم تعقلون**﴾، قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي فسبحان من فاوت بين الخلق.

قيل لإبراهيم عليه السلام اذبح ولدك فتله للجبين، وقيل لبني اسرائيل اذبحوا بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون، وخرج أبو بكر رضي الله عنه عن جميع ماله، وبخل ثعلبة بالزكاة، وجاد حاتم في حضره وأسفاره[2]، وبخل الحباحب بضوء ناره، اللهم وفقنا أجمعين، آمين»[3]هـ.

وقال السدي: إن بني اسرائيل اشتروا تلك البقرة بوزنها عشر مرات ذهبا، وكان الفتى أبر الناس بوالدته، حتى بلغ من بره أن رجلا أتاه بمملوكة بخمسين ألفا، وكان فيها فضل، فاشتراها منه، وقال له إن أبي نائم، ومفتاح الصندوق تحت[4] رأسه فأمهلني حتى يستيقظ وأعطيك، فقال له: أيقظ أباك، وأعطني الثمن، فقال له: ما كنت لأفعل، ولكن أزيدك عشر آلاف (وانظرني حتى ينتبه، فقال له البائع: أنا أحط عنك عشرة آلاف)[5] إن أيقظت أباك وعجلت النقد، فقال: وأنا أزيدك عشرين ألفا إن انتظرت انتباهه، فأبى ولم يوقظ الرجل أباه[6]. / 75 ظ

(1) البقرة/72، وتمام الآية ﴿فقلنا اضربوه ببعضها، كذلك يحيي الله الموتى ويريكم، آياته لعلكم تعقلون﴾.

(2) في د: سفره.

(3) المجالس السنية ص 28-29.

(4) في ج: عند.

(5) ما بين قوسين ساقط من ج.

(6) ذكرها ابن كثير في تفسيره 191/1، مع بعض الاختلاف.
وقال في ص 192 بعد إيراده لمجموعة من الأقوال التي وردت في قصة ذبح البقرة: "وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم، فيها اختلاف ما، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم".

الحديث العاشر

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى طيب[1] لا يقبل إلا طيبا، [وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات**]»[2] ر **واعملوا صالحا**﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾[4] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلكز رواه مسلم»[5] .

افتتح الفشني هذا الحديث بقوله: "الحمد لله الذي أنشأ العالم واخترعه، وابتدأ شكله وابتدعه، وأتقن كل شيء صنعه، وأحكم مفترقه[6] ومجتمعه، أحمد على ما وهب من إحسانه حمد معترف بالتقصير عن شكر[7] امتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة معلن بلسانه عما في ضميره وجنانه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، بعثه بالبيان مرشدا بهدى[8] الإيمان، مؤيدا بمعجزات القرآن، وأظهر دينه على سائر الأديان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه في كل وقت وأوان"[9]هـ.

---

(1) في د: بزيادة الواو.

(2) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل أ، وأثبتته من بقية النسخ.

(3) المومنون/53، وتمام الآية ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا، إني بما تعملون عليم﴾.

(4) البقرة/171، وتمام الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾.

(5) رواه أحمد في المسند 328/2 رقم 8330، والدارمي في كتاب الرقاق، باب في أكل الطيب رقم 2759. ومسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب رقم 1015. والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، رقم 3000.

(6) في ب، ج: مفترقته.

(7) ساقطة من ب.

(8) في ب: في هدى. وفي ج: بهذا. وعند الفشني: لهدى.

(9) المجالس السنية: ص 29.

وقد خرج هذا الحديث مسلم من رواية فضيل بن مرزوق[1] عن عدي بن ثابت[2] عن أبي حازم[3] عن أبي هريرة، وخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

وفضيل بن مرزوق ثقة وسط، خرج له مسلم دون البخاري.

قوله: إن الله تعالى[4] طيب، جاء من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن[5] الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجودس. خرجه الترمذي[6].

والطيب معناه الطاهر، والمعنى أنه[7] تعالى مقدس منزه عن النقائص والخبائث كلها، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿**والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون**

---

(1) فضيل بن مرزوق الرقاشي، ويقال: الرؤاسي الكوفي، أبو عبد الرحمن. مولى بني عنزة، روى عن أبي اسحاق السبيعي، وعدي بن ثابت، وعطية العوفي، وعنه زهير بن معاوية ووكيع وغيرهم. قال ابن ابي حاتم عن أبيه: صالح الحديث، صدوق يهم كثيرا، يكتب حديثه، قلت: يحتج به، قال: لا. وقال الذهبي: هو شيعي، ما ذكره في الضعفاء البخاري ولا العقيلي ولا الدولابي. توفي قبل سنة 170هـ. قال المزي: روى له البخاري والباقون. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 7/12-13 رقم 9885. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 7/75 رقم 423. والمزي في تهذيب الكمال 6/55-56، رقم 5358. والذهبي في سير أعلام النبلاء 7/342-343، رقم 124. وابن حجر في تهذيب التهذيب 6/425 رقم 5626.

(2) عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي، سمع من البراء وعبد الله بن يزيد، وروى عن أبيه وجده، وسمع منه يحيى بن سعيد الأنصاري وشعبة ومسعر، مات في ولاية خالد على العراق وقيل سنة 116هـ، روى له الجماعة. ترجم له البخاري في التاريخ الكبير 6/355 رقم 9534. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 7/2 رقم 5. والمزي في تهذيب الكمال 5/144 رقم 4472. والذهبي في ميزان الاعتدال 3/61-62 رقم 5591. وابن حجر في تهذيب التهذيب 5/528 رقم 4676.

(3) أبو حازم الأشجعي سلمان مولى عزة الأشجعية، روى عن أبي هريرة وأكثر وعن ابن عمرو الحسين بن علي وروى عنه عدي بن ثابت والأعمش وطلحة بن مصرف. توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وقيل قريبا من سنة 100هـ. روى له الجماعة. ترجم له ابن سعد في طبقاته 6/298 رقم 2344. والبخاري في التاريخ الكبير 4/129 رقم 5134. وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 4/297-298 رقم 1293. والمزي في تهذيب الكمال 3/242 رقم 2424. والذهبي في سير أعلام النبلاء 5/7-8 رقم 2. وابن حجر في تهذيب التهذيب 3-425 رقم 2553.

(4) ساقطة من د.

(5) ساقطة من ب، ج.

(6) كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة، رقم 2808 قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(7) في د: أن الله.

مما يقولون﴾[1]، أي منزهون عن أدناس الفواحش. وقيل إن الطيب اسم من أسمائه الحسنى كالجميل، عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك، الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرجت"[2].

وقيل: طيب الثناء، ومستلذ الأسماء عند العارفين بها، وهو طيب عباده، لدخول الجنة بالأعمال الصالحة / طيبها لهم. 76 و

والكلمة الطيبة لا إله إلا الله، ويطلق الطيب على الجيد من الحلال، وعلى الطاهر والمنبت[3] والحسن والمومن وما لا أذى فيه، والمدرك ومنه طاب ثمرها؛ أي أدرك.

قوله: **لا يقبل (إلا طيبا)**[4] ؛ أي لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا طاهرا من المفسرات[5]، كالرياء والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبا حلالا. فإن الطيب توصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات.

في الحديث: "لا يتصدق أحدكم إلا من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب"[6]، لأن لفظ طيب يتضمن المدح والتشريف، فلا يتقرب إليه سبحانه وتعالى إلا بما يناسبه في ذلك المعنى، وهو الإخلاص في الأعمال وخيار الأموال، كما قال تعالى:

---

(1) النور/26، وتمام الآية: ﴿الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون، لهم مغفرة ورزق كريم﴾.

(2) رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم 3859.

(3) في ج: المثبت.

(4) في ج: الله إلا الطيب.

(5) في ج: بزيادة كلها.

(6) رواه مالك في الموطإ، كتاب الصدقة، باب الترغيب في الصدقة رقم 1. وأحمد في المسند 331/2 رقم 8363 و418/2 رقم 9413. والدارمي في كتاب الزكاة، باب في فضل الصدقة رقم 1717. والبخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب رقم 1410. وفي كتاب التوحيد، باب قوله تعالى تعرج الملائكة والروح رقم 7340. ومسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب رقم 1014. وابن ماجة في كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة رقم 1842. والترمذي في كتاب الزكاة باب فضل الصدقة رقم 661. والنسائي في كتاب الزكاة، باب الصدقة من غلول رقم 2365. والحديث من رواية أبي هريرة وعند مالك من رواية سعيد بن يسار.

﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا**﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿**ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون**﴾[2].

وعن ابن عباس: "من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله أربعين صباحا، ومن اكتسب مالا حراما فإن تصدق به لم يقبل منه، ومن خلفه بعده كان دليله إلى النار، ومن أكل الحلال أربعين صباحا نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه، ومن سعى على عياله من حله كان كالمجاهد في سبيل الله".

ومثله في الطبراني من رواية سعد بن أبي وقاص قال: "يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفسي بيده، إن العبد ليقذف اللقمة في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به"[3].

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عمر قال: "من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه، ثم أدخل أصبعيه في أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4]. وخرج الطبراني من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة، ووضع رجله في الغرز فنادى، لبيك (اللهم لبيك)[5] ناداه مناد من السماء، لبيك وسعديك، زادك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور وغير مأزور، وإذا خرج الرجل بنفقة خبيثة فوضع رجليه في الغرز فنادى لبيك، ناداه مناد من السماء، لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور"[6].

---

(1) الكهف/105، وتمام الآية: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.

(2) البقرة/266. وتمام الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا ان تغمضوا فيه، واعلموا أن الله غني حميد﴾.

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط"، 7/255-256 رقم 6491.

(4) رواه أحمد في المسند 2/98 رقم 5732. ونقل المناوي في فيض القدير 6/64 عن الحافظ العراقي أن سنده ضعيف جدا.

(5) ما بين قوسين ساقط من ح.

(6) رواه الطبراني في المعجم الأوسط 6/109-110 رقم 5224.

وأخرج الحاكم وابن خزيمة وابن حبان: "من جمع مالا حراما ثم تصدق به، لم يكن له فيه أجر، / وكان أضراره عليه"[1]. 76 ظ

وأخرج الطبراني: "من كسب مالا حراما فأنفق منه أو وصل رحمه كان ذلك أضرارا عليه".

وإنما لم تقبل الصدقة بالحرام لأنه ممنوع من التصرف فيه، لكونه ملك الغير[2]، فلو قبل[3] لزم كونه مأمورا به منهيا عنه من جهة واحدة وهذا محال، وهذه الجملة توطئة وتأسيس[4] لما هو المقصود بالذات من سياق هذا الحديث، وهو طيب المطعم المستلزم لإجابة الدعاء غالبا.

قوله: **وإن الله تعالى**؛ أي لما خلق ما في الأرض جميعا لعباده، وأباحه لهم سوى ما حرم عليهم، أمر[5] المؤمنين بما أمر به المرسلين؛ أي سوى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال وتعاطي الأعمال الصالحة، لأن الجميع عباده، ومأمورون[6] بعبادته، إلا ما قام الدليل على تخصيصهم به دون أممهم، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات** ﴿**واعملوا صالحا**﴾، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾[7]. أمر به المؤمنين أن يتحروا أكل الحلال كما ذكر، وأن يقوموا بحقوقه تعالى، فقال: ﴿**واشكروا لله**﴾؛ أي على ما أحل لكم ﴿**إن كنتم إياه تعبدون**﴾؛ أي إن صح أنكم تخصونه بالعبادة، فإن عبادتكم لا تتم إلا بالشكر، فالمراد أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال والعمل الصالح، فمادام[8]

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك 390/1 في كتاب الزكاة، وابن خزيمة 110/4-111 رقم 2471، كتاب الزكاة، باب ذكر الدليل على أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضع القنوفي المسجد للمساكين أمر ندب. وابن حبان 152/5 رقم 3356 في كتاب الزكاة، باب صدقة التطوع، ذكر البيان بأن المال إذ لم يكن يطيب أحد من حله لم يؤجر المتصدق به عليه. إلا أن الحديث عند الحاكم وابن حبان بلفظ "وكان إصره عليه" وعند ابن خزيمة بلفظ "وكان أجره عليه".

(2) ج: للغير.

(3) في ج: فإن قيل، وهو خطأ.

(4) في ج: تأمين، وهو خطأ.

(5) في ج: فأمر.

(6) في ج: عبادة، ومأمور. وهو خطأ.

(7) ما بين قوسين ساقط من ج.

(8) في د: فمن أدام.

حلالا فالعمل صالح[1] مقبول، فبطيب المطعم يحصل طيب العمل، ويزكو به عند الله عمله.

وفي الصحيحين: "ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها[2] الرحمن بيمينه"[3] الحديث.

والمخاطب بالنداء جميع الأنبياء لكن لا على أنهم مخاطبون[4] دفعة واحدة، إذ هم كانوا في أزمنة متفرقة، وخص الرسل بالذكر تعظيما لهم، وفيه تنبيه على أن إباحة الطيبات لهم شرع قديم، ورد للرهبانية في رفض الطيبات، وأن الشخص يثاب إذا أكل طيبا قصد به القوة على الطاعة، وإحياء نفسه بخلاف ما إذا أكل تشهيا وتنعما.

قال الفشني: «واعلم أن أفضل ما أكلت منه كسبك من زراعة، لأنها أقرب إلى التوكل[5] ثم[6] صناعة، لأن الكسب فيها يحصل بكد اليمين، ثم من تجارة لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتسبون بها، ويحرم ما يضر بالبدن والعقل كالحجر والتراب والزجاج والسم كالأفيون وهو لبن الخشخاش[7]، ويحرم أكل الحشيشة التي تاكلها [الحرافيش][8]، ويسن ترك التوسط / في الطعام المباح لأنه 77 و
ليس من أخلاق السلف، هذا إذا لم تدع إليه حاجة كقرى الضيف[9]، وأوقات التوسعة على العيال كيوم عاشوراء ويومي العيد، ولم يقصد بذلك التفاخر والتكاثر بل تطييب خاطر الضيف والعيال وقضاء وطرهم مما يشتهونه.

---

(1) في ج: الصالح بالتعريف.
(2) في ج: أخذه.
(3) انظر تخريجه في ص 371 واللفظ في هذا الحديث لمسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة، وتمامه "ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت ثمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله".
(4) في ج: بزيادة، بالنداء.
(5) في ج: للتوكل.
(6) في ج: بزيادة من.
(7) في ج: الخشاش وهو خطأ. والصواب الذي في الأصل وهو نوع من النبات معروف، الصحاح 1005/3 مادة [خشش].
(8) في أ، ب، ج: للحراميش، وهو خطأ. وأثبتت الصواب من د.
والحرفش: أبو خيرة من الأفاعي. الحرفش والحرافش. لسان العرب 282/6 مادة [حرفش].
(9) في ب: الضعيف.

قال علماؤنا: وفي إعطاء النفس شهواتها المباحة[1] مذاهب حكاها الماوردي[2]: منعها وقهرها كي لا تطغى، إعطاؤها تخيلا[3] على نشاطها وبعثا[4] لروحانيتها، قال: والأشبه التوسط بين الأمرين، لأن في اعطائها الكل سلاطة عليه، وفي منعها بلادة، ويسن الحلو من الأطعمة، وكثرة الأيدي على الطعام، وأن يحمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، روى أبو داود بإسناد صحيح أنه صلى الله عليه وسلم "كان إذا أكل أو شرب قال: الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا"[5]، وآداب الأكل والشرب كثيرة شهيرة»[6]هـ.

قوله: **ثم ذكر الرجل يطيل السفر**، خص الرجل بالذكر لأنه هو الذي يسافر السفر الطويل في وجوه[7] الطاعات من حج وجهاد ونحوهما.

و[8]قوله: **أشعث**؛ أي متلبد الرأس لبعد عهده بالغسل والتسريح والدهن.

أغبر؛ أي الجسد والوجه.

يمد يديه إلى السماء، فيه أن رفع اليدين في الدعاء مشروع لما فيه من إظهار الذل والاضطرار والعجز والافتقار. ووصف المدعو بالجلال والكبرياء يا رب، يا رب أعطني كذا، وجنبني كذا، وفيه دليل على أن[9] ذلك أيضا من آداب الدعاء. وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم" أنه رفع يديه في دعاء الاستسقاء حتى رؤي بياض

---

(1) في ب: المباحات.

(2) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي الفقيه الشافعي. أخذ عن أبي القاسم الصيمري وأبي حامد الإسفراييني، وروى عنه الخطيب البغدادي. توفي 450هـ. من مصنفاته: "أدب الدين والدنيا، الأحكام السلطانية، تفسير سماه النكت. ترجم له الشرازي في طبقات الفقهاء ص 125. وابن خلكان في وفيات الأعيان 3/282-284 رقم 428 والذهبي في ميزان الاعتدال 3/155 رقم 5936. والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى 5/267-285 رقم 509. والسيوطي في طبقات المفسرين ص 25 رقم 77. وابن العماد في شذرات الذهب 3/285-287.

(3) في ج: تخيلا. وهو خطأ.

(4) في ج: نعثا، وهو خطأ.

(5) كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، رقم 3851.

(6) المجالس السنية، ص 30.

(7) في ج: وجوب، وهو خطأ.

(8) الواو ساقطة من ج، د.

(9) ساقطة من ج.

إبطيه"[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله حيي كريم، يستحيي من عبده أن يرفع إليه كفيه ثم يردهما صفرا"[2]، وقال أبو الدرداء: "ارفعوا هذه الأيدي بالدعاء قبل أن تغل بالأغلال".

فإن قيل إذا كان الحق سبحانه ليس في جهة فما معنى رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء، فالجواب من وجهين ذكرهما الطرطوشي[3]:

أحدهما انه محل تعبد كالاستقبال في الصلاة، وإلصاق الجبهة بالأرض في السجود مع تنزهه سبحانه عن محل البيت ومحل السجود، فكأن[4] السماء قبلة الدعاء.

وثانيهما[5]: أنها لما كانت مهبط الرزق والوحي وموضع الرحمة والبركة، على معنى أن المطر ينزل منها إلى الأرض (فيخرج نباتها، وهي مسكن الملأ الأعلى فإذا قضى الله أمرا ألقاه إليهم فيلقونه[6] إلى أهل الأرض)[7]، وكذلك الأعمال ترفع،

---

(1) رواه احمد في المسند 236/2 رقم 7212 والبخاري في كتاب الاستسقاء، باب رفع الناس أيديهم مع الإمام في الاستسقاء، رقم 1030. وباب رفع الإمام يده في الاستسقاء رقم 1031. ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء رقم 895. وأبو داود في كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء رقم 1170, والنسائي في كتاب الاستسقاء، كيف يرفع يديه في الدعاء رقم 1423. والحديث من رواية أنس، وهو عند أحمد في مسند أبي هريرة.

(2) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم 1488. وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم 3865. والترمذي في كتاب جامع الدعوات باب 119 رقم 3567. والحديث من رواية سلمان.

(3) أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد المعروف بابن أبي زندقة. صحب أبا الوليد الباجي وقرأ على أبي محمد بن حزم. ذكر في وفاته أنها كانت سنة 520هـ. ونبه ابن خلكان على أنه خطأ. من مصنفاته: سراج الملوك، بر الوالدين. ترجم له ابن بشكوال في الصلة 575/2-576 رقم 1269. والضبي في بغية الملتمس ص 135-139 رقم 295. وابن خلكان في وفيات الأعيان 262/4-265 رقم 605. وابن فرحون في الديباج المذهب 244/2-248. والسيوطي في حسن المحاضرة 390/1 رقم 45. وابن العماد في شذرات الذهب 62/4-64.

(4) في ج: فكانت.

(5) في ج: ثانيها.

(6) في د: فيبلغونه.

(7) ما بين قوسين ساقط من ج.

وفيها غير واحد من الأنبياء، / وفيها الجنة التي هي غاية الأماني، فلما كانت معدنا[1] 77 ظ
لهذه الأمور العظام ومعرفة للقضاء والقدر، انصرفت الهمم إليها وتوفرت الدعاوي عليها. وبهذا أجاب القاضي ابن مريعة لما صلى ذات ليلة في دار الوزير المهلبي وأبو إسحاق الصابي يرمقه فأحس به القاضي، فلما سلم قال له: ما لك ترمقني يا خال[2] الصابية أجبت إلى الشريعة الصافية، قال: بل أخذت عنك شيئا، قال: ما هو، قال: رأيتك ترفع يديك[3] نحو السماء وتخفض جبهتك على الأرض فمطلوبك أين هو، فقال: إنا نرفع أيدينا إلى مطالع أرزاقنا، [ونخفض جباهنا إلى[4] مصارع أجسادنا نستدعي بالأول أرزاقنا]، و[5] نستدفع بالثاني شر مصارعنا، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿**وفي السماء رزقكم، وما توعدون**﴾[6]، وقال : ﴿**منها خلقناكم**﴾[7] الخ، فقال المهلبي: ما أظن الله خلق في عصرك مثلك.

تنبيه:

لا يستثني من استحباب رفع اليدين في الدعاء إلا في الخطبة على الخبر[8]، فإنه يكره للخطيب رفع يديه في خطبته، ذكره البيهقي هـ.

ومن آداب الدعاء أيضا «إطالة السفر، بل السفر لمجرده يقتضي إجابة الدعاء، فقد جاء في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : "ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده".

---

(1) في ج: معدة.
(2) في ب، د: أخي، وفي ج: أخا.
(3) ساقطة من ج.
(4) في ب: على.
(5) ما بين معقوفتين ساقط من أ، أثبتته من بقية النسخ.
(6) الذاريات/22.
(7) طه/54، وتمام الآية ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾.
(8) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء بظهر الغيب، رقم 1536. وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، رقم 3862. والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في دعاء الوالدين رقم 1912. وفي كتاب الدعوات باب ما ذكر في دعوة المسافر رقم 3459. ورواه كذلك أحمد في المسند 258/2، رقم 7501. ولفظه كلفظ الترمذي.

خرجه أبو داود وابن ماجة والترمذي[1]، وعنده "دعوة الوالد على ولده". وروي مثله عن ابن مسعود من قوله.

ومتى طال كان أقرب إلى إجابة الدعاء لأنه[2] مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء. ومنها حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والاغبرار، وهو أيضا من المقتضيات لإجابة الدعاء، كما في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم: "رب أشعث أغبر ذي [طمرين][3]، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره"[4]. ولما خرج عليه السلام للاستسقاء خرج متبذلا متضرعا متواضعا[5]. وكان مطرف بن عبد الله قد حبس له ابن أخ فلبس خلق ثيابه، وأخذ عكازا بيده، فقيل ما هذا، فقال: أستكين لربي لعله أن يشفعني في ابن أخي»[6].

---

(1) ورد في صحيح مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم 874. عن عمارة بن رؤيبة، قال: "رأى بشر بن مروان على المنبر رافعا يديه، فقال: قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبحة". قال النووي في شرح صحيح مسلم 6/141-142 "هذا فيه أن السنة أن لا يرفع اليد في الخطبة، وهو قول مالك وأصحابنا وغيرهم، وحكى القاضي عن بعض السلف وبعض المالكية إباحته لأن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه في خطبة الجمعة حين استسقى، وأجاب الأولون بأن هذا الرفع كان لعارض".

(2) في ج: إلى أنه، وهو خطأ.

(3) في أ، ب، د: طريق، وفي ج: طمرين، وهو الذي وقفت عليه في روايات الحديث ومن تم أثبتته في النص.

(4) رواه أحمد في المسند 3/145 رقم 1250 عن أنس. ومسلم عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين، رقم 2622. وفي كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم 2854. والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك رقم 3880.

(5) في حديث ابن عباس: "خرج رسول الله صلى الله وسلم للاستسقاء متبذلا متواضعا متضرعا"، رواه أحمد في المسند 1/230 رقم 2039 وأبو داود في جماع أبواب الاستسقاء، رقم 1165. والترمذي في كتاب السفر، باب ما جاء في صلاة الاستسقاء رقم 558 وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في كتاب الاستسقاء، باب الحال التي يستحب للإمام أن يكون عليها إذا خرج رقم 1416. وباب جلوس الإمام على المنبر للاستسقاء رقم 1418.

(6) من قوله "إطالة السفر" إلى قوله هنا "أخي" وقفت عليه عند ابن رجب ص 269-270.

ومنها «الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء. روى البزار عن / عائشة مرفوعا: "إذا قال العبد يا رب أربعا، قال الله: لبيك 78 و عبدي سل تعطه"[1]. وخرج الطبراني وغيره من حديث سعد بن خارجة "أن قوما شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قحط المطر، فقال: اجثوا على الركب، وقولوا: يا رب يا رب، ورفع السبابة إلى السماء، فسقوا حتى أحبوا أن يكشف عنهم"[2].

وقال يزيد الرقاشي عن أنس: "ما من عبد يقول يا رب يا رب، إلا قال له ربه لبيك لبيك". وروي عن أبي الدرداء وابن عباس أنهما كانا يقولان: "اسم الله الأكبر، رب رب"[3]»[4].

ومنها أن لا يدعو بمعصية ولا بمحال، ومنها أن يكون حاضر القلب للنهي عن الدعاء مع الغفلة، وأن يحسن ظنه بالإجابة، ومنها أن لا يستعجل، فيقول[5]: دعوت فلم يستجب، إذ هو سوء أدب فيقطعه عن الدعاء فتفوته الإجابة، ومنها أن لا يخرج عن العادة خروجا بعيدا، لما فيه من سوء الأدب أيضا، لأن الله تعالى قد أجرى الأمور على العادة، فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة، قال بعضهم إلا أن يدعو باسمه الأعظم، فيجوز تأسيا بالذي عنده علم من الكتاب إذ دعا بحضور عرش بلقيس فأجيب.

قوله: **ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب**؛ أي يبعد لمن هذه صفته وهذا حاله أن يستجاب له، فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد، وليس صريحا في استحالة الاستجابة[6] ومنعها بالكلية فيجوز أن يستجيب[7] الله تعالى له لطفا وتكرما، بل قد يستجيب للكافر، قال تعالى: ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾[8].

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير 411/1 : ولم أقف عليه عند البزار.

(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط 458/6 رقم 5978. والبخاري في التاريخ الكبير 245/6 عند ترجمة عامر وقال: "في إسناده نظر".

(3) رواه الحاكم في المستدرك 505/1، كتاب الدعاء.

(4) من قوله "الإلحاح ..." إلى قوله هنا "رب، رب" وقفت عليه عند رجب ص 273-274.

(5) في د: يقول.

(6) في د: الإجابة.

(7) في ج: يستجاب.

(8) النمل/64، وتمام الآية: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، ألاه مع الله، قليلا ما يتذكرون﴾.

وقد حكى ابن العربي أن مراكب الإفرنج أتت إلى المنستير لطلب الماء بشراء من المسلمين فمنعوهم، فلما أشرفوا على الهلاك فتحوا أناجيلهم وضجوا إلى الله تعالى بالدعاء فأمطروا، فلما رأى أهل المنستير حالهم فتحوا مصاحفهم ودعوا عليهم، فأرسل الله عليهم ريحا فانكسرت مراكبهم، وأهلكتهم وغنمهم المسلمون هـ.

قال الفشني: «وفي الحديث أيضا الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وأن المأكول والمشروب والملبوس (ونحوها)[1] ينبغي أن يكون حلالا لا شبهة فيه، وأن مريد الدعاء أولى بالاعتناء بذلك من غيره. قال وهب بن منبه: "بلغني أن موسى عليه السلام مر برجل قائم / يدعو ويتضرع طويلا، وهو 78 ظ
ينظر إليه فقال موسى: يا رب أما استجبت لعبدك، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنه لو بكى حتى تفلت نفسه، ورفع يده حتى تبلغ[2] عنان السماء ما استجبت له، قال: يا رب، بم[3] ذلك، قال: لأنه في بطنه الحرام، وعلى ظهره الحرام، وفي بيته الحرام". "ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا: يا أبا اسحاق، ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا، قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: الأول[4]: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، الثاني: زعمتم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتركتم سنته)[5]، الثالث: قرأتم القرآن فلم تعملوا به، الرابع: أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها[6]. والخامس: [قلتم إن الشيطان عدو لكم ووافقتموه ولم تخالفوه][7]، والسادس: قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها، والسابع: قلتم (إن النار)[8] حق ولم تهربوا منها[9]، و[10]الثامن: قلتم إن المنية حق،

---

(9) ساقطة من د.
(2) في ب، ج: بلغ.
(3) في ج: بماذا.
(4) ساقطة من ج، وفي د: الأولى.
(5) في ج: ولم تؤدوا حقه.
(6) الواو ساقطة من ج.
(7) ساقطة من جميع النسخ، أثبتها من عند الفشني.
(8) في ج: إن الجنة.
(9) في أ، ب ذكر قوله "إن الجنة حق" على أنه الخامس، وقوله "إن النار حق" هو السابع، والسادس غير موجود. وفي ج: قوله "إن الجنة حق" هو الخامس، وقوله "إن النار حق" السادس والسابع.
(10) الواو ساقطة من ج.

ولم تستعدوا لها[1]، والتاسع: انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم"[2]"[3]هـ. ولاشك أن التوسع في الحرام والتمتع به أكلا وشربا ولبسا وتغذية[4]، والانهماك فيه من موانع الإجابة.

قال يحيى بن معاذ: "الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانه أكل الحلال، فإذا لم يكن للمفتاح أسنان فلا يفتح الباب ومن لا يفتح باب الخزانة كيف يصل إلى ما فيها من الطاعة، فصف لقمتك وطيب طعمتك". وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد: "أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة". وقيل لسعد بن أبي وقاص: "تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما رفعت إلي اللقمة إلا وأنا عالم من أين خرجت". وعن وهب بن منبه: "من سره أن يستجيب[5] الله دعوته فليطيب لقمته"[6]هـ.

فأكل الحلال شرط في القبول، وسبب في الوصول، قال سفيان بن عيينة: "كنت أقرأ الآية فيفتح لي فيها سبعين بابا من العلم، فلما أكلت ما أكلت كنت أقرأ الآية فلا يفتح لي فيها باب واحد".

فالحرام من القوت نار تذيب شحمة الفكر، وتذهب لذة حلاوة الفكر، وتحرق ثياب الإخلاص، ومن الحرام يتولد عمى البصيرة، وظلام السريرة، ومما يمنع من الإجابة أيضا فعل المحرمات وترك الواجبات. كما جاء في الحديث: أن ترك الأمر بالمعروف / والنهي عن المنكر يمنع 79 و
استجابة دعاء الأخيار، وفعل الطاعة يكون موجبا لها[7]، ولهذا لما

(1) الواو ساقطة من ج.
(2) الحلية لأبي نعيم 8/15-16.
(3) المجالس السنية ص 31.
(4) في ج: تقوية.
(5) في ج: يستجاب، وهو خطأ.
(6) وقفت على قول سعد بن أبي وقاص ووهب بن منبه عند ابن رجب ص 275.
(7) روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا، ولا يقرب أجلا، وإن الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعنهم الله على لسان أنبيائهم، =

توسل[1] الذين دخلوا الغار، وانطبقت عليهم الصخرة بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها لله عز وجل، ودعوا الله بها أجيبت دعوتهم[2].

«و[3]وقال وهب بن منبه: "مثل الذي يدعو بغير عمل، كمثل الذي يرمي بغير وتر"[4]. وعنه قال: "العمل الصالح يبلغ الدعاء، ثم تلا ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه**﴾[5]". وعن عمر قال: "بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح"، وعن أبي ذر قال: "يكفي مع البر من الدعاء، ما يكفي الطعام من الملح"[6]. وقال محمد بن واسع: "يكفي مع الورع الدعاء اليسير". وقيل لسفيان: "لو دعوت الله" قال: "إن ترك الذنوب هو الدعاء". وقال الليث: "رأى موسى عليه السلام رجلا رافعا يديه وهو يسأل الله مجتهدا، فقال موسى: أي رب عبدك دعاك حتى رحمته وأنت أرحم الراحمين، فما صنعت في حاجته، قال: يا موسى: لو رفع يديه حتى تنقطع ما نظرت في حاجته حتى ينظر في حقي".

وقال مالك بن دينار: "أصاب بني إسرائيل بلاء، فخرجوا مخرجا، فأوحى الله تعالى إلى نبيه[7] أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون إلي أكفا قد[8] سفكتم بها الدماء، وملأتم بها قلوبكم من الحرام، الآن[9] اشتد غضبي

=ثم عموا البلاء" رواه الطبراني في الأوسط 217/2 رقم 1389، وأبو نعيم في الحلية 278/8. وأورده إسماعيل الأصبهاني في الترغيب والترهيب، باب في الترهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 157/1 رقم 299.

(1) في ج: توسلوا.

(2) حديث أصحاب الغار رواه أحمد في المسند 116/2 رقم 5973 والبخاري في كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه رقم 5974، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم 3465، وفي كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي، رقم 2215. ومسلم في كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار، رقم 2743.

(3) – الواو ساقطة من ج.

(4) مصنف ابن أبي شيبة 184/7، رقم 35170.

(5) فاطر/10: جزء آية.

(6) الحلية لأبي نعيم 164/1.

(7) في ج: نبيهم.

(8) ساقطة من د.

(9) في ج: إلى أن.

عليكم، ولن تزدادوا مني إلا بعدا". وقال بعض السلف: "لا تستبطئ الإجابة وقد سددت[1] طرفها بالمعاصي" وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعانا وسددنا[2] طريقها بالذنوب»[3]

قال الفشني: «واعلم أنه ورد في السنة أن "الدعاء مخ العبادة"[4] ووجهه أن الداعي إنما يدعو عند انقطاع الآمال عما سوى الله تعالى، فهو حقيقة التوحيد والإخلاص، وورد أيضا أن الدعاء سلاح الأنبياء[5]، ونعم السلاح.

تنبيه:

في رسالة الإمام أبي القاسم القشيري: اختلف في أن الأفضل الدعاء أو السكوت، فمنهم من قال: أن الدعاء عبادة، لحديث "الدعاء هو العبادة"[6]، ولأن[7] الدعاء إظهار الافتقار إلى الله تعالى، وقالت طائفة: / السكوت والخمود تحت 79 ظ
جريان الحكم أتم. والرضى بما سبق به القدر أولى، وقال قوم: يكون صاحب دعاء بلسانه، ورضى بقلبه ليأتي بالأمر جميعا. قال القشيري: والأولى أن يقال: الأوقات مختلفة ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت، وفي بعض الأحوال: السكوت أفضل من الدعاء، وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك بالوقت، فإذا

(1) في ج: شددت.
(2) في ج: شددنا.
(3) من قوله: "وقال وهب بن منبه" إلى قوله هنا "بالذنوب" عند ابن رجب وبنفس الترتيب ص 276-277.
(4) رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء، رقم 3382. عن أنس. وقال أبو عيسى: حديث غريب من هذا الوجه.
(5) الذي وقفت عليه: "الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض" رواه الحاكم في المستدرك عن علي وقال حديث صحيح. كتاب الدعاء 492/1.
(6) رواه أحمد في المسند 267/4 رقم 18542. وأبو داود في كتاب الوتر باب الدعاء، رقم 1479. وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء رقم 3828. والترمذي في الدعوات الباب 2 رقم 3383. وفي كتاب التفسير سورة البقرة رقم 2980 وقال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح". والحديث من رواية النعمان بن بشير.
(7) في ج: إن.

وجد في قلبه إشارة إلى السكوت فالسكوت أولى وأتم، ويصح أن يقال: ما كان للمسلمين فيه نصيب، أو لله سبحانه فيه حق فالدعاء أولى لكونه عبادة، وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم.

فـــائـــدة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تبارك وتعالى ملكا موكلا بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثا، قال له الملك: إن أرحم الراحمين[1] أقبل عليك فسل"[2]»[3]هـ. ولنسق كلام القشيري الذي أشار له بلفظه فإنه حسن بديع، ونصه: «واختلف الناس في أي شيء أفضل الدعاء أم السكوت والرضى، فمنهم من قال : الدعاء في نفسه[عبادة][4]، قال صلى الله عليه وسلم "الدعاء مخ العبادة"[5] فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركها، ثم هو حق الحق سبحانه، فإن لم يستجب للعبد، ولم يصل إلى حظ نفسه فقد قام بحق ربه، لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية، وقد قال أبو حازم الأعرج[6] "لأن أحرم[7] الدعاء، أشد علي من أن أحرم[8] الإجابة". وطائفة قالوا: السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم، والرضى بما سبق من اختيار الحق أولى، ولهذا قال الواسطي: "اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت"، وقد قال عليه السلام خبرا عن الله تعالى: "من شغله ذكري عن

---

(1) في ج: بزيادة قد.

(2) رواه الحاكم في المستدرك 544/1، كتاب الدعاء.

(3) المجالس السنية: ص 31.

(4) ساقطة من جميع النسخ، أثبتتها من الرسالة القشيرية.

(5) سبق تخريجه. في ص 383

(6) أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي مولاهم المدني الأعرج الأفزر القاص الزاهد، سمع سهل بن سعد وسعيد بن المسيب، وعنه مالك والسفيانان والحمادان ... توفي سنة 133 وقيل 135، وقيل 140، وقيل 144. روى له الجماعة. ترجم له ابن سعد في الطبقات الكبرى 421/5 رقم 1234، والبخاري في التاريخ الكبير 82/4 رقم 4910، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 159/4 رقم 701، والمزي في تهذيب الكمال 244/3 رقم 2434، والذهبي في تذكرة الحفاظ 100/1 رقم 119، وفي سير أعلام النبلاء 6/96-103، رقم 24 ،وابن حجر في تهذيب التهذيب 3/429-431 رقم 2563.

(7) في ج: أخرم.

(8) في ج: أخرم.

مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين"[1]. (وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه، صاحب رضي بقلبه، ليأتي بالأمرين جميعا.

قال الإمام أبو القاسم: والأولى أن يقال أن الأوقات مختلفة ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك في الوقت لأن علم / الوقت يحصل في 80 و
الوقت فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء، فالدعاء له أولى، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أولى. ويصح أن يقال: للعبد أن لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه، ثم يجب أن يراعي حاله، فإن وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته، فالدعاء له أولى، وإن عاد إلى قلبه في وقت الدعاء وارد زجر، ومثل قبض، فالأولى ترك الدعاء في هذا الوقت، وإن لم يجد في قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر، فالدعاء هنا وتركه سيان، وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت أولى. ويصح أن يقال: ما كان للمسلمين فيه نصيب، أو للحق سبحانه فيه حق فالدعاء أولى، وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم)[2].

وفي الخبر المروي "أن العبد يدعو لله عز وجل يحبه[3]، فيقول: يا جبريل أخر لعبدي حاجته، فإني أحب أن أسمع صوته، وإن العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول: يا جبريل اقض لعبدي حاجته فإني أكره أن أسمع صوته"[4]»[5]هـ.

وقد أشار إلى هذا الخلاف، وسائر الأقوال التي في هذه المسألة الشيخ جمال الدين النقيب المقدسي[6]، في قصيدته المسماة بمنهاج العارف المنتقي[7]، فقال:

---

(1) رواه الدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، رقم 3399. والترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب 25، رقم 2935، قال: "هذا حديث حسن غريب"، والحديث من رواية أبي سعيد الخدري.

(2) ما بين قوسين من قوله "وقال قوم" إلى قوله "فالسكوت أتم" ساقطة من ج.

(3) في ب يجيبه، وهو خطأ.

(4) رواه الطبراني في المعجم الأوسط 202/9رقم 8437. عن جابر بن عبد الله،

(5) الرسالة القشيرية ص: 562.

(6) محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين، العلامة الزاهد، جمال الدين، أبو عبد الله البلخي الأصل، المقدسي الحنفي، المعروف بابن النقيب. توفي سنة 698هـ. من مصنفاته التفسير، قيل إنه في خمسين مجلدة، وله شعر حسن. ترجم له الصفدي في الوافي بالوفيات 136/3 رقم 1076، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات 382/3 رقم 460، وابن كثير في البداية والنهاية 5-4/14. والقرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية 165/3 رقم 1320. والسيوطي في طبقات المفسرين ص 32 رقم 97، والداودي في طبقات المفسرين 144/2 رقم 492. وابن العماد في شذرات الذهب 442/4.

(7) ما بين قوسين ساقط من ج.

وإن ابتهال العبد أولى بحاله ... وحق على ذي الرق أن يترقا[1]
وقيل سكوت العبد أولى لأنه ... سكون إلى جري المقادير[2] مطلقا
وقيل الرضى بالقلب والنطق بالـ ... ـلسان غدا بالعبد أولى وأليقا
وقد قيل في قت يكون سكوته ... أتم وفي وقت به النطق أخلقا
وقيل سكوت العبد في حق نفسه ... أتم وحق الله يدعو ليلحقا
وقد قيل بالتجريب يجري الذي غدا ... به منهما أولى فيأتي محققا
وقد قيل بل ترك الذنوب هو الدعا ... وليس الذي منه اللسان تلقلقا

تنبيه:

قال الفشني: «قال الغزالي: "فإن قيل ما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له[3]، فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب رد البلاء، ووجود / 80 ظ الرحمة، كما أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، وكما أن القوس سبب لدفع السهم، فيتدافعان فكذلك الدعاء"[4].

سبحان من لا يخيب من قصده ... من قصد الله صادقا وجده
قد شمل الخلق فضل نعمته ... كل إلى فضله يمد يده

قال محمد بن خزيمة "لمامات أحمد بن حنبل، رأيته في المنام وهو يتبختر في الجنة، فقلت له: أي مشية هذه، فقال[5]: مشية الخدام إلى دار السلام، قلت"[6].أحمد، كقراءتك[7] القرآن كلامي، ثم قال: يا أحمد: ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري، وكنت تدعو بها في دار الدنيا، فقلت: يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء، اغفر لي كل شيء، ولا تسألني عن شيء"[8]، والدعوات كثيرة.

---

(1) في ج: يترقا، وهو خطأ.
(2) في ج: المقادر، وهو خطأ.
(3) في د: منه.
(4) الاحياء: 333/1.
(5) في ج: بزيادة هذه.
(6) في د: فقلت.
(7) في ج: بقراءتك.
(8) الرسالة القشيرية ص 269.

خـــاتـــمـــة [1] :

قال الجلال السيوطي في طبقات النحاة الصغرى له: "رأيت بخط القاضي عز الدين بن جماعة[2]، وجد بخط الشيخ محي الدين النووي ما نصه: ما قصد أحد هذه الأبيات ودعا الله تعالى[3] عقبها بشيء إلا استجيب له، وهي هذه:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قوله كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة ... فبالافتقار إليك ربي[4] أضرع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقيرك[5] يمنع
حاشا لمجدك أن يقنط عاصيا ... الفضل أجزل والمواهب أوسع

وهذه الأبيات من كلام عبد الرحمن بن عبد الله[6] بن أصبغ بن حبيش المالقي[7] رحمه الله تعالى"[8]"[9]هـ.

---

(1) ساقطة من ج.
(2) محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد بن جماعة عز الدين الحموي الأصل، الشافعي الأصولي، المتكلم النحوي اللغوي، أخذ عن جار الله والخطابي وابن خلدون وعنه ابن حجر وقاضي القضاة علم الدين البلقيني. توفي 819. من مصنفاته: شرح علوم الحديث لابن الصلاح، وشرح الأربعين النووية وغيرها. ترجم له السخاوي في الضوء اللامع 7/171-174 رقم 417. والسيوطي في بغية الوعاة 1/63-66 رقم 112. وفي حسن المحاضرة 1/475 رقم 46. وابن العماد في شذرات الذهب 7/139-141. والشوكاني في البدر الطالع، 2/147-149 رقم 426.
(3) في ج: بزيادة، بها، وهو خطأ.
(4) في ج: رب، وهو خطأ.
(5) في ج: فقير، وهو خطأ.
(6) ساقطة من ج. والذي وقفت عليه في بغية الوعاة بزيادة "بن أحمد".
(7) هو الإمام السهيلي، صاحب الروض الأنف.
(8) بغية الوعاة في طبقت اللغويين والنحاة 2/81-82.
(9) المجالس السنية ص 31-32.

تتميم:

في الحديث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم / قال: "من 81 و
أذن له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة[1]، وما يسأل الله شيئا قط أحب إليه من أن يسأل العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة"[2]. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة"[3]، قال أبو بكر الخفاف: "وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته، ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء". وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا، وسحه عليه سحا[4]، فإذا دعا قالت الملائكة : صوت معروف، وقال جبريل[5]: عبدك فلان، اقض حاجته، فيقول: دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته، فإذا قال: يا رب، قال الله: لبيك عبدي وسعديك، لا تدعوني بشيء إلا استجبت[6] لك، ولا تسألني شيئا إلا أعطيتك، إما أن اعجل لك ما سألت، وإما أن أدخر لك عندي أفضل منه، وإما أن أدفع عنك به من البلاء ما هو أعظم من ذلك"[7]هـ، قال تعالى: ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾[8]، وقال تعالى: ﴿**ادعو ربكم تضرعا وخفية**﴾[9]، قال أبو عثمان: التضرع في الدعاء ألا تقدم عليه أفعالك وصلواتك وصيامك وقراءتك، ثم تدعو على إثره، إنما التضرع أن تقدم إليه افتقارك وعجزك وضرورتك، وقلة حيلتك بلا علقة ولا سبب، فيرفع دعاءك.

---

(1) في ج: الإجابة.

(2) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم رقم 3559. لكن بلفظ "من فتح له منكم باب الدعاء فتحت ...".

(3) رواه البيهقي في الشعب 125/1، رقم 4528، عن عبد الله بن مسعود وقال البيهقي "في سنده عبد العزيز ابن أبان وهو متروك".

(4) سححت الماء وغيره وأسحه سحا إذا صببته، وسح الماء يسح سحا أي سال من فوق، وكذلك المطر والدمع. الصحاح 373/1. لسان العرب 476/2 مادة [سحح].

(5) في ج: بزيادة يا رب.

(6) في ب، ج: أستجيب.

(7) رواه الديلمي في الفردوس 251/1 رقم 972، إلا أنه قال "وثجه عليه ثجا: بدل "سحه سحا" ومع اختلاف كذلك في بعض لفظه.

(8) النمل/64، جزء آية.

(9) الأعراف/54، وتمام الآية ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية، إنه لا يحب المعتدين﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة على يديه ولسانه، ويهديه الله[1] في الدنيا والآخرة". وفي المناجاة "أن الله تبارك وتعالى قال لموسى: إن أردت تدعوني فصن بطنك عن الحرام، وقل يا ذا المن القديم والفضل العظيم، يا ذا الرحمة الواسعة فإني أجيبك في كل ما سألتني". وقال ابن عمر: "لو صمتم حتى تكونوا مثل الحنايا، وصليتم حتى تكونوا مثل الأوتار، لم يقبل ذلك[2] إلا بورع حاجز".

ثم اعلم أن للدعاء آدابا أخر زائدة على ما تقدم:

«الأول[3]: أن يرصد بدعائه الأوقات الشريفة من السنة كيوم عرفة ورمضان، ويوم الجمعة، ووقت السحر.

و[4]الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة كعند "حوف[5] الصفوف في سبيل الله، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة المكتوبة، وعقب الفراغ منها، وبين الآذان والإقامة، وفي الحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات.

الثالث: أن يدعو / مستقبل القبلة، ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه كما تقدم. فقد روى جابر "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف[6] بعرفة واستقبل القبلة، ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس". رواه مسلم[7]. ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه (في آخر الدعاء، قال عمر بن الخطاب: "كان رسول الله صلى 81 ظ

(1) في ب: إليه.
(2) في ج: بزيادة منكم.
(3) في ب، ج: الأولى.
(4) الواو ساقطة من ج.
(5) في ب: عند، وفي د: عند زحف.
(6) في ب: المواقف. وهو خطأ.
(7) رواه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم 1218، ولفظه عن جابر: "... ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة ولم يزل واقفا حتى غربت الشمس ...". ورواه كذلك الدارمي في كتاب المناسك، باب في سنة الحاج، رقم 1892، وأبو داود في كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم 1905، وابن ماجة في كتاب المناسك، باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم 3074.

الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء، لم يردها حتى يمسح بهما وجهه[1] رواه الترمذي والحاكم في المستدرك[2]. وروى الحاكم أيضا عن ابن عباس مرفوعا: "إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورهما، وامسحوا بهما وجوهكم"[3]. ولا يرفع بصره إلى السماء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء، أو لتخطفن[4] أبصارهم". رواه مسلم والنسائي والطبراني[5] وأحمد وأبو داود[6].

الرابع: خفض الصوت بين [المخافتة][7] والجهر، قالت عائشة[8] في قوله تعالى: ﴿**ولا تجهر بصلاتك**﴾[9] أي بدعائك، وقال تعالى: ﴿**إذ نادى ربه نداء خفيا**﴾[10]، وقال تعالى: ﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**﴾[11].

---

(1) ما بين قوسين ساقط من ج.

(2) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء في رفع الأيدي عند الدعاء، رقم 3397، وقال: "هذا حديث صحيح غريب". ورواه الحاكم في المستدرك 536/1، في كتاب الدعاء.

(3) رواه الحاكم في المستدرك 536/1، كتاب الدعاء، ورواه كذلك أبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم 1485، وقال: روي من غير وجه عن محمد بن كعب كلها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف أيضا. وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء رقم 3935 في ضعيف الألباني، وفي كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من رفع يديه في الدعاء ومسح بهما وجهه رقم 1181.

(4) في ج: ليخطفن.

(5) ساقطة من ج.

(6) رواه أحمد في المسند 333/2 رقم 8389. ومسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم 429. وأبو داود في كتاب الصلاة، باب النظر في الصلاة، رقم 913. والنسائي في كتاب السهو، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء عند الدعاء في الصلاة، رقم 1210. والطبراني في المعجم الكبير 99/19 رقم 198 من غير لفظ "عند الدعاء" والحديث من رواية أبي هريرة وعند أبي داود من رواية أنس بن مالك وعند الطبراني من رواية كعب بن مالك.

(7) في أ، ب: المخافقة، وهو خطأ، والصواب المخافتة وأثبتته من ج، د.

(8) ساقطة من ج.

(9) الإسراء/109، وتمام الآية: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، أياما تدعو فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾.

(10) مريم/2.

(11) الأعراف54، جزء آية.

الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء، فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: "إياكم والسجع"[1] يعني المتكلف.

السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة، قال تعالى: ﴿**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**﴾[2] الخ.

السابع: أن يجزم بالدعاء، ويومن بالإجابة، ويصدق رجاء فيه، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له". رواه ابن أبي شيبة وأحمد والشيخان وغيرهم[3].

الثامن: أن يلح في الدعاء كما تقدم، ويكرره ثلاثا، وينبغي أن لا يستبطئ الإجابة لقوله عليه السلام: "يستجاب لأحدكم[4] ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب ليس. رواه الشيخان وغيرهما[5]. وقال عليه السلام: "إذا سأل أحدكم ربه مسألة،

(1) لم أقف على لفظه بالضبط ولكن وقفت على معناه في مسند احمد 217/6 رقم 2640 عن عائشة ".. اجتنب السجع من الدعاء". وفي صحيح البخاري، في كتاب الدعوات باب ما يكره من السجع في الدعاء، رقم 6337، عن ابن عباس: "... فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب".

(2) الأنبياء/89. وتمام الآية: ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه، إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾.

(3) رواه مالك في الموطإ، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء رقم 28 وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الدعاء، العزم من الدعاء 23/7 رقم 2. وأحمد في المسند 243/2 رقم 7312. والبخاري في كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له رقم 6339. وفي كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم 7477. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت رقم 2679. وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب لا يقول الرجل اللهم اغفر لي إن شئت، رقم 3854، والترمذي في كتاب الدعوات، باب 79، رقم 3508، والحديث ورد عن أبي هريرة.

(4) ساقطة من ج.

(5) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم 6340. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل رقم 2735. ورواه كذلك مالك في الموطإ، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء رقم 29. وأحمد في المسند 396/2 رقم 9137. وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، رقم 3853. والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يستعجل في دعائه، رقم 398، والحديث ورد عن أبي هريرة.

فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي[1] بنعمته تتم الصالحات، ومن أبطأ عليه في ذلك شيء[2] فليقل الحمد لله على كل حال"[3]هـ. لأن أحوال المومن[4]، كلها خير، وقضاء الله بالسراء والضراء رحمة ونعمة، ولو / (انكشف له الغطاء)[5] لفرح 82 و بالضراء أكثر من السراء، وهو أعلم بمصالح عباده.

التاسع: أن يفتتح[6] الدعاء بذكر الله، ولا يبدا[7] بالسؤال، وقد كان عليه السلام يستفتح[8] دعاءه بقوله: "سبحان ربي العلي[9] الأعلى الوهاب"[10].

العاشر: وهو الأدب الباطني، وهو الأصل[11]، التوبة النصوح، ورد المظالم إلى أهلها، فذلك هو السبب القريب في الإجابة»[12].

الحادي عشر: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتكون وسطه وآخره.

واعلم أن للدعاء مراتب:

إحداها: أن تدعو الله بآلائه وصفاته والمناسب ذكر الصفة التي تقتضي المدعو.

الثانية: لحاجتك وفقرك وذلك، فتقول: أنا العبد الذليل الفقير البائس الحقير، الخاضع المستجير، ونحوه[13].

---

(1) ساقطة من ج.

(2) في ج: بشيء.

(3) أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة 513/3 رقم: 1340. وقال: "ضعيف" وعند ابن ماجة في كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم 3803 : عن عائشة "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحب قال "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات" وإذا رأى ما يكره قال: "الحمد لله على كل حال".

(4) في ج: المومنين.

(5) في ج: انكشفت له القضاء، وهو خطأ.

(6) في ج: يفتح.

(7) في ج: يتبدئ.

(8) في ج: يفتتح.

(9) ساقطة من ج.

(10) رواه أحمد في المسند عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه، 54/4. رقم 16663.

(11) من قوله الأول: أن يرصد بدعائه إلى قوله هنا: الإجابة نقله الغزالي في الإحياء 306/1-309، وأورده هنا مع بعض الاختصار.

(12) ما بين قوسين ساقط من ج.

(13) عند الغزالي بزيادة: في الإجابة.

الثالثة: أن تسأل حاجتك ولا تترك واحدة منها.

فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة (كان أكمل، وهو عامة أدعية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جمع الثلاثة)[1] تعليمه للصديق رضي الله عنه، فقال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا"، وهذا حال السائل، ثم قال: "فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"، وهذا حال المسؤول، ثم قال: "فاغفر لي" فذكر حاجته. وختم الدعاء باسم من أسمائه الحسنى مما يناسب المطلوب[2].

والأولى أن يستعمل في كل مقام الدعاء المأثور فيه، وهو أفضل من غيره، لتنصيص الشارع عليه، وتعليم الشرع خير من اختيار العبد.

قال جعفر الصادق: عجبت لمن ابتلى بالضر كيف يذهل عنه أن يقول: "مسني الضر، وأنت أرحم الراحمين"، والله تعالى يقول: ﴿**فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر**[3]﴾[4]، وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول: "لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين" والله تعالى يقول: ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم، وكذلك ننجي المؤمنين**﴾[5]، وعجبت لمن خاف شيئا كيف يذهل عنه أن يقول: "حسبي الله ونعم الوكيل"، والله تعالى يقول: ﴿**فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم**

---

(1) ساقطة من د.

(2) في صحيح البخاري، في كتاب الآذان، باب الدعاء قبل السلام، رقم 834، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت العفور الرحيم". ورواه كذلك في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ رقم 7387 و7388. وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة رقم 6326، ورواه كذلك أحمد في المسند 4/1 رقم 8. ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر رقم 2705. وابن ماجة في كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم 3835. والترمذي في كتاب الدعوات، باب 99 رقم 3542. والنسائي في كتاب السهو، نوع آخر من الدعاء رقم 1235.

(3) في ج: ضره، وهو خطأ.

(4) الأنبياء/83، وتمام الآية: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾.

(5) الأنبياء/87.

سوء﴾[1]، وعجبت لمن كيد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول: "وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد"، والله تعالى يقول: ﴿**فوقاه الله سيئات ما مكروا**﴾[2]، وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: "ولولا / 82 ظ إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله"هـ.

وهكذا سنة الحق مع من صدق في التجائه إليه أن يمهد مقيله في ظل كفايته، فلا البلاء يمسه، ولا العناء يصيبه.

اللهم يا هادي المضلين، ويا راحم[3] المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك كذا الخطر العظيم، واجعلنا مع الأحباء المرزوقين، الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين، والشهداء والصالحين. آمين يا رب العالمين.

رئي عبتة الغلام في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك، قال[4] : دخلت الجنة بهذه الكلمات. ذكره أبو نعيم في الحلية، وأبو طالب في القوت، والغزالي في الإحياء.

إلاهي تب علي توبة نصوحا لا أنقض عهدها أبدا، واحفظني في ذلك لأكون من جملة السعدا، إلاهي دلني على من يدلني عليك، وأوصلني إلى من يوصلني إليك، إلاهي صن سري عن الأغيار، وزينه بسر الأسرار، إلاهي داوني بدواء من عندك ينتفي[5] به ألمي القلبي، وأصلح مني يا مولاي ظاهري ولبي، واكفني هموم الدنيا والآخرة يا كريم، وأجرني من خزيك وعقابك يا حليم، وادفع عني شر عبادك أجمعين (يا الله)[6] يا أرحم الراحمين. / آمين[7]. 83 و

(1) آل عمران/174، وتمام الآية: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم﴾.
(2) غافر/45، وتمام الآية: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا، وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾.
(3) في ج: أرحم: وهو خطأ.
(4) في ب، ج، د: فقال.
(5) في ج: يشفى.
(6) ساقطة من ج.
(7) آمين ساقطة من ج، مع زيادة، يا رب العالمين.

هذا ما يسر الله جمعه، وقدر تأليفه ووضعه للعبد الحقير[1]، المعترف بالعجز والتقصير، أحمد بن الشيخ[2] التاودي بن سودة المري، لازالت سجائب مولاه عليه تجري، مما أمر به مولانا الإمام الخليفة الهمام منبع العلم، وفخر السلاطين، ومعدن الحلم وتاج الملوك العلويين، ذو المآثر الحسان، أبو الربيع مولانا سليمان، أعز الله أمره، وخلد في الصالحات ذكره. آمين[3].

(1) في ج: العبد، وفي ب، ج، د: بزيادة الفقير بعد العبد، والحقير ساقطة من ج.
(2) الشيخ ساقطة من ب، د. في ج: بزيادة ابن محمد قبل الشيخ. في د: أثبت مولانا بدل الشيخ.
(3) في ج: زاد في آخر النسخة: "انتهى والحمد لله، ويتلوه العشرة الثانية من الأربعين النووية المسماة بالموهوبة السنية في شرح العشرة الثانية لمؤلفها العلامة المشارك الحجة سيدي عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون رحمه الله.